

السِّبْهَاتُ وَاللَّخْطَاوُ السَّائِعَةُ فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ

موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ
والسياسة والاجتماع وتراجم الاعلام والمؤلفات
تضم أكثر من مائتي مصطلح

أُتُوْرُ الْجَبَرِي

دار الإحصاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى البحث

فى طريق مسيرة الفكر الاسلامى والثقافة العربية الطويلة عبر القرون الطويلة وبالاكتكاك مع الثقافات المختلفة ، فانه قد صادف عديدا من المذاهب والدعوات التى حاولت أن تنحرف به عن مذهب وقيمه ، وقد عادت هذه الشبهات والأخطاء فتجمعت مرة أخرى فى السنوات المائة الأخيرة مجددة كل التحديات والامتراءات التى بثتها الباطنية والجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانجراف والزندقة والاباحية التى عرفت فى عصور ما قبل الاسلام وجمعها الاستعمار والصهيونية العالمية تحت اسم (للتغريب والغزو الثقافى) وجند لها قوى متعددة منها التبشير والاستشراق والشعوبية ومعاهد الأرساليات وكثير من الصحف والدعاة والأسماء اللامعة .

ولقد استثمرت فى السنوات الأخيرة هذه الشبهات والأخطاء أصبحت نتيجة لترديدها المتصل ولتسربها الى مناهج الدراسة والى اصول الثقافة والى مصادر التاريخ - خلاصة تلك النظريات الولفدة التى فرضها التغريب فى مجال الأدب والأجلبى ومقارنة الأديان وعلم النفس وفلسفات الاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون - كل هذا جعل كثيرا من هذه الشبهات تبدو وكأنها حقائق ، أو يجرى التسليم بها دون مراجعة أو تعمق فى ظل من الغفلة عن الأهداف الماكرة التى تختفى وراءها .

بل ان كثيرا من هذه الشبهات قد أغرت كثيرا من أصحاب الإسلام المخلصين من غير قصد ، نتيجة لاستشراء الخطأ المتداول مثل ما يسمى باستبداد السلطان عبد الحميد أو ما يسمى بالاستعمار العثمانى ، وكلاهما من الكلمات التى نسقتها يد القامر فى محاولة تمزيق وحدة العالم الاسلامى وإثارة الشبهات حول حقائق تاريخية أريد لها أن تدفن وتختفى .

والحق أننا فى أشد الحاجة اليوم الى العمل المتصل لتحرير الفكر الاسلامى والثقافة العربية من دخائل التبشير والتغريب والشعوبية والكشف

عن الأخطاء الشائعة وتصحيح المفاهيم وتطبيق قانون الجرح والتعديل على الكتاب الذين عرفوا بالخصومة لفكر العرب والمسلمين ، والذين لا يتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية أمتنا وكياننا ، وليست هذه المحاولة بدعا في تاريخ الفكر الإسلامي والثقافة العربية ولكنها تبدو متواضعة ازاء محاولات خصمنا في هذا المجال .

رد ابن تيمية على المناطقة ، ورد الغزالي على الباطنية ، ورد ابن حزم على الفرق ، وكتاب تلييس ابليس لابن الجوزي ، وكتاب العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي ، وكتب أخرى في العصر الحديث منها الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني ، والاسلام والنصرانية بين العلم والدين للشيخ محمد عبده وشبهات النمساوي ومهجع الاسلام للسيد رشيد رضا .

ومن الحق أن يقال أنه قد أصبحت هناك ضرورة لإحياء علم يطلق عليه .

(علم المواجهة وكشف الضبهاات وتصحيح المفاهيم) .

يقوم على أساس تحرير قضايا الفكر ، ودراسة المصطلحات المختلفة المسارية المتداولة ، وكشف وجهة نظر الفكر الاسلامي فيها ، وابرار مفهوم الاسلام للقيم المختلفة ، وهو مفهوم يختلف قطعاً عن مفاهيم الفكر الغربي والفكر الشرقي جميعاً لهذه القيم .

ولا شك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم محل كبير الأهمية في هذه المرحلة من حياة أمتنا وحياة الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، اذ يتطلب البناء نظرة واسعة على الأخطاء الكثرة التي تردت في العصر الحديث وتضمنتها الأبحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التي حاول النقاد الأجني والاستعمار الفكري فرضها ودعمها وتعميقها وصقلها وتجديدها كلما بليت وأعطاهما صورة الحقائق الأساسية التي لا تقبل للشك بينها هي زائفة ليس لها أصل علمي تعتمد عليه أو سند تاريخي يضمن الصحة بها ، وقد شجع على فيوعها معقود فكرنا فبسا يسمونه غفلة التقليد والترديد الببغائي دون وعي تحصيل أو تثقيب واع أو محاذرة بقطة لكل مايقوله خصوم هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعو الى الخصومة ازاء كل ما يقال ولكن نطالب بالحدز واليقظة حتى لا نخدع ولا يلدس علينا بالزائف من القول الذي ينفخ حقنا وحقائقنا .

ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعات متعددة من الشبهات والأخطاء :

منها شبهات التبشير ، وشبهات الاستشراق ، وشبهات بروتوكولات صهيون ، والاسرائيليات الجديدة ، وشبهات المذاهب والدعوات المادية والإباحية الوثنية التي صيغت في قوالب علمية براهنة خادعة لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق الكاشف الذي يعريها ويفضح خبيثتها .

ولقد كان الفكر الإسلامي ولا يزال — استمدادا من مصادر الإسلامية الترانسية — على المحجة البيضاء ، ولكنه أصيب بالانحراف والاضطراب حين انصرف أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترابط المادى والمعنوي معا .

ولقد ولجّه الفكر الإسلامي عملية الغزو الفكرى والثقافى منذ قديم ، واستطاع في معركته الأولى أن يتحرر من كل هذه الزيوف ، وأن يستعيد طابعه وذاتيته بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمة .

وهو اليوم قادر أيضا على أداء هذه الرسالة ، يقظ لكل مايراد به ، متفتح للكمائن لكل الثقافات والمفاهيم ، يأخذ منها ويرفض على قاعدته الأساسية العميقة الجذور ، وهو بقوته الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيف ورفض الخطأ ودحض الشبهة .

ولقد كان على طلائع اليقظة العربية الإسلامية في العصر الحديث أن تعرّف هدف حركة التقريب من بث هذه الشبهات والأخطاء ، وهو هدف واضح يرمى الى توهين القيم الإسلامية وتفتيت وحدة الفكر الإسلامى والثقافة العربية وأثاره الخلاف بين الشعوب الإسلامية والعربية ، ووضع أسفينة ضخم بين العرب والأمم الإسلامية كالترك والفرس وغيرهم ، وكذلك بعثرة القوى الوطنية .

ولقد كانت حركة اليقظة العربية الإسلامية منذ جمال الدين الإسماعيلى ومحمد عبده على علم تام بأن هناك محالة دائمة مستمرة لتحريف الفكر الإسلامى (أصوله وتعاليمه وأحكامه) تارة بالانتقاص منها أو بالزيادة فيها وثالثة بتأويلها على غير وجهها .

وكان هدف التبشير والاستشراق أساسا هو العمل على الحط من شأن العرب والمسلمين في نفوسهم وتشجيع العمليات جريا وراء تفكيك عروة وحدة الفكر .

ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الأدب العربى المعاصر والفكر العربى المعاصر عن أصولهما الاسلاميه ومصادرها الأصلية ، ثم تبين أن هذا العمل كان عسيرا ومستحيلا .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات النابغة فى تاريخنا وفكرنا ، وخاصة تدمير الغزالى والمنبى وابن خلدون ، كما جرت لاعلاء شأن أبى نواس وبشار والحلاج ، وعمدت الشبهات الى اتهام الفكر الاسلامى بانتقاص الحرية ، وعرضت حياة ابن رشد والسهورردى أمثلة على ذلك ، واتصلت الشبهات بمختلف ميادين الفكر سائسية واجتماعية ، كما ظهرت عشرات من الكتب تحاول أن تفرض مفهوما زائفا أو خاطئا فى سبيل خدمة هدف التبشير والاستشراق لحساب الغزو الثقافى والاستعمار والصهيونية ، وجرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والنوادر والاساطير التى يرددها الرواة ، وجرت المحاولات على أن تكون هذه الكتب مصادر علمية يعتد عليها فى استخراج صورة زائفة للمجتمع الاسلامى .

وقد نسقت هذه الشبهات فى موسوعات ودوائر معارف أنيقة أصبحت فى أيدى الباحثين يلجأون اليها فى كل وقت ، دون معاناة ، غير أبهين يمدى الخطر الذى يحيط بها والهدف البعيد المدى الذى يراود من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها فى قالب على براق .

ولقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشبهات والأخطاء انما يراود بها القضاء على ذاتية العرب والمسلمين واخراجهم من قيمهم ومزاجهم النفسى واثارة اليأس فى نفوسهم وتشكيكهم فى مقدرتهم وتشويه معالم فكرهم وأدبهم ، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم تتوقف ، بصورها المتعددة ومصادرها الكثيرة ، وهى تدور حول جزئيات منفصلة ، من هنا ومن هناك ، ترتفع وتخفت ، تغير أثوابها بين حين وآخر ، وتلون أساليبها ، دون أن تغير أهدافها وغايتها الكبرى ، وذلك فى محاولة للتأثير على النفس العربية الاسلامية وافساد ثقتها بقيمها ودفعها الى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص الى مقوماتها التى هى مصدر قوتها ، التى هى الطريق الوحيد الذى يجب عليها أن تسلكه فى سبيل دحر عدوها ، ورد عدوانه فى مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب ، ومن الحق أن يقال أن المنطلق الوحيد للقوة والنصر والحرية ، هو تصحيح المفاهيم وتحريرها من التزيوف والشبهات والتباس المنابع الأولى والمصادر الأصلية ، وهذه نفسها هى القوى التى اتخذها المسلمون والعرب كلما ادلهمت أمامهم الأحداث ووقعوا فى الأزمات والأخطار .

ومن أبرز التحولات ضد الشبهات والأخطاء العمل على تصنيف الكتاب ، وأخطر الكتاب هم أصحاب الولاء الأجنبي ، هؤلاء الذين لا يؤمنون بقيمتنا ولا بأمتنا والذين يكشفون أنفسهم دائما عند ما يعادون التراث والقيم والدين ، وحيث لا يجرعون على مهاجمة القيم العربية الإسلامية صراحة فانهم يتحدثون عن العقل والنقل ، والسلفية والتراث والماضي والقديم ، وينسون انهم بذلك يكشفون دخيلتهم ، فهم يقصدون الاسلام ويعجزون عن اعلان اسمه ، ولعلمهم يعلمون جيدا أن هناك غوارق بعيدة بين حملة الغرب على الدين باسم القديم والتراث وبين موقفنا من الاسلام الذى ليس ترانا ولكنه قيم حية متجددة نابضة بالقوة ، تختلف اختلافا كبيرا عن الأساطير التى يريدون تصديدها . ونظريات الاباحية والمادية والوثنية التى يروجون لها .

ولقد عرضنا فى هذا البحث أبرز هذه الشبهات واقربها الى المثقف العربى فى المجال العالم على نحو مختصر موجز يمكن من النظرة الخاطفة فلاحاطة السريعة .

ولا ريب أن الباحث المتطلع الى التوسع فى البحث والافاضة فى تقضى عناصره وأبعاده يحتاج الى مصادر تفصيلية فى كل مادة من المواد الموجزة وقد اشترنا هناك الى بعض المراجع لمن أراد استقصاء والاستزادة وإن كنا قد تناولنا هذه الموضوعات جميعا فى مؤلفاتنا وخاصة فى هذه الدراسات :

١ — القيم الأساسية للفكر الإسلامى والثقافة العربية .

٢ — أصول الثقافة العربية .

٣ — خصائص الأدب العربى .

٤ — العروبة والاسلام .

٥ — الإسلام وحركة التاريخ .

كما يستطيع الباحث على وجه الإجمال أن يجد جذور هذه النظريات فى كتابات فريد وجدى ومحب الدين الخطيب والدكتور محمد البهى ومالك ابن نبي والدكتور محمد حسين ومحمد أحمد الغمراوى وعمر فروخ وعلى مسامى النشار ومحمد المبارك ودكتورة بنت الشاطئ وكثيرون غيرهم .

هذا وبالله التوفيق ،،،

(٢)

مدرسة النظر الى ما وراء التصوي والمصطلحات

طرح الفكر الغربى فى أفق الفكر الإسلامى عشرات من المصطلحات التى أصبح العرب والمسلمون يرددونها دون وعى فى مناسبات متماثلة ولكنها مختلفة تماما ، ذلك لأن مصطلحات الغرب وكلماته لا يمكن فصلها عن ملامساتها الفكرية التى ترمى إليها ، ولا يمكن عزلها عن ظروفها وأوضاعها ولا يمكن أن تنقل كما تنقل مصطلحات الاختراعات والعلوم ، ولذلك فلا بد أن يكون للمسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى موقف ازاء هذه المصطلحات ونظرة إليها تكشف عن مدى الفوارق العميقة بين الديمقراطية والشورى وبين الاشتراكية والعدل الاجتماعى وبين مفهوم القومية الغربى وبين مفهوم العلاقة بين العروبة والإسلام فضلا عن عشرات من المصطلحات الغربىة التى تنبثق من فلسفة لها أساس مادى صرف ولها وجه واحد .

ببعض تقوم المفاهيم الإسلاميه على أساس تكامل بين المفاهيم المادية والروحية والظاهرة والباطنة ، وبين الدنيا والآخرة ، فالمسلمون حين يعرضون المصطلحات لا يقصرونها على جانبها المادى حتى ولو كانت مصطلحات اقتصادية أو مالية فالظاهرة مادية وروحية ، والتجارة هى تجارة البضائع وتجارة الايمان ، والمسلم يجد دائما جانبا آخر لكل نظرة ينظرها غير الجانب المادى ، فالله يبارك وتعالى لا ينظر الى صورتنا ولكن الى أعمالنا وحين يحسن وجه المرء يسأل الله أن يحسن خلقه ، وهناك نور العين ونور البصيرة وهناك عى العين وعى القلب .

وفى كل أمر من الأمور لا يفاصل المسلم بين جانب وجانب بل يكمل جانبا الى جانب . فالغنى ليس غنى المال ولكنه غنى النفس أيضا والفكر ليس الامادة وروحا والكيان ليس الا عاطفة وعقلا والأدب أسلوب ومضمون فالاسلام يقوم على التكامل بين شطرين لكل قيمة وجهين وهى مفهوم الاسلام أن لكل شىء جانبين ، والثنائية طبيعة الحياة والله فوق الخلق وفوق الأزواج جميعا .

(ثانيا) هناك مصطلحات خاطئة منقولة من الفكر الوأمد كقولهم الضمير أو المساعدة أو النرفانا أو المهندس الأعظم فكل هذه الفاظ لا يقرها الفكر الإسلامى على النحو الذى تقدمه مفاهيم الفكر الغربى ، ونظرية

الضمير نظرية غريبة أما فى الاسلام فان هناك « التقوى » ذلك الديببان
اليقظ الذى يحرس الانسان المسلم من الانحراف .

ولا ريب ان كلمة الضمير هى مصطلح يراد به احلال مفهوم اخلاقى
مفصل عن مفهوم الاصل. المفولة حديث يدعو الامسلام الى بنقاء الانسان
بالتقوى ويجعل منه قوة فعالة تتحول بينه وبين الشر ، يدعو كتاب القرب
الى ما يسمى بالضمير ، والضمير بهذا المفهوم لا يتشكل الا من خلال مفاهيم
البيئة والثقافة والعقيدة فاذا تشكل على معنى التقوى من قيم الأخلاق أو
اعتبارها نسبية لا ترتبط بالانسان ولا بالمثل الثابتة فانما يجرى الضمير
معها هذا الجرى ، وحينئذ لا يستطيع ذلك أن يحقق شيئا على هذا النحو
الذى يشكله مفهوم الضمير المرتبط بالأخلاق والعقيدة .

كذلك فان فلسفة السعادة هذه من مفاهيم الفلسفة اليونانية اما فى
الاسلام فان هناك مفهوم التقوى والعمل الصالح وكلمة السعادة لم ترد
فى القرآن الكريم الا وصفا لأهل الجنة .

كذلك فان كلمة النرفانا تصور الانسان وقد وصل الى مرحلة التشبع
وعدم الحاجة الى شئ من الدنيا وهو مفهوم ضال مضل ، لا يقره الاسلام
الذى ينهى عن الرهبانية والوثنية جميعا .

أما كلمة المهندس الأعظم فهى من التسميات الباطلة التى فرضتها
« الماسونية » كصفة لله تبارك وتعالى ، الحقيقة كما يفهمها المسلمون
تقرر بأن الله تبارك وتعالى هو خالق كل شئ من النعم ، ومالك كل شئ ،
والمصرف فى كل شئ ، وله الخلق والأمر ، ولذلك فان وصفه بكلمة
المهندس الأعظم لا تمثل حقيقته ، ونحن مأمورون بالألفظ الذى يسمى الحق تبارك
وتعالى الا بأسمائه الحسنى ، كذلك فاننا كمسلمين لا ينبغي لنا أن نستعمل
كلمات الخطيئة أو الفجاءة أو المصطب أو الخلاص وهى ليست كلمات عربية
ولكنها كلمات يونانية دغيلة ولنا كمسلمين فى تفسيرها مفهوم خاص ،
فالمسلم لا يؤمن بما يسمى الخطيئة الأصلية أو الفجاءة أو المصطب ذلك لأن
السيد المسيح عليه السلام لم يصلب (وما قتلوه وبها صلبوه) ولكن شبه
لهم) وأن فكرة أنه افتدى البشر بسبب خطيئة آدم ليس الا من الأنكل
الواغلة فى الوثنية التى نقلها شراح المسيحية من عقائد قديمة ولم تكن من
رسالة السيد المسيح المنزلة .

(ثالثا) بجوار أن لكل مصطلح فى اللغة العربية وكل قيمة فى الفكر
الاسلامى مفهوما ماديا وروحيا جامعا فان لكل قيمة فى الفكر الاسلامى
ضابطا واحدا يحدوها لا يجعلها تمثل اعتقاد على قيمة أخرى .

فالحرية لها ضابط هو المسؤولية

والعلم له ضابط هو الأخلاقية

فالحرية لا تكون مطلقة الى غير محدود ولكن تضبطها المسؤولية والتبعة فالى أى حد تقف الحرية والى أى هدف تهدف . ان الحرية مسؤولية ولا تكون هذه الحرية عاملا من عوامل الهدم للمجتمع أو الاعتداء على حريات الآخرين . ان المسؤولية هى التى تجعل الكاتب يدافع عن الحرية فاذا انطلقت الحرية بغير ضابط قضت على التبعة والمسؤولية ، وهناك حرية البناء لا حرية الهدم والحرية المنضبطة المسؤولة .

(رابعا) هناك كلمات فى حاجة الى تعريف بمدى ماتحمل من معنى أو تقصد من هدف ، ذلك أنها تستعمل الآن استعمالا مضببا يكاد يحجب عنها الضوء ، ومن هذه الكلمات : العقائد الموروثة والمسلّمات والقديم والحداثة والعصرانية ، وهى كلمات تستهدف الغرض من شأن الفكر الاسلامى وتصويره بصورة التراث المحفوظ فى المتاحف أو اعتباره من المسلّمات التى قيلت بغير دليل ولا برهان وسلم بها بدون تحييص أو اقتناع ، والواقع انه ليس فى الاسلام شئ على الإطلاق يمكن أن تطلق عليه كلمة (المسلّمات) هذه الكلمة التى تطلق فى الغرب على أشياء يفرض قبولها والتسليم بها دون أن يقرها العقل أو تكون موضع البحث أو المناقشة أو المعارضة ، ومن هنا أطلقوا عليها كلمة (المسلّمات) أما فى الفكر الاسلامى فان الأمور كلها تتحرك فى دائرة الضوء ، والمسائل كلها توضع على طاولة البحث والمناقشة ، وليس غير نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي والمعصوم ، ومع ذلك فقد قال للناس « اسألونى » ولم يدع شيئا موضع سر ، أو جعل أمرا يقبل بدون اقتناع .

« تركتكم على المحجة البيضاء : ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك »
والعقائد الموروثة صنفان : أصيل وزائف . أما الأصيل فهو ما صدق عنه الوحي وبان فيه وجه الحق وايدته الوقائع الصحاح ، وهذا ما لا شك فى سلامته ، أما الزائف فهو ما دخل الى الفكر من شبهات وزيف ، من خلال خداع الالفاظ والتأويلات ومفاهيم الباطنية أو الوثنية أو الجوسية ، من خلال فلسفات ومذاهب ملحدة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها ، وذلك ما تنتعقه الأقسام المؤمنة على مدى الأزمان تطارده وتكشف زيفه وتفضح ضلاله .

(خامسا) هناك مصطلحات تتعلق بالفكر الغربى والديانة المسيحية لا يجب أن يخضع لها الفكر الاسلامى ، من ذلك (تطور الدين) والدين

الذى يتطور هو الدين البشرى الذى لا يستطيع أن يعايش البيئات والعصور فهو فى حاجة الى تعديل بالاضافة والحذف ، وهذا لا ينطبق على الاسلام ذلك لأن الاسلام منهج رمانى متكامل ، جامع ، له اطره الواسعة القادرة على الحياة والحركة مع مختلف المجتمعات والعصور ، ولذلك فهو لا يحتاج الى تطور ، وهو قادر على العطاء فى كل وقت وله قيمته الثابتة وقيمته المتغيرة ، كذلك فان كلمة « الاصلاح » لا تستعمل فى الفكر الاسلامى وانما هى كلمة عرفتها دعوات البروتستانتية والكاثوليكية على أساس تغيير الأوضاع الجامدة وهذا ما يتفق مع مفاهيم الاسلام .

كذلك فان كلمة (ريليجون) عن الدين باللغة اللاتينية لا تمثل مفهوم الاسلام عن الدين ، فالدين فى الغرب هو العلاقة اللاهوتية بين الانسان والخالق ، أما مفهوم الاسلام فالدين علاقة كاملة جامعة بين الله تبارك وتعالى والانسان وبين الانسان والمجتمع ، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة شامل لكل أعمال الانسان فى حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليس قاصرا على العبادات محسب . والمسلمون يقولون الطبيعة ويعنون بها أن تحل محل كلمة « الخلق » وهم يعتقدون خطأ هذه النظرة المادية حين اله الغربيون الطبيعة وأنكروا وجود الله .

كذلك فان الاسلام لا يقر تأليه مفاهيم الوطنية والقومية والدعوات الاقليمية واعلاء العناصر والدماء ولكنه يؤمن بالاخاء الانسانى .

(سادسا) قد يبحث الغربيون عن ايدولوجيات بشرية يتخذونها نظاما لمجتمعاتهم ، ذلك لأن المسيحية حين انفصلت عن اليهودية لم يكن لها نظام اجتماعى خاص ، أما المسلمون فكيف يبحثون عن نظام اجتماعى لهم ولديهم عقيدتهم الجامعة بين التوحيد ومنهج الحياة .

والمعروف أن الغربيين اتخذوا من كلمة (الايدولوجية) بديلا لكلمة (الدين) بل انها اتخذت كسلاح لمحاربة المعتقدات الدينية فى الغرب .

والمعروف أن فلاسفة القرن التاسع عشر عمدوا الى بناء مايسمونه المثل العليا للحضارة الغربية على أسس دنيوى وقد سموه انسانيا أو علمانيا أى معارضا للدين .

(سابعاً) أن أبرز مفاهيم الفكر الإسلامى إلى النظر إلى ما وراء النصوص والكلمات ومعرفه الدوافع والخلفيات جريصاً وحذراً وحفظاً على القيم الإسلامية من الانحراف فنحن لانتقل كل ما يعرض علينا قضية مسلماً بها ، ولا نقبل وجهات نظر الآخرين أو تجاربهم إلا فى احتياطات وحيدة وتحريز شديد لأننا نعرف أن لكل أمة ظروفها وتحدياتها وإن المصطلحات تظهر من خلال التحديات والذالك فإن كل أمة تختلف عن الأخرى فى تقبل هذه الأوضاع وما ينفع أحداها قد يضر بالأخرى وإن البذور لا تنبت فى كل تربة فلكل تربة بذورها .

ومن هنا فإن الإسلام يقيم مدرسة للنظر إلى ما وراء النصوص والكلمات .

الباب الأول

في المناهج والعلوم

10-10-10

10-10-10

10-10-10

الفصل الأول

القيم الإسلامية والمصطلحات المعاصرة

- ١ - الثقافة
- ٢ - الدين
- ٣ - التوحيد
- ٤ - الأخلاق
- ٥ - التربية
- ٦ - التصوف
- ٧ - التراث
- ٨ - الفلسفة
- ٩ - الاقتصاد
- ١٠ - التعليم
- ١١ - العلم
- ١٢ - الفن

Handwritten signature or mark.

Handwritten text, possibly a date or reference.

Handwritten text, possibly a list or notes.

الثقافة

« الثقافة » كلمة مستحدثة في فكرنا الاسلامي العربي الحديث وهي مشتقة من مادة (ثقف) القرآنية (وأن أي ادعاء بأن واحداً من الكتاب قد تمثلها من خارج اللغة العربية هو وهم باطل) وهي في أبرز مفاهيمها « الفكر القومي للأمم » وتقوم القومية علي اللغة والوطن والعنصر ، ويمكن القول تفسيراً لهذا : ان الفكر الاسلامي يمثل العالم الاسلامي كله ، ينقسم الى ثقافات عربية وفارسية وهندية وتركية واندونيسية وهكذا . فهذه الثقافات منبثقة أساساً من الفكر الاسلامي ولكنها مرتبطة أيضاً باللغات والأمم والأجناس والأوطان فلها أصول عامة مشتركة تتصل بالاسلام ، ولها طوابع خاصة قومية تتصل بالأمم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ان الثقافة العربية مثلاً تختلف عن الثقافة الغربية في أن مقوماتها ليست واحدة فكل يستمد مقوماته من عناصر أساسية مختلفة ، فالثقافة العربية تستمد مكانها من الاسلام واللغة العربية والعروبية بتراتها ، بينما نجد الثقافة الغربية (أيا كان نوعها فرنسية أم المانية أم أمريكية) انما تستمد مصادرها من الفكر اليوناني والقانون الروماني والمسيحية واللغة اللاتينية ، وهكذا يبدو الفارق واضحاً في مصادر الثقافة ، ومن هنا فلن القول بوحدة الثقافة العالمية قول يحتوى على قدر كبير من الخطأ والخطر ، فالثقافات لا تنصهر ولا تذوب في وحدة واحدة ولكنها تتلاقى وتتعارف وتتفتح فيأخذ كل من الآخر مايزيده قوة ، أو يرفض ما يصاد وجوده أو كيانه أو ذاتيته .

وهناك ارتباطات واختلافات بين (الثقافة والعلم) وبين الثقافة والمعرفة وبين الثقافة والتعليم وبين الثقافة والحضارة .

(بين الثقافة والعلم) العلم عالمي بطبيعته يلتقي مع كل مجتمع ، ولكن الثقافة قومية ووطنية ، ويمكن تلقيح الثقافة بالعلم دون أن تفقد ذاتيتها ، والعلم يرمى الى تنمية الملكات وهو في نهاية المطاف وسيلة وأداة وقد يستعمل للخير كما يستعمل للشر على السواء .

(بين الثقافة والمعرفة) : المعرفة هي المعلومات الصبغة المنوعة المختلفة المتعارف عليها في كل الثقافات ، أما الثقافة فليست معارف فقط

ولكنها موقف واتجاه وعواطف وعادات فى الحياة وممارسة ، أما المعارف فهى المادة الخام للثقافة .

(الثقافة والتعليم) : الثقافة هى الدرجة الأعلى من التعليم ، فالتعليم قاصر على الاعداد الدراسى لتكوين العقلية المؤهلة للثقافة ، أما الثقافة فهى الدرجة الأعلى التى تكون الفرد تكوينا يجعله ممتازا .

(الثقافة والحضارة) : وهناك علاقة بين الثقافة والحضارة ، فالثقافة فى كل امة هى مقدمة الحضارة ، مرتبطة بها فى فكرها وفى محيطها ، ولكنها بالنسبة للأمم الأخرى ليست مرتبطة ومن حق الأمم أن تقتبس الحضارة لأنها عالمية ولا تقتبس الثقافة لأنها قومية .

الحضارة ملك للإنسانية كلها . وهى نتاج الحضارات البشرية المتعددة ، كل منها تتم حلقة وتسلمها الى الأخرى وللمسلمين والعرب دور هام فى بنائها وانماؤها أى دور ، فقد قدمت المذهب العلمى التجريبي الذى قامت عليه النهضة العلمية .

أما الثقافة الغربية المرتبطة بالحضارة فان للأمم المختلفة أن تفهمها موقفا مختلفا ، وأن تنظر اليها فى ضوء قيمها ومفاهيمها ، ومن حقها أن تنتقل الماديات (أى الحضارة) ولا تنتقل المعنويات (أى الثقافة والمذاهب الاجتماعية) فان لكل امة مقوماتها وقيمها الأساسية التى لا تتخلى عنها، ولها أيضا مفاهيمها للقيم الإنسانية العامة بما يختلف مع الأمم الأخرى .

وهذا المفهوم أمر مقرر بين جميع الباحثين والمفكرين والعلماء والمصلحين لا سبيل الى نقضه أو معارضته ، وكل الدعوات التى تقول بأن على الأمم أن تتقبل الثقافة والحضارة معا ، هى دعوات مضللة هدامة يقف من ورائها الاستعمار والتغريب والتبشير ، وتستهدف تحطيم معنويات الأمم وتدمير مقوماتها والقضاء على شخصياتها وهدم ذاتياتها وإسلامها الى أن تذوب فى بوتقة الأممية والعالمية فتفقد وجودها وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو الاستعماري .

(٢)

الدين

الدين فى مفهومه العام هو الصلة الأكيدة بين الإنسان والخالق الأعظم إيماناً من الإنسان بوحداية الله الخالق وإقراراً له بالعبودية .

والاديان السماوية كلها ترتبط بمفهوم واحد ، لأنها من مصدر واحد ،
والاسلام هو خاتمها ، وفيه جماعها وجوهرها الصانق .

وقوام (الدين) في الاسلام التوحيد وسيادة الانسان تحت حكم
الله ، والتقاء القيم الروحية مع القيم المادية ، وترايط القلب والعقل والدنيا
والآخرة ، فالدين واحد على لسان جميع الأنبياء والرسل ، والاديان عقيدة
وعمل ، ومعرفة وطاعة ، ولقد قامت البشرية على أصل راسخ من غريزة
التدين ، بحسبان أن العالم مجموعة متناسقة تقودها قوة مديرة حكيمة
عادلة . وقد رافق (الدين) الجماعة البشرية منذ نشأتها ، ولم تخل جماعة
بشرية من دين يلائم طباعها ويوافق بينتها ، فهو ظاهرة اجتماعية وضرورة
وحاجة روحية وعقلية ، ولقد تغير هذا المفهوم بالنسبة لأديان مختلفة ،
ولكنه ظل هو مفهوم الدين في الاسلام ، وقد عمدت أوربا في الوصول
الى نظرية عن مفهوم الدين تصفه بأنه (لاهوت) يصور العلاقة بين الله
والانسان ، وبذلك تنكر العلاقة بين الدين والمجتمع ، ومن هنا وقع الخلاف
بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي من أجل هذا الخلاف الجوهرى ،
حيث قام الاسلام على الترابط بين الدين والمجتمع معا بينما رأت أوربا أن
الدين ليس الا علاقة بين الانسان والله والفت علاقة الدين بالمجتمع .

وقد ظهرت نظريات مختلفة تنكر الدين جملة وتدعيو الى (الوجود
المادى الخالص) وعلت أصوات تقول بأنه لا يوجد خالق ، وحاول كثير
القول بأن البشرية تستطيع أن تعيش بغير دين .



وطبيعة الاسلام تنافى وجود الانفصال بين أمور الدين والدنيا ،
والاسلام بطبيعته دين اجتماعى لا دين عبادى محض .

وليس في الاسلام هيئة كهنوتية ، ذات سلطة فعلية ، يخشى من
سيطرتها على الحكم ولم يكن لعلماء الاسلام أى نفوذ سياسى ما ، أو
سيطرة على الحكم . والاسلام حركة اجتماعية شاملة والدين جانب من
جوانبها ، فقد جاء الاسلام عقيدة وعبادة واصلاحا اجتماعيا ، وليس الاسلام
دين محتكر فى يد طائفة تتحكم فى أصوله وفروعه كما تشاء ، وإنما هو
دين اصلاح عام لساائر الأديان ، شرعة الله عندها تبدلت الأديان تصحيحا
لها وخاتما .



والفكر الاسلامي فكر شامل والدين جزء منه لا ينفصل ، وقد كانت صيحة التغريب هي صاحبة دعوى التفرقة بين الدينى والدينى ، والقول بأن هناك علوما دينية وأخرى دنيوية ، فأخذوا يطلقون كلمة (دينى) على كل ما ينفصل بالاسلام وهو اطلاق غير صحيح ، ذلك أن كل شئ من الفكر والحياة فى مفهوم الاسلام متصل به ولا سبيل لانفصاله ، ومن هذا التحريف الخطير الذى حاوله التغريب محاولة فى الفصل بين السياسة والأخلاق وبين الاجتماع والأخلاق وهدف المحاولة فصل الاسلام عن المجتمع وفصل الأخلاق عن الدين والسياسة ، ولا تنك أن وصف الفكر الاسلامى (بالفكر الدينى) خطأ محض ، فان الاسلام ليس ديناً بمفهوم اللاهوت الغربى) ولكنه دين على انساني جامع .

ويخطئ الغربيون فى دراسة الاسلام قصداً أو نقصاً فى الفهم حين يقدرون أنه (دين فقط) محاولين المقارنة بينه وبين أديانهم . ذلك أن الاسلام حركة اجتماعية ومنهج حياة والدين جانب من جوانبه ، فقد جاء الاسلام عقيدة وعبادة واصلاحاً اجتماعياً ، والاسلام ليس دين الهرب وحدهم ولكنه دين الانسانية جميعاً .

والمسلمون يعتقدون أن جميع الديانات السماوية جزء من تراثهم الفكرى بل جزء من التراث الاجتماعى للبشرية جميعاً .

وليس من شك أن الرابطة بين الدين وبين مقومات المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى هي رابطة عضوية ، فالدين هو أول ركائز الاجتماع والثقافة ، ومن هنا يتأكد باطل مايقوله الغربيون من أن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين .

ويرى ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية . والاسلام يكرم السيد المسيح ويعترف بالأديان المنزلة لأنها من أصل واحد ، وقد كانت علاقة الاسلام بالحضارات والنهضات مخالفة للعلاقة بين الغرب والمسيحية والنهضة الأوروبية ، يقول العلامة مسمر : أن تقدم العلوم فى الغرب حصل رغماً عن الدين المسيحى ، أما الاسلام فهو لا يتقيد على قيد الحياة إلا بانتشار العلوم وتقدمها ، فان بين الاسلام والعلوم رابطة كلية ، وان الغربى اذا صار عالماً يترك دينه بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه الا اذا صار جاهلاً ، وقال انه لا يمكن نسبة التمدن الحالى الى الدين النصرانى « لأنه ما جاء الا بعد خمسة عشر قرناً من ظهوره ، ولا يمكن نسبة الانحطاط الى الاسلام لأنه جاء بعد انحراف المسلمين عنه »

ويقول نعلم نتقدم أوربا فكريا وثقافة وعلميا واقتصاديا إلا بعد أن ثارت على سلطان الكنيسة وتحررت تحررا تاما .

ومن هنا يبدو الخلاف واضحا بين علاقة الدين المسيحي بالغرب وعلاقة الإسلام بالجزارة التي أقامها العرب والمسلمين .

ولا ريب أن الدين عنصر أساسي من عناصر الثقافة لا تقوم إلا به كما أنه ميزان العمل في الحياة الاجتماعية كلها وفي تشكيل وجهة الإنسان في الحياة .

(٣)

التوحيد

إذا قيل أن لكل دين طابعا فإن طابع الإسلام هو : « التوحيد » فهو لبابه ومنهجه وقوامه ، والقائم المشترك على قيمه المختلفة ، والعامل الأساسي الذي يفصل بين الإسلام وعديد من المذاهب والفلسفات والعقائد التي تقوم على أساس الوثنية والألحاد أو تعدد الآلهة أو إنكار الله الحق .

« والتوحيد » هو دين الله الحق المنزل على جميع الأنبياء والرسل ، والذي بدأت به البشرية مسيرتها منذ (آدم) أبى الأنبياء والبشر جميعا ، وهي الدعوة الحق التي حملها جميع الأنبياء إلى أممهم حتى انتهت إلى صورتها النهائية التي يمثلها الإسلام خاتم الديانات والرسالات إلى العالمين جميعا ، ولقد حاول كثير من الفلاسفة وأصحاب المذاهب والدراسات الادعاء بأن البشرية كانت وثنية ثم امتدت إلى التوحيد من بعد غير أن هذه النظرية ظهر بطلانها بأكثر من دليل من دلائل العلوم والخفريات والبحث العلمي الخالص ، فالحقيقة التي لا شك فيها أن الناس كانوا أمة واحدة ، وكانوا على التوحيد جميعا ثم ضلوا وعبثوا عددا من الآلهة وتحولوا بعد التوحيد إلى الوثنية ، ولقد كان التوحيد رسالة السماء إلى الناس كافة منذ خلق الإنسان إلى اليوم وكان الناس على التوحيد أساسا ثم تحولوا تحت تأثير أخطاء وانحرافات عن التمسك بالحق ، وجرى هذا حين اتخذ الناس الصور والرموز لتذكيرهم بالاله الواحد ، ثم لم يلبثوا مع الزمن أن تحولت هذه الصور إلى أصنام وأوثان ، وتحولوا هم إلى عبادة هذه الأصنام أو عبادة أبطالهم ورؤسائهم ومن ثم تعددت الآلهة فكانت الأديان في مولاتها وتتابعها دينا بعد دين ترد الناس عن هذا الخطأ والانحراف ، ثم لا يلبث الناس حتى يعودوا للوقوع مرة أخرى في الخطأ . ولقد كانت الأديان في جوهرها دعوة إلى الله :

الإله الواحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وإلى هدم الأصنام ونبذ فكرة الشرك ، ودحض الوثنية .

ولقد واجهت البشرية انحرافا خطيرا في الفترة السابقة لظهور الإسلام ، حيث ظهرت الوثنية اليونانية الفلسفية التي قامت على مفاهيم خطيرة أساسها : الأباحية والتعدد ، وقد نبئت هذه المفاهيم نتيجة لتقديس الأفراد ثم تحولت إلى (عبادة الأبطال) واتخاذهم آلهة وانصاف آلهة ، ثم أصبح لكل ظاهرة من الظواهر الكونية والاجتماعية إله . فاله الخمر واله الحصاد واله الحب ثم كانت وثنية فارس التي اقامت إله النور واله الظلام ، وكانت الوثنية العربية أقل هذه الوثنيات انحرافا واضطرابا وفلسفة ، فقد اعتمدت على عبادة الأصنام والأوثان لتقريبهم إلى الله زلفى .

وكانت الجزيرة العربية قد عرفت (التوحيد) منذ دعوة إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة ، غير أن الأمم التي هاجرت كانت تحمل معها أحجارا تذكارا لأرضها وبلادها ، ثم ما لبثت بعد قليل أن عبدت هذه الأحجار ، ولكنها كانت في مجموعها وثنية ساذجة . على أي حال لم تقم لهما فلسفة عميقة ، كفلسفة الوثنية اليونانية والفارسية التي هاجرت إلى الحضارة الأوروبية الحديثة وأصبحت جذرا من جذورها .

وقد أشار (أرنست رينان) إلى هذا المعنى حين قال : إن العرب موحدون بطبعهم وإن دياناتهم هي ديانات التوحيد ، ولقد كانت الأديان الساموية جميعا على التوحيد ، فاحرف بعضها ودخلها من غلصات اليونان والهنود والفرس ملحولها عن طبيعتها » .

ومن هنا كانت دعوة الإسلام الحارة المتجددة إلى انكار الرموز أو تقديس الموتى أو عبادة الأبطال والعظماء أو إقامة القبور الضخمة أو التماثيل أو غيرها من الدواعي التي انحرفت بالبشرية من قبل التوحيد وذلك حرصا على بقاء المفهوم الأصيل الذي نزل به القرآن .

ولقد مكّن التوحيد ولا يزال غيضا ضخما وخطيرا بين الإسلام وبين مفاهيم الفلسفات والمذاهب والأديان المختلفة ، على نحو يحثر النفس الإنسانية من كل وثنية وعبودية .

(٤)

الأخلاق

يشكل الإسلام منهجا إنسانيا متكاملًا للفرد والجماعة قوامه : « العقيدة والشريعة والأخلاق » والأخلاق في مفهوم الإسلام قسّم مُشترَك على مختلف القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .

ومفهوم (الأخلاق) فى الفكر الإسلامى يختلف اختلافا واضحا وجذريا عن مفهومه فى الأديان والفلسفات الأخرى ، فهو يقوم على هذا النحو المقرب المتكامل الشامل .

وهدف الأخلاق فى مفهوم الإسلام هو « التقوى » وتتمثل التقوى فيه عملا وسلوكا ولا تقف عند الناحية النظرية وحدها ، والأخلاق الإسلامية أخلاق تقوى بكل ما تحمل التقوى من معان سلبية وإيجابية ، بتجنب الحرام والإقبال على الحلال وتعنى التقوى الوقاية ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول ومنعها من الانحراف .

وآيات القرآن فى منهج الأخلاق تحث على الإيثار دون الأثرة، وتجعل الفرد فى خدمة المجتمع فإذا تعارضت مصلحته مع مصلحة المجتمع ضحى الفرد مصلحته فى سبيل المجتمع — الإيثار والتقوى هما لحمى الأخلاق الإسلامية وسداها على حد قول القائل « تقوى الله مدار كل فضيلة » .

ومن هنا يخطئ الذين يعتبرون (الأخلاق) فى الفكر الإسلامى امتدادا للأخلاق فى الفكر والفلسفات السابقة له أو الفكر اليونانى خاصة . وما كتبه ابن مسكويه فى كتابه (تهذيب الأخلاق) وما أخذه (ابن سينا) أنها هذا كله من مفاهيم الإغريق التى تختلف اختلافا واضحا مع مفهوم الإسلام للأخلاق . وكذلك ما كتبه ابن المقفع وحاجى خليفة من مفاهيم الفرس قبل الإسلام عن الأخلاق ويتصل بهذا كتاب الأخلاق الذى ألفه أرسطو ، وكل ما جمعه أخوان الصفا وغيرهم لا يمثل مفهوم الإسلام فى الأخلاق تمثيلا صحيحا .

وقد نشأ مفهوم الأخلاق فى الإسلام نشأة متميزة خالصة حولت مفاهيم العرب للقيم الأخلاقية عن انحرافها الوثنى وردتها إلى الوجهة الصحيحة الصادقة الخالصة لله وحده .

وقد أخطأ المستشرقون الذين ألفوا فى الأخلاق وعجزوا عن فهم هذه الفروق الواضحة بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق اليونانية وغيرها، وأذلك لم يوفقوا فيما ذهبوا إليه وفى مقدمتهم (دونالدسون) صاحب كتاب (دراسات فى الأخلاق الإسلامية) وقد انتقده الدكتور أحمد مؤاد الأهوانى وكشف عن هذا النقص فى نظريته إلى مفهوم الأخلاق فى الإسلام ، ويقول الدكتور الأهوانى فى هذا :

« ظهرت فى تاريخ الحضارة الإسلامية كتب تبحث عن الأخلاق على الطريقة اليونانية ولكنها لم تؤثر فى حياة المسلمين إذ حجبها كتاب الله ،

ولم تستطع أن تبلغ الى مقامه ، ومنها كتاب ابن مسكويه المسمى (تهذيب الأخلاق) فإنه يناقش الأخلاق الموروثة عن اليونانيين وعن افلاطون وعن أرسطو بخاصة وعن مدرسة الاسكندرية » .

ويقول : ان الأساس الذي تعتمد عليه الأخلاق الأفلاطونية يختلف عن أساس الأخلاق الإسلامية وقد ظل هذا الكتاب بعيداً عن الشعبية والتداول ولم تعرفه الا طائفة قليلة من المثقفين الذين كانوا يقرؤونه للذة العلمية فقط . ومن الطبيعي أن يحفل به جماعة المستشرقين ، ويقول : « ان الأخلاق الإسلامية ليست اخلاق سعادة وهى لغة اليونان ، ولكنها أخلاق تقوى لأنها أخلاق دينية » .

وأشار الدكتور الأهوانى رحمه الله الى مكتبته الغزالي عن الأخلاق فقال : انه كتب فى (ميزان العمل) على الطريقة اليونانية ، وكتب مرة أخرى عن الأخلاق فى كتاب (احياء علوم الدين) ونحا فيه نحو الزهد والتصوف وهو الطريق الذى اختاره الغزالي « وهذا النوع من الأخلاق لا يمثل الاتجاه العام للأخلاق الإسلامية ذلك لأن الإسلام لم ينه عن الدنيا ولم يطالب الناس بالابتعاد عنها والزهد فيها ولم يحرم زينة الله » .

وجملة القول : ان الأخلاق الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة هى أخلاق ايجابية تقوم على رقابة الله وتقواه فى مختلف التصرفات وتدخل كعنصر أساسى فى المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تنفصل عنها ، وتستمد كيانها من التوحيد أساساً فلا تنعزل عن الإسلام بل ترتبط به ، وهى أخلاق تقوى اجتماعية تحمل طابع الايثار والتضحية بمصلحة الفرد لمصلحة المجتمع ، وهى أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة الله ولاء للخير والبر والوفاء .

(٥)

التربية

فى مفاهيم الفكر الإسلامى يأخذ اصطلاح (التربية) مفهومين مختلفين ومنفصلين من مفهوم (التعليم) وفى رأى الكثير من الباحثين : أن التعليم هو اعطاء الذهن الإنسانى حاجته من أصول الأشياء ومفاهيم العلوم ، وتنمية القوى العقلية والروحية وتدريبها على معرفة أساليب الفكر والثقافة ، أما مفهوم (التربية) فهو عنصر موجه ومضى لطريق الحق والخير فى اتجاهات التعليم والثقافة نفسها ، ذلك أن التعليم حين ينفصل عن التربية قد يودى الى الخير أو يودى الى الشر ، أما التربية فهى مؤثر الخير والحق فيه ، والضوء الأخضر له حتى يكون وسيلة تحقيق التقدم

للمجتمع ، ويكون في نفس الوقت خالصا لله موجها لخير الأمة والانسانية جميعا ، بعيدا عن أي انحراف .

فالتربية في مفهوم الاسلام : هي التي تسمو ببلقيس الفرد في الحياة وتعلو من أهدافه وتقربه الى الخير وتبعده عن الشر ، وهي التي تتجه الى تقوية الشخصية وغرس روح المسؤولية والشعور بالواجب والاخلاص في العمل والحياة .

وهي في جوهرها : تهذيب النفس وترقية الذوق ، وبناء القدوة الحسنة والمثل الأعلى من خلال البطولات والتمازج العظيمة التي يزرعها تاريخ الأمة وفكرها ومن خلال القدوة الحسنة في البيت والمدرسة والمجتمع .

والتربية في مفهوم الفكر الاسلامي العربي وسيلة لبناء « الانسان » بوصفه فردا وبوصفه جزءا من المجتمع الذي يعيش فيه مع اعداده بالقدوة والكلمة وبالعادة وبالمواقف المختلفة والأحداث . وهي تأخذ الفرد كبناء متكامل : قوامه للروح والعقل والجسم وتعنى به وفق فهم شامل أساسه الايمان بالله والعمل في الأرض من أجل النماء والبناء والانشاء . وتقوم التربية الاسلامية على بناء الفرد في البيت قبل المدرسة وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة هم الذين يعاشرون الطفل منذ نشأته معايشة مستمرة ، والذين يؤثرون فيه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم .

يقول العلامة الزرقاني المربي الاسلامي : ان من الضروري قيام علاقة وطيدة بين البيت والمدرسة ، وأن التعليم يحتاج الى ثلاثة عناصر : المتعلم والاستاذ والاب كما أكد علماء التربية الاسلامية ضرورة تلقى العلم من الأساتذة لا من الكتب وحدها . وقد ربطت التربية الاسلامية بين التعليم والتربية على أساس أن العلم وحده لا يكفي مالم تصحبه تربية الذوق والعقل والروح ، والعلم في مفهوم الفكر الاسلامي هو العلم والعمل . وقوام التربية الاسلامية أساسا : « الأخلاق » .

ولذلك فان الفكر العربي الاسلامي لا يقر مفاهيم الفكر الغربي التي تفصل بين التعليم والتربية أو التي تفصل بين التربية والأخلاق .

وفي مفهوم الاسلام : أن العلم لابد أن تحميه وتظهره قيمة اخلاقية واضحة حتى لا ينحرف أو يفسد أو يتجه وجهة ضارة بالمجتمع الانساني .

ويعارض الفكر العربي الاسلامي نظرية « ديوى » في التربية معارضة صريحة وهي نظرية وجدت معارضة ونقدا في بيئتها الأساسية

التي أعلنت فيها، كما يرفض مفاهيم (فرويد ودوركليم) في الإباحية والتحلل ورفع التوجيه عن الشباب في مرحلة التربية والتعليم ، وذلك إيماناً من الفكر الإسلامى بأن الشباب في هذه المرحلة في حاجة إلى البناء والتكوين والتوجيه الذى لا يتم إلا من خلال الانتفاع بتجربة المرين والمعلمين ، الذين يجد فيهم الشباب القدوة ويجد عندهم الخبرة الطويلة . وليس في توجيه الشباب في الإسلام ماحول دون استقلالهم الذاتى أو دون إتاحة الفرصة لهم لياخذوا مناهج جديدة تتفق مع أجيالهم وأذواقهم . فذلك كله يعترف به منهج التربية الإسلامية ويقره ويعمل على إيجاده أن لم يكن موجوداً .

ولكن الخطر كل الخطر هو في المتابعة للأمم المختلفة في مناهجها الفكرية والثقافية والتربوية مع اختلاف العصور والبيئات والأديان فهذا هو من أخطر ما يحتاج إلى التنبيه إليه .

(٦)

التصوف

التصوف في مفهوم الفكر الإسلامى « بدعة » حسنة ، تهدف إلى إنشاء دائرة من دوائر تربية النفس والخلق من خلال التماس مفهوم الاستغناء عن المطامع والغايات الفردية والأنانية ، والعمل من أجل الانصراف عن الأهواء .

وقد استمد المتصوفة المسلمون مفاهيمهم من صور الزهد التي عرف بها رسول الله وصحابته ، ثم توسعوا في ذلك ، وكان لتحديات الحضارة والثراء والترف أثرها في تعميق هذا الاتجاه وبروزه كعامل توازن طبيعي إزاء الانحراف الاجتماعى الذى أصاب المجتمعات الإسلامية بعد انصرافها عن طوابع العصر الأول ومفاهيمه .

غير أن التصوف في الإسلام لم يلبث أن اتصل بالفلسفة اليونانية ومفاهيم التصوف الهندى وتناح الوثنىة الفارسية والهلينية ، فأصابه اضطراب كبير ، ودخلت إليه مفاهيم كثيرة ليست من مفاهيم الإسلام أصلاً ، وبذا انحرف انحرافاً خطيراً عن أصول الفكر الإسلامى وطوائفه الأصلية ، اضطرب معه مفهوم « التوحيد » الذى هو أعلى قيم الإسلام نفسه وخاصة حين دخلت إلى التصوف مفاهيم غريبة عنه معارضة لأصوله : تلك هي مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

وهذا القطاع من التصوف الفلسفى لا يعد إسلامياً ، ولكنه يعد دخيلاً ومنحرفاً وتجب التفرقة بينه وبين طابع التصوف المستمد من الإسلام أصلاً

ومن حياة الرسول وصحابته ، على ذلك النحو البسيط اليسير من الزهد ،
القائم على أصول الشريعة .

ولقد عنى أعلام الصوفية الأول بأن يؤكدوا ارتباطهم بالقرآن والسنة ،
وأعلنوا أنهم يتحركون من دائرة الشريعة الإسلامية والعقائد والأخلاق
الإسلامية وقالوا فى ذلك : أن أى ارتقاء فى مجال التصوف لا يصرف
صاحبه عن أداء فرائض الإسلام كاملة ، وأن تطبيق حياة الرسول وتصرفاته
هى المصهر الأول . أنه لا عبرة أبدا بما يقال من رفع التكليف عن بعض الذين
وصلوا الى درجات معينة فى العبادة أو الكشف وأن مثل هذا القول
مناقض تماما لمفاهيم الإسلام .

ويرى الباحثون أن هناك فارقا كبيرا بين التصوف والفلسفة . أو
بين الصوفى والفيلسوف : ذلك أن الصوفى إنما يعتمد فى منهج المعرفة
وعلى أسلوب العقل ومقاييس المنطق ، بينما يعتمد (العلم) على أسلوب
التجربة ونتائج الأنابيق وتركيبات المواد .

وفى الفكر الإسلامى يقوم « منهج المعرفة » على هذه الأصول الثلاثة
مجتمعة فلا يفصل بينها ولا يعلى أحدها ، وفى تاريخ الفكر الإسلامى
محاولتان أحدهما : اعلاء العقل عند المعتزلة والأخرى اعلاء الوجدان
عند الصوفية . وفى الغرب محاولة جديدة هى اعلاء العلم والعقل والتجربة
على الوجدان والبصيرة .

وكل هذه التجارب لا تمثل « المعرفة » فى أصلها الجامع الشامل
الحقيقى القائم على ترابط العقل والوجدان ، والتجربة والغيب ، والعلم
الروحى .

ومن هنا فقد كان استعمال التصوف فى المرحلة السابقة لليقظة
الفكرية العربية الإسلامية الحديثة عاملا هاما وخطيرا فيما أصاب المسلمين
والفكر الإسلامى من اضطراب وتأخر وضعف وجمود ، فقد برزت ظاهرة
« الجبرية » التى أصابت المسلمين من سيطرة النفوذ الاستعمارى
الغربى .

غير أنه اذا ذكر ذلك فلا بد أن يذكر : أن التصوف قد فتح للإسلام
آفاقا واسعة فى عديد من الأقطار ، وضم الى المسلمين ، عددا كبيرا من
الوثنيين فى جنوب شرق آسيا وأفريقيا ، وأن الطرق الصوفية التى كانت
تحمل مفاهيم التوحيد والإيمان والخلق الإسلامى قد جذبت الى صفوف
الإسلام الكثيرين ، الذين آمنوا بالله وحده ، وأصبحوا فى حاجة الى

عمل كبير من أجل تنقية إسلامهم من طوابع الوثنيات القديمة وتحرير فكرهم حتى يصبح إسلاميا وتوحيدا خالصا .

(٧)

التراث

كان من أبرز أهداف مخططات الاستعمار والتغريب : الحملة على التراث الإسلامى والعربى واثارة الشبهات حولهُ ورميه بالانتقاص ، بهدف واضح معروف هو العمل على قطع حاضر هذه الأمة عن ماضيها ، ويقول أصحاب الدعوى ان سبيل النهضة هو تجاهل هذا الماضي الذى ذهب ومات ، والذى يوصف بأن بقاءه قد يعوق الحركة . وهدف هذه الحملة الشعبوية التغريبية يتركز فى محاولة الفصل بين الماضى والحاضر فى مجال الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامى والتى لا يتقبل لها أن تنفصل عن جذورها التى تشكل مظاهرها وقيمتها الأساسية .

وحين يثير دعاة التبشير والتغريب والاستشراق هذه الدعوى انما يتعارضون مع أنفسهم ومع واقع التاريخ نفسه ومع منطلق النهضة الغربية الأوروبية التى استمدت وجودها أساسا من الاتصال بالتراث الهلنى والفكر الاغريقى والأدب اليونانى والرومانى القديم بعد أن انفصلت عنه أكثر من ألف عام ، وقد أكدت جميع مصادر الفكر والأدب والتاريخ ، أن النهضة الأوروبية فى مجال الفن والأدب والحضارة انما ارتبطت بوجودها بهذا الماضى واعتبرته أصلا من أصولها وأساسا للبناء ولم تعدد بأى مظهر من مظاهر الفكر اذا قام منفصلا عن هذه القاعدة المستمدة من التراث ، هذا هو الموقف بالنسبة للفكر الغربى مع تراث قديم بائد ، مضى وانقضى وتم الانفصال عنه أكثر من ألف عام فى لغة ميتة متحفية هى اللغة اللاتينية التى انبثقت عنها لغات جديدة عصرية ، فكيف بتراث مازال متصلا لم ينفصل ماضيه عن حاضره لحظة ، وعن طريق نفس اللغة التى يستطيع القارئ العربى فى القرن العشرين أن يقرأ ماكتب بها قبل أربعة عشر قرنا ويتذوقه ويفهمه ، حيث لا يوجد مثل لذلك فى الفكر الغربى كله ، ولكن هى الدعوة التغريبية الهادفة الى عزل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم ، تقود هذه الحملة الضارية على التراث وتحاول أن تصوره بصورة التأخر والتخلف ، وترميه باتهامات متعددة من قصور وتعارض واضطراب فى محاولة لهدمه وخلق الكراهية والاحتقار له فى نفوس الأجيال الجديدة .

وقد عرف الفكر الغربى قيمة التراث وحقيقته حتى ليقول «بسكال» :
(كل نسل لابد أن يستفيد أولا من الفكر الذى تركه من سبقوه ثم يزيده)

ان كان عنده استعداد لذلك ، ولا تستطيع أمة ما ان تحيد عن هذا القانون) ، ويقول جاك برك : (ان مستقبل العرب يتمثل في احياء الماضي لأن المستقبل هو في كثير من الحالات : الماضي الحي أو الماضي الذي وقع احيائه وعيشه من جديد) .

ويجمع الباحثون المتصفون على أنه لم تتم نهضة جادة في أمة ما إلا سبقتها دعوة لاستحياء الماضي والانتفاع به والبناء عليه وخاصة اذا كان ذلك التراث على مثل عظيمة التراث الإسلامي استمدادا من القرآن الكريم والاسلام .

ويقول سيمون رايل في مقاله (الحاجة الى الجذور) : ان لتراث الماضي في عنق الحاضر مسئولية قدسية فلذا انهدم الماضي فان عودته ضرب من المحال ، وان اعظم الفجرائم قسوة ان يهدم الناس ماورثوه عن اسلافهم من تراث فما علينا الا ان نجعل همنا الاكبر الاحتفاظ بالذي تبقى لنا من تراث الماضي ، هذه الجذور ليست ترعة عاطفية معناها الرجعية والجمود ، وانما هي غريزة روحية تكمن في نفوسنا جميعا ، وقد اشار الى اهمية التراث فلاسفة ومصلحون وقادة كثيرون ، وهم يرون أنه لا تعارض مطلقا بين الاتجاه الى المستقبل والحفاظة على التراث ، بل ان التركيز على التراث كقاعدة انما يجعل النظرة الى المستقبل اكثر قوة ووضوحا ، يقول (نهرو) : ان علينا ان نتطلع الى المستقبل وأن نعمل له جاهدين وان نحفظ في الوقت نفسه بترائنا الماضي ماثلا امانا لكي نستمد منه القوة والعزيمة ، وخير مستقبل هو ماكان قائما على الحاضر والماضي على السواء ، اما ان نتنكر للماضي او نتنزع انفسنا منه فمعناه اقتلاع انفسنا من تربتنا فنخرج منها وقد يبس عودنا وجف ما فيه من عصارة الحياة الحقة » .

وقد وجدت هذه الصيحة التفريرية معارضة متيقظة وتفهمها بهدفها الضار وبأنها تقصد الى غير مصلحة العرب والمسلمين ، كما تؤكد لكثير من المستشرقين ذلك حتى اشار (هاملتون جب) الى أنه ، ليس في وسع العرب ان يتحرروا من ماضيهم الحافل كما تجرد الأتراك ، وسيظل الاسلام اهم صفحة في هذا السجل الحافل الى درجة لا يمكن ان يغفل عنها الساعون الى انشاء مثل عربية عليا » وقد وجه كثير من المثقفين الدعوة الى العرب والمسلمين للاحتفاظ بترائهم الأصيل ، وقد اشار قسطنطين رزيق الى اهمية التراث حيث قال : ان لهذا التراث العربي عنصرا هاما من عناصر شخصيتنا ومميزا من مميزاتها ودليلا واضحا على ما علينا الجسارية . وفيه من الانجازات والابداعات ما هو خليق بالكشف والابانة لنا ولسوانا ، وما

يجب أن يدفعنا إلى استعادة كسبه وتمثل جوهره في حياتنا الحاضرة ، ويرد على أعداء التراث فيقول : (التعريب أن هؤلاء الداعين إلى نبذ التراث العربى أو إهماله إنما يريدون ذلك فى عصر نرى الأمم النازعة إلى حياة جديدة نعد إلى ثقافتها القديمة فتحييها وتجعلها عنوان مجدها ، وقبله آمالها ، فى الوقت الذى تسعى فيه كل أمة نشطة من أمم الشرق والغرب إلى تقديس تقاليدها وتمجيد حضارتها لايسع الأمة العربية إلا أن تعمل على بيعت تراثها القديم وروحها التى ولدت تمدنها التالد ، فكل من لا ماضى له لا مستقبل له ، والأمة التى لاتعنى بروحها لا يمكنها أن تؤدى رسالتها فى التمدن البشرى) .

ومن الحق أن يقال أن تراثنا يتصل بواقعنا ، وأنه فكر حى متجدد ومتحرك فى مجال الحياة والمجتمع ، لم ينفصل ولم يتوقف ، وفضلا عن ذلك فهو ليس إلا واحدا من الأسس الرئيسية للحضارة العصرية والفكر البشرى القائم اليوم فقد اعطاها عديدا من النظريات والأفكار التقدمية البناء وأهمها (المنهج العلمى التجريبي) ومذاهب الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس والأخلاق والتربية .

والمعروف أن الغرب اليوم يحجب التراث الإسلامى عن أهله :

١ — حتى لا يعرفوا مصادر علم الغرب التى أخذوها من الإسلام .

٢ — حتى لا ينتفعوا بتراثهم فى تحديد حياتهم ووصل ما انقطع .

٣ — حتى يظهروهم على التشابه والمختلط والمضطرب وحده ثم يستخلصوا منه مايروقههم ويعلنوه فى نظريات لهم ينتحلونها وبحوث يفخرون بها ويتباهون على الناس ، ثم يعرضون علينا تراثنا ناظرين إليه بعين السخط فيتطفل أبناؤنا على فتات موائدهم لقد وضعوا أيديهم على تركتنا التى هى أئمن تركات البشر وظهرنا نحن بمظهر الذى يستعير منهم ويلتمس

(٨)

الفلسفة

لكى نفهم تيارات الفكر العالمى يجب أن نفرق تفرقة واضحة بين العلم والفلسفة ، « هذه التفرقة واضحة دوما فى الفكر الإسلامى والثقافة العربية ، وقد عرفها الإمام الغزالى حين هاجم الفلسفة الإلهية الوثنية وكرم الفلسفة العلمية فى مجال الرياضيات والطبيعيات ، لأن هذه الأخيرة

تستقيم على منطق واضح محسوس لتعلقها بموجودات واضحة بينما لم تقم فلسفة الالهية الوثنية على منطق وان قامت على الوهم والافتراض لبعدها مجالها عن المحسوس . نحن اليوم في حاجة الى مثل هذه النظرة في التفريق بين العلم والفلسفة فالعلم هو مايجري داخل المعامل ، اما الفلسفة فهي مايقوله أصحاب الأيدلوجيات ، العلم واقع قائم على حساب وتجربة ، اما الفلسفة فهي نظرية عقل ناقد ، قد تخطيء وقد تصيب ، لأنها قائمة اساسا على الفرضيات ، هناك فرق بين نظريات العلم في مجال الفلك أو الذرة أو غيرها وبين نظريات السيكولوجية الفرويدية والوجودية والماركسية والبراجماتزمية ، وغيرها من النظريات الفلسفية التي وضعها فيلسوف ما من خلال تحديات عصره وبيئته وحياته الخاصة وتجربته وتغرضاته ، ان العلم حقائق اما الفلسفات فهي نظرات اصلاحية معرضة للخطأ والصواب ، صالحة لبيئة تون بيئة ، وعصر دون عصر ، اما العلم فهو تراث انساني مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة ، اما الفلسفات فهي ليست كذلك ، انها غير صالحة للاستيراد والتصدير ، فكل فكر فلاسفته ولكل امة نظرياتنا المنبثقة من قيمها الاساسية ودينها وتاريخها وتشكيلها النفسي وذاتياتها الخاصة وروحها ووجدانها ومزاجها . انها تتعلق بالأنظمة الاجتماعية والأخلاقية ومفاهيم الحكم والقضاء والعلاقات الانسانية وهي تتبع اساسا من تاريخ الامة نفسها ، فللغرب تاريخه وقيمه وفلسفاته ، وللعرب والمسلمين فلسفاتهم ومفاهيمهم التي تترجم نظرتهم الى الحياة واسلوبهم فيها وهي ليست دائمة قابلة للتصدير أو الاستعارة والنقل .

فالوجودية والماركسية والبراجماتزمية والسيكولوجية ليست علوما لها قوة المنهج التجريبي : وانما هي فلسفات لها اتصالها بالنفس الانسانية والعقل والروح ، وكلها قوى لا تقاس بمقاييس المحسوس ، ومن هنا كانت الفلسفات وهي قائمة على النظرة الخاصة المحدودة بحدود البيئة والزمن معرضة للخطأ ومعرضة للسقوط مع تغير الأزمنة والأمكنة . اما العلوم فهي تراث انساني مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة تجريبية .

ومن هنا كان خطأ قول القائلين حين يتكلمون عن نظرية من نظريات علم النفس أو الاقتصاد أو الاجتماع « العلم يقول » ذلك أن كلمة (العلم يقول) انما توجه الى السامعين أن مليونهم هو حقائق عملية غير قابلة للنقض أو التغير بينما نظريات النفس والاجتماع والاقتصاد على عمومها هي وجهات نظر لفلاسفة وعلماء حاولوا أن يصلحوا مجتمعاتهم في ظروف محددة ، ومن هنا فهي لا تصلح للنقل أو التطبيق في بيئات أخرى لها

ظروف تختلف وبيئات تتباين ، فضلا عن أن هذه النظريات جميعا قيد استتحت الحضارة العربية والبيئة الأوربية وتحدياتها الخاصة بالتراث اليونانى والرومانى والمسيحى ، ومن هنا فهى تختلف اختلافا واضحا عن البيئة العربية الإسلامية بأديانها وتحدياتها وتراثها الفكرى ومزاجها النفسى وذاتياتها الخاصة ، ومشاكلها المختلفة فى النوع والدرجة والتشكل .

ولذلك ، فإن القول الحق هو أن الفلسفة وجهة نظر فلسفى صالح للنظر فيه ليؤخذ منه مايتفق مع البيئات والثقافات ويرفض مالا يصلح منه ، ولا عبرة بما يقال من أن الفكر عالمى فذلك قول يصدق بالنسبة للعلوم التجريبية وحدها ، أما الفلسفة الإنسانية كالأخلاق والاجتماع والاقتصاد وغيرها فهى لا تخضع أبدا لقوانين العلم لأنها تتصل بالنفس الإنسانية التى لا تخضع لقيود المقررات المعملية المحدودة .

(٩)

الاقتصاد

للاسلام مفهومه الخاص وطابعه المفرد للاقتصاد ، هذا الطابع المختلف عن المنهجين البشريين العالميين القائمين اليوم ، وهما الرأسمالية والشيوعية . وتختلف الدعائم الأساسية للاقتصاد الإسلامى عن الرأسمالية فى أمور الملكية والبيع والربا . فالملكية الفردية فى النظام الرأسمالى تختلف اختلافا كليا عنها فى الاسلام ، حيث يضع الاسلام للملكية الفردية من الضوابط مايجعلها مجرد وظيفة اجتماعية . وقد جاء الاسلام بأروع عقيدة توازن موازنة سنوية بين الفرد والجماعة ، إذ أقام التكافل الاجتماعى على أساس الأخوة الإسلامية ، وهو طراز فذ فى التعاطف الإنسانى جب العنصرية وقضى على التفرقة الطبيعية وجرد العقيدة من التعصب المقيت وكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج سوء توزيع الثروة معالجة عادلة ، تحول دون تكديسها فى يد فرد أو أفراد قليلين دون أن يقضى على نشاط الفرد وميله الفريزى للمبادرة والإبداع . وأقام التنافس على أساس (القدرة والعدالة) معا واستطاعت تجربة الحكم الإسلامى فى صدر الإسلام أن تثبت نجاحها الباهر فى خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه إرادة الفرد مع صالح الجماعة وتكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الأولى على الحاقر الأخلاقى .

ولما كان للاسلام منهجه الخاص فى الاقتصاد فإنه يختلف بذلك اختلافا واسعا وعميقا مع للرأسمالية والاشتراكية ، فحيث أباح الاسلام

البيع حرم الربا ، ووضع على الملكية قيودا تشمل فرائض على الانفاق لا على التملك تهدف الى العيلولة دون تضخم الثروات ودون تركيز المال فى ايدى طائفة خاصة من الناس كما فرض الزكاة التى هى ركيزة التكامل الاجتماعى ، ولم يجعل الزكاة صدقة للفقراء ولكنه جعلها حقا من مال الفنى لاستحقاقها من غير القادرين .

ولقد فرض على المجتمعات الاسلامية فى فترة سقوطها تحت السيطرة الاستعمارية نظام الاقتصاد الرأسمالى او الاشتراكى وقد ثبت فشل كليهما فى تحقيق سعادة المجتمع وأمنه . وقد كشف الباحثون فى الغرب عن فساد الاقتصاد الرأسمالى وعجزه بالنسبة لمشكلة التضخم المالى وما نتج عنه من تضائل القدرة الشرائية ، وبالنسبة للمشكلات الناتجة عن ازدياد عدد عاطلين عن العمل وقد ثبت أن الاقتصاد الرأسمالى قد تخطى عن كونه علما وحصر نفسه ضمن اطار نظرى ضيق ينطوى على كثير من التبسط فى فروضه وقد وجهت ضربات شديدة الى الاقتصاد الذى ركز على الاتجاه المادى وتجاهل بذلك أبسط قواعد الأخلاق وأوضح معايير الخير والشر التى فرضتها جميع الأديان السماوية فأصبحت التصرفات الاقتصادية مباحة مادامت تؤتى نفعاً مادياً ومادامت لا تصل اليها يد القانون الوضعى مهما اختفى فى ثناياها من غش فى المعاملات واضرار بالغمر وسلب لماله . وقد احيطت النظرية الاقتصادية بأقنعة كيفية حجت كل اعتبار خلقى أو انسانى أن ينفذ الى هيكلها المادى .

وقد قام الاقتصاد الرأسمالى فى الغرب على أساس الاستغلال والاحتكار والمعاملة الربوية ، وكلها أمور نهى الاسلام عنها ، فالاسلام يحرم الربا والاستغلال والغش والاحتكار كما أنه لا يطلق المنافسة لتنشط من مصدر الغرائز وانما يبيحها فى نطاق مثالياته وأخلاقياته .

أما الماركسية فقد عارضت الفطرة الانسانية بدعوتها الى إلغاء الدين والايمان بالله واعتبار الأخلاق ومقاييس الحلال والحرام مقاييس متغيرة غير ثابتة ، وهى تعتمد على المادة وترى أنها أصل جميع الأشياء ، وتفسر الأحداث تفسيرا ماديا خالصا ، وتعتمد الماركسية على قاعدة باطلية ضالة هى الصراع بين الطبقات وقد دعت النظرية الى رفع مستوى العمال فلم تستطيع أن تحقق لهم شيئا ذا بال بينما استطاعت الرأسمالية الغربية أن ترفع شأن الطبقة العاملة وتحقق لها كثيرا من الانجازات . وأسوأ معطيات الماركسية احتقار الفرد ومتهان كرامته والنظر اليه كأنه عجلة فى ماكينة ، وهى تعتمد على تغذية العمال بالحق ليشعروا على أصحاب رعوس الأموال .

وبينما تنطلق الماركسية من نقطة الحقد لاراقة الدماء فإن الاسلام ينطلق من نقطة الوفاق داعيا الى التقارب والاخاء والتعاون ، وحيث تدعو الماركسية الى عدااء الانسان للانسان يدعو الاسلام الى اعلان وحدة الأصل الانساني ووحدة المجتمع ، وان الناس جميعا مدعوون الى التعارف ، ويعطى الاسلام الناس حق التملك والكسب المشروع حقا مشروعا ، بل شرطا أساسيا لتحميل الانسان المسؤولية المفروضة عليه للعمل في هذه الحياة حتى يسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وهل أدى فيه حق الله أم لا ، وقد أثبت وقائع التاريخ زيف النبوءات التي قدمتها الماركسية بعد أن قدمت ملايين الضحايا الذين ضاعوا قتلا ونفيا وتعذيبا ، وأثبتت الدراسات أن الماركسية ليست مذهب الطبقة المحرومة أو الفقيرة ولكنها دعوة الحقد على البشرية والأسرة وكراهية الانسانية ، وقد أثبتت كل التجارب التي تمت في بلدان كثيرة فشلتها ، وبرهنت على أنها ضد الفطرة وضد العلم نفسه ، ودلت على أنها دعوة الى تخريب المجتمعات لاقامة نظامها المدمر .

وقد كشفت الأبحاث أنه لا سبيل الى المقارنة بين النظام الرأى المصدر الانسانى الطابع وبين الأنظمة البشرية الوضعية ، وأبرز ذلك في مجالات ستة :

أولا : تضيق نظام الملكية الفردية لخير الجماعة وفى سبيل الصالح العام .

ثانيا : تحريم الملكية الفردية للأشياء الضرورية لجميع الأفراد وادخالها فى نطاق الملكية الجماعية .

ثالثا : تحريم الكسب غير المشروع واعتبار الربا والفسائدة من الأموال الحرام .

رابعا : القضاء على استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال .

خامسا : تحريم جميع المعاملات التى تنطوى على الغش والرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل .

سادسا : من أجل جعل الملكية الفردية فى وضع لا تطغى فيه ولا تتكدس أوجد الاسلام (نظام الميراث) والوصية ، يتكفل النظام الأول بتوزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا يحول دون تضخم الأموال وتجميعها فى أيدي قليلة ، ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يقسم بين أقرباء المتوفى فيوسع بذلك دائرة الانتفاع

من الملك الذى كان فرديا فأصبح جماعيا ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال أن يوصى بجزء من ماله لأحد ، كذلك أمر الإسلام بالزكاة والصدقة حتى يأخذ الفقير نصيبه من مال الغنى وفى هذا حد لتصاعد الملكية .

(١٠)

التعليم

استهدف الإسلام من التعليم تكوين النفس المسلمة والعقل المسلم وتحرير هذه النفس وهذا العقل من كل العوائق التى تحول بين المسلمين وبين السعادة والتمكن فى الأرض ، ولذلك فإن خطر معاهد الإرساليات والمناهج الغربية الوافدة مازال يحول دون تحقيق هذه الغاية ، فقد عمد الاستعمار الى اتخاذ التعليم وسيلة الى استعباد الأمم والأفراد وخلق عقلية مليئة بالاعجاب بالغرب موالية له ، بينما هى فى نفس الوقت تحتقر مقومات أمتها وقيمتها وتتخذ من مرحلة الضعف التى تمر بها البلاد الإسلامية وسيلة للتشكيك فى مدى اثر القيم الإسلامية ، ومن الحق أن مرجع الضعف يعود الى تهاون المسلمين فى تطبيق منهج التربية الإسلامية فى بيوتهم وأسرهم .

وركز منهج التعليم الإسلامى على أن يجعل أساس العلم مراعاة ميول الأطفال واستعداداتهم حتى لا يرهق الأطفال بأعمال يصعب عليهم أدائها لأنها لا تجرى مع رغباتهم ، وعلى المعلم أن يحترم الميول مهما كانت متواضعة ، وعلى المعلم أن يتجنب كل ما يثير الشك فى نفوس الضعفاء ، وأن يقتصر على المتداول المعروف ، والا يلقى على التلميذ مالا يحتمله عقله ولا يلقى اليه مالا يبلغه عقله وأن يلقى القدر الكافى المناسب مع العقول ، وقد أعلن الإسلام أن التعليم حق لكل صلبى وواجب على الدولة وهى مكلفة به اذا لم يكن أهله قادرين على الاتفاق عليه ودفع أجر معلم الكتاب فينفق عليه من بيت مال المسلمين ، كما أشار المنهج الى تعليم البنات لأن دين الإسلام عام لجميع الناس وأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وقد رسم الإسلام أسلوبا عمليا لمنهج التعليم قرر فيه عددا من الحقائق التى ما تزال تمثل الأساس الصحيح لكل نهضة تعليمية ، ومن ذلك أسلوب التدرج فلا يخوض المعلم فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فإن العلوم مرتبة ترتبها ضروريا وبعضها طريق الى بعض ، وأن يأخذ من كل شئ أحسنه وأن يكون التوجه أولا الى اشرف العلوم وهو العلم بالله عز

ويجمل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم ،
والا يدع المعلم من نصيح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة
قبل استحقاقها أو التشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى مع التنبيه
على الفرض من درس العلوم وعلى المتكفل ببعض العلوم ان لا يتبع فى
نفس المتعلم العلوم الأخرى ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ، بل المتكفل
بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق المتعلم مع غيره وأن يراعى
التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة ، وعلى المعلم أن يقتصر
بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه مالا يبلغه عقله ، وذلك وفقا لقول
النبي صلى الله عليه وسلم (ما من أحد يحدث قوما بحديث لا يبلغه عقولهم
الا كان فتنة على بعضهم) وعلى المتعلم أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد
كما يؤثر الرفيع القريب عن البعيد والمهم على غيره وعلى الطالب الا يدع
فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به
على مقصده وغايته طالبا للتبحر لأن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط
ببعض ، وعليه أن يراعى الترتيب ويبدأ بالمهم فان العمر اذا كان لا يتسع
لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويصرف جمام قوته
من اليسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم .

(١١)

المعلم

دعا الاسلام الى العلم فبدأت آيات القرآن بالدعوة الى القراءة ثم
اقسم بالعلم وجعلت القراءة باسم الله خالصة ونسبت التعليم الى الله
الذى علم بالقلم . وورد لفظ العلم ومشتقاته فى القرآن فى (٨٧٠ آية)
والعلم الذى دعا الاسلام الى تحصيله هو العلم على إطلاقه وليس علم
الدين فحسب ، وكانت دعوة الاسلام الى العلم مرتبطة بالنظر الى آفاق
السماء والأرض والتأمل والتدبر والتفكر ، وإلى النظر فى مبادئ الخلق
وفى أحوال الأمم التى اندثرت وما تزال بقاء حضاراتها ومدنياتها فنظرة
الاسلام الى العلم نظرة جامعة تدحاطها منهج كامل للمعرفة والفهم له
مقوماته وضوابطه ، فقد دعا الى البرهان والحجة والتجربة وحث على
الاجتهاد وجعل له أجرين وجرم التقليد . ولم تكن هذه الدعوة بغير هدف ،
ولكنها كانت ترمى الى أن يمتلك الانسان ارادته ومسئوليته فيحقق امانة
وجوده ورسالة استخلافه .

فقد دعا الاسلام الى السيطرة على الحياة وإلى تملك مواردها
ومقدراتها وإلى انمائها وتسخير مواردها وتبكيها ودعا الى الكشف

والابتكار وجعل للمبتكرين الثواب وأمر بتعمير الأرض والتنافس فى الصنائع والفنون النافعة وأعلن أن العلم يزكو بالاتفاق وقد أخذ الله الميثاق على الذين يعلمون أن يبيلوه للناس ولا يكتمونه .

ودعا الاسلام المسلمين الى استعمال حواسهم الظاهرة فى النظر والتأمل كما حرضهم على طلب العلم والمعرفة والنظر فى الكون والتأمل فى الكائنات والتنقيب عن أسرار الوجود ، وحث حثا متواصلا على العناية بتنمية العقل الانسانى وترقية الشخصية الانسانية بالضرب فى الأرض وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ودراسة ماهى عليه من نظم وعادات . وهكذا فتح الاسلام الباب امام البشرية لتتقدم الى مجالات البحث العلمى والمدنية وكان ظهور الاسلام هو منطلق التحول الصناعى فى العالم كله . ولقد كان من آثار ذلك ان أقام الاسلام للعلم منهجه ومنطلقه من حرية البحث وصراحة الفكر وسلامة النظرة بعد ان جرر العقل البشرى من الوثنيات والمادة ، وعلم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين واستطاع المسلمون أن يحققوا خطوات واسعة فى هذا المجال فى نفس الوقت الذى ظل مجرى عقولهم سليما قائما على الايمان بالله مصدر العلم ومعلم الانسان أسرار الكون وقوانينه ، ومن أجل هذا المنطلق فرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الذى لا حاجة اليه ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحسنه وفى عهد النبى وضعت فكرة القياس ووضعت قواعد القياس وشرائط العلوم ، وتكلم الصحابة فى عهد النبى فى العلل ، وأن كثيرا من الواقعات لم تندرج فى النصوص الثابتة فقايسها الصحابة بما ثبت والحقوها بما نص عليه بشروط ، من تلك اللاحق ، وقد تميز العلم الاسلامى بأنه حى واقعى تجريبى خال من عنصر الخيال والقصة ومقيد بالملاحظة والتجربة ، فقد كان الفكر الاسلامى ثمرة عملية نقد كبيرة وعملية للفكر السابق وتجديد وبناء استغرق قرونا زاهرة فى حياة العقل فى الاسلام فقد اعتمد العلماء المسلمون على العقل والحس مطالبين انفسهم وغيرهم بالدليل والبرهان واستطاعوا بعد الاطلاع على معارف الأمم أن يصححوها ويسيروا بالمعرفة خطوات هائلة ، وكان تجديدهم للعلوم الطبيعية والكونية من طرق شتى مع الاعتماد على الملاحظة والتجربة فصاح المسلمون معارف القدماء وابتكروا علوما خاصة بهم ، وضع جابر بن حيان علم الكيمياء ، ووضع الحسن بن الهيثم علم الضوء بمعناه الحديث ، وجدد البتانى علم الفلك . اتماموا العلوم على التجربة وأنشأ المسلمون المنهج التجريبى الاسلامى . مخالفين المنهج اليونانى ونقدوا المنطق الأرسطى ، ووصل المسلمون الى فكرة الخواص اللازمة لكل ذات ، وهى الفكرة التى صبغت المنهج الاستقرائى الحديث بصيغتها الخاصة ،

وكان المنهج التجريبي الاسلامى هو أساس الحضارة المعاصرة وهو الذى دفع أوربا الى العمل وأخرجها من جحور الوثنية والرهبانية ، وصحح المسلمون أغلاط أرسطو وجالينوس وأفلاطون ، وأبطل صناعة التنجيم وأبطل القول بأن الكواكب تجلب السعادة أو أن بعضها يجلب النحس ، وقال أن اليونان أخذوه من غير برهان ولا قياس وقد أقام المسلمون المنهج العلمى التجريبي على قواعد رئيسية لاتخضع للاهواء ولا للغايات الخاصة ولا للمطامع وبذلك قرر الاسلام دستور العلم .

(١٢)

الفن

يقوم المفهوم الاسلامى للفن على استحالة التناقض مع الفطرة فاذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تنافض دين الفطرة : دين الاسلام فى شىء فاذا خالفت الفنون الدين فى أصوله ودعت صراحة ، أو ضمت الى رذيلة من أهات الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها ، وعاقبت الانسان عن أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لايجلبها على الانسان حتى يبلغ ماقدّر له من الرقى فى النفس والروح ، وإذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا أو فى شىء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق (محمد أحمد الغمراوى) .

ومفهوم الفن فى الاسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع والأخلاق والدين والحضارة ، وهو فى الاسلام له طابعه الأصيل الواضح المبين لمفهوم الفن فى الثقافات والحضارات الأخرى ، وقوامه الأخلاق وطابعه التوحيد يتسامى بالغرائز ويرتفع بالنفس بالانسانية الى الكمال دون أن يبعد عن الواقع .

والفن فى نظر الاسلام أداة تجميل الحياة ووسيلة الاسعاد الروحية والنفسى بتحرير الانسان من عالم الأهواء والغرائز وإطلاقه فى نظرة حرة الى الكون والوجود ، يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها ايمانا .

وقد كان الفن اليونانى بطابعه المادى والوثنى يجعل الأولوية للتمثيل المجسمة اعجابا بالأجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة ، ولكن الفن الاسلامى مستمدا من مقوماته الأساسية يجعل البيان والشعر والأدب فى مقدمة قائمة الفنون : الكلمة البليغة والفكرة الموحية وذلك انتقالا من عالم المادة الى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم والتفكر فى خلق الله

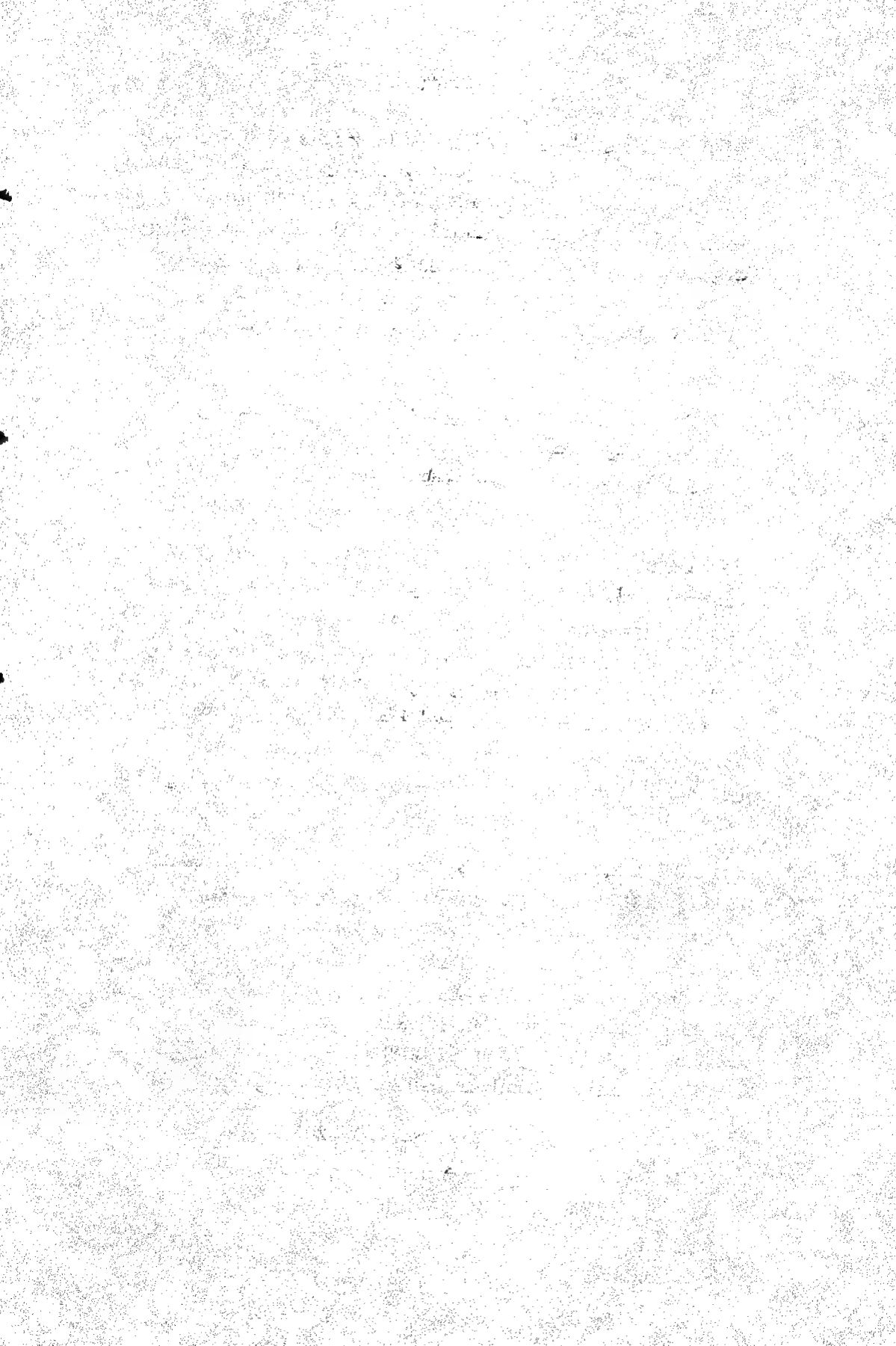
أعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذى يتمثل فى أسمى صورته بالقرآن الكريم وبذلك دفع الاسلام الفن البشرى الى الامام انتقالا من مفهوم الماديات فى الفن الى مفهوم المعنويات وسلك المعنويات والماديات فى اطار جامع متكامل وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التى تقدر الجسد والشهوات والفرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ، ودفع البشرية الى الانتقال من تجسيد البطولة فى صورة مادية الى تكريم عمل الانسان نفسه .

وأبرز سمات الفن فى الفكر الغربى لا تجد فى مجال الفكر الاسلامى مجالاً لها . فالاسلام لا يقر عبادة الجسد الجميل عبادة وثنية بحيث يقدم له القرايين وكل مايتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الاغريق وهى حافلة بالمبازل لاتجد فى افق المجتمع الاسلامى قبولا .

كما أن الاسلام لا يقر فكرة الصراع بين الآلهة والانسان أو بين القدر والانسان على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الانسان يثبت ذاته بمصارعة القدر ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر ، وكل هذه المعانى مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية والمسلم لا يؤمن بتعدد الآلهة ولا تجسيد الاله فى صورة وثن جسى ملموس كالتماثيل العديدة فى العقائد الغربية فى ذلك الخلط العجيب بين المسيحية والهلينية . كما أن المسلم لا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات ومن هنا فان مفهوم الفن فى الاسلام محرر من كثير من هذه القيم التى يقوم عليها الفن الغربى والتى تتعارض أساسا مع الايمان بالله الواحد .

كذلك فان الاسلام لا يقر تجسيد البطولة فى صورة مادية ، ليس فقط حفاظا على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التى كانت تمثل عبادات ما قبل الاسلام ، ولكنه ارتفاعا بالنفس الانسانية من أن تتمثل فى مفهوم مادى ، بينما جاء الاسلام محررا للبشرية من التجزئة بين الماديات والمعنويات والفنان المسلم له طابعه البدع متحررا من الخضوع للمذاهب الوثنية التى تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ، ولذلك فهو قد طرق آفاقا أخرى غير هذه الآفاق هى التعبير عن المعانى فأوجد أنواعا من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابكة والمتداخلة .

وهكذا حقق الفن الاسلامى مذهباً جديدا مستمدا من حقائق الاسلام فكان فنا منطلقا وتجريديا معبرا وليس جامدا .



الفصل الثاني

الفكر الاسلامى والشبهات المثارة

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------|
| (٢٧) الفرعونية | (١) الثقافة والحضارة |
| (٢٨) التفوق البشرى | (٢) مصطلح الضمير |
| (٢٩) تجارة الرقيق | (٣) الفتح الاسلامى |
| (٣٠) موسيقى القرآن | (٤) التصوف |
| (٣١) اللغة العربية | (٥) النبوة |
| (٣٢) مهمة الجامعة | (٦) الأمة الامية |
| (٣٣) تمثيل الصحابة | (٧) العلمانية |
| (٣٤) القوميات والأقلييات | (٨) العقلانية |
| (٣٥) المسرح | (٩) الأرقام |
| (٣٦) الأساطير | (١٠) الثورة |
| (٣٧) القرامطة | (١١) طوابع البخت |
| (٣٨) اخوان الصفا | (١٢) القرآن الكريم |
| (٣٩) الزنج والقرامطة | (١٣) وحدة الأديان |
| (٤٠) الحرف اللاتينى | (١٤) تاويل المعجزات |
| (٤١) الفاظ القرآن | (١٥) السلفية |
| (٤٢) نظرية دارون | (١٦) كتابات الأطفال |
| (٤٣) الجهاد | (١٧) الفكر الفلسفى |
| (٤٤) التوراة | (١٨) الفلسفة المادية |
| (٤٥) الانسان | (١٩) علم النفس الحديث |
| (٤٦) النهج العلمى الغربى والاسلامى | (٢٠) أخلاق الاسلام |
| (٤٧) التفسير المادى للتاريخ . | (٢١) تفسير التاريخ الاسلامى |
| (٤٨) اهل السنة والجماعة | (٢٢) الحكومة الشيوقراطية |
| (٤٩) الوثنية | (٢٣) الحكومة الاسلامية |
| (٥٠) الرقيق | (٢٤) الماسونية |
| (٥١) السنة والتشيعه | (٢٥) اليونسكو |
| | (٢٦) الوحي |

شبهات حول الثقافة والحضارة

من الشبهات المثارة والتي كثر تردها القول بترابط الثقافة والحضارة وأن على الأمم التي تأخذ الحضارة الغربية أن تأخذ الثقافة أيضا ذلك لأنه لا سبيل الى التفرقة بينهما .

ومن الحق أن يقال في هذا المجال أن الأمم حين تقتبس من أمم أخرى لاتنقل الثقافة ، ولكنها تنقل الحضارة المثلة في الوسائل المادية في الحياة الاجتماعية ، أما الفكر فلا سبيل الى نقله ، لأن لكل أمة فكرها . وتجربة أوربا مع الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي قد سبقت على الطريق فقد نقل الغربيون الحضارة الإسلامية وترجموا العلوم ونقلوا المعامل وأدوات التجارب ولكنهم لم يقبلوا الفكر الإسلامي المستمد من القرآن والتوحيد ، وأقاموا فكرهم وثقافتهم على أساسها القديم المستمد من الفلسفة اليونانية الاغريقية ، وجاءت استمداداتهم من الفكر الإسلامي خالية من طابع هذا الفكر فقد جردوها وصهروها في ثقافتهم وكيانهم فلم يتحولوا بها فلماذا لا يقف المسلمون مثل هذا الموقف ويقلدون الغرب في هذه الخلة .

ذلك هو الأمر الطبيعي للامم والثقافات والاتجاه الصحيح لعلاقات الحضارات بين الشعوب .

فالقول بأن على العرب والمسلمين أن ينقلوا الحضارة وثقافتها (وما يحمد منها وما يعاب) هو قول باطل مغرض وهو صوت التفريب والغزو الثقافي وهو ليس خالصا لوجه الحق ولا وجه العلم ولا خالصا في نصح هذه الأمة ، ولكنه زيف وغش يراد به صهر هذه الأمة في أتون الفكر الغربي ، وتحويل الفكر الإسلامي الى فكر تابع ذليل قد سقطت عنه مقوماته وذاتيته وذاب في الأممية والشعوبية العالمية وهو أمر لن يحدث في الاسلام وجذوره العميقة التي لا يمكن ازالتها ، ولأن المسلمين والعرب قد بلغوا مرحلة الرشد الفكري فلم يعودوا يخدعون عن رأي مضلل مزخرف فضلا عن الثقة الكاملة باثارة القرآن الكريم : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ولقد فرضت على مجتمعنا وفكرنا الاسلامى صراع الثقافات : الثقافة الفرنسية والثقافة الانجليزية والثقافة الأمريكية والثقافة الماركسية وكل منها له وجهته وان كانت وجهة الثقافة الماركسية تختلف من ناحية الخلاف بين الرأسمالية والشيوعية .

(٢٦)

شبهات حول مصطلح الضمير

مصطلح الضمير : من التعبيرات التى استحدثتها كتب الأخلاق الغربية وهو مصطلح أريد به احلال مفهوم أخلاقى منفصل عن مفهوم الأديان المنزلة فحيث يدعو الاسلام الى بناء الانسان بالتقوى ويجعل منه قوة فعالة تحول بين الانسان وبين الشر دعا كتاب الغرب الى مايسمى بالضمير ، والضمير بهذا المفهوم لا يتشكل الا فى مفاهيم البيئة والثقافة والعقيدة . فاذا تشكل على معنى التحرر من قيم الأخلاق أو اعتبارها نسبية لا ترتبط بالانسان ولا بالمثل الأعلى فانما يجرى الضمير معها هذا الجرى ، وحينئذ لا يستطيع أن يحقق شيئاً بمفهوم الضمير الذى يشكله مفهوم الأخلاق المرتبطة بالعقيدة المؤمنة بالجزاء الآخر .

هذا المعنى الذى لفت اليه الدكتور عبد الحليم محمود وهو يجليه بقوله ان خرافة الضمير هى من أوهام العصر الحاضر حيث لاتجد فى معاجم اللغة ذلك المعنى الأخلاقى الذى تفهمه من هذه الكلمة فى الوقت الحاضر ، ولقد استعمله الغرب كثيراً وأئساد به حينما أراد أن يضع للأخلاق أساساً ومقياساً منفصلين عن الدين ، حين أراد الغرب أن يتخلص من سيطرة الكنيسة وأن يخرج من سلطانها ، وكان الدين اذ ذاك أساساً ومقياساً للأخلاق ، فلما أريد التخلص من الدين جرى البحث عن الدين بوحى الضمير ، وان يتخذوا من وحي الضمير الأساس الذى لا يخطئ ، ان الناس فى كل المصهور يستشرون ضمائرهم ولكنها لاتسمعهم جميعاً لحناً واحداً ، وقال أندريه كرسون ، اذ أن ما يظهر عدلاً لبعض النفوس لا يظهر عدلاً ولا خيراً لنفوس أخرى فانه حين توازن بين احوال الضمير فى العصر الواحد فى اقطار مختلفة فانتا نجد فروقا لاتكاد تحصى وحيث يختلف الضمير بحسب اختلاف الزمن أو اختلاف المبادئ ، أو اختلاف البيئة أو اختلاف الثقافات فى البيئة الواحدة ، ولذلك فان اتخاذ الضمير كأساس للأخلاق أو كمقياس لها انما هو مجرد حماقة وعيب

ومن الشبه التى جعلت الناس يؤمنون بمنزلة كبرى للضمير

ويرفعونه انه قد شاع بين بعض الطوائف أن الضمير قوة فطرية معصومة بطبيعتها ، الضمير قوة فطرية إلا أنها تتلون بحسب ما يتغذى به من ثقافة وبيئة ووراثة ، وهى تختلف فى الفرد الواحد بحسب اختلاف سنه وتقلبه من بيئة الى بيئة وبحسب السكتب التى تمده بالثقافة العقلية أو التهذيب الروحى وبحسب أخلاق الأصدقاء الذين يلزمهم الإنسان فى حياته .

ومن هنا فإن الضمير ليس قوة معصومة بطبيعتها بل هوة متأرجح متقلب لا يستقر له قرار .

أما الأساس فى الأخلاق والمقياس الذى يلجأ اليه الدين يستمد منه الهداية والارشاد فإنه هو وهذه المعصوم ، والإسلام قد أتى فى الجانب الأخلاقى بكل ما تتطلبه النفوس المرهقة والأفئدة المتعطشة للاستقامة والانابة .

أما صلة الدين بالضمير فإنها صلة هيمنة وتوجيه وارشاد وسيطرة ، هيمنة تستمر مدى الحياة فإذا زالت اختل الضمير .

(٣)

شبهات حول الفتح الإسلامى

حاولت بعض الشبهات الغربية المثارة الطعن فى الفتح الإسلامى وتزييف مفهوم انتشار الإسلام بتفسيرات مادية مضللة والحقيقة أن الفتح الإسلامى لم تكن حركة توسعية ولا حرباً صليبية ضد المسيحية وإنما كانت رسالة تمدنية لاتهدف إلى أى لون من ألوان الانحياز .

وفى هذا المعنى يقول سامى الباقى فى كتاب (الحضارة الإنسانية بين الشرق والغرب) : أن انتصار العرب المذهل ليس مرده ضعف الدولة البيزنطية بعد أن استغرقت الحروب الفارسية مواردها ، هذه مغالطة صارخة لأن الإمبراطور هرقل قد أنهى حرب الفرس بالنصر الباهر عام ٨ هـ (٦٢٩ م) ثم تمتع خمس سنوات من السلم الشامل قبل أن يفاجأ بالغزو العربى ، وقد أعد العدة بنفسه وعين أخاه ستودور لقيادة الجيش الذى دحره المسلمون فى أجنادين . ولا ريب أن انتشار الإسلام فى هذه المرحلة القليلة التى لم تزد عن ثمانين عاماً قد أدهش المؤرخين ، ولأنهم جروا عن فهم الأثر المعنوى والروحى والنفسى للإسلام فى البلاد التى دخلها فقد ذهبوا مذاهب مختلفة فى التعليل .

والواقع أن النصر الاسلامى للاسلام هو وحده القادر على طرح المفهوم الاصيل لهذه الظاهرة ولقد اجمع المؤرخون على أن سرعة انتشار الاسلام أمر فريد عجيب على مدى التاريخ ، ذلك لأن المسلمين لم يكونوا من الكثرة العددية ولا من قوة العدد والسلاح ولا من حيث استيعاب الفنون العسكرية ولا من حيث حضارة العلم والمدنية ، غير أن التفسير الصحيح والسليم أن سرعة انتشار الاسلام إنما ترجع الى أنه كان أفضل نظام اجتماعى وسياسى تمخضت عنه العصور ، وأن سعادته ترجع الى أنه وجد فى كل مكان ذهب اليه أما استولى عليها الخمول وفشا فيها النهب والفساد ، فلما جاءها الاسلام لم يجد الا حكومات مستعبدة مستأجرة متقطعة الروابط بينها وبين رعاياها ، وكان نظام رأس المال فى الامبراطورية الرومانية مبنيا على الاسترقاق ، وكانت الاداب والثقافة الاجتماعية آخذة فى الانحلال ، ومن ثم وجدت جماهير الأمم فى الاسلام منتذا ومخلصا ، ذلك لأنه اقام العدل ، ولكنه لم يفرض عقيدته وترك الناس يدخلون فيها باختيارهم وقد دخلوا فى هذا الدين حين تبين لهم صدق الداعين اليه .

أما تلك التفسيرات التى تقول بأن قسوة الحياة المادية والاقتصادية هى التى دفعتهم الى التطلع الى مائى البلاد التى فتحوها من موارد اقتصادية فانه باطل لأنه لو صح لاقتصر المسلمون على فتح البلاد الخصبة الغنية ولما ذهبت جيوشهم وقبائلهم الزاحفة الى البلاد الفقيرة الشحيحة النائية عن مواطنهم ، ولكن الحقيقة هى أنهم كانوا يهدفون أساسا الى نشر كلمة الله ورسالته الى الناس كافة وفى كل مكان مهما احتلوا فى ذلك من العسر والمثقة ، ولو كان لهذا التفسير المادى أى ظل من الحقيقة لأسرع الخلفاء الراشدون الأولون الموجهون لتلك الفتوح الى نقل مقار سلطانهم وحكمهم من مكة والمدينة وصحراء الجزيرة العربية الى غيرها من البلاد المفتوحة .

(٤)

شبهات حول التصوف

من المحاذير التى توجه الى التصوف قيامه على مفهوم الذوق ودعوته للوصول الى الحقيقة عن غير طريق العقل ، قائلين بأن القلب أو البصيرة الداخلية قادرة على اكتشاف الحقيقة .

وهذا القول من شأنه أن يعمل على إسقاط الجانب العقلى فى الاسلام وما يتصل بالعلوم المكتسبة ، وقد كان مفهوم الاسلام فى منابعه

الأصيلة قائما على العقل والقلب معا دون تفرقة بينهما أو اعلاء لجانب دون الآخر .

ومن طريق انفصال الجانبين المتكاملين دخلت الى التصوف مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من نظريات عرفت لها مذاهب الروحية القديمة ، ولقد كان من أخطر ما وصل اليه الفكر الصوفى ذلك الجانب الذى يتصل بالكرامات واسقاط التدبير ونبد العقل والتواكل واسقاط التكليف من صلاة أو صوم أو حج أو غير ذلك من فرائض ، بدعوى الترتى عن العامة ، ومن ذلك مسألة التفرقة بين الظاهر والباطن ، والإيغال فى تفسيرات باطنية للمصطلحات والكلمات تختلف عن مفهوم السنة الجامعة .

هذا اللون من التصوف الفلسفى المنحرف هو الذى أوصل المسلمين الى مرحلة الجبرية الذى جعل المتصوفة أولياء للمستعمر بعد أن كانوا فى إيمانهم بالجهاد حربا عليه ، وكان لهم دورهم الواضح الضخم فى مقاومة نفوذ الحملات الصليبية والإداله منها ، ثم تحول الصوفية فى أبنان الاحتلال الفرنسى والبريطانى فأصبحوا أولياء للنفوذ الأجنبى ، وهذا هو التصوف الذى انتقده جمال الدين ومحمد عبده وإقبال وابن باديس .

وقد حمل الباطنية الآيات مالا تحتله بدعوى النفاذ الى عالم الأسرار والأنوار . كذلك فقد ذهب بعض الصوفية فى الزهد والتقشف مبلغا من المغالاة حتى يصل الى قريب من مفهوم الرهبانية المسيحية ، وليس هذا مفهوم الاسلام فى الزهد والتقشف ، ولم يرسم الاسلام لأتباعه حياة الزهد والنسك ولا حياة الاستغراق فى الترف والنعيم ، وهو يرفض العزلة والانقطاع كما يرفض الانتكباب على الدنيا ، فالاسلام دعوة وسطية من الجمع بين الروح والمادة فى إطار الحدود التى أقامها الله تبارك وتعالى ، وقد فهم أن تكون الدنيا فى أيدي المسلمين وليست فى قلوبهم وأن تكون موجهة الى الله تبارك وتعالى ، وكذلك جعل الاسلام الكرامة خالصة لصاحبها بحيث لا تكون مفروضة على أحد ولا حائلة دون القيام بأى فريضة من فرائض الله تبارك وتعالى .

شبهات حول النبوة

طرحنا المخططات التغريبية من خلال مفاهيم الفلسفة المادية شبهات جديدة حول النبوة والوحي ، تحاول أن تلقى ظلال الشك بالقول بأن النبوة تجربة ذهنية فكرية ، وأن النبي قد أدرك ما أدرك من النبوة نتيجة قدرته على التركيز واستدائمه على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره ، ولا ريب أن هذه من الدعاوى الباطلة التي فندها مفكرو الاسلام المصابرون على أساس واضح صريح ، أن أي انسان مهما بلغ من التركيز لا يستطيع أن يكون نبيا ، لأن النبوة ليست تجربة ، ولما كان أبرز ظواهر النبوة هي الوحي ، ولما كان هذا الوحي يهبط فجأة في لحظة مجهولة للنبي كأنه ومضة خاطفة لم يسع اليها ولم يتوقعها ، كان من الاستحالة القول بأن النبوة مما يمكن أن يتحصل اليه أي انسان مهما بلغ من النبوغ أو الذكاء .

ولا ريب أن أبرز صفات الوحي أنه من خارج الذات ، فهو ليس نتيجة فيضان نفسي أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت في نفس النبي على نفسه ، والقاتلون بهذا هم من المفكرين للنبوة الخائفين بالباطل في وصفها . ولا ريب أن النبوة هي من الاصطفاء الرباني العلوي المسبوق ببعض الارهاصات ، ولكنه لا يعرف ما يسمى بالتدرج المؤدى الى النضج في النهاية ، والنبوة تكليف فجائي ينفي الارادة فلا خيار للنبي في أن يقبل أو يرفض ما يأتي به الوحي (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) .

ان محاولة الفكر المادي محاولة باطلة وخاصة في محاولة تجريد النبي صلى الله عليه وسلم من كل ما هو سماوي غيبي ، ولا شك أنهم مخطئون في تصورهم انه صلى الله عليه وسلم « اختفى » في غار حراء ليفكر في أحوال قريش وكيف يستنقذهم من مظالم السادة ، أو قولهم أن الاسلام ثورة اجتماعية فالاسلام ليس ثورة ، ولكنه دين سماوي اختار الحق تبارك وتعالى توقيته ومكانه ورسوله دون تقيد بأي تفسيرات مادية مما يحكم به الماديون على الثورات والحركات الاجتماعية ، وللنبي صلى الله عليه وسلم عصمة وقداسة وهو ليس بشرا فحسب ، ولكنه « بشر يوحى اليه » : (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) انه ليس بشرا مثلنا لأنه يوحى اليه ، ونحن لا يوحى اليها بشيء ، هذا الفرق الدقيق هو سر النبوة والنبي معصوم يتلقى من ربه التشريع والتكليف وهو لا ينطق عن الهوى .

(٦)

شبهات حول الأمة الأمية

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم »

كان العرب أمة أمية وعند أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين أن للأميين هم غير بنى إسرائيل ، وكان اليهود يعتبرون أن كل ماعداهم أميون وبالمعنى العصرى « جوييم » وذلك بعد أن دخلت عليهم مفاهيم الفرور والاستعلاء والادعاء بأنهم شعب الله المختار ، فقد اعتبروا أن كل من عداهم أميون ، ووصف الأميون بأنهم لم ينزل عليهم كتاب سماوى ، فكان العالم قبل الإسلام أهل كتاب وأميون ، فأرسل الله تبارك وتعالى فى الأميين رسولا منهم ، وأنهم كانوا قبل نزول الكتاب فى ضلال مبين ، فالعرب كانوا أميين — قبل الإسلام — بمعنى أنهم غير ذوى كتاب سماوى ثم أصبحوا بعد أمة منظمة ، وأمة وسطا وخير أمة أخرجت للناس .
« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » و « كنتم خير أمة أخرجت للناس »

ومعنى هذا أن الإسلام ليس إلا الرجوع الى الدين الأصلى : الى الحنيفية السمحاء التى جاء بها إبراهيم الخليل : (ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) (ثم أوصينا اليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) .

ولكن ليس معنى الأمية أن كان العرب قبل الإسلام يجهلون القراءة والكتابة كما يشيع بعض المستشرقين ، ذلك أن كلمة الأمى والأميون ليس معناها الذى يجهل القراءة والكتابة ، بل أن معناها أن الأميين غير العبرانيين ، وأن كلمة الأمى التى يوصف بها النبى ليس معناها الذى لا يقرأ وإنما معناها النبى غير اليهودى ، فقد كانوا يقولون النبى منهم وحدهم وإن الرسول لا يبعث الا منهم ، وقد نقل الله النبوة منهم الى العرب بعد أن عجزوا عن حمل الأمانة وخالفوا وغروا وبدلوا ، فالأمية نسبة الى الجماعة العربية فى الجزيرة العربية التى لم تعتق اليهودية أو النصرانية دينها ، فصارت أمة تختلف فى عقيدتها عن أصحاب تلك العقيدة ، هذه الأمة هى أكثرية العرب الكاثرة التى لم تقبل اليهودية أو النصرانية دينها الى أن أظهر الله تبارك وتعالى من بين ظهرانيها رسولا من أنفسهم .

والأمية بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه لم يكن يكتب أو يقرأ إنما كانت الأمية إحدى معجزاته، لتنفى عنه سوء الظن في تعليمه مادعا إليه من الكتب التي قراها أو الحكم التي تلاها (وما كنت تتلو قبلة من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) .

هذه الخلطة من الأدلة القاطعة على أن القرآن من عند الله ، فهم لم يستطيعوا أن ينكروا أميته ، ولكن ادعوا أنه طلب من آخرين أن يكتبوا له أساطير الأولين (وقال الذين كفروا ان هذا الا فاك افتراه واعانه عليه قوم آخرون) فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) .

ويقول الباحثون : ان كلمة أمى في الآيتين الواردتين في القرآن :

— الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (الأعراف)

— فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (الأعراف)

معناها : الرسول الذي لا ينتمي الى بني اسرائيل ، اذ كان اليهود يزعمون أن الرسالة مقصورة عليهم وليس من حق رجل غير اسرائيلي أن يبعثه الله فكذبهم الله في زعمهم هذا بأن ابتعث من العرب رسولا جعله خاتم أنبيائه ورسله ، وجعل رسالته عامة للبشر جميعا وخالدة الى يوم القيامة ، وبذلك ينفي الله زعمهم بأن الرسالة لا تكون الا في بني اسرائيل ، لأن نوحا وهودا وصالحا وابراهيم ولوطا واسماعيل واسحق وكثيرا من الأنبياء لم يكونوا من نسل اسرائيل (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم) الآية (سورة النساء ١٦٣) .

وفي الحديث : انا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، الشهر هكذا وهكذا . . . وجاء في شرح ابن حجر القسطلاني للحديث أن المراد بالأمية النسب الى أمة العرب لأنها لا تكتب أو النسب الى الأم أي أنهم على أصل ولادة أمهم أو لأن المرأة هذه صفتها غالبا ، أو النسب الى أم القرى .

وقال الزمخشري : ان النبي أمى نسبة الى أمة العرب حين كانوا لا يحسنون الخط ويخط غيرهم عن سائر الأمم ثم بقي الاسم وان استفادوا الكتابة فيما بعد ، وقيل نسب الى الأم أي كما ولدته أمه ، ذلك أن العرب كانوا كتابا وقرأ منذ العصر الجاهلي ، في أقاليم شتى فلم يكونوا يجعلون

الكتابة والقراءة ، تلك الجهالة التي رددتها الألسنة والأقلام وما تزال ترددها (أحمد الحوفي) وقال الألوسي أن النبي صلى الله عليه وسلم مامات حتى قرأ وكتب (روح المعاني) وقال الذهبي أنه لا يمنع أن يتعلم النبي كتابة بعض الجمل من كثرة ما أملى وليس هذا بمخرج له من الأمية ، أما كلمة اقرا فتعني قوله : ناد ، ادع ، أعلن الاسلام في الناس باسم ربك ، فالفعل اقرا لا يعنى القراءة المعروفة لدينا ، وقال بعض الباحثين ان صفة أمى وأمين التي جاءت في القرآن تعنى الذين لا يزالون على أصلهم وتكون عربية وعربية فقط ، وأم الشيء أصله فالقرآن عندما وصف هؤلاء العرب كان يعنى أنهم على أصل خلقتهم ، ناس بدون كتاب وبدون دين ، والدين أخرج للفرد من حالة الغريزية بمجموع القوانين المكتوبة والمخطوطة في الديانات السماوية .

وكان خطأ المستشرقين راجعا الى أنهم لم يستطيعوا ابعاد مفاهيمهم الدينية اليهودية والمسيحية لكلمة أمى ، وفهموا اللفظة العربية بذهنية جبرية كهنوتية كما أنهم لم يستطيعوا فهم اللغة العربية على حقيقتها مهما درسوها لأن اللغة احساس وشعور وتربية وكيان يتكون وينمو مع عقل الفكر وقد افتقدوا هذه الميزات فجاء فهمهم لها ناقصا ، وادعوا أنهم يستخدمون المقاييس العلمية للبحث . كذلك فانهم عندما درسوا الحضارة والفكر الاسلاميين كانوا يدرسون بفكر مستبق وذهنية كانت توجه الأحداث وأباحوا لأنفسهم — وعقدة الاستعلاء تغلف ذهنهم — أن يتصرفوا في معاني الغربية وأن يجعلوا لها معاني من لغات أخرى .

(٧)

شبهات حول العلمانية

مصطلح العلمانية مصطلح مكر خبيث أريد به تخفيف وقع كلمة « لا دينية » على الاسماع برده الى الاشتقاق من العلم وتعنى العلمانية (سيكولر) أن النفوذ الدينى يجب أن ينحسر والعلمية تعنى مسألة علاقة بالدينيا وليس بالدين . وقد شاعت وزاعت هذه الكلمة في مرحلة الخصومة الشديدة في أوروبا بين العلم والدين ، واستتبعت ابعاد الدين كعنصر تكوين قومى ، كما عنيت بحياد الدولة تجاه الدين ، كل دين .

والعلمانية في محيط العرب والاسلام دعوة لا ضرورة لها ولا نتيجة فليس في هذا المحيط هيئة تقوم مقام الكنيسة ، وليس علماء الاسلام هم رجال دين وليس في الاسلام حكومة ثيوقراطية قامت او نص على ظل لها .

ولما كان الاسلام ديناً ونظام مجتمع ، وقد امتزج للاسلام بالمجتمع الاسلامى امتزاجاً كاملاً عقدياً وعضوياً لا سبيل الى نزعه فقد شكلت هذه الأمة على هذا النحو ولن يستطيع أحد أن يغير فطرتها .

والاسلام دين ودولة وحضارة فلا يمكن فصله عن الدولة من حيث أنه يعطيها المبادئ الانسانية العلية .

أما المسيحية فاتها كدين عبادى فانها لا تتعارض مع العلمانية .

أما الاسلام فانه يتعارض كلياً وجذرياً مع هذا المفهوم ، ولذلك فان الدعوة الى العلمانية تعنى تعطيل الاسلام عن التطبيق واقصاءه عن التأثير فى حياة المسلم . ولقد حاولت قوى الاستعمار والتفريب تدمير المجتمع الاسلامى باقصائه عن شريعته وفرض القوانين الوضعية عليه وتحويله الى نظام الربا فى الاقتصاد والى مناهج التعلم الوضعية فى مجال التربية ، وذلك كله بهدف خلق أجيال تابعة تبعية كاملة للفكر الغربى ، تمتلك مقاليد الأمور فى مختلف مجالات القيادة الفكرية والسياسية وكانت عملية اسقاط الخلافة وتحويل الدولة العلمانية الى دولة اقليمية علمانية أبعد الأثر فى العالم الاسلامى كله وفى البلاد العربية وايران وغيرها ، وصار للعلمانية بعد ظهور الاقليات والقوميات دعاة فى البلاد الاسلامية يدافعون عنها ويروجون لها ، ولما كان دعاة العلمانية قد احتلوا مراكز قيادية فى مجالات التربية والتعليم والثقافة والصحافة فقد كان لهذا اثره الكبير فى الحيلولة دون العودة الى الأصالة الاسلامية .

(٨)

شبهات حول العقلانية

سرت فى محيط الدعوات التفريبية فكرة القول بأن الاسلام دين العقلانية ، وذلك بهدف طمس مفهومه الاصيل الجامع بين الروحية والعقلانية فى كيان جامع متكامل واعلاء لثنائ المنهج الغربى وللدعاء بأن الاسلام كان ثمرة النحلة المعتزلة التى استمدت بعض مفاهيمها من الفكر الغربى الوافد .

والعقلانية مذهب انشطارى يحاول الزعم بأنه يمكن عن طريقه الوصول الى فهم الأشياء والأمور ، وهو واحد من عدة مذاهب ظهرت فى الغرب منها المذهب التجريبي الذى يعتمد على العمليات المعملية ، والواقع

أن كلا المذهبين جزئى وقاصر ولا يستطيع أن يصل الى الحقيقة التى يقوم جانب كبير منها على مفاهيم الروح والمعنويات والقلب والغيب والوحى ، وهذه كلها يسقطها الفكر الغربى العقلانى ، بل انه بالرغم من الدعوة العريضة الى العقلانية فى الغرب فان العقل الغربى عقل قاصر لأنه لا يستطيع أن يؤمن بالتكامل بين العناصر التى تشكل الإنسان نفسه وانه لا يتحرك الا فى الجزئية التى تحجب عنه باقى الأجزاء .

ويتبين الفرق العميق واضحا بينه وبين المفهوم الإسلامى حين يرفض الإسلام الانشطارية وجزئية النظرة ويؤكد الواقعية والصدق وتكامل الروح والمادة والعقل والنفس والدنيا والآخرة .

فالعقل وحده لا يستطيع أن يستبين النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد الا بهدى من وحى ، ولكن اذا عرف فهم وصدق فالعقل خادم للحقيقة ولا يمكن للعقل بدون توجيه صادق أن يصل الى الحقيقة فاذا وضع بين مقولات ضالة مضلة كالفكر البشرى فانه يعجز أن يصل الى الحق ، ولقد تبين أن عقل الإنسان غير كاف فى الوصول الى فهم علاقته بالله ومهمته فى الحياة ومسئوليته وأمانته والتزامه الأخلاقى ، ولابد من أن يحتاج الى نور وهدى من النبوة والوحى ، هذا النبى يعاضد العقل ويؤكد حكمه ويجعله موثوقا فيما يستقل العقل بمعرفته فيكونان دليلين على مدلول واحد يرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل بمعرفته مثل البعث والنشور كما يكشف عن وجوه الأشياء التى لا يدرك العقل حسناتها وقيمتها ، ومن هذا تجيء ضرورة النبوة ، وقد التقى الوحى والعقل لأول مرة فى القرآن الكريم ومعنى هذا أن العقل لن يكون المصبر الوحيد للمعرفة الصحيحة ولا يمكن أن يصل وحده الى الحقيقة .

(٩)

شبهات حول الأرقام

يحاول بعض الباحثين أن يضع محاولات لاعطاء الأرقام فى الإسلام وضعاً شبيهاً بالاعجاز أو القداسة ، والواقع أنه ليس فى الإسلام تقديس للأرقام ، وما ورد فى القرآن من أعداد كثيرة فانها لا تحمل أى طابع من طوابع القداسة ، كما لم يخص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عهداً معيناً بذاته يحمل أسراراً خاصة كذلك الأمر بالنسبة للحروف هى الأخرى فانها لا تحمل دلالات غير دلالاتها اللفظية والغوية أما وراء ذلك فليس من الإسلام فى شيء • ويقول الأستاذ ادريس عبد الحميد الكلاك :

ان القرآن لم يشر الى سر معين فى عدد معين كما لم تشر السنة الصحيحة الى ذلك ، ولم يرد فى كتب الفقه وغيرها من الكتب العلمية الاسلامية المعتمدة ما يشير الى ذلك .

ان غير المسلمين يتفاعلون ويتشائمون ويقصدون أعدادا وأرقاماً معينة ، وجعلوا فى عقائدهم جزءا خاصا بالأرقام يستجلون بها مغاليق الغيب حيث يتفاعل اليهود بالرقم ٧ ويتشائم النصارى من الرقم ١٣ ، والبابليون والبهائيون يقصدون العدد ١٩ ، أما فى الاسلام فليس هناك سر معين لأى رقم أو ارتباط بين رقم ما وسر من أسرار الشريعة أو الطبيعة إذ لم يرد نص صريح أو غير صريح عن تقديس ذلك من تفاؤل أو تشاؤم أو تنبؤ بالغيب .

أما كيف دخل هذا الى ساحة الفكر الاسلامى فانه من الاسرائيليات التى زاولها اليهود بهدف التخريب الفكرى ، فقد حاولوا عن هذا الطريق ادخال الكثير من آرائهم فى العقيدة الاسلامية وتفسير القرآن الكريم .

والمعروف أن تقديس الأرقام هو أحد مكونات الدين اليهودى فقد ورد تقديس الرقم ٧ فى التوراة ، لذلك فهم يتفاعلون به وليس اليهود وحدهم هم الذين ينفردون بهذا التقديس بل يشاركهم فيه السومريون والبابليون ، وعنهم أخذ المسلمون حساب الجمل .

أما النصارى فانهم يتشائمون من الرقم ١٣ وسبب تشاؤمهم من هذا الرقم يرجع الى كونه رقم يهوذا الاسخريوطى الذى وشى بالمسيح ، وكان ثالث عشر الحواريين الذين حضروا العشاء الربانى الآخر .

ثم دخلت هذه الفكرة عن طريق الفلسفة والفاطميين واليهود اما الفلسفة فلانها مستوردة من اليونان وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن الحساب الذى يسمونه النيم مذكور فى آخر كتاب السياسة المنسوب الى أرسطو يعرف به الغالب من المغلوب وهو قائم على حساب الحروف وأعدادها وأشار ابن خلدون الى هذه الأمور التى تحاول استكناه الغيب عن طريق التنجيم أو الرمل أو الأعداد أو الحروف ثم سخر منها واعتبرها من المغالطات التى تجعل كالصايد لأهل العقول المستضعفة ، وهذا متفق مع مفهوم الاستلهام الأصيل أما ابن سينا فلأنه من دعاة الفكر الفلسفى الباطنى فانه يجاوز مفهوم الاسلام الأصيل فيقرر فى كتابه الرسالة الفيروزية أن الحروف الهجائية كلها تتضمن أغراضا خاصة ، وله تفسير فى معانى الحروف الهجائية التى هى فواتح السور القرآنية ، ثم أعطى كل حرف من حروف أوائل السور القرآنية معنى افترضه من عنده ، وكل هذه

فروض خضع لها الفلاسفة المشاعون الذين تابعوا الفكر اليونانى الوثنى المادى ، ومنها الحديث عما أسموه أسرار الأرقام والحروف .

وقد أشار الباحثون المعاصرون أن هذه الدعوة من الغلو الذى وقع فيه الباطنية ودعاة المهدي المنتظر الذين يرون أن ظهور المهدي يتوقف على حركات النجوم مقلدين فى ذلك اليهود فى قولهم أن موعد ظهور المسيح يتبع القيمة العددية للكلمة هستير استير ، وقد شاع بين الباطنية وغيرهم ارتباط حركات الأرض وأحداث الكون بأحداث النجوم ، ووضعوا كذلك علم اليازرجة وعند الفاطمية ماسموه كتاب الجفر ، ويربطون الجفر بعلوم الكيمياء وحساب الجمل ، وهو معادلة حروف أبجدية بأعداد حسابية ، وكل هذا وهم باطل .

ونجد قدسية العدد ٧ لدى طائفة النصيرية أيضا ، أما الاسرائيليات فهى القصص التى نسبها أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فى الفكر الإسلامى فقد امتلأت بها كتب التفسير والسنة والرقائق (المواعظ) .

ومن ذلك محاولتهم القول بأن دين الاسلام سينتهى بعد عدد من السنين ، وهدفهم أنه اذا سرت هذه النزعة فى مشاعر المسلمين فستموت فى نفوسهم روح المقاومة ويعتقدون أن هذا قدر الله الذى لايرد ويستسلمون للأمر الواقع .

وهذا كله جزء من الحرب النفسية التى كان يشنها أهل الكتاب ضد المسلمين كما فيه دلالة على أن حساب الأرقام والحروف يهودى الأصل .

وهناك حديث موضوع عن حبيب بن اخطب اليهودى مع النبى وقد رفضه ابن كثير والحافظ بن حجر الذى قال أنه باطل لايعتمد عليه .

وكل هذا داخل فى احاديث السحر التى عرف بها اليهود .

وقد دافع الحافظ بن حجر شبهة الزعم بأن الحروف المتقطعة فى فوائج المسور دالة على معرفة العدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، وهو قول باطل وإن من قال هذا أولى ما ليس له وطار فى غير مطاره .

ومن هذا يظهر أن موضوع الأرقام والحروف وأسرارها وما فيها من أخبار بالغيب أو الاختصاص بقدسية خاصة لا أصل له فى الاسلام وإنما هو دخيل على العقيدة الاسلامية .

هذا ويستثنى من ذلك مايتصل بخصائص الأدب والشعر فقد جعلوا للحروف الأبجدية أرقاما تعرض التاريخ ، (أبجد هوز) واصطلحوا على عدد معين وهو ٢٨ حرفا ، كما اصطالحوا على اعطاء كل رقم من الحروف الأبجدية رقما خاصا بحيث يصل عدد هذه الحروف الى ٢٨ الى الألف فإذا اراد الشاعر أن يؤرخ حادثة من الحوادث أورد بيتا أو شطر بيت يكون مجموع حروفه بالأرقام هو التاريخ بالسنين ليسهل حفظه .

(١٠)

شبهات حول الثورة

يتردد فى الكتابات التغريبية القول بأن الاسلام ثورة ، والحقيقة أن الاسلام ليس ثورة ولكنه دعوة ، وقد حاول بعض التغريبيين أن يصف الاسلام بما وضفت به المذاهب الواقعة ، فقالوا الاسلام ديمقراطية واشتراكية وثورة ، وكل هذا ادعاء باطل فالاسلام منهج ربانى يختلف اختلافا كبيرا عن النظريات البشرية ، والايولوجيات التى اقامها الفلاسفة والمصلحون ، ذلك لأنه من عند الله تبارك وتعالى وقد جاء منهاجا شاملا جامعا خالدا على الدهور ، لايحتاج بطبيعته الى تعبير أو تعديل أو اضافة أو حذف لأنه من صنع الله العلى القدير الذى وضعه فى منهج محكم قادر على مطاولة العصور والبيئات والالتقاء بها واستيعاب مشكلاتها وأحداثها مهما بلغت .

لقد جاء مصطلح (الثورة) مصاحبا لكل حركة ضد الاستعمار أو النفوذ الأجنبى ثم توسع أصحابه فى استعماله بعد ذلك ليعبر عن كل تغيير داخلى يتم فجأة سواء كان مصحوبا بالعنف أو غير مصحوب . ثم وصف كل دعوة الى تطبيق الاسلام بأنها ثورة اسلامية بمعنى أن المسلمين قاموا بالتعبير على طريق الأصالة فى الخروج من مأزق العلمانية والتغريب والعودة الى منابع الاسلام وتطبيق نظامه على حياتهم الاجتماعية .

والكلمة فى استعمالها ودلالاتها هذه تحمل معنى التقليد والتبعية وهى تتفق كثيرا مع معطيات الاسلام الحضارية ومضمونه ، ذلك لأن الثورة تعنى حالة مرحلية فى مجتمع متخلف لاجراجه من وضعه الى وضع آخر وهى بعد أن تؤدى هذا الدور تنتهى مهمتها ، وليس كذلك الاسلام الذى هو منهج اجتماعى شامل خالد متصل بحياة الإنسان فى كل قروعه وأيامها وحياة المجتمع فى كل مراحلها وأدواره . ولذلك فإنه من الظلم أن يعبر عن الاسلام بأنه ثورة لأن لما تحمله هذه الكلمة من دلالات التحول

عن المبادئ والمعتقدات والتضحية بالعلم والأخلاق بدعوى أن منطق الثورة يقتضى ذلك ، بينما نجد حكم الاسلام واضحا محددا وصريحا حتى فى ميدان القتال والحرب فلا تمثيل ولا تقتيل وان فعل الأعداء ذلك .

فالإسلام يعطى المسلم حق الدفاع عن نفسه وعرضه وحاله وقبل كل ذلك عن دينه ، ولكنه لا يريد أن يذهب المسلم بعيدا عن ذلك كذلك فإنه من الخطأ القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان ثائرا بل الحقيقة أنه كان رسولا وداعيا الى الله يتجلى هذا بوضوح فى موقف لم يعرفه التاريخ الا له وهو حين وقف بين يديه زعماء الشرك بعد فتح مكة ، وبعد ذلك الدور الخطير الذى قاموا به فى مهاجمة الاسلام وأهله فقال لهم قولته المشهورة :

« اذهبوا فانتم الطلقاء » .

ومعنى هذا بين الفارق العميق والبعيد بين مفهوم الثورة البشرية والدعوة الربانية التى لا يمكن أن توصف بأنها ثورة ، والتى ترتفع ارتفاعا كثيرا عن هذه المسميات ، لأنها فى انتصارها للحق وانتصافها من الباطل كانت تحل صورة أرقى وأكرم وأسمى وأبعد أثرا فى الحاضر والمستقبل من كل الثورات ، ولقد كشفت صفحات التاريخ أن كثيرا من الثورات الحديثة بل وأبرزها كانت بأيدى رجال الصهيونية كالثورة الفرنسية والثورة التركية والثورة الروسية ، وان هذه الثورات عرفت بالعنف والتقتيل وحب الدماء والانتقام واستهدفت تحقيق غايات ومطامع لليهودية العالمية ولتمكين اليهودى من السيطرة على المجتمع الأوروبى كما فى الثورة الفرنسية أو القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية فى الثورة الروسية ، أو الخلافة فى الاسلام كما فى الثورة التركية ، وكان ذلك كله لحساب الصهيونية العالمية وتمكينها من الوصول الى فلسطين والسيطرة على بيت المقدس .

ولقد كانت الثورات المختلفة بمثابة عمليات جزيئية اما للقضاء على نفوذ اجنبى أو تغيير حكومة داخلية ، أو تغيير نظام سياسى من ملكى الى جمهورى ولكن أى ثورة لم تتمكن من أن تحمل لواء دعوة اجتماعية عامة بحيث يمكن أن تعقد المقارنة بينها وبين الدعوة الإسلامية ، كذلك فإنه من العبث القول بأن ظهور الدعوة الإسلامية كان مرتبطا بفساد وتدهور فى الدولتين الرومانية والفارسية ، أو محاولة لتحقيق هدف اجتماعى أو اقتصادى كما تحاول ذلك التفسيرات المادية للتاريخ ، وانما التفسير الصحيح هو أن البشرية استأهلت أن يرسل الله لها الرسالة الخاتمة بعد أن استعدت لها وأصبحت مؤهلة للنضج والرشد الفكرى ، وبعد أن زالت

عنها طقولة البشرية وقد جاءت هذه الرسالة للقضاء على الوثنية والعبودية والمادية وإقرار مفهوم التوحيد الخالص في أمة تحمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١١)

شبهات حول طوابع البخت

تجرى الصحف في العصر الحاضر على وضع ماتسميه حظك أو بختك هذا اليوم ، وهي كتابات غامضة رديئة لاتقوم على أى أساس علمي صحيح فضلا عن أنها لا تطابق الوجهة الإسلامية الصحيحة التي ترفض التطلع الى مثل هذا النوع من الطوابع ، ويرفض الإسلام أساسا الاعتقاد في تأثير الأفلاك على حياة الناس وسلوكهم وطبائعهم وتصرفاتهم ، وقد كان المصريون في عصر الوثنية والجاهلية المادية أبرع الأمم في هذا الباطل ، وقد راج عند العرب حتى جاء الإسلام فأنكره ، وأثبت أنه لاعلاقة بين الأفلاك وبين أعمال الناس ، وأنه لا تأثير للكواكب على الكرة الأرضية أو الخليقة البشرية .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قصد عرافا فصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوما ، وقد كانت هذه عادات وثنية ارتبطت بالجاهلية لا أساس لها ، تقوم على تفاؤل وتشاؤم أو تنبؤ بالغيب لا أساس له .

ولا ريب أن القول بارتباط حركات الأرض وأحداث الكون وحركات النجوم هو من أقوال اليهود والنصارى ومما شاع بين أهل الوثنيات والمجوس والباطنية في العصر الحديث .

(١٢)

شبهات حول القرآن الكريم

لقد توالت الشبهات التي طرحها أعداء الإسلام ولم تتوقف وتركت هذه الشبهات تركيزا شديدا حول القرآن الكريم . من تلك الدعاوى شبهة ترتيب القرآن حسب نزوله وقد جهلوا أن ذلك لو كان أمرا ملوبا لماغات النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن آي القرآن وإن كانت قد نزلت منجمة آيات وآيات وسورا بسورا بحسب الوقائع والحوادث وعلى مقتضى الحكمة التي أرادها الله تبارك وتعالى وهو الشارع لدينه ، قد نزلت بمكة والمدينة واستمر نزولها مدى ثلاث وعشرين سنة إلا أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه حين تنزل الآية ويقرأها عليهم ويحفظونها عن ظهر قلب أن يضعوها فى مكانها بعد آية كذا من سورة كذا ..

ولذلك فقد خابت مفترياتهم فى هذه الوجهة ولم تجد من يستمع اليها

وقد حاول القس البروتستانتي المبشر فلش الدنركى فى كتابه (أصدق الأناويل على صحة التوراة والانجيل) أن يزعم أنه كان لعلى ابن أبى طالب مصحف جمعه على حسب النزول وعلى غير ترتيب مصحف عثمان سماه مصحف فاطمة .

وقد رد عليه الشيخ سمعدى ياسين فى كتاب تحت عنوان مختصر البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان فقال : ان القرآن نزل منجما للتيسير على الرسول والتدرج فى تربية الصحابة ، ومنها أن الله تبارك وتعالى يتعهد رسوله عند اشتداد الخصام . وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم يتحمل آيات القرآن من الملك حفظا ثم ييلفها الناس ويكتبها كتابة الذين كان عددهم يتراوح بين ٢٦ و ٤٢ كتابا وبعد موقعة اليمامة أمر أبو بكر زيد بن ثابت فى جمع القرآن فقام بمهمته خير قيام ، وبقيت الصحف عند أبى بكر ثم عمر ثم حفصه حتى جاء عثمان رضى الله عنهم فأمر عددا من الصحابة بنسخ الصحف فى المصاحف ثم أرسل الى كل مصر بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . وبعد انتهائه من جمع القرآن الكريم تم توحيد عثمان للقرآن ورد المؤلف فرية نلسن وجولد زيهى فى ادعائهما أن القرآن من كلام محمد فى اثنى عشر دليلا منهما الفرق الواسع فى الاعجاز ما بين القرآن والسنة واخبار القرآن عن أمور غيبية وقعت كما أخبر .

ثم قال : فلتعمل الصهيونية العالمية والصليبية العالمية ما شاعنا أن تعملان فان القرآن سيبقى الشمس المشرقة والآية الخارقة يدعو الى الحق والعدل والخير والرحمة والوحدة العالمية ، وسيأتى اليوم الذى تبصر فيه أوروبا الرشد فتمد يدها برفق الى هذا الكتاب فتقلده ملتزمة بما فيه من الحكمة والفطرة السمحة كما قال برنارد شو انه لا يمضى مائة عام حتى تكون أوروبا ولا سيما انجلترا قد أيقنت ملازمة الاسلام للحضارة الصحيحة والله تعالى قال :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق اولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) .

(١٣)

شبهات حول وحدة الأديان

ان القول بأن الأديان الثلاثة هي بمثابة دين الله الواحد أو انها جميعها من عند الله قول يحتاج الى تدقيق فالحقيقة ان دين الله في اصله واحد ولكنه بعد ان جاءت رسالة موسى بالتوراة ورسالة عيسى بالانجيل حدث تغيير وتبديل حال دون الالتقاء بالرسالة الخاتمة ، ففي كل من الكتابين اشارة الى الرسالة الخاتمة ، والى النبي الخاتم اما في التوراة الموضوعة بأيدي الاحبار والاناجيل الموضوعة بأيدي كتابها فان هذه الاشارة لم تعد موجودة ولذلك فان القول بأن دين الله واحد يستتبع الترتيب الذي جاءت به رسالة موسى مسلمة الى رسالة عيسى ، وكلاهما لليهود ومن حيث انهما يسلمان الى الرسالة العالمية التي جاءت للبشر جميعا ومن حيث القول بأن دين الله واحد فقد جاء الانجيل — كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز بتعديل احكام التوراة اذ اعلن عيسى انه جاء ليحل لبني اسرائيل بعض الذي حرم عليهم ، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض احكام الانجيل والتوراة، اذ اعلن ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . ولم يكن ذلك كله من المتأخر نقضا للمتقدم ولا انكارا لحكم من احكامه في ابائنا ، وانما كان وقوفا عند وقتها المناسب واجلها المقدر . مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء احدهم الى الطفل في الطور الأول من حياته فقرر اقتصار طعامه على اللبن وجاء الثاني فقرر له طعاما ولبنا ، طعاما تشوبا خفيفا ، وجاء الطبيب الثالث في المرحلة التي بعدها فآذن له بغذاء قوي . كل واحد منهم كان موفقا كل التوفيق في علاج الحال التي عرضت عليه مع الاعتراف بقواعد عامة في النظافة والتدفئة والتهوية لا تختلف باختلاف العمر .

وعلاقة الاسلام بالاديانات السماوية في صورتها الاولى علاقة تصديق وتأييد كلي ، وان علاقته بها في صورتها المتطورة علاقة تصديق لما بقي من اجزائها الاصلية وتصحيح لما طرا عليها من البدع والاضافات .

ومن الخطأ القول بأن البشرية قد انتقلت من اله الى اله حتى اهتدت الي التوحيد بعد فرق يتجاوز آلاف السنين ، وقد نسي هؤلاء ان آدم عليه السلام هو والد البشرية الاولى كان موحدا ، ثم مضت الأعوام فانتكست الطوائع لدي من خلفه فآلهوا المخلوقات من اصنام وحيوان وانسان ، وجاء الانبياء ليردوا البشرية الى دين الفطرة : التوحيد .

قلد جاء كل رسول بعد جاهلية فائسدة ليرج الناس من الظلمات الى النور فجوهر الدعوة الربانية على السنة الرسل متفق غير مختلف، متوحد الهدف ، وان ما جاء به نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد يصدر عن مشكاة واحدة ، « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » .

ذلك ان التقدم الاجتماعى يقتضى تغييرا فى بعض الأحكام الفرعية للعبادات والمعاملات ، أما أصول العقيدة فى دين الله من لدن آدم الى محمد فثابتة على سنن الفطرة ، قائمة على منطق العقل لا تتغير ولا تتبدل . وكان القرآن آخر تشريع الهى ينهض بحاجات البشرية جميعا ، اذ ورث الاسلام خيرات الأجيال ومواهب الأمم .

وما يزال القرآن مهيمنا على كل من سبقه من كتب تطرق اليها التحريف وان الكمال النهائى فى التشريع قد تم فى القرآن .

أما الوحدانية فقد قطعت بها كتب السماء دون لبس وجاء الأنبياء كلهم برسالة الاسلام ، ولذلك فان من الخطأ عقد مقارنات بين الاسلام واليهودية والمسيحية ، ولقد جاء الانجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ، ولكل كتب الله التى سبقته .

(١٤)

شبهات حول تأويل المعجزات

ترددت فى كتابات المحدثين هفوات أرادوا بها مضاهاة المذاهب المادية وارضاء أهلها وذلك بتأويل المعجزات ، وقد سار فى هذا الطريق محمد عبده وفريد وجدى والدكتور محمد حسين هيكل وقد أراد الشيخ محمد عبده أن يثبت أن للعقل مكانة كبيرة فى الاسلام وأن الخوارق والمعجزات باستثناء القرآن لا أصل لها فى الاسلام جريا وراء الموجة الطاغية فى عصره فى الدعوة الى العقلانية .

يقول الأستاذ محمد النايى : لقد حاولوا بناء الخوارق والمعجزات على الأدلة المسمعية لا على الأدلة العقلية التى يدرکہا الانسان ، والذين ينكرون المعجزات ينكرونها على ظن أنها غير ممكنة ، وهم يقيسون الامكان والاستحالة بمقياس الانسان وينسون قدرة الله تبارك وتعالى التى ليس يبعد عنها أن تهدم السموات والارض وتنشئها من جديد .

ان الايمان بالخوارق وكلفة الأمور الغيبية لا يتعارض مع الحقائق العلمية .

وهم من أجل ذلك قد أولوا المعجزات وانكروها ليجعلوا حياة الأنبياء عادية لا تختلف عن حياة الحكماء والعظماء والمصلحين ، وهم من أجل ذلك يعملون على :

— اعلاء قيمة العقل وتقديمه على ظاهر الشرع عند التعارض .

— تأويل المعجزات وتوصل أحدهم الى انكارها مع الاعتقاد بمعجزة القرآن وحدها .

— تأويل المعجزات قادهم الى العبث فى تفسير آيات القرآن والتشكيك فى الأحاديث .

وقد جرى الشيخ محمد عبده على القول بأن الاسلام فى الدعوة بالايمان بالله لا يعتمد على شئ سوى الدليل العقلى فلا يدهشك بخارق العادة .

وقد قصد الشيخ عبده بهذا وبما فسره من القرآن تأويل كل معجزة للأنبياء يمر عليها مع مافى هذا التأويل من تمحل ومخالفات أصولية ومجانبة للحقائق العلمية .

وقد استغل هذا المنهج الذى جرى عليه الشيخ محمد عبده فى القصص أمين الخولى ومحمد خلف الله أحمد فى كتابه (القصص الفنى فى القرآن) .

كذلك فان الشيخ الخضرى لم يتجاوز خطوة شيخه محمد عبده وقد أورد فى كتابه نور اليقين معجزات الرسول كشق الصدر وثمرة بحيرا الراهب والاسراء والمعراج كما ورد فى صحيح البخارى ومسلم وتجاوز معجزات الغار وثابة أم مبيد ومعجزات غزوات الرسول .

فلما بدا محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية وقد أصبح أستاذا للتاريخ فى الجامعة المصرية وتوثقت صلته بالمدرسة الإصلاحية ، فقد تجاوز فى محاضراته عن أكثر المعجزات فلم يتحدث عن حادث الفيل ومعجزة هجرة الرسول وكيف خرج من بيته وماذا حدث فى الغار ، ولم يتعرض للشيطان العتية ولا للشيطان الذى حضر دار الندوة ولم يذكر ثابة أم مبيد ومضى على استبعاد المعجزات فى جميع غزوات الرسول وشكك كثيرا فى قصة

بحيرا الراهب وقال : نقبنا عن اسم الراهب فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى والمسيحيين فلم نجده ، مع أنه وارد فى حديث صحيح .

وعند حديثه عن الاسراء والمعراج تمسك بالرواية المنسوبة الى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما ورجح أن الاسراء والمعراج كتبا بالروح دون الجسد لأن رؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

وفى (حياة محمد) جرى الدكتور هيكل فى المعجزات على هذا المجرى فنقد رجح آراء محمد عبده فى الخوارق التى أوردها فى كتاب الاسلام والنصرانية وقدم الشيخ المراعى الكتاب ودافع عن طريقة هيكل وأيده فى انكار كل معجزة سوى القرآن قال (ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة الا فى القرآن وهى معجزة عقلية) وأيده رشيد رضا فى المنار (٣ مايو ١٩٣٥) .

فقال انه حرر مسألة المعجزات ومطاوبها فى الوجى الحمدي بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته ، ولا يمكن فى عصرنا اثبات آية الا بها وان الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة .

واراد (هيكل) أن يجعل من حياة محمد : حياة عادية كحياة أى بطل أو زعيم مجردة من أية خارقة قال :

« فحياة محمد حياة انسانية بلغت أسمى ما يستطیع انسان أن يبلغ ، ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) حريصا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه ، حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصالح أصحابه بذلك » .

ويقول : ولقد أضافت كتب السيرة الى حياة النبی مالا يصدقه العقل ولا حاجة اليه فى ثبوت الرسالة .

وعن حادث الفيل يردد ما قاله محمد عبده من وباء الجدرى ، وفى حادث سق الصدر لا يناقش الخبر من حيث صحته أو عدم صحته ، مع أنه ثبت بأحاديث صحيحة منها ما يرويه مسلم ، يناقشه بعقل وليم موير ودرمنج ويؤيدهما فى انكار الحادث ورفضه .

وقد حاول أن يصور حادث سراقه بأنه إجهاد حدث لجواده وفي الأسراء والمعراج شارك درمنجم في موقفه ، وعن شيطان العقبة يأبى هيكلا أن يسميه رجلا خرج لبعض شأنه .

وكذلك جاء كتاب (حياة محمد) خاويا من المعجزات ينكر بعضها ويؤول بعضها ويتغافل عن ذكر الباقي .

لقد خطا هيكلا خطوة في طريق محمد عبده ، وأتم محمد فريد وجدى طريق محمد عبده عندما زعم أن شق الصدر وتظليل الغمامة وانشقاق القمر لا يمكن اثباته بدليل محسوس (مجلة الأزهر د ٣ المجلد ١١) .

وقد رد الشيخ مصطفى صبري في كتابه (القول الفصل) على مقال فريد وجدى .

هذا وقد شن الدكتور هيكلا هجوما على أحاديث الرسول في كتابه (حياة محمد) فزعم أنها كتبت بعد وفاة النبي بقرنين من الزمان حين تفتشت الأسرائيليات ولهذا الغرض ألف طه حسين كتاب الشيخان .

ويرى في قصة الفرانيق مجالا يسدد فيه تذيئة فيصيب أكثر من هدف كالطمع في صحيح البخاري والانتصار لمذهبه الجديد وزعزعة ثقة المسلمين بالحديث النبوي أجمالا .

(١٥)

شبهات حول السلفية

حاولت كتابات المستشرقين والغربيين والماركسيين اضافة صورة قائمة على مفهوم السلفية ، إذ نسبت اليه كل تأخر وجهود وتخلف ووصفته بأنه القديم البالي ، والواقع أن مصطلح السلفية إنما يعني غير هذا ، انه يعني التماس المناسيع والعودة الى الأصول ، وهو كما يقول الدكتور مصطفى حلمي : علم على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، وكل من تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينه والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن ، كما شمل شيوخ الاسلام المحافظين على طريقة الأوائل مع تباين العصور أمثال ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب ، وكذلك أغلب أصحاب السلفية

المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا .

وقد كانت هذه الحركة ذات اثر واضح في تنقية مفاهيم الاسلام ودفعه الى الامام لمواجهة الحضارة والتطور والكشف عن جوهر الثقافة العربية الاسلامية الاصلية القادرة على الحياة في كل جيل وفي كل بيئة .

اما من حيث المضمون فان السلفية في الاسلام هي التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه في ذروته الشامخة وقيمه الحضارية ، كما توجهنا الى النموذج المحقق في القرون الاولى الفضية ، وقد استمدت حضارة المسلمين اصولها ومقوماتها ممثلة في العقيدة خضوعا للتوحيد وبيانها لدور الانسان في هذه الحياة . وتنفيذ القواعد الشرعية الالهية بجوانبها المتعددة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والاسرة والاخلاق .

فالسفة كمصطلح تعنى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فان امتنا تنفرد بزمية لا تشاركها فيها امة اخرى في الماضي او الحاضر او المستقبل : تلك هي تحقيق القدوة في شخصه صلوات الله عليه اذ حفظت سيرته كاملة محققة بكافة تفاصيلها . وهكذا فان السيرة النبوية حية في كياننا ونحن نعيشها كل يوم . وتطبيق الشريعة الاسلامية متمم على طول الزمن لا يتعلق بعصر دون آخر ، بل ان كل جيل من اجيال المسلمين مطالب بتنفيذ اصولها النقية مع الاجتهاد فيها لم يرد فيه نص عند مواجهة احوال الحياة المتغيرة كما هو معروف في اصول الفقه .

وقد اصبح اسم السلفية علما في العصر الحديث على اهل التوحيد منذ حركة محمد بن عبد الوهاب وعندما اشتدت المقاومة ضد الاستثمار الغربي بهدف المحافظة على اصالة الامة الاسلامية في عقيدتها وشريعتها واخلاقتها حتى لا تنجم او تهتز تحت ضربات الغزو الاجنبى .

وقد ظهر السلفيون ابان الهجوم المكثف عندما نقل الفكر الغربى اليونانى واللاتيني حيث اخذوا في دراسته وتحليله ومناقشته ورد تحليله ثم قيس ذلك بقياس العلم الاسلامى فما وافقه قبله البعض وما خالفه رفض ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصيه الامة واصالتها .

ولما جاء المستشرقون اخذوا يقلبون صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسيء الى الاسلام فاعلوا شان الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة وعملوا على احياء وتحبيذ ومدح نحل ومذاهب مختلفة اما باسمائها المعروفة كالاسماعيلية او الباطنية او

تحت أسماء جديدة كالبهائية والقاديانية . وبعث الالحاد من جديد تحت ستار العلمانية والماركسية والدارونية مع نشر فكرة وحدة الأديان أو التقريب بينها وإزالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة والباطل بطورته المتعددة المتضاربة .

ولقد كانت طريقة السلف هي المحك الذي يكشف ريف هذه العقائد والخطأ بهما تغيرت الأزمنة والأصوار ، لأنها طريقة موضوعية ذات أسس علمية منهجية تعتمد على النصوص الشرعية الموثقة .

وقد كشفت هذه الطريقة حقائق كثيرة من أن هناك مسائل ثابتة لا تتغير كقطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة ، والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع فحص شبهات الملحدين والمشركين ، هذا فضلا عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعد التحليل والتحرير في المأكل والمشرب والملبس وتنظيم العلاقات الاجتماعية في الأسرة والمجتمع وإقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقا لأصول الشرع .

ولا ريب أن الحركة السلفية هي الحركة الكبرى التي جددت الدعوة الإسلامية ولولاها لاهان على البهرمة أن يستعبد الشرق روحيا وفكريا إلى أمد بعيد .

وقد جاول الاستشراق المسلم مفهوم السلفية الأصل . وكان أنزولد توينبي هو أحد الذين صوّروه بانهم أنتم من محاكاة الشخصيات الجديدة الممارسة إلى محاكاة أسلاف القبيلة حيث قال :

تمت الحركة السلفية سقوطا مع الحركة الفيتيمكية الخضارة إلى الحالة الاستثنائية التي يشاهد عليها الإنسان البدائي في الوقت الحاضر ، بهدف تثبيت مجتمع منهار ومحاولة تيدل عن حدود توقف اضطرارى ولما تظهر في شكل منظم متكفلة ، وآراء تتشعب بالمصطلحات الفارغة وتعبّر عن نفسها بمنهج يتسم بالسفسطة . وعيب توينبي هو المستشرقون أنهم ينظرون إلى الحركة السلفية الإسلامية في ضوء الحركة الإنجليزية الكاثوليكية والإصلاح الديني خلال القرن السادس عشر ، والتي كانت ترمى إلى استعادة استخدام طقوس كنيسة شائعة خلال القرون الوسطى ، ثم هجرت والغيت منذ أربعين سنة والواقع أنه في العالم الإسلامي قامت حركة حقيقية بين المحافظين على دينهم ولغتهم وتقاليدهم ، وبين الذين

عادوا من أوربا وقد مفتهم بريقها فاستخفوا بكل تراثهم وراحوا ينفرون الناس منه ثم فشت العصبية تحت دعوى التجديد لكل أصيل في الدين واللغة والأدب ونظم المجتمع والاقتصاد والسياسة بدعوى نبذ القديم البالي والأخذ بالجديد والجالى وظهرت دعوات تطور الدين وهى كلمات منقولة من الفكر الغربى والتفسيرات والتأويل . وأصبح الاسلام هذفا لحملات تحمل اسم القديم والماضى والتراث والرجعية للنيل من مقوماته الراسخة المحددة للحلال والحرام والخير والشر والرزائل والفضائل بدعوات ضالة منها :

النسبية والتطور : نسبة الأخلاق والتطور وعدم الثبات والثورية والتجديد والتقدمية والعصرانية .

وجرى تجديد المذاهب الكلامية والفرق الصوفية والمدارس الفلسفية وبقيت الطائفة الظاهرة على الحق التى ظلت تعصى بالتواجر على الكتاب والسنة بالطريقة التى كان عليها رسول الله وأصحابه .

وقد وقف علماء السلف جبلا بعوجيل بصلابة أمام محاولات التجزئة والفتور والتأويلات الكلامية والتزيقات الفلسفية والتفسيرات الزمنية الباطنية فلم يهنوا ولم تقعد لهم همة .

ووقف علماء السنة والسلف بالمرصاد مبينين الانحرافات عن الأصول الاسلامية وظل الاسلام محفوظا في الأصلين الهامين : الكتاب والسنة وان تلقينه وتطبيقه بمنهج السلف هو الذى حفظه حتى الآن ، وقد حارب علماء السنة والسلف نزعة التي سباهمت في ركود الهمم . واضعاف الإرادة الانسانية وتبعية سلبيتها على جانبها الإيجابى البسيط وعملوا على المحافظة على الإسلام في مصلحه وعقيدته وعباداته ومعاملاته ولنظمته وفقا لطريقة المذهب الحسن البصرى ، سعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير و إلى أمثال ابن حنبل وابن هبيرة والدارمى والشافعى ومالك وابن جزيمة والشافعى وابن تيمية وابن القيم والشوكانى وابن الوزير اليماني وغيرهم ومحمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث للإطاحة بمظاهر الشرك والوثنية المظلمة عقيدة التوحيد من جديد .

ويقول أرنولد توينبى : أن الحضارة الإسلامية لم تمت عضويا كما ماتت الحضارة الإغريقية ويرجع الفضل في بقائها إلى نقاء العقيدة ، وظل دور السلفيين باقيا في احياء عقيدة التوحيد ، وفهم الأوائل للإسلام لأن الاسلام كما يقول توينبى قد أعد تأكيد وحدانية الله في مقابل

الخطف البلى على تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية واستمرت التنقية في المحافظة على التوحيد في جوهره البقى ، فمنعت تردى العقيدة الدينية التي صوّرة من صُور الوثنية . وكان الذين وجهوا الضربات القاصمة أناساً ينسبون الى طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية والإسماعيلية كابن سينا وأمثاله وأصحاب رسائل أخوان الصفا والعبقريين (الدولة الفاطمية) الذين كانوا يتظاهرون بالتشيع وهم في الباطن ملاحدة .

وهكذا تمثل السلفية تلك الجهود المبذولة والمحافظة على طريقة الأئمة لا التقليد ومقوماتها الراسخة النظامية بين إخلاص التوحيد لله تعالى وحده والإيمان بالوحي طريقاً لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الإنسان في شئونه حياته لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وإطر الشرك ليتفرغ فيما يعود على الإنسان بالنفع في ميادين العلوم .

ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية .

(١٦)

تبعات حول كتابات الأطفال

ومن أخطر التحديات التي تواجه الفكر الاسلامي في العصر الحديث كتابات الأطفال الواقدة وخاصة حكايات السوبرمان وجيمس بوند وزعيم العصاة وما تقدمه هذه الخرافات من مفهوم تدخل الى أخيلة المتفكر بتقصيد اعلاء شأن البطولات الوهمية والأخيلية فصياعة مقامات طرزان الرجل الأوربي القوي الذي يعيش في مجاهل وغابات أفريقياس ويكتشفها ويساعد ضعيفها ويشفي مريضها . أنها تهدف الى تقديم لون من البطولة الأجنبية الخادعة لابنائنا ، وقد أصبح طرزان بطل آلاف القصص والأفلام التي تخدم الاستعمار ، ونفص للشئء ماتورده القصص عن غزو الرجل الأبيض لأمريكا ، وقتل سكانها الأصليين من الهنود الحمر وإتضاع ذلك اللون من القصص الذي يحمل القسوة والتدمير ، وكذلك جيمس بوند يخلق عالماً رائفاً يبعد الناس عن واقعهم الفعلي ويؤثف حقيقة ما حولهم مثل السوبر مان الذي يضع على الورق أحلامهم .

ولقد عمد صنع فكرة سورمان الى خلق شخصية تتمتع بقوى عقلية جبارة يستطيع بها تحريك واحد من الكواكب الكونية فضلا عن أن جسده مما لا يخترقه الرصاص وبصره يفترق كل شيء وهو يخترق حواجز الزمان الى الماضي وإلى المستقبل .

وهو رجل لا يتحلى بأي مثاليات بل هو رجل مطالب لأن الفسادية عنده تبرر الوسيلة ، وهو يعتز بفرور القوة وغرور الثراء وهو يهين والديه ويلقنهما درسا قاسيا .

ولا ريب أن هذه الصور القاسية العنيفة التي لا تمثل مجتمعنا هي من أشد ما يكون خطورة على أبنائنا وفي انتشارها أفساد لأذواقهم وعقلياتهم .

(١٧)

شبهات حول الفكر الفلسفي

طرحت المذاهب الفلسفية الغربية في أفق الفكر الاسلامي مفاهيم وافدة وسموما كثيرة استهدفت بعث الفلسفات القديمة التي قضى عليها الاسلام ، فلما جاء النفوذ الاجنبي عمد الى ابتعاثها من جديد لخلق جو من القلق والشك والريبة والفساد الخلقي والاجتماعي ، ولقد جاء الاسلام كاشفا عن جوهر المفهوم الانساني الاصيل الجامع ، سواء بالنسبة لنهج الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الانسان والله تبارك وتعالى أو بين الانسان والانسان أو بالنسبة للمتافيزيقيا وعالم الغيب ، وبذلك أغنى المفهوم الاسلامي المسلم عن فروع الفلسفة وتقولاتها ، ومن هنا فان الفلسفة لا تمثل أي عنصر ايجابي في الفكر الاسلامي ، والمعبرون عن الفكر الاسلامي في تكامله الجامع هم الفقهاء وأهل الحديث فهم وحدهم الذين ارتبطوا بالنفس ارتباطا ونظروا الى المجتمع من خلال نظرة نقية حفظت له محتواه عقائديا وتشريعا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا .

وقد وقف الاسلام موقفا واضحا من التفرقة بين العلوم والفلسفات ، وبنى لها مهنجا التجريبي ، وقبل العلوم القديمة لعدم مناقضتها للتوحيد ، ورفض الفلسفة لمناقضتها للتوحيد وهدم نفسها . وقد بلغ عدد المشتغلين بالعلوم عددا كبيرا يفوق عدد المشتغلين بالفلسفات مما يؤكد انتشار العلوم

وقاوم العلماء وفقيها الفلاسفة واضطرابها وماديتها وانحرافها ودوره وحطموا وجهتها ، وقد تكشف أن الذين اشتغلوا بها لم يعدوا من العلماء وإنما وصفوا بأنهم حلقة جديدة من المشائين اليونان ، وهكذا كانت الفلسفة دخيلة على الفكر الإسلامى لأنها قامت على استيراد الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية المجوسية ، والتي كانت كلها من هشيم الفكر البشرى والتي كانت مناقضة لمفهوم التوحيد .

ولقد أكد العلماء أن الكلام والاعتزال والفلسفة والتصوف الفلسفى تفسيرات بشرية غير منزهة عن الخطأ وقابلة للتجاوز .

وقد كان علم الكلام عملية دفاع وحجاج للملل الأخرى اعتمد على المنطق اليونانى خلال مرحلة من المراحل وانتهى دوره . وقد اختلطت الفلسفة بالكلام الى الحد الذى ابتلع معه هذا العلم الفلسفة ابتلاعا واحتواها فى كتبه حتى أصبحت كتب التوحيد تبدأ بمقدمة فى منطق أرسطو فضلا عن بسط الآراء الطبيعية والرياضية فى الزمان والمكان والحركة وغير ذلك .

واختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفئتين عن الآخر .

لقد كان الهدف المبيت من وراء حركة الترجمة فى تقدير اعداء الإسلام هو طرح الفكر المغنوصى الشرقى والفكر اليونانى الوثنى فى دائرة الإسلام للقتاء على مفهوم التوحيد الخالص على النحو الذى فعلته الفلسفة بالفكر اليهودى والمسيحى من قبل .

ولقد كان الإمام الغزالي والإمام بن تيمية هما أقوى خصوم الفلسفة والمهاجمين لها . وبعد الغزالي رفض علماء الكلام الفلسفة رفضا قاطعا أدى الى موتها ، وليس معنى هذا موت الاتجاه العقلى ، ولقد انتقد الغزالي الفلاسفة فى مسائل القديم والعلم الإلهى والبعث وهذه ذات صبغة غيبية متنافرية وما ذهب اليه الفلاسفة فيها مناقض للقرآن .

ذلك أن الفلاسفة تنكبوا التصور الإسلامى الذى يفرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكان الغزالي مقدمة لدور ابن تيمية القوى الحاسم ، ولم يرفض الغزالي الفكر الإسلامى فى مجال المنطق والطبيعيات والرياضيات والفلك ، وإنما رفض الفلسفة الوثنية التى كانت تسمى عند اليونان : علم الأصنام ، رفضها كتصور ايدلوجى يونانى من حيث الخط بين عالمى الغيب والشهادة .

وقد كان الفغزالي ومن كان قبله ومن جاء بعده تأكيداً للرفض والاهمال الذي لاقتته الفلسفة في العهدين الأموي والعباسي من أهل السنة (معترلة وأشاعرة) وتأكيداً لطموح الفكر الاسلامي في تبني كل فكرة لا تناقض تصوره ومنهجه باعتبارها كلمة قابلة للأخذ ولا ريب أن سبب تدهور الفكر الاسلامي وانحطاطه نتج عن انتشار الفلسفة ومنطقها و (الأفلاطونية المحدثة) قد أثرت سلبية على الفكر الاسلامي وطبيعته بطابع الاشراقية ، كما أن النزعة التوفيقية أدت الى الروحانية المفترضة التي انحرفت وصارت مضمونا يتميز بالكسل والخمول والخدر عفرق المسلمون في انحطاط طويل سلب الحضارة الاسلامية رونقها بعد أن ارتفعت كالسهم .

ولقد كان لبعض الشعوبيين اثر كبير في اغراء الناس بالفلسفة وكان نصر الدين الطوسي يفرض لكل من يشتغل بالفلسفة ثلاثة دراهم والاطباء درهمين والفقهاء درهما واحدا والمحدثين نصف درهم .
ولذلك أقبل الناس على معاهد الفلسفة والطب ، وكان هذا ما استتب به الأمر بعد غزوهم لبلاد المسلمين .

وقد أكد الباحثون أن انتشار الفلسفة وسيطرتها هو العامل الوحيد في انحطاط الفكر الاسلامي الى جوار عوامل أخرى منها الآثار التي أحدثها الشعوبيون في المجتمع الاسلامي بالاضافة الى الحروب الخارجية مع التتار والصلبيين والطامعين في الحكم والسيطرة . وقد استطاع الاسلام أن يحافظ على نفسه بما يسمونه تحجراً وجموداً وتوقفاً وانحطاطاً بوقف باب الاجتهاد وكل ذلك أفضل حل للحفاظ على الاسلام في لحظة حرجة منهارة تكاثفت فيها كل العوامل لضرب الاسلام فكرياً واسلامياً .

ومن الخطأ وصف تلك الفترة باسم فترة الانحطاط ، ذلك انها في الحقيقة كانت فترة الصمود والثبات : ظهر فيها ابن خلدون وابن الأزرق .

والمعروف أن أول من اهتم بالفلسفة الاسلامية المستشرقون وكان لهم وجهان : وجه يزيفون به فكر المسلمين عامة ووجه يحيون به الحديث عن الفلسفة ويفسحون لها المجال من جديد . وقد بدأت تلك الحملة بتشويه الفكر الاسلامي عامة وذلك بادعاء المستشرقين أن الفضل يرجع الى عبقرية اليونان ومجهودات السريانية .

وكان ذلك أخطر مايقال في هذا الصدد وهو القول بتبعية المسلمين للفكر اليوناني .

ولقد رفعوا من شأن الفلاسفة المسلمين الذين هم في الواقع لم يكونوا إلا اتباعا للفلسفة المشائية اليونانية ، وقد اعتبرت فلسفتهم لا تعبر عن الفلسفة الإسلامية الحقة وإنما يعبر عنها علم الكلام ، وأصول الفقه والمنهج التجريبي الذي قدمه العلماء المسلمون وهو المعبر الحقيقي عن الفلسفة الإسلامية ، وقد بدأ هذه الفكرة الشيخ مصطفى عبد الرزاق وبلغ بها مداها الدكتور علي سامي النشار والواقع أن هناك هوة واسعة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة

(١٨)

شبهات حول الفلسفة المادية

حاول دعاة الفلسفة المادية تقديم مفهوم زائف تحت اسم فلسفة العلم اعتمادا على خيوط علمية واهية بحجة القول بأن الفلسفة المادية تعتمد على مفهوم العلوم الطبيعية ، والواقع أن استعمال أسلوب العلم التجريبي والطبيعي في الدراسات الانسانية باطل وكاذب ولا يمكن أن يؤدي الى تقديم نتائج صحيحة .

والواقع أن الاسلام يستطيع أن يقدم اجابات جديدة ومقنعة على جميع الأسئلة التي تدور حول الحياة الإنسانية ، وهذا الفهم اشمع وأعم فإن العلم مهما تقدم وتطور فهو نسبي في المعرفة مشروط بغطاء عصره وبيئته ، فالعلم خاضع للتحفظ والتفسير في الموقف بل التخطي والتراجع ، وكل ما يكون معمولا به في عصر كحقائق علمية قد يأتي في المرحلة التالية فيفندها ويكشف ما بها من أخطاء ، فالمعرفة نسبية ، أما الدين الحق فإنه يتجاوز كل الفلسفات الأساسية للانسان ومن ثم فهو أسمى من أن يقارن بفلسفة ما .

وبفضل توجيهات القرآن اشتغل فلاسفة الاسلام الذين كانوا أيضا علماء بالعلوم بمعناها الخاص فحددوا المعرفة العملية ومناهجها وأنشأوا علومها جديدة .

والواقع أن نظرة الاسلام الى الوجود والسكون والانسان بمفهومه الجامع الرباني المصدر الانساني الوجهة يختلف اختلافا عميقا بين ما يقدمه الغرب من نظريات مصدرها الفكر البشري بأهوائه وتقصه وتطرفه وماديته وبلا مراعاة للتكامل الذي يقوم عليه الانسان ويطابقه الاسلام وهو الروح والمادة ، كل هذا كشف زيف الفلسفة المادية وقصورها وعجزها عن

العطاء ، وما كان لها من آثار خطيرة على أزمة الحضارة المعاصرة ، ولا ريب أن فلسفة المادية هي فلسفة أزمت ظهرت في أعقاب الحروب المدمرة فهي لا تستطيع أن تعطي عطاء حقيقيا ايجابيا وإنما هي محاولات مرحلية ولذلك فهي لا تتناول الإنسان ككل ولا تهتم اهتماما جاداً بإمكانه في الكون ورسالته على الأرض ، بل تعبر عن الجانب المادي في الإنسان وهو على كل حال ليس بالجانب الحقيقي في طبيعته .

وهكذا نجد أن المذاهب الفلسفية القائمة الآن : سواء الفلسفة التحليلية في إنجلترا أو البرهمانية في أمريكا أو الوجودية في غرب وجنوب أوروبا ، أو المادية الجديدة في شرق أوروبا كلها فلسفات مادية لا تتناول الإنسان إلا على أنه حيوان خاضع لمطامع الطعام أو الجنس .

وهي تفرض وجهات نظر متنوعة دون عناية بتربية الإنسان كإنسان بل هي في مجملها تبرير للواقع الفاسد المنحرف الذي يتمثل في الاتجاه إلى القوة من ناحية والتطرف من ناحية أخرى ، ومن هنا قصرت النظم التربوية العالمية عن تكوين النموذج الإنساني المتزن من الناحيتين الفكرية والخلقية ، وقد احتجب عن الغرب أثر الدين الحق بروحانياته وأخلاقياته وتصوره للكون الإنسان ومقدرته على تنظيم أمور الحياة . ذلك أن الدين الحق دائماً إلى جانب نور العقل أكبر عامل يرشد الإنسان ويساعده في حياته

ويقول الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة : انه لا سبيل إلى الوصول إلى الغاية المثلى للمجتمع الحق إلا بمفهوم جديد يقوم على أساس معرفة الإنسان في حقيقته واستعداداته ومعنى حياته ورسالته على الأرض ، وبتوجيه حياته حسب المعرفة الصحيحة ، ولابد من بناء المعرفة على أساس طبيعية ، من ملكات الإنسان الحسية والعقلية فللإنسان حواس يترك بها مأحوله وهو يتصورها بعقله ، ويصح تصوره لها أن هو خطأ ، ويجب عليه أن يتقيد بمنهج البحث فلا يحاول معرفة الحسوس إلا بالحواس ووسائلها ولا يسير في تصوراتهِ للأشياء إلا بحسب قوانين الفكر ، ومعنى هذا هو الالتزام بالمنهج العلمي في دراسة الأشياء ولكن دراسة الأشياء في خواصها وعلاقة بعضها ببعض لا تكفي الإنسان لأن عقله أوغتنع من مجال الحواس بل أوسع من الكون مهما كان كبيراً وظل يستل عن مصدر الأشياء سواء في أمور الكون أو في أمور الحياة ، ويمكن بلا شك أن يستدل على نحو يقيني من وجود هذا العالم ونظامه ، وقوانينه على وجود صفاته الحكيم القادر جل جلاله ، ومن ارتباط الأشياء بعضها ببعض وملائمتها لحياة الإنسان على عناية المبدع ورحمته .

وعلى الإنسان فى هذا الاستدلال أن يبتعد عن التصورات المخوذة من هذه الأشياء التى يراها الإنسان حوله .

ولما كانت معارف الإنسان الحسية قاصرة ومعارفه العقلية متأثرة بالتجربة فى عالمه فإن كثيرا من المعارف عبارة عن اجتهادات فى حدود طاقة الإنسان ، وكثيرا من المذاهب الفلسفية ظنون ، وأحكام المفكرين على قيم الأشياء والأفعال وتخديدهم للغايات كلها اجتهادات ، وهذا يدل على أن الإنسان على الرغم مما له من ملكات المعرفة والتقدير للقيم فى حاجة الى مايكمل له نظام المعرفة ويبين له معنى هذا العالم ومعنى حياة الإنسان وقانونها وغايتها على أن يكون ذلك من مصدر فوق الإنسان ، هو خالق الكون والإنسان ، وذلك ما تجده فى الدين الحق المنزل بمفهوماته وأدلتها الواضحة التى لا يجد العقل السليم والضمير المستقيم أى صعوبة فى فهمها والعمل بأحكامها .

تصور التفلسف : استعمال للحواس والعقل فى دراسة هذا العالم على أوثق المناهج وبكل الوسائل لتكوين تصور علمى للكون وللانتفاع بقوى الطبيعة التى يرشد الله تبارك وتعالى أنه سخرها للإنسان وخصوصا بمعرفة الله وتوحيده وتنزيهه وتعظيمه وشكره ومحبته وعبادته بفضل آيات صنعه الرائع فى السموات والأرض .

تصور الفلسفة تفكيرا أو تدبرا لما تضمنه التعليم الإلهى فى القرآن من أصول المعرفة ومبادئ تنظيم الحياة وجعل ذلك خيرا بالمعرفة الحق والخير فى هذه الحياة وبذلك يضاف الى نور العقل نور من خالق العقل »

وفى هذا المجال يصدق قول العلماء من أن العلم المعاصر قد أفلس فى علاج المشاكل الاجتماعية والنفسية والإنسانية بوجه علم ، لأنه لم يخضع لمنهج واضح فى تطوره وفى أغراضه وأهدافه ، وقد تبين أن العلم لا يمكن أن يصل الى الحقيقة المطلقة التى لا يمكن أن تظهر الا بالإيمان الذى هو قوة أخرى أشمل وأقوى من العلم .

وقد رفع العلماء فى الغرب أصواتهم بالشكوى من طغيان الجانب المادى فى حياة الإنسان على الجانب الروحى وطغيان الميول الى الترف وما له من أضرار على الميول الى الحياة البسيطة السليمة وقد ارتفعت الأصوات بالشكوى من الضياع والخيبة والتشكك الذى وقع فيه الإنسان بسبب تصور نظم التربية والتعليم فى العالم كله من تكوين النموذج السليم فى هذا العصر الخطير .

ومن أخطاء العلم الحديث الذي عنى بدراسة الأشياء أن جرى فى دراسة الإنسان وأموره كشيء لا كذات تعقل وتشعر بقيم عقلية وبأحاسيس خلقية وله حاجات روحية .

وقد قل فى العصور الحديثة اشتغال العلماء بالتفكير فى حقائق الأمور الإنسانية ، وفيما وراء أو فوق هذا العالم المحسوس ولكنهم عندما تعرضوا للإنسان بنوا تصوراتهم على الخيالات الميثاقية التقليدية البعيدة من الواقع ، وحكوا فى ذلك الأمزجة الشخصية واتباع الأهواء والأفكار المشكوك فيها وألحوا بالأراء اللامعة كالسراب الذى يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاء له يجده شيئاً .

ومعنى هذا كله أن الفكر الفلسفى فى العالم الإسلامى يجب أن يتحرر من الفلسفة المادية وأن يشهد مفاهيم من تلك الأصول الأساسية التى جاء بها الإسلام : وأن يكون الإيمان بالله تبارك وتعالى مالكا وخالفا ومسيرا للأمور كلها أساسا وأن تفهم مهمة الإنسان فهما صحيحا باعتباره مستخلف فى الأرض وأن تكون العناية بالإنسان فى جوانبه كلها الروحية والعقلية والبدنية مقدمة على كل شيء وأن يخالذ العلماء النظر فى جزئيات الأشياء ويتجهوا الى النظرة الجامعة الكلية ، ولا يقفوا عند مسائل العقل أو مسائل الروح وإنما يجمعوا بين معطيات الإنسان روحا ومادة ارتفاعا عن المحرمات وإقامة لحدود الله وتطلعا الى ما هو أسنى من الحياة المادية ، وأن يستمدوا من الدين الحق تصوره المحكم للكون والحياة وبذلك يقوم نظام جامع على المعرفة الإنسانية .

(١٩)

شبهات فى علم النفس الحديث

حاول دعاة الفلسفة المادية فى العصر الحديث اعلاء مفاهيم التحليل النفسى التى جاء بها فرويد والتى لم تكن الا نوعا من التحدى للفطرة الإنسانية الصحيحة وقد جرت المحاولة لاداعتها فى مختلف مجالات الثقافة والفكر وفرضها فى الجامعات والمعاهد لخلق روح من الانحراف والتحطيم والتدمير للشخصية الإنسانية ، وقد أخذت هذه المساهمات تهز النفوس البشرية هزا عنيفا ، وكان لها أثرها البعيد فى أزمة الإنسان الحديث ، ولكن العلماء لم يدعوها دون أن يفندوا أكاذيبها وأضاليها ويكشفوا عن

زيونها وعن غاياتها البعيدة التي قام بها رجل يهودى يحمل لواء الصهيونية النظمية .

وقد حاول الدكتور فؤاد أبو حطب أن يستوعب أخطاء هذه الفلسفة حتى أصول عامة : يقول :

إن علم النفس ليس علما بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا تنطبق عليه شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية ، وهى شروط العلوم الطبيعية وهذا ينطبق على العلوم الاجتماعية جميعا ودمعها جميعا بانها علوم زائفة ، وأبرز المحاذير :

(١) هى غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس بحيث جعله يتصور النفس الإنسانية تصورا ماديا فهى مجموعة غرائز تتطلب الإشباع المادى المباشر ، والإنسان فى إطار هذه النظرة المادية مذبذوب دائميا بقوى لا معقولة ومغلوب على أمره تصدر عنه أفعال قهرية وكل ما يملكه العقل من « حيل » هى تدبير هذه الأعمال أو البحث عن وسائل مقبولة لإشباعها أو التمسك بها ليزاولها بصورة أجمل .

(٢) معظم النتائج التى توصل اليها بعض اصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحالات المرضية ثم جنمت على حالات الأسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الإطار الزائف .

(٣) علم النفس التجريبي كذبة كبرى ، لأن النفس (ذات كلية) ولا يمكن تحويلها الى موضوع ، أو تشريحها تحت المجهر ولا يوجد فرع من فروع العلم التجريبي — ومنه العلوم الفيزيائية — يؤدى الى المعرفة اليقينية ولا توجد ملاحظة بشرية معصومة من الخطأ .

والواضح هو غلبة « المادية » على علم النفس ، والمادية فلسفة حياة وجرائيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

ولا ريب أن أحد مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض له المسلمون وما يحمله تيار العلم الوامد الينا من الغرب ومن الشرق خلفية الحادية واضحة من طبيعته ، جعلت من الكفر بكل ما هو غسلى مادى سمة هذا العصر بل إن الأمر قد بلغ الى حد خطر بسيطرة « المادية » على العلوم الطبيعية بمضمونها اللاحدى مثل مبدأ « أرلية

المادة « والطاقة ونسبة كل شيء في الكون إلى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج في عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

والمعروف الآن أن آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسي عامة تواجه بالنقد العنيف داخل الأطار السيكولوجي ذاته ، وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من فرويد شخصيا وشخصيته حتى التحليل النفسي مدرسة ومنهجها وفلسفة وحياة .

وقد تبين أنه لا بد من استخدام منهج دراسة الكون في دراسة النفس ، لأن دراسة الكون والإنسان واكتشاف سبب الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الأدلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته في خلقه .

ان الملاحظة باعتبارها جوهر العلم التجريبي الذي يحض عليه الاسلام هي عملية تحليلية ، فالأشخاص كالأشياء لا تعرف الا بخصائصها وسماتها ، كما أنها لا تتميز الا بأضدادها فنحن نصف الشيء بأنه مستدير أو حاد أو ثقيل أو بهذه الصفات جميعا ، وبالمثل فالتأمل نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق .

والخصائص هي تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كلية معينة لا تؤثر فيها لأنها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلي الذي هي عليه قبل التحليل .

يجب أن يتبع الباحث منهجه التحليلي بنظرة تركيبة بنائية تكاملية برسم (البروفيل) النفسي الذي يربط بين مختلف الخصائص والسمات حتى يحدد النمط الكلي الفريد لهذه السمات والذي يميز الشخص أو الشخصية ويعرف الثياب المثقف أن علم النفس الذي يدرس الآن ليس هو علم النفس الاسلامي ولكن علم النفس المسيحي واليهودي .

فقد بدا علم النفس الديني المسيحي في أوروبا والولايات المتحدة ابتداء من الكتابات المسيحية والعصر المدرسي في العصور الوسطى وعصر الإصلاح الديني في أوروبا ثم طرح الفكر اليهودي التملودي عن طريق فرويد مفاهيم جديدة ارتبطت بالمفاهيم المسيحية ، وهناك مفهوم لعلم نفسه ومراكزي ويهودي ونصراني كل منها يستمد خصائصه من العقائد التي يدين بها كل من هذه الجماعات ولذلك ، فإنه لا بد من بناء علم نفسي ديني اسلامي يستمد مقوماته من أصول الاسلام ، قوامه تكامل الاسلام بين

الروح والمادة والدين والدنيا ووفق مفهوم الاسلام لرسالة الانسان في الحياة والتزامه الاخلاقي ومسؤوليته في الجزاء بعد البعث .

(٢٠)

شبهات حول اخلاق الاسلام

ترددت كتابات كثيرة عن الاخلاق في الاسلام ، مما كتبه الكندي والفارابي واخوان الصفا وابن مسكويه وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن عربي .

وقد تبين مع الاسف ان مذاهب هؤلاء الفلاسفة لا تمثل مفهوم الاسلام الصحيح في تقدير مضمون الاخلاق في ضوء القرآن والسنة .

وقد تبين ان هؤلاء الفلاسفة قد اقاموا مذاهبهم في الاخلاق على اساسي من الفلسفة التي تلقوها عن اليونان معلنين غير مستخفين . هذا الاساسي الاجنبي هو الذي حجب انظار المسلمين عن فهم القرآن كما يقول (اقبال) ولذلك لم يبرز مفهوم القرآن للأخلاق في هذه الدراسات ، لما جاء الصوفية وعرضوا للأخلاق كان مفهومهم غير كامل وان كان اقرب الى مفهوم الاسلام .

وقد افلت الحاسبي والقشيري من تأثير الفلسفة اليونانية وبسطوها واقتربا من روح الاخلاق الإسلامية ، ويبدو ان تأثيرات رهبانية تسربت الى مفاهيم الزهد والاخلاص والصلب عندهما فكانت لها آثار ضارة تمثلت في تشدهما البعيد الذي يتناقض مع يسر الاسلام واعتباره لطافات الانسان المحدودة . كما يقول الاستاذ احمد عبد الرحيم ابراهيم ، فالغزالي في أبرز مؤلفاته في علم الاخلاق كتاب (ميزان العمل) وفي الاحياء ايضا يبدو أخطر مناقض الغزالي اعتماده لنظرية النفس لدى افلاطون وتقسيماته لقواها وللفضائل تبعاً لذلك ، ثم قبوله المطلق لنظرية الوسط الارسطية عنكلام الغزالي بحسب تعبير ابن تيمية برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة ففيه فلسفة مشوبة بالاسلام و اسلام مشوب بالفلسفة ، وذلك في محاولة الغزالي التوفيق بين افلاطون ونظريته في النفس والفضائل وبين فضائل القرآن . كما اعتقد في نظرية ارسطو القائلة بالوسط الارسطي ، وهو المبدأ القائل بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين (ميزان العمل ص ٢٣٤) تعسف في تأويل آيات القرآن الكريم لكي يحملها على التوافق معه (فاستقم كما أمرت) تفسر عنده بمعنى طلب الوسط بين الاطراف . وعلى

الرغم من ادراك الغزالي للتعدد الواسع للفضائل الاسلامية وتجاوز عددها للتقسيم الرباعي الأفلاطوني الضيق فإنه تمسك بذلك التقسيم بشدة

ويقول زكى مبارك وبعض مفكرى المسيحية أن الغزالي تأثر بالنصرانية وأنه تأثر بالآداب السلبية التى دعا اليها الانجيل ، ويقول الدكتور محمد يوسف موسى أن الامام الغزالي حاول أن يطبع ما أخذه عن اليونان والمسيحية بطابع اسلامى صوفى وأن تلك المحاولة كانت أقرب الى روح الاسلام من الفلسفة العربى (النشار) وهو فى مفهوم الاخلاق متأثر بالفلسفة اليونانية يردد نظريات أفلاطون وارسطو .

أما تراث الحديث النبوى فقد بقى طوال القرون دون أن يجد من يدرسه ويستخلص منه المبادئ العامة لنظام الأخلاق الاسلامى بدلا من الأخذ من اليونان ، أو التوفيق بين اخلاق الاسلام وتلك المذاهب الأجنبية ويرجع ذلك النقص الى الفلسفة الأخلاقية اليونانية التى نقلت جاهزة الى المحيط الثقافى الاسلامى العربى قبل تبلور علم اخلاقى اسلامى أصيل ، فجمدت انظار المفكرين المسلمين وخاصة الفلاسفة عن النظر الى المضامين الأخلاقية للقرآن والسنة ، كما أشار اقبال الى ذلك وبالنسبة لفكرة الوسط يقول أن القرآن لم يحدد حدودا عليا للفضيلة بحيث يعتبر كل من يتجاوزها مسرفا وعلى العكس كان النبى لايتحرى وسطا فى كرمه وانفاقه فاللهم كله لله عز وجل وبذلك جميعا هو الأحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عنده لأنه يشق عليه بسبب بخله وهو ينهى عن الواجبات والفضائل الأشد وجوبا فى سبيل الاستزادة بالأقل وجوبا واعمالا بمبدأ لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وليس هذا وسطا وانما هو توازن خلقى أو تناسق خلقى .

وفىما يعلق بكتابات المعاصرين يتحدث أحمد أمين عن الأخلاق فيذكر بذور الرية فى عقل القارىء حول عدم وجود نظام اخلاقى متميز للدين الاسلامى لما العقائد ترى أن الأخلاق الدينية الشرقية هى سيطرة خارجية عن الانسان تملى عليه مايفعل وما يترك وتجزئ له وتحرم عليه ولا شأن له هو فى جميع ذلك الا الطاعة والاذعان (مراجعات) وكتاب الدكتور عبدالرحمن بيضار عن العقيدة والأخلاق مستمد من فكر أفلاطون وارسطو ومسكويه فى معظم الأبواب والواقع أن هذا كله لا يمثل وجهة نظر اسلامية حقيقية ، هذه النظرة التى تتكشف فى وضوح فى رسالة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز .

فقد استطاع الدكتور دراز رحمه الله وجزاه خيرا أن يقدم المفهوم الأخلاقى القرآنى وأن يقارنه ببعض النظريات الغربية ، ولقد كانت جولاته

بين الفلسفات اليونانية واليهودية والمسيحية من أكبر أسباب اقتناعه بأن مفهوم الأخلاق في القرآن — ولا نقول نظرية الإسلام — تفوق كل النظريات والمفاهيم في غيره ويقوم مفهوم الإسلام على :

(أولاً) الالتزام : فالالزام هو أصل كل مذهب أو نظرية في الأخلاق فلا مسئولية بلا الزام ، وإذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تسود العدالة وحينئذ تنتفي الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية لا في مجال الواقع فحسب بل في مجال القانون أيضاً .

(ثانياً) المسئولية : والمسئولية متولدة من الالتزام فلا معنى للالزام إلا أن الإنسان مكلف بأن يقوم بأشياء وأن يقدم حساباً عنها ، وهذا في حدود فكرة المسئولية الإنسانية ، لا يسأل الإنسان عن عمل غيره ، ولا عما يعلم أنه مكلف به ، ولا عن أعماله غير الإرادية ولا عما أكره عليه .

(ثالثاً) الجزاء : وهو الرابطة بين الالتزام والمسئولية وللجزاء ثلاثة ميادين : أخلاقي وقانوني والهي .

(رابعاً) النية والدوافع : والإنسان مكلف وهو كائن ناقص لكنه في الوقت نفسه قابل للكمال فلا بد من الفعل وهو مسئول عن عمله وهو في صراع دائم ضد كل الشرور ، ولكن إلى جانب الجهد الطبيعي الذي تفرضه الفريضة جهد آخر يقتضيه العقل من أجل مثل أعلى .

(٢٨)

شبهات حول تفسير التاريخ الاسلامي

حاول كتاب الماركسية تفسير التاريخ الاسلامي بمفهوم صراع الطبقات وفشلوا في ذلك لأنهم — كما يقول الأستاذ طه محمد كسبه — لم يستوعبوا مضمون الرسالة الاسلامية ، أن الصراع الذي ثار بين المسلمين وبعضهم البعض والذي اتخذ الماركسيون دليلاً على صحة دعواهم إنما كان صراعاً ذاتياً طابعه سياسي ولم يكن صراعاً طبقياً تغلبت بهوجبه طبقة على أخرى أو فئة على أخرى . والخطأ الذي وقع فيه الشيوعيون أنهم قد نظروا إلى التاريخ الاسلامي بنصف عين ، ذلك أنهم لم يقرأوا التاريخ الاسلامي كله كما أنهم لم يقرأوا التاريخ البشري وكل الذي فعلوه أنهم ساروا على نهج امامهم ماركس حين تخير أحدنا بعينها من تاريخ البشر وأطلقها على التاريخ كله ، فقد كانوا يقرأون مكان يعينهم ويتفق مع أصول نظريتهم الأولى في استخراج افكارهم

وأحكامهم وآرائهم ، فكان ماثير انتباههم وولفت انتباههم منظر تلك الدماء التي تسيل على صفحات التاريخ ، ولم يكن ينظر إلى أنوفهم سوى رائحة الدم يسرون وراءها ويدبلون عليها ويتبعون خيوطها ويستخرجون منها أحكاما ومبادئ وأفكارا واستنتاجات يطلقونها على التاريخ كله مثلما فعل ماركس حين اعتمد في استنباط نظرية عن التاريخ على بعض مراحل التاريخ دون الأخرى . وهنا سقطت دعوى اختلاق الصراع الطبيعي وحثيئته على المجتمع الاسلامى ، ذلك أن الإسلام لم يكن أساسا من افراز النظام الطبقي في قريش ولم يكن الإسلام ديننا رجيا يحفظ للظالمين والمستغلين أموالهم وامتيازاتهم كما أنه لم يكن مخترا للمعزاة والمحتاجين والمعدمين يجعلهم في حالة تبذل ورضى بقرهم وعجزهم كما دعا إلى العمل والحركة والسعى على الرزق ومجاهدة النفس والمشركين والمستغلين .

وكان بحق حركة عدل ضد أعداء السماء والإنسان .

كذلك فإن الإسلام ما جاء نتيجة انقلاب عسكري أو سياسى قدام به مجموعة من الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم ثوارا ، أو مجموعة من العسكر ، كما أنه ما جاء نتيجة انقلاب مناظر في توزيع الانتاج وعلاقاته المتشابكة في قريش وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة ، وجاء الإسلام من البداية مقرا للمساواة في الغرض وضمان حق الكفاية لكل المواطنين وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه ، جاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن ظروف الانتاج وعلاقاته تدعو إليه بحيث يمكن أن يقال أن ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادي ، وتحدى بذلك كله منطق الماركسيين التاريخي وحسابات المادية التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر في نظام الانتاج وعلاقاته .

وعليه فإن الصراع الذي ثار بين المسلمين والذي يتخذه الماركسيون حجة ودليلا على صحة نظريتهم ، إنما كان من أجل الحكم ، وكان صراعا سياسيا لا طبقي ولا يقره الإسلام بحال من الأحوال ، فهو خارج عن منهج الإسلام ويبعد عن روجه للسمة ، ويبقى الإسلام بجوهره الأساسى الذى يشع رياح الأخوة والمصاطبة بين المسلمين والذي يقرر في صراحة : « إذا التقى المسلمان يستقيهما فإلّا قاتل والمقتول فى النار »

ويقرر : « إنما المسلمون إخوة فأصلحوا بين أخويكم »

ومن هنا فان دعوى صراع الطبقات التي يحاول دعاة الماركسية اليوم وأصحاب التفكير اللاحدى الصاقه بالاسلام وصولا الى تفرغ الدين الاسلامى من محتواه الروحى ومضمونه العقائدى انما هى محاولة لن تجدى .

هذا من ناحية ومن ناحية القول بأثر العوامل الاقتصادية فى توجيه التاريخ الاسلامى يقول الدكتور حسن شحاته سيفان : ان عوامل التقدم فى مصر والشرق الأوسط اذا درست فى تطورها منذ العصور الاسلامية نجد ان العامل الاقتصادى فى هذا التأثير وفى تطورها لم يكن بأكثر أهمية من غيره بل على العكس كانت المثاليات الدينية والأخلاقية المستقاة من الاسلام ، أولا ومن المسيحية ثانيا هى العامل الأول فى تشكيل النظم وتطورها ثم يأتى العامل الاقتصادى كعامل ثانوى فى معظم الأحيان .

ويقول : ان نظرية ماركس فى المادية التاريخية خطأ محض — فقد استنتج نظريته من استقراء بعض وقائع الاقتصاد الاجتماعى للدول الغربية ويقول انه ينكر الدين والعوامل الروحية بينما كانت هى المحرك الأكبر لهذا التطور ومن خطاه الزعم بأن العوامل المادية هى العوامل التى تؤثر الأثر الأكبر فى تشكيل النظم الاجتماعية الأخرى من دينية وسياسية وأخلاقية وتربوية .

ويقول : ان نظرية ماركس لا تنطبق على دول الشرق الأوسط وأن الدول الغربية ان صح انها تطورت بحيث وصلت فى العصور الحديثة الى دول تقدر المادة أولا فان ثمة دولا بالعكس لم يطرأ عليها تطور يجعلها تضحى بالمثاليات الأخلاقية والدينية تحت تأثير العوامل المادية .

(٢)

ومن أخطر الشبهات التى طرحها الماركسيون محاولة تصوير عهد الرسول والخلفاء الراشدين بصورة الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام ، والاهتمام بالعامل الاقتصادى وتقديمه فى النظر الى أحداث التاريخ وعجزهم عن تعمق مفهوم التفسير الجامع للتاريخ الذى تؤثر فيه عوامل عديدة ، الاقتصاد واحد منها ولكنه ليس أهمها على التحقيق .

والاسلام له تفسيره التاريخى الذى يختلف عن التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس وأخذت به الشيوعية والتفسير الدنى للتاريخ الذى قدمه توينبى والذى يقوم على استعلاء الحضارة الغربية بالمسيحية وتفسير الأحداث وسير الأجيال فى ضوء هذه التبعية ومن هنا فقد

وقف التفسيران من الاسلام موقفا ظاهريا ، ومن أخطاء تفسير توينبى انه يرى المجتمع الاسلامى حضيطة اندماج مجتمعين متميزين فى الأصل هما الايرانى والعبرى ولو انه قال ان الاسلام صهر كل من آمن به فى مجتمع جديد وأنه استصفى خير ما فى الحضارات القديمة مما يتفق مع مفهوم التوحيد لكان قوله قريبا من الحق ولا شك أن أبرز مفاهيم التفسير الإسلامى للتاريخ هو التوحيد والعدل والإخاء الإنسانى وقيام المجتمع على أساس الأخلاق دون تفرقة بين العناصر والدماء والقضاء على صراعتها والتفاهر بها . ولقد كان من أخطاء التفسير الماركسى هذه التفرقة بين اليمين واليسار وهى تفرقة لم يعرفها الإسلام .

ومن أخطاء التفسير المادى للتاريخ تصور الإسلام على أنه ثورة اجتماعية أو اقتصادية ، بينما كان الإسلام دعوة ربانية وليست بشرية لها صفة المنهج الجامع الإنسانى الطابع ، ولذلك كان من أخطاء عبد الرحمن الشرقاوى ، تصور النبى صلى الله عليه وسلم على أنه رسول الحرية ، أو أن الإسلام حركة اجتماعية كما حاول طه حسين فى كتاب الفتنة الكبرى ، لقد أغفل عبد الرحمن الشرقاوى حادثة خروج النبى من بيته ليلة تأمرت به قريش وحادثة إيوائه الى غار حراء ووضع الآية القرآنية مبتورة على ظاهر كتابه (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى) وقصرها على كلمة مثلكم انكارا للوحى . . ولا شك أن تجريد سيرة النبى من الوقائع المتواترة هو عمل من أعمال الغش التى يراد بها إيجاد فرصة لتثبيك والارتياح فضلا عن أنه لم يورد عبارة (الوحى) إطلاقا ولم يذكر أن سر انتصار دعوة الإسلام هى أن قوة عليا تؤيدها وتساندها .

(٣)

عندما قامت بعض الجهات الإقليمية ذات الهوى والغرض بكتابة تاريخ الإسلام وقعت فى مجموعة من الأخطاء التى يجب التنبيه لها وقد جمعها أحد باحثين على هذا النحو :

أولا : خطر التوسع فى الصفات ذات الصفة الشخصية بينما يختصر الأعمال الكبرى العامة .

ثانيا : سيطرة الروح القومية على مفهوم التاريخ الإسلامى الجامع .

ثالثا : التحدث عن الرسول كالتحدث عن نابليون واخباتون .

رابعا : وضع كلمة العرب بدلا من كلمة الإسلام والمسلمين ، وهى توحى بتكرارها أن رسول الله أممنا بعث للعرب وخدمهم وتجريد النبى من

طبيعته حتى يبدو وكأنه ليس أكثر من داعية أو مصلح سياسي أو اجتماعي
وإن رسالة الإسلام لا تعبد أن تكون حركة اصلاحية .

ولا ريب أن روح العنصرية في كتابة التاريخ الإسلامي تتناقض
تناقضا تاما مع الحقائق الأساسية ، لأن تاريخ الإسلام في عصر الراشدين
والأمويين كان تاريخا للمسلمين كلهم ولم يكن تاريخ العرب وحدهم .

وكان من صنائع بطولته : البربر والأتراك والفرس .

خامسا : تجريد المفردة الإسلامية من أساسها الفكري ورسالتها
الأساسية وأغنى بها العقيدة .

سادسا : إخفاء الروح الإسلامي التي لها أثرها التربوي في النشء
المسلم .

سابعا : تجريد المصارك الإسلامية من نفحات النبي ومن تأييد الله
تبارك وتعالى وقياسها بمقاييس مادية بحته .

ثامنا : في الهجرة أغفل المؤلفون جوانب رعاية الله وركزوا على
عنصر الاختباء وغفلة قريش وعدم رؤية أحد للنبي .

تاسعا : في موقعة عين جالوت تجاهل المؤلفون نداء «واسلاماه»

عاشرا : عند الحديث عن غزوة أحد لم يذكر المؤلفون عدد الجيش
الإسلامي .

حادى عشر : في الحديث عن معارضة قريش للإسلام ذكر أن
السبب في ذلك هو خوف قريش على مركزها التجاري وهذا تحليل ماركسي
فإن قريشا قد عرضت على الرسول التهازل عن كل شيء له ولكنه رفض .
لقد كلن الصراع صراع عقيدة ولم يكن الأمر اقتصادا .

ثاني عشر : التركيز على المصارك وإهمال الجوانب الأخلاقية
والحضارية الإسلامية فبدأ تاريخ الإسلام وكأنه تاريخ غزوات وحروب .

ثالث عشر : حشد كثير من الخلافات وتكثيفها وبخاصة تلك الخلافات
التي جرت بين علي ومعاوية وقد نتج عند هذا سبب بعض الصحابة دون
تمحيص علم ودون معرفة بالظروف كلها .

رابع عشر : تناول الحركات الانفصالية كحركة ابن طولون وابن
طغج الأخشيدي على أنها حركات استقلالية والأولى تناول هذه الحركات على
أنها حركات انفصالية ، يقف وراءها أشخاص مقامرون .

خامس عشر : يقولون التوسع المعربى وكان الفتوحات الإسلامية توسعات استعمارية ، مع أن هناك فروقا كثيرة بين هذه وتلك .

سادس عشر : يقولون أن عمر بن الخطاب ولى عمرو بن العاص مصر مكافأة له ، فهل هكذا كان يسوس عمر الأمور أم أن عمرو بن العاص كان جديرا بحكم مصر .

(٤)

شبهة الفتنة الكبرى

ومن الشبهات المثارة قصة الخدعة المشهورة : عندما خلع أبا موسى عليا ويثبت عمرو معاوية التي يرددها الكثيرون مع أنها غير صحيحة .

والصحيح هو أن عبيد الله بن سبأ ورجاله غيروا واقع الأمر ليلا . هذه الفتنة المشهورة التي يرددها طه حسين والكثيرون فقد حدث شرح هائل في خلافة المسلمين وظهرت الفرقة .

كذلك فقد نسب إلى السيدة عائشة رضى الله عنها موقفها في معركة الجمل وقد جلى الدكتور ابراهيم شعوط هذه القصة حين قال :

إن أم المؤمنين كانت قد خرجت للصلح بعد أن شرح لها طلحة والزبير ضرورة معالجة الموقف وأنه لا علاج إلا بوجودها في الصورة تأمر بالقبض على قتلة عثمان ليصفو الأمر لعلي بن أبى طالب ولتنزل على رغبة معاوية ابن أبى سفيان فتجمع بهذا الأمر بين الطرفين المتنازعين . كان هذا هو الهدف ولكن المجرمين الذين تلوثت أيديهم بدم عثمان خافوا على أنفسهم واتفقوا على مؤامرة في الظلام هي السطو على المعسكرين في وقت واحد بجيها المعلن الجميع قبولهم الصلح ، واستراحت قلوبهم إليه فاختلط الحابل بالنابل وانضمتهب الأمر حتى ظن كل من الفريقين بصاحبه شرا وخرج الأمر عن يد الحكمة وفشل الصلح وفوجئت أم المؤمنين بحجى كعب بن الأسود وهو يقول : أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله يصلح لك الأمور ، فركبت والبسوا هودجها الأفرع .

ولكن هيهات أن يوجد العقل في الثورات وإن تتبين الرؤية في الظلام ، إن التي استتجد بها الناس لفض النزاع ولتقضى على أسباب الفرقة وهكت نفسها في فجأة — دون أن تدري طرعا في القتال وانتشر بين الناس أن أم المؤمنين وقعت تقاتل عليا وحزبه .

ومن الغريب أن الذين اتفقا حولها هم الذين خرجت للقبض عليهم .

وتنفيذ القصاص فيهم ، واستطاعوا أن يجعلوا من أنفسهم مدافعين عن
أم المؤمنين .

هكذا صورت المعركة : صورها تتابع الحوادث وغموض الموقف
واستغلال قتلة عثمان وجود أم المؤمنين في المعركة ولذلك استشعرت أم
المؤمنين أن اسمها استغل في اشغال الناس وتأجيج الخصومة فقالت
هذه العبارة :

والله لو ددت أنى مت قبل هذا بعشرين عاما .

وهذا تصوير لحقيقة موقف السيدة عائشة من وحى روايات المؤرخين
المنصفين (ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٣) .

وقد نجحت سفارة القعقاع بن عمرو واقتنع الطرفان بوجوب الصلح
واسنشر المسلمون ببوادر الاتفاق وآمن طلحة والزبير والسيدة عائشة
أن الله قد نجى المسلمين من شرور حرب طاحنة وبات المسلمون ليلة لم
يبيتوا مثلها لما أحسوا به من نجاح الصلح وتطهير صفوفهم من
الشياطين .

وقد كان المحور الذى يدور حوله الخلاف بين على رضى الله عنه وكل
المخالفين عليه هو أمر قتلة عثمان فكل المسلمين كانوا مجمعين على
وجوب اقامة الحد وتنفيذ القصاص فى قتلة عثمان ، وأن الذى تولى الحديث
عن المقتول هو معاوية باعتباره ولى الدين ، ولما طلب اليه أن يسارع
عليًا لم يمانع فى البيعة ولكن اشترط أولا تسليم قتلة عثمان أو اقامة
الحد عليهم .

ومعاوية وإن قاتل عليا فإنه لا ينكر امامته ولا يدعيها لنفسه وإنما
كان يطلب قتلة عثمان رضى الله عنه ظانا أنه مصيب وإن كان مخطئا ولم
يسبق الى ذهن أحد من المسلمين فى المدينة . أن هذا الطلب اتخذ مستارا
للوصل بمعاوية الى الخلافة .

وكان على يرى هذا الراى ولا ينكره وإنما حصل سبب التأجيل
حتى يتم له الأمر وتبايع الأمصار .

وكان لكل رايه واختلفا ورأى طلحة والزبير أن أم المؤمنين تستطيع
أن تتدخل فإذا ناعت بهذا مستجد من المسلمين جوابا واحدا هو القبض
فورا على كل المتهمين بقتل عثمان : (لع الأدلة لإمام الحرمين عبد الملك
الجوينى) .

هذا الهدف الذى دفع أم المؤمنين أن تشد رحالها من مكة الى البصرة وقد بعث أمير المؤمنين على بن أبى طالب القنقاع بن عمر الى البصرة وقابل أم المؤمنين واتفق الجميع على محاكمة قتلة عثمان ونجحت سفارة القنقاع واتفقا على الصلح ولكن المتهمين بقتل عثمان والمشاركين فى الفتنة أصابهم الغم وأدركهم الخزن من اتفاق الكلمة وأيقنوا أن الصلح سيكشف أمرهم وتسلم رقابهم الى سيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم فلم يجد سبيلا لنجاتهم إلا أن يعملوا على إفساد الصلح .

(ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١٢٣)

باتوا يتشاورون فاجتمعوا على الحرب فى السر فغدوا مع الفليس مايشعر بهم أحد فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة بعض ، مضرهم الى مضرهم وربيعهم الى ربيعهم فوضعوا السلاح بقتة فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين اتوهم وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالوا ما هذا !!

قالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا فقتل طلحة والزبير قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا .

وفى هذا الوقت ذهبت فرقة أخرى تحت جنح الظلام فساجت معسكر على بالكوفة فلما بلغ على قال ما هذا :

قال أصحابه ما شعرنا الا وقوم من أهل البصرة قد بيتونا .

فقال على نفس عبارة طلحة والزبير :

لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وان لم يطاوعانا .

وحفيت حقيقة المؤامرة على كلا الفريقين وظن كل منهما الشر بصاحبه ونجح العاملون فى الظلام ونجحت خطتهم فى إفساد الصلح واراقة الدماء وطاشت عقول القوم واختلطت عليهم الأمور .

هذا هو السر الحقيقى للاحداث ولكن الدكتور طه (فى كتاب على وبنوه ص ٤٣) يخالف فى تصديق هذه الرواية ويدعى أنها تخالف طبيعة الانبياء التى يعرفها هو ويقول ولا يسيغها الا أصحاب السذاجة .

ومن هذه قصص ما يروى باطلا عن تكالب معاوية على الملك وقصة الاختلاف بين ميراث الخلافة وبين انبيعة المختارة .

(٥)

جرت محاولات خطيرة الى اضياف صورة قاتمة على تاريخ الاسلام حملتها الكتب المقررة التي تدرس في المدارس والمعاهد .

اولا : حاول الكثيرون ان يضموا تاريخنا بكثرة الحروب والفتن والمكاييد والاضطرابات . والنظرة الصحيحة تعطى البيان الواضح عن ان هذه الوصيات لها اصل صحيح — كما يقول الأستاذ يوسف العث — وكل ما في الأمر ان هناك تفاعلات في المجتمع الاسلامي العربي كانت تأخذ طريقها ولابد ان تأخذ طريقها في ذلك المجتمع وان هذه التفاعلات سنة من سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهي تفاعلات تحدث في كل امة بل ان الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب . وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربي ، فهذا تاريخ فرنسا والمانيا منذ الثورة الفرنسية (وهي من أعظم الأمم التي ساهمت في تاريخ العالم) ان تاريخهما ملئ بالحروب ، حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون وحرب ١٨٧٠ وحرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ ، كل ذلك في مدى لا يتجاوز ثمرنا ونصف القرن والضحايا التي وقعت في هذه الحروب يتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب في تاريخنا بأجمعه .

ثانيا : جرت المحاولات لحشد مجموعة من الأكاذيب والشبهات والروايات الضعيفة مثل تصاطي الخمر وتمزيق أحبد الخلفاء للقرآن ومؤامراتهم وقتلهم للمسلمين الأبرياء ولا ريب ان هذه الحوادث لا أساس لها وانما أخذت من كتب القصاصين والشعراء وان الشعبويين هم الذين حاولوا استخدامها للإساءة بها الى تاريخنا .

ومن ذلك قولهم ان أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص تأمرا على علي بن أبي طالب تحت عنوان الحكيم بينما المرجع الأساسي (العواصم من القواصم) يقرر أن الاتفاق تم بين الاثنين على تثبيت كل في مكانه وإيقاف القتال حتى يجتمع أهل الحل والعقد .

وتقول كتب التاريخ ان عائشة رضي الله عنها خرجت لتحارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في موقعة الجمل بينما يقول كتاب العواصم من القواصم ان أم المؤمنين خرجت لتصلح بين المتحاربين .

وتقول كتب التاريخ : ان الخلفاء خافوا من الصراع بين المسلمين في الجزيرة الصغيرة فدفعوهم الى الفتوحات والغزوات في الخارج .

بينما تقول الحقيقة ان من القى بثمرة من يده ليسرع الى دخول المعركة ضد المشركين سعيا للقاء الله شهيدا لم يكن ليسعى الى مغنم الدنيا واموالها طلبا وهمة وان من فهموا معنى الاخاء والحب والايثار جادوا بالروح قبل شربة ماء بعد ان آثروا بها اخوة لهم لم يعرفوا طريق الصراع الا ضد الباطل واعوانه .

كما يقول التاريخ الصحيح ان الفرس اعتدوا على حدود الدولة الاسلامية وساءلوا في دفع المرتدين وارسلوا الى عمالهم على الحدود يطلبون ارسال الرسول اليهم حيا ، كما ان الرومان حثوا قبائل الشمال على شن الغارات والهجمات ضد المسلمين . ثم ان المسلمين كانوا وما زالوا اصحاب دعوة يستعون لنشرها بالكلمة الطيبة فان اعترض الطريق معترض فالجهاد سبيلهم .

ثالثا : كان للاسلام موقفه الواضح من عصر الصحابة وهي عدم الخوض في الخلافات التي حدثت اذ الصحابة كلهم اسوة في طريق الهدى كما يقول ابن خلدون .

قاله عمر بن عبد العزيز : تلك دماء طهر الله ايدينا منها فلا نلوث السيفتنا بها .

يقول السيد محبة الدين الخطيب وقد اوصى الكثيرون بان نكف عما شجر بين اصحاب رسول الله فقد شهفوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وامرنا بالاستغفار لهم ، والتقريب اليه بمحبتهم ، وانما فضلوا على سائر الخلق لان الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مقفور لهم ولا ينظر في كتاب صفين والجمال وواقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم . والصحابة هم افضل المسلمين بعد الرسول وتوجد بهم ايضا درجات في الفصل تعتمد في الثواب على السبق في الاسلام ، وما قدمه اولئك الصحابة من مجهودات في سبيل نصرته هذا الدين منهم الخلفاء الراشدين واصحاب الشورى المستة والعشرة المبشرين بالجنة واصحاب بدر واصحاب احد والمبايعين تحت الشجرة ويتلو الصحابة في الفضل التابعون وتابعو التابعين .

وينبغي ان يكون سبيلنا ان نعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا ، على اننا وقد وجدنا في العبرة اكثر مما وجدوا كما ان من بعدنا يجد من العبرة اكثر مما وجدنا كما ينتظر العالم من اظهار ما عنده وما يمنح الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد امكن الحق وصلاح الدهر

وخوى نجم التقية وهب ربح العلماء وكسد البغى والجهل وقامت سوق
البيان والقلم .

رابعا : كذلك فان اخطر ما يواجه المثقفين المسلمين هو الأسلوب
الوطني فى كتاب التاريخ الإسلامى ، والأسلوب القومى ومدى اختلافهما
عن المنهج الإسلامى ، فان أصحاب هذه الكتابات وقفوا فى الحدود
الطبيعية التى تحدها الأوطان والأرض ، أو الأقوام والدماء والعناصر ،
وكل هذا لا يستطيع أن يعطى مفهوما صحيحا فان الإسلام هو المجرى
الواسع الكبير الجامع لهذه الأمم والأوطان جميعا .

وقد شهد كثير من الباحثين بأن النضالات الوطنية الأولى قد انطلقت
من تحت راية الجهاد فى سبيل الله . كان الإسلام فى أغلب هذه
النضالات ولا يزال رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعباد
الاستعماري وكان هو الضمان الوحيد لاستمرار وحدة اللغة والثقافة وكانت
تتجسد فيه القيم النقية .

وقد استهدف الأسلوب الوطنى فى كتابة التاريخ سلخ الشعوب عن
وحدتها وقيمها وتحطيم شخصيتها وامتصاصها داخل الأطار الإقليمى بما
يستتبعه من عادات وفلكور واعتماد على مفهوم مسموم هو الأرض والتراث
بينما لم يعرف المسلم فى تاريخه كله إلا الأمة الإسلامية فى وحدتها
الجغرافية والعقائدية .

خامسا : يؤكد الباحثون المنصفون أن تاريخنا الإسلامى يتميز بسرعة
الحركة على سطحه وبطنها فى عمقه . أى أنك تقراه فتجد الحوادث
متداخلة متلازمة وكلها حوادث سطحية : نزاع على السلطان وحطام
الدنيا ، فإذا نظرت فى العمق لترى حركة المجتمع وجدت ثباتا على قيم
الإسلام . وتحركا نحو البناء والتقدم . إن لب التاريخ الإسلامى فى
الحقيقة ليس الحكم والسلطان ولكنه الحضارة والعمران .

وقد روجت هذه المدارس الإقليمية لفكرة الصفات الطبيعية التى
يتصف بها شعب من الشعوب بينما جاء الإسلام لينشئ « شخصية »
جامعة موحدة لكل المؤمنين بالقرآن والإسلام ، برغم هذه الفوارق
القليلة التى تفصل بالإقليم أو الوطن .

(٢٢)

شبهات حول الحكومة التيقراطية واختيار الامام

ليس من المسلم به ان جائحة القوميات والاقليميات قد نجحت في القضاء على الفكرة الاسلامية التي تقوم على الارتباط بين فكرة امة اسلامية واحدة وفكرة رئيس او امام (سياسى دينى) واجب لهذه الامة .

وقد تبين فساد دعوى القائلين بان الشورى الاسلامية هي الديمقراطية الغربية او قريبة منها ، او القول بان المساواة والبساطة التي كان يتحلى بها النبي واصحابه الاولون هي الديمقراطية .

لقد كان ظهور فكرة القومية التركية محاولة للقضاء على الوحدة الاسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية التي كانت تجمع بين العرب والترك في دولة واحدة تحت لواء واحد ، ثم ظهور القومية العربية وما انطلق بها خصوم الاسلام في محاولة للقضاء على الوحدة الاسلامية كل هذا لم يحل دون بروز مفهوم الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع وعامل تجميع بين المسلمين على انه لون من ألوان الدعوة الى الجامعة الاسلامية او الوحدة الاسلامية او التضامن الاسلامي . ولقد حاولت قوى التغريب اثارة شبهة القول بان الحكومة الاسلامية كانت حكومة ثيوقراطية على النحو الذي عرفته اوربا وقد تبين فساد هذه الدعوى وبطلانها ، ذلك ان الاسلام لم يعرف هذه الحكومة التي تقوم على نفوذ رجال الدين وسلطانهم ذلك لانه لا يوجد اساسا في الاسلام ذلك السلك الكهنوتى الذي عرفه الغرب وانما يعرف علماء الدين وهم لم يكونوا في يوم من الايام رجال حكم ولا طلاب حكم .

كذلك فقد كشف علماء اهل السنة بقوة واستفاضة عن مبدأ «الاختيار» في اقامة امام المسلمين ازاء دعوى بعض النحل بان امام المسلمين معين بمقتضى النص وقد دافع اهل السنة عن مبدأ الاختيار الذي آمنوا به كسبيل لتولية الامام كما رفضوا دعوى «العصمة» للامام وكان من المبرزين في ذلك القاضي الباقلاني (٤٠٣) في كتابه التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وعبد القاهر البغدادي (٤٢٩) في كتابه اصول الدين والقاضي أبى ليلى محمد بن الحسين بن الفراء (٤٥٨) في كتابه المعتمد في اصول الدين وامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤٧٨) في كتابه الارشاد الى قواطع الادلة في اصول

الاعتقاد وأبى خالد الغزالي (٥٠٥) في كتابه فضائح الباطنية والقاضي أبي بكر بن العربي (٥٤٣) في كتابه العواصم من القواصم والامام بن تيمية (٧٢٨) في كتابه منهاج السنة وابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته .

وقد افرد الباقلاني بابا مسهبا جعل عنوانه (باب الكلام في ابطال النفي وتصحيح الاختيار) تعقب فيه النصوص التي يحتج بها القائلون بتعيين الامام بالنص سندا ودلالة - كذلك لأن اخبار الاحاد التي تدعيها بعض النحل في النص على بن ابي طالب اخبار قد عارضها اجماع المسلمين في الصدر الأول على ابطالها وترك العمل بها فالأمة كلها انتادت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ودانت بوجوب طاعتها وتأييدهم على والعباس وعمار والمقداد وأبو ذر والزبير بن العوام وكل من ادعى له النص وروى له وهذا الظاهر المعلوم من رجال الصحابة رضي الله عنهم لا يمكنوا أحدا منهم دفعه .

وبعد ابطال حجج القائلين بتعيين الامام بالنص خلص الباقلاني الى القول بأن الامام انما يصير اماما بعقد من يعقد له الامامة من افاضل المسلمين الذين هم من اهل الحل والعقد والمؤمنين على هذا الشأن لأنه ليس لها طريق الا النص او الاختيار وفي فساد النص دليل على نبوت الاختيار الذي يذهب اليه .

ويرفض الباقلاني دعوى الشيعة في القول بعصمة الامام فانما الامام واحد من البشر يخطئ ويصيب « وأما مايدل على أنه لا يجب أن يكون معصوما عالميا بالغيب ولا لجميع الدين حتى لايشذ عليه شيء . فهو ان الامام انما ينصب لقامة الاحكام وحدود وأمر قد شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم علم الأمة بها وهو في جميع مايتولاه وكيل للأمة ونائب عنها وهي من ورائه في تسديده وتقويمه واذكاره وتنبيهه واخذ الحق منه اذا وجب عليه وخلعه والاستبدال به متى اقترب ماوجب خلعه فليس يحتاج مع ذلك إلى أن يكون معصوما كما لايجتاج أمره وقاضيه وجابي خراجة وصدقائه أن يكونوا معصومين » .

ويدل على هذا اعتراف المخلفاء الراشدين بأنهم غير معصومين .

وقال الامام بن القيم في تفسير قوله تبارك وتعالى : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال : فأمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل (واطيعوا) اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ولم يأمر

بطاعة أولى الأمر استغلالا بل حذف الفعل (واطيعوا) وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول (اعلام الموقعين) .

(٤٣)

شبهات حول الخلافة الإسلامية

تثير القوى الأجنبية الشبهات حول الخلافة الإسلامية والوحدة الإسلامية وتجدها دوماً في محاولة خسيسية من أجل خلق روح اليأس في الدعاة إلى الله بادعاء عدم صلاحية الإسلام للحكم .

وتنطلق الكتابات المسمومة من منطلق خاطئ أساساً وهو التفسير المسيحي للدين بالإضافة إلى سوء القصد .

إن كلمة الدين في الإسلام يختلف عن مفهوم الغرب للمسيحية ، ولذلك فإن محاولة تطبيق تجربة البابوية وآثارها على الخلافة الإسلامية غير صحيح . وهو مفهوم يختلف عن مفهوم كلمة دين في الإسلام ، ذلك لأن الدين في الإسلام يعنى تصريف كل شئون الحياة من عبادات ومعاملات وأحكام وقوانين وشرائع وأحلاف ومعاهدات وفق إرادة الله المجتلة في شرعه الذي أرسل به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وتضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة .

ومن هنا يختلف مفهوم الدين في الإسلام عن مفهومه في اليهودية أو المسيحية أو أي دين آخر ، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المستشرقين الذين كتبوا عن فلسفة الأديان أو الأديان المقارنة ، يقول هاملتون جب في كتابه المجتمع الإسلامي والغرب : « الشريعة الإسلامية من الناحية النظرية تتناول كل شيء فلم تكن كالقانون الكنسي في المسيحية مجرد قانون ديني يقوم إلى جانبه مستقلاً عنه قانون مدني لتنظيم بعض الشؤون الدنيوية . عندئذ صار واضحاً أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة . ويقول دكتور سماخت : أن الإسلام يعني أكثر من دين ، أنه يمثل أيضاً نظريات قانونية وسياسية وجملة القول أنه نظام كامل يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول أرنولد توينبي : في الإسلام يتحد العنصران (الدين والدولة) في كيان وحدة عضوية .

وقال جوزيف هل « ومثلما أيقظ الاسلام في نفوس أتباعه الحاجة إلى الحضارة وبعث فيهم الشعور بحب الخير وشكل حياتهم العامة والخاصة على السواء فإن الفن الاسلامي الذي بدأ أصلا في المسجد احتضن كذلك الحاجات الدنيوية لحياة الناس الخاصة والعامة .

ويكذب خصوم الاسلام حين يقولون ان الدين لم يكن في جميع الاوقات عامل وحدة بأي شكل من الأشكال ، وهذا القول مخالف للواقع الذي عاشته البشرية ولا تزال تعيشه الى اليوم . ذلك ان الدين عامل من أهم عوامل الوحدة بين الشعوب وفي كثير من الأحيان كان هو العامل الوحيد كما هو الحال في وحدة الأمة الإسلامية في مختلف عصورها وكما حدث في وحدة العالم المسيحي وتجمعه لضرب الاسلام في الحروب الصليبية وكما يحدث اليوم في تجمع اليهود من كل اطراف العالم لاقامة دولة اسرائيل .

كذلك فإن وجود الفرق المختلفة في الدين الواحد لا تمنع من التعاون والعمل المشترك للغايات الكبرى بين أبناء الدين الواحد .

فقد تلاشت الفوارق بين الكنيسة الكاثوليكية (ايطاليا وفرنسا) والبروتستانتية (بريطانيا) والأرثوذكسية (روسيا) في سبيل القضاء على الخلافة الإسلامية واقتسام أسلابها بينهم كما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى وما سبق ذلك من مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ .

ولقد كانت رابطة الوحدة الإسلامية الجامعة أقوى الروابط التي عرفها التاريخ وهي ما تزال أملا قويا تتطلع اليه قلوبهم باستهداف جمع شتات العالم الإسلامي لتقف سدا منيعا في وجوه المستعمرين الغزاة في كلا المسكرين الرأسمالي الغربي والشيوعي السوفيتي .

وحين قامت كانت رابطة متماسكة الفت بين قلوب المسلمين ووجدت أهدافهم وصنعت منهم أمة الاسلام وامتدت أكثر من الف وثلاثمائة وخمسين عاما . وقد أشار الدكتور ولفرد كاتبول سميث ان مركز هذه القوة الموحدة هو الدستور الديني الذي نظم ضمن تياره القوى المحكم كل شيء من شعائر الصلاة الى حقوق الملكية وقد منح ذلك الدستور الوحدة للمجتمع الإسلامي من قرطبة الى اللتان .

وقد وصف المستشرق الألماني آدم متر بعد أن ذكر حدود الدولة الإسلامية التي تمتد من كاشغر في أقصى الشرق الى السويس الأقصى في الغرب والتي جمعت تحت رايتها بلاد العرب والهنود والصينيين والبلغار والأرمن والترك والصقالبة والسودان قال :

وكان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته وفيها يجد ناس يعبدون الاله الواحد الذي يعبدونه ويصلون الصلاة التي يصلونها وكذلك يجد شريعة واحدة وعرفا واحدا وعادات واحدة . وكان يوجد في هذه المملكة الاسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطن بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية أن يمسها أحد » .

وهكذا جمع الاسلام بين الشعوب والأجناس المختلفة في الماضي ووحدهم في أمة واحدة قوية البنيان فهل لاتزال له القدرة على جمع هذه الشعوب مرة أخرى . نعم . بل ان الوحدة الاسلامية قائمة في قلوب المسلمين وجذوتها حية لم تخذل ابدا وهم جميعا يتشوقون الى الوحدة الكاملة بقيام دولة اسلامية تجمع شملهم وتوحد كلمتهم .

وقد دعا السلطان عبد الحميد الى الجامعة الاسلامية وتجاوبت مع قلوب المسلمين من كل فج مما أفزع الغرب وأوربا وجعلها تعمل على إنهاء الخلافة وإزالتها من الوجود . قال لوثرروب : لقد مر أكثر من ثلاثة عشر قرنا فما أوهن مرور هذه القرون في عضد الجامعة الاسلامية جانبيا وما ضعف لها كيانا بل كلما تقادم عليها العهد وتناسخ الألوان ازدادت الجامعة الاسلامية شدة وقوة وقناعة واعتزازا .

وهي الواقع انه ليس من دين في الدنيا جامع لابنائهم بعضهم على بعض موحد لمشاعرهم ودافع بهم نحو الجامعة والاستمسك بعروتها كدين الاسلام .

ان الغرب لا يفزع من شيء فزع من الجامعة الاسلامية وقيام الدولة التي تجمع شمل العالم الاسلامي وتقوده على أنساق واضح من شريعة الاسلام .

ولذلك بذلت الدول الاستعمارية كل ما في وسعها لانهاء الخلافة الاسلامية وإزالة آثارها من الوجود ومحاوله وضع الشعارات البديلة كالقومية والاشتراكية والاسيوية والأفريقية وصناعة القادة الذين يتبنون هذه الشعارات .

وقد دخل الغرب في مطلع هذا القرن عندما أعلن السلطان عبد الحميد الدعوة الى الجامعة الاسلامية فأخذ يعمل ليل نهار لقتل الفكرة في مهدها قبل أن يستفحل خطرها .

قال توينبي : لفظة الجامعة الاسلامية المؤثرة - تلك التي استعملها أول الأمر السلطان عبد الحميد واصبحت منذ ذلك الحين يبيع الحكام الاستعماريين للغربيين ووصفت خطة السلطان عبد الحميد بأنها أبرز حوادث القرن « هذه الخطة الماهرة التي استطاع أن يظهر بها أمام ثلاثمائة مليون مسلم من المسلمين في ثوب الخليفة الذي هو الرئيس الروحي في الدين الاسلامي .

وقال هاملتون حبيب : ان لهذا النداء (الجامعة الاسلامية والجهاد) آثار نفسية بالغة في روح الاسلام المجاهدة حتى لو طالبت رقدة هذه الروح ، ذلك لأن النهي قد يوقظ في العالم الاسلامي اصدااء عهد بطولي » .

ومن أجل هذا المرعب والهلع من قيام دولة الاسلام الشاملة عملت الدول الأوروبية كل ما في وسعها من جهود لاطفاء هذه الشعلة وإنهاء الخلافة . وكانت أهم الخطوات التي اتبعت في ذلك (١) اثاره نكرة القومية التركية بقيادة مصطفى كمال التي قامت بعزل السلطان سنة ١٩٢٤ ، وبلغ تركيا عن الاسلام (٢) اثاره القومية العربية ودفع العرب بقيادة الشريف حسين لحرب الأتراك (٣) تخريب خطة سكة حديد الحجاز بواسطة لورنس (٤) تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ (٥) وعد بلفور باقامة الوطن اليهودي في فلسطين وقد تحقق فعلا منذ سنة ١٩٤٨ (٦) عزل الشريف حسين بن علي عندما طمع في أن يكون خليفة عربيا للمسلمين عام ١٩٢٥ (٧) دعم الحكومات والزعماء الذين يناوعون الدعوة الاسلامية (٨) قيام الجامعة العربية التي انبثقت فكرتها في مجلس العجوة البريطاني في تصريح وزير خارجية ابدن يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٢ (٩) ضرب الحركات الاسلامية الجادة (١٠) نشر الألحاد والشيوعية والتحلل الخلقي بين المسلمين (١١) الدعوة الى احياء التراث الفرعوني والفينيقي والوثني . (١٢) تقسيم اجزاء الوطن الاسلامي ونذر روح العداوة بينهما كتقسيم باكستان والصومال وسوريا ولبنان (١٣) تدعيم الاقليات النصرانية وتشجيع الحركات البهائية والقائمية .

بهذه المخططات استطاع أعداء الاسلام أن يضعوا العراقيل في وجه الوحدة الاسلامية الكاملة ولكن وعى الأمة الاسلامية قد أدرك هذه المؤامرات وأخذ يعقل لتوحيد صفوفه .

(عطية محمد سعيد)

وقد كان من مؤامرات الاستشراق والغزو الثقافي محاولة الشيخ على عبد الرازق في دعواه الى أن الخلافة ليست أصلاً من أصول الحكم في الإسلام. وقد خالف الشيخ الدين ونصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية واجماع الأمة ، حين أنكر فرض الخلافة وفرض الجهاد وفرض القضاء ، وهذه كلها فروض أساسية من الدين بل انه أنكر شرع الإسلام فيما يتعلق بالمعاملات أى الشؤون الاجتماعية وأنكر وجوب التنفيذ . ولم يبق بعد ذلك من الإسلام الا أن يكون عقيدة فردية أو روحية دون أن يكون له صلة أو أثر في الحياة الاجتماعية التى تشمل مصالح المجتمع والأفراد .

قال رشيد رضا : ان هذا القول هدم لحكم الإسلام وشرعه من أساسه وتقريب لجماعته وان الآراء التى احتواها كتاب الشيخ على عبد الرازق هدم لكثير من مقومات الإسلام والمجتمع الإسلامى وانها دعوة ما كان يمكن أن يقول بها مسلم فضلاً عن عالم من خريجي الأزهر وقاض يحكم بهذا الشرع ، ويريد أن يشو « طبيعة الإسلام فيبطل جانبه العلمى فلا يكون له أثر في تحقيق مصالح الناس أو في نظم المجتمع .

(٢٤)

شبهات حول الماسونية

قامت الماسونية بدور خفى طوال فترة طويلة في البلاد العربية قبل أن ينكشف أمرها وقد اقترن تاريخ الماسونية في البلاد العربية بتاريخ الاستعمار فيها وبلغت المحافل الماسونية في مصر قبل الاحتلال ٢٩ محفلاً كما انتشرت في سورية ولبنان وتركزت في فلسطين بهدف إعادة بناء هيكل سليمان التى هى هدف الماسونية وفى العقد الثانى من القرن العشرين كانت شبكة المحافل الماسونية تضم جميع مدن فلسطين وقصباتها ومنها القدس ويافا وغزة ، وكان رجال هذه المحافل يتولون أعلى المناصب في فلسطين وممن أنيطت بهم قيادة القضية الفلسطينية وكان أربعة من أعضاء الوفد الفلسطينى الذى انتخب بقرار للسفر الى أوربا لمفاوضة الحكومة البريطانية ١٩٢١ من الماسون وكان عدد أعضاء الوفد ستة وكان المندوبون البريطانيون في البلاد العربية ماسون وهم الذين يقومون بالعمل ، وكانت الماسونية من أخطر الدوافع وراء نشاط الخديوى عباس الثانى للوصول الى الخلافة .

وكان محفل الأفغانى الوطنى (تابعاً للشرق الفرنسى) ٣٠٠ عضو من المفكرين والعلماء والوجهاء تمكن من أن يلعب دوراً كبيراً في تنحية

اسماعيل من منصب الخديوية وتولية توفيق وقد سكت الانجيلز عنه طالما كان فى الماسونية الانجليزية وعندما خرج عليها وانشأ المحفل التابع للشرق الفرنسى واخذ يهاجم سياسة بريطانيا اشاروا على توفيق بضرورة التخلص منه .

وكان ولسلى القائد البريطانى الذى فتح مصر وقضى على ثورة عرابى ١٨٨٢ ماسونيا وقد سجل ذلك اثر الماسونية فى نجاح خطته فقال : اننى استسهلت الصعب وسخرت الأهوال فى كل البلاد لأننى حيث توجهت كنت القى اخوانا من الماسون يرحبون بى ويساعدوننى على ما اريد ولست ارتاب فى نجاحى لأنى استاذ فى الماسونية .

وقد كشف الباحثون عن شعار الماسونية الاخاء والمساواة فقالوا انه يعنى اخاء اليهودى ومساواته بغيره من المواطنين واطلاق حرية العمل له . وقد تكشف عن ان كلمة بناء أو البناء الحر انها تعنى العمل لاعادة بناء هيكل سليمان ويتحقق وصول العضو الى الدرجة العليا باندماج العضو فى الماسونية وتخليه عن جنسيته وقوميته ليكون رفيقا لليهود ويضع فى خدمة اهدافهم كل امكانياته .

وقال أحمد غلوش : ان الماسونية حركة يهودية عالمية تستهدف اعادة اليهود الى ارض الميعاد فستظله شعارات خلافة مستندة على مادسه اليهود وما كتبوه بأيديهم فى التوراة والمزامير .

وقال بعض الباحثين : ان الماسونية تسمى لاقامة دين عالمى ولحو الحدود القومية بين البشر واعتبرها البعض من الدوافع الرئيسية فى ثورة أكتوبر الشيوعية .

وقد استطاعت الماسونية أن تسيطر على الكنيسة والمسجد فى السنوات الأخيرة وكان أكبر انتصاراتها اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها . وكانت الكنيسة الكاثوليكية تنبذ كل فرد مسيحي يثبت لديها اشتراكه فى عضوية المحافل الماسونية وتسقط عنه الايمان المسيحى باعتبار ان الماسونية عقيدة صهيونية يهودية والغرض منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية . ولقد تحقق ذلك بعد عمل متصل فقد استطاع اليهود فى خلال السنوات المائة الأخيرة من السيطرة على العقليّة الدينية المسيحية وامكنها تحقيق ما أطلق عليه ظاهرة تهويد المسلمين خصوصاً ما يتعلق بطبيعة القضية الفلسطينية من الناحية الدينية ، ولقد كان توزيع الأساقفة الكاثوليك فى روما بياناً بالسماح

للكاثوليك بالانضمام للمحافل الماسونية دليلا على استئراء النفوذ الصهيونى داخل الكنيسة ، وكيف بدأ تهويد العقيلة المسيحية ومسح تقليدها الدينى ، وكانت الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على المسيحية تمهيدا لتسلط اليهود على العالم .

ولقد كان الفلاسفة الملاحدون المحاربون للكنيسة على امتداد التاريخ الأوربى كلهم من الماسون : ومنذ انشاء الحفل البريطانى ١٧١٧ والماسونية تحارب التعليم الدينى وتدعو الى تأسيس مدارس علمانية تقتضى على نفوذ الكنيسة .

وفى عام ١٨٥٦ بعد أن أصبح الماسون فى مركز القوة وتبوا كثير من رجالهم الكثير من الوزارات والمناصب العليا فى أوربا أصدروا نشرة صريحة أعلنوا فيها موقفهم من الأديان وكانت بمثابة إعلان حرب الأديان . ولا يرد ذكر لليهودية فى عداء الماسونية للأديان يكشف عن هويتها الحقيقية كحركة يهودية تهدف الى القضاء على المسيحية ثم جاءت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح مع تأييد اليهود فى فلسطين .

ويرد عجاج نويهض انتشار الماسونية فى البلاد العربية الى سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فى الدولة العثمانية، هذه الجماعة التى نشأت فى محافل الماسونية واستطاعت بوسائلها إسقاط السلطان عبد الحميد ، ومنذ خلع عبد الحميد ١٩٠٩ فصاعدا أخذت الماسونية مداها فى البلاد العربية . فأخذت تطرح وتتشش وتشرى شرا وتطفل فى المجتمع العربى الواقع على شواطئ البحر المتوسط يساعدها ويشد فى أزرها الانتدابات الفرنسية والانجليزية بعد الحرب الأولى .

ويقول عجاج نويهض أنه عندما ترجم بروتوكولات حكام صهيون هاله مارأى من صلة وثيقة بين واضعى البروتوكولات والماسونية ، حيث اتضح أن هذه الماسونية العربية تدعى البروتوكولات ماسونية الجويم وبأفضل تعبير ماسونية غير اليهود واخترعت للتضليل بين الشعوب هذه الماسونية هى لخدمة أصحاب البروتوكولات فى الاتصالات وصنع المكائد والمؤامرات تحت شعار الأخوة والعدالة والمساواة ولما وقع الانقلاب العثمانى سنة ١٩٠٨ جعلت جمعية الاتحاد والترقى شعارها هذا (حرية - اخاء - مساواة) وجعلت الحكومة جميع المدارس فى المملكة العثمانية تحفظ نشيد تركيا مبنيا على هذا الشعار وهو شعار ماسونى

ليوهبوا الشباب بأن هدف الماسونية هو نشر الحرية والعدالة وكل هذا أكاذيب وأباطيل .

وعند أصحاب البروتوكولات لا توجد ماسونية وإنما يوجد مجلس السنهدين الأعلى الخفى المؤلف من عدة مئات من أساطين اليهود فى المال والاقتصاد والسياسة والعلم والنفوذ ولا يمكن أن تعرف هيئة هذا المجلس بوجه الحصر لتعمدهم الخفاء والتخفية وبين هؤلاء مقود حركة عالمية يحاولون أبدا اجتذابها الى ناحيتهم ولا تستطيع اسرائيل السير الا على تخطيط مجلس السنهدين ، ولكى يوغل الصهيونيون فى أيهام غيرهم فانهم يدخلون ماسونية الجوتيم ليتمكنوا من توجيهه القادة التوجيه الذى يريدون .

ومجلس السنهدين هذا قد انتشح الخفاء ولم يزل له الهيمنة على يهود العالم قاطبة ولا تخرج اسرائيل من تحت فلكه ولا يذكر اسمه فى الصحف .

وقد اثنار دزرائيلى اليهودى منذ عام ١٨٤٤ ان الذين يديرون دفة السياسة فى العالم ليسوا هم الذين فى دست الحكم ظاهرا وانما هم أولئك الذين يكمنون وراء الكواليس وقال والتر زنينانو الوزير الألمانى اليهودى والياس تنيوفرسال اسرائيلى اليهوديين ان ثلاثمائة رجل من رجال السياسة المتعارفين فيما بنهم يديرون الأمور فى أوربا والآن فى العالم كله وتنتخبون خلفهم وقال اسحق بيرم ان الشبكة التى القاها بنو اسرائيل تبتلع العالم يوما بعد يوم وانها آخذة فى الاتساع وان يوم انتقال ثروة العالم الى بنى اسرائيل ليس ببعيد .

وقد كتب بعض الباحثين عن خفايا الماسونية فقال ان الهدف الأول والأساسى للماسونية هو تحقيق الهدف الذى نادى به بروتوكولات حكماء صهيون وهو الدستور الأساسى لدى الماسونية : ايجاد جمهورية ائوقراطية عالمية .

ذلك أن الماسونية هى الطائفة الوحيدة فى العالم التى تعمل ضد الأديان وتهاض بحرارة الدعوات التحريرية أو التطلعات القومية أو التقاليد التى تتمسك بها الشعوب .

وقد جاء ان تعاليمها استمدت من تغاليم البطارقة وأسرار الوثنيين والمصدر الذى لا ريب فيه هو (الكابالا اليهودية) وهى مزيج من

الفلسفة والتعاليم الشيعونية التي اتخذت أساسا لانشاء المحفل الأكبر الماسونى بلنقن ١٧١٧ ولول داعية للماسونية هو أوليفر كرومويل . وتضع الماسونية مثلها الأعلى (حرام) عريف البنائين الذين قاموا ببناء هيكل سليمان .

وفى عام ١٨٨٢ عقد المؤتمر الماسونى العام الذى نادى بالتسلط الماسونى على العالم والتحكم فى مؤسساته ليلتف حول الماسونية الذهباء والسوقة .

وقد أكد كثير من الباحثين أن الماسونية هى التى تزيف الأديان الأخرى وتفتح الباب على مصراعيه لاعلاء اليهودية وانتصارها .

(٢٥)

افتراءات اليونسكو

اليونسكو : فرع من فروع هيئة الأمم المتحدة . والمسيطرون عليها يهود وهى تخدم أغراض اليهودية متذرة باسم العالم والفن والثقافة .

ويحسن الظن بها بعض المسلمين وتبهاى بعض الدول الاسلامية بأن لديها مكاتب تابعة للأمم المتحدة .

وقد أشار الى اخطارها كتاب : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية لعبد الله التل وكتاب (أوقفوا هذا السرطان : حقيقة الماسونية للدكتور سيف الدين البستاني الذى قال أن ٨٠ فى المائة من موظفى الأمم يهود فهناك ٤ آلاف موظف فى الأمم المتحدة يهود من بين ٥٠٠٠ موظف وان السكرتارية العامة للأمم المتحدة ٩٠ فى المائة من موظفيها يهود وكذلك منظمة العلوم والفنون والثقافة (اليونسكو) .

وقد أصدرت منظمة اليونسكو كتابا اسمه « تاريخ الشعوب » .

حمل مجموعة من الشبهات التى ترمى الى الاساءة الى الاسلام جماعها أن الاسلام مشبع بالوثنية وأنه تلفيق بين مناقضات أخذها من اليهودية والنصرانية . وقد واجه هذه الشبهات عديد من الباحثين وكشف الدكتور مصطفى كمال وصفى فساد هذا الراى فقال ان الاسلام قد تبرأ من كافة مظاهر الشرك وشبهاته واستمسك بخالص التوحيد بلا شرك ولا تثليث ولا تمثيل ولا تشبيه ، وهذه القضية لا تحتاج الى

برهان فالمسلمون لا يعبدون الكعبة ولكنهم يعتقدون انها الشعاع الجامع لاتجاه المسلمين وكل المسلمين قى العالم يتجهون الى القبلة وليس هذا عبادة للقبلة ولكنه تنظيم للصفوف .

وليس صحيحا ما قيل من ان الاسلام ملقى من متناقضات الأديان وليس بين الأديان متناقضات لانها كلها من عند الله . وليس بين ما جاء به موسى وما جاء به عيسى وما جاء به محمد صلوات الله عليهم تناقض لأن ذلك كله دين الله . أما الانحراف فهو ما فعل اليهود والنصارى فهم الذين اختلفوا بعد ما جاءتهم البيانات بغيا بينهم فلم يكن موسى يهوديا بل اليهود هم الذين هادوا (مالوا وانحرفوا) من بعده ولم يكن عيسى نصرانيا بل النصارى هم الذين قالوا (انا نصارى) وبدلوا ، بل كان موسى مسلما وعيسى مسلما ونحن — ايها المسلمون — نؤمن بهم لانهم انبياء المسلمون ولا يكون انبياء المسلمين الا مسلمين والقول بأن هناك تناقضات بين ما جاء به موسى وعيسى يدل على ان القائل لذلك لا يؤمن بموسى ولا بعيسى ولا بمحمد صلوات الله عليهم ثم ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ .

هذا مصدر من المصادر الاسلامية للاحكام ولذلك فاتباعنا لما جاء به موسى وما جاء به عيسى — مالم ينسخ — هو امر مقرر لا نزاع فيه تقريبا . فنحن لم نقع فى خطأ التناقض بل ان ديننا يعتمد سائر الأديان السماوية — كما انزلت على الرسل والأنبياء — عن قصد وعن وعى لانها متكاملة .

(٢٦)

شبهات حول الوحي

يقول حسيب السامرائى :

الوحي هو ما تعارف عليه شرعا بالطريق الذى يخبر الله به رسولا من رسله باصطفائه للرسالة ويبلغه عقائدها وشرائعها وآدابها وما يريد ان يطلع عليه من انبياء الغيب واتصال الله بالرسول عن طريق الوحي ، فاذا هو الدعامة الاولى التى تقوم عليها الرسالة . فالوحي جوهر الرسالة بما يوحى الله فيه من عقيدة الشرائع وما يكلف به النبى من دعوة الناس الى الدين .

لا تجد ديننا من الأديان يخلو من فكرة الوحي مهما اختلفت المنازع فى تصويره فالتخلى عن فكرة الوحي تقويض للدين من اساسه لا سيما الأديان السماوية .

وتبدو ضرورة الوحي كاتصال الهى بالرسول يبلغ منها رسالته وتبدو جوهريته فى تحقيق معنى الرسالة بل ضرورته لفهم الوقائع الثانية، لا لأن الرسول لا يمكن أن يعتبر رسولا لله مبلغا عنه الا اذا اتصل الله به مباشرة أو بواسطة ، أى الا اذا أوحى اليه ، بل لأن الوحي كذلك هو التفسير الوحيد للظواهر الفكرية التى ظهرت على أيدي الأنبياء هؤلاء الذين لا تقدم لنا سوابق حياتهم مايكفيها فى عد أمثال هذه الظواهر نموا فى قواهم الفكرية أو ثمرة لجهود علمية أو تأثيرا طبيعيا لبيئتهم الثقافية والاجتماعية .

وأوضح مثل لذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبدون ثبوت الوحي يصبح القرآن أمرا متعذرا على الفهم ادراك مصدره وكيفية ظهوره على يده باعتباره ظاهرة فكرية غدة لا يمكن ارجاعها الى الذات المحمدية ولا الى شخصية انسانية أخرى .

وبدون ثبوت الوحي أيضا كأم ممكن بل كحقيقة واقعة لا يكون لما يأتى ما يثبت للرسالة من الأحقية المطلقة فى التوجيه والإرشاد بل فى العمل والحكم ، لأن هذه الأحقية التى تثبت للرسالة لم تكسبها إلا بقدر سننها وان لم تكن لها بمجرد ظهورها على يد الإنسان مهما كان هذا الإنسان فى أعلى طبقات السمو الإنسانى وانما كانت لها كرسالة الهية، ولن تكون الرسالة كذلك الا أوحاها الله الى رسوله بطريقة ما .

فالوحي أساس لكل ما يثبت للرسالة الإلهية من خصائص ويتوقف عنده الذين اكتفوا فى فهمهم للكون بما تقدم لهم الملاحظة والتجربة الحسبة . والذين لا يقبلون أمرا ما كحقيقة علمية مالم تخضع لهذه التجارب مهما قام عليه من الأدلة العقلية الصحيحة .

وقد ذكر اللغويون لكلمة الوحي عدة معان : الإشارة ، والكتابة، والرسالة ، والإلهام ، الكلام الخفى ، الأمر والمكتوب وكل ما القيته الى غيرك والتسخير والرؤيا الصادقة .

فالوحي هو القاء المعنى فى النفس فى خفاء :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » .

وقد استعمل القرآن كلمة وحى ومشتقاتها خمسا وسبعين مرة فى سبعين آية منها ما يراد منها عن القاء الله لآبائه ما يريد تعريفهم به وتبليغهم آياه من الأحكام والأنبياء . أو تعبير عما القاه اليهم من هذه الأحكام والأنبياء .

وقد استعملت كلمة الوحي في القرآن من وحي الله الى غير الأنبياء من الملائكة أو الناس أو الطير أو الأرض أو السماء .

ومن وحي النفس بعضهم الى بعض ومن وحي الشياطين الى أوليائهم وهذا يختلف عن معنى وحي الله لانبياؤه .

لم يعرف القرآن حقيقة الوحي ولم يوضح كيفية الإلقاء لانبياؤه وتبليغهم عنه أحكام الشرع وأسباب الغيب .

وأبرز معالم الوحي : الإلقاء والسرعة والخفاء

ذلك ان اعلام الله لنبي من الأنبياء بحكم شرعى او نحوه هو اعلام متميز بالسرعة والخفاء .

وليست النبوة والرسالة من قبيل الملكات النفسية أو القرائن النوعية أو الصفات الحسية التي يفطر عليها صاحبها منذ النشأة الأولى بل لعل حقيقة النبوة في وحي الله الى النبي ما يوحيه الله من أنباء الغيب وحقائق الوجود .

(٢٧)

شبهات حول الفرعونية

يقول مرقس سميكة : لما تغلبت الديانة المسيحية على مصر أبقي المتنصرون على كثير من هياكل آلهتهم القديمة وحولوا معابد ايزيس وأوزيريس وهورس الى كنائس رفعوا فوقها الصليبان واستعاضوا عن صور الالهة الدينية بصور السيد المسيح ورسله واستخدموا المذابح لتقدیس العشاء الربانى .

ومن ذلك أصبح هناك المتحف المصرى للفرعونية ومتحف الاسكندرية الليونانية والرومانية والمتحف القبطى للعصر المسيحى وذلك تسجیل لتاريخ ما قبل الاسلام .

ولقد كان بروز الآثار الفرعونية واستمرار بقائها عاملاً من عوامل الدهشة بتقدم العلوم في عصر الفراعنة غير أن هذا التراث المسمى بالصرف لم يخلف آثاراً فكرية أو منهجاً ثقافياً يصلح للانتفاع به في بناء الحضارة المعاصرة .

وقد قام العصر الفرعونى على أساس الوثنية فى العقيدة والعبودية فى العلاقات الاجتماعية وجاء الاسلام ليقضى على الوثنية والعبودية فى الحضارات الهندية والفارسية والرومانية والفرعونية جميعا وأحل محلها حضارة جديدة هى حضارة التوحيد والرحمة والأخاء الإنسانى .

ولقد تبين مدى « الانقطاع الحضارى » بين مصر الفرعونية ومصر الإسلامية ، أن العصر الفرعونى توقف قبل أكثر من ألف سنة قبل الإسلام . . يقول الأستاذ صفوت مفسور ، لقد توقفت علاقة مصر بالفرعونية منذ ألف سنة قبل الإسلام . . لفتد انقطع التاريخ حقبة كبيرة من الزمن طالت لألف سنة أو تزيد انتهى فيها التاريخ الفرعونى وتعرضت مصر خلاله الى غزوات حضارية من الشمال والشرق وسادها الاضمحلال الاخير . منذ أواخر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية التى كانت تمثل ضحوة الموت بالنسبة للتاريخ الفرعونى لمصر ، ولكن لم يقدر لمصر أن يحكمها فراغة آخرون بعد ذلك التاريخ وظل دور الاحتضار الفرعونى لمدة أربعة أسرات تالية تخللها وأعقبها احتلال فارسى ويونانى وبطلمى ورومانى وبعد ذلك جاء الاسلام لمصر بحق لا ادعاء وبأصالة لابهوى وخاصة أن مصر قد حظيت برسالة من الرسائل التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك والبلدان المجاورة ليدعوهم الى الدخول فى رسالة السماء التى بعث بها وأراد أن يكون خاتم الرسالات قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى بسنوات .

ويقرر الباحثون أن دور الاحتضار للتاريخ الفرعونى لمصر أخذ أكثر من ألف سنة مما يؤكد توقف الامتداد التاريخى للحضارة الفرعونية .

تقول كتب التاريخ : صارت مصر القديمة فى عصرنا الحاضر تتلقى الضربات من عناصر متباينة أفقيتها استقلالها ومن ذلك أنها تعرضت للغزو الفارسى ٥٢٥ ق.م على يد قمينه ، وعاشت فى الأرض تصاعدا وعاملوا أهلها بقبسوة ووحشية وجاء بصدده دارا ٥١٧ ق.م الذى حاول التودد للمصريين ليمحو من أذهانهم قسوة قمينى فرعى معابد الآلهة .

ولم تلبث مصر أن تخلصت من الاحتلال الفارسى ٤٩٠ واستعانوا على ذلك باليونان ثم تعرضت لغزوهم مرة أخرى ٣٤٠ ق.م ثم احتلها

الاسكندر الأكبر ٣٣٢ ق.م فدخلت بذلك فى عصور السيطرة الاغريقية ومن بعده البطالمة والرومان وولد اسمه بتأسيس مدينة الاسكندرية ولكن حكمه لم يدم طويلا ، فقد توفى ٣٢٣ ق.م فتنزع القواد ملكه فدخلت مصر تحت حكم البطالمة ثم حررتهم قوة اجنبية ٣١ ق.م ولكنها وقعت تحت حكم الرومان وظلت فى تبعيتهم سبعة قرون .

ودخلت المسيحية مصر فى عهد الرومان وفى عهد دقلديانوس حدث اضطهاد كثير للمسيحيين حتى سمي عصر الشهداء ، وعاد القبط (اى سكان مصر) يرحبون بمن يفتح مصر غير الرومان ليخلصوهم من ذلك الازلال والاضطهاد الذى طال واشتدت ضراوته الى ان جاء المنقذ والانتقا على يد الاسلام وقائده عمرو بن العاص ٦٤١ م فرحبوا بهم وساعدوهم على دخول البلاد ودخلت مصر من ذلك التاريخ فى العهد الاسلامى الذى لم تتوقف مسيرته الى اليوم على حين توقفت مسيرة التاريخ الفرعونى ٥٢٥ ق.م بعد احتلال الفرس لها على يد قمبيز وما تلاه من غزو اجنبى يونانى وبطلمى ورومانى الى ٦٤١ حيث تم الفتح الاسلامى لمصر .

وهكذا يكون الامتداد الفرعونى قد قطع قبل الف سنة من دخول الاسلام .

(٢٨)

شبهات حول التفوق البشرى

تثير بعض القوى ذات النفوذ المالى والاقتصادى العالمى ولا تتوقف تلك الصيحات المتوالية تحت اسم الازيحام السكانى والانفجار السكانى وكلها دعوات مسمومة تستهدف الحفاظ على النفوذ الرأسمالى الذى تقوم عليه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى العالم والذى يمكن الدول الرأسمالية وزعماء الرأسمالية العالمية من البقاء فى مراكزهم الحالية، وقد جنست هذه القوى عشرات الافلام فى البلاد الغربية وفى بلادنا لترديد هذه الصيحات .

وقد ترجم صاحب نحو النور بيانات عن كتاب هاك هيلان (مشكلة التضخم السكانى) : ترجمه محمد بدر الدين خليل بهدف تركيز هذه

المفاهيم فى نفوس الناس وتثير هذه البيانات الى الزيادات المطردة فى معدلات نمو السكان فى عالم الاسلام وجفاف السكان فى العالم الغربى مما يثير انزعاجا شديدا للقوى العالمية المسيطرة على الحضارة والاقتصاد .

ومما يذكر ان القس مالتوس هو اول من ارسل هذه الصيحة منذ اوائل القرن الثامن عشر قائلا : انه اذا مازل تزايد السكان على معدلهم وظلت مواد الغذاء والطعام على معدلها فان هناك كارثة سوف تحل بالعالم : هى كارثة المجاعة .

غير ان ما حذر منه مالتوس لم يقع بل وقع العكس مما حمل كثير من الاقتصاديين الغربيين وفى مقدمتهم هنرى تشارلس كيرى على ان يسخر منه . قائلا : هاهم السكان قد تزايدوا ولكن الثروة زادت اضعافا مضاعفة .

ولقد غفل مالتوس عن ان هناك ثروات ضخمة مطبورة فى باطن الأرض لم يكن قد استوعب علمها ولم تكشف عن حقيقتها الا بعد ذلك بوقت وكان من أخطر ذلك البترول الذى غير منطق الحضارة والصناعة والعلم والحرب جميعا .

فضلا عن تدفق الاغذية من العالم الجديد ، وزاد ذلك تقدم الطب والوقاية فزادت نسبة المواليد وانخفضت معدلات الوفاة .

غير ان الظاهرة الخطيرة التى تجلت فى العقود الأخيرة هى انخفاض معدل الخصاب فى الغرب الى حد كبير بينما زادت نسبة المواليد فى عالم الاسلام الى معدلات عالية جدا مما هز نفوس الرأسماليين وأصحاب الثروات الغربيين بالتصور أن الأبدى العاملة الغربية سوف لا تستطيع بعد عقدين أو ثلاثة أن تكون قادرة على استمرارها فى امتلاك تلك الثروات وإدارة المصانع والسيطرة على الاقتصاد بما يوحى أن توزيعا جديدا للثروة الاقتصادية سوف يقع وهو ما يشبه الكارثة بالنسبة للحضارة الغربية الصناعية الحالية .

(٢٩)

شبهات حول تجارة الرقيق

كشفت الأبحاث التاريخية المعاصرة الدور الخطير الذى قام به الغرب فى تجارة الرقيق التى قامت بها الرأسمالية الأوروبية فى أفريقيا وذلك باختطاف الألوف من أهلها وابتاعهم ثم حملهم عبر الأطلنطى للعمل — والموت أيضا — فى مزارع القطن والسكر فى جزر الهند الغربية وفى الولايات المتحدة ، وقد كانت هذه بدورها تصدر السكر والقطن إلى أوروبا الغربية .

يقول الدكتور مدثر عبد الكريم : هذه التجارة الشنيعة لم تؤد لهدم حياة الملايين من الزوج الأفريقيين وانزال أقصى ضروب العذاب بهم وبذويهم فحسب ، وإنما أدت كذلك إلى تعديدية روح العنجهية العنصرية عند الأوربيين (وأضرابهم الأمريكيين) كما أدت إلى انزال الزوج من أسفل منزلة من منازل السلم العنصرى الذى صاغته عقلية المستعمرين الأوربيين إذ تصوروا أنفسهم قمة الهرم وخلاصة العالمين ثم رتبوا الأمم والشعوب دونهم مراتب جعلوا أدناها الزوج الأفريقيين وليس هذا فحسب ، بل ذهب الشطط ببعض العنصريين الأوربيين إلى حد زعموا فيه أن الزوج ليسوا بشرا البتة وقالوا إن الزوجى ليس له روح فهو إذن على أحسن الفروض وحشى ، كما قال الحاكم العام للسودان فى تقريره ١٩٠٥ والافهم شئ لا يرقى حتى لمرتبة الوحشية والحيوانية ثم أنه شئ شرير بل هو رمز للشر والتبجح بحيث إذا صور الأوربيون الآلهة والملائكة والتبيين وما أربط بها من معانى الخير والجمال جعلوها بيضاء براقصة البياض بينما أصبح السواد فى عرفهم رمزا للشر وقبح والاحطاط .

وقد جاء كتلب (جذور) ضربة قوية للغربيين الذين حاولوا الصفاق هذه التهمة بالعرب والافارقة وكشف مؤلفه اليكس هيلى عن أن الذين

مارسوا هذه التجارة على نطاق واسع وبأساليب مقنعة وعلى مدى قرنين أو أكثر من الزمان هم الانجليز لما لهم من تخصص فى الذهاب الى أفريقيا لشراء الرقيق واختيار الأصناف المطلوبة منهم والمساومة على أثمانهم ومنهم من تخصص فى نقلهم فى باطن السفن الانجليزية عبر المحيط فى رحلات منظمة بالغة القسوة والعنف ومنهم من يتولى بيع الرقيق على الشواطئ الأفريقية لأصحاب مزارع القصب والقطن والذرة .

وقد تحدث المؤلف عن أحوال أفريقيا أيام قوتها ومجدها أيام امبراطورية غانا الاسلام ثم امبراطورية مالى وملكها المسلمين الذين كان العالم المتحضر يتحدث عن قصورهم ومدارسهم وجامعاتهم ورحلاتهم فى الحج الى مكة ثم ضعفت هذه الدول الاسلامية وتفككت وبدأ الأوربيون يتسربون الى أفريقيا ويمارسون تجارة الرقيق ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الى أن بلغت أوجها على أيدي الانجليز فجعلوا منها تجارة رائجة رابحة .

وقال : ان الانجليز الذين استثمروا أموالهم فى تجارة الرقيق أثروا ثراء ضخما وبدأت الأموال تتكدس فى انجلترا . وكانت أحد مصادر الثروة الصناعية .

وقال : ان هناك من التقديرات ما يذهب الى أنه خرج من أفريقيا عشرون مليوناً من الشبان والصبية والفتيات عصفت الأمراض والأوبئة بعدد كبير منها ربما وصل نصف هذا العدد وقد أضعفت تجارة الرقيق أفريقيا لأنها أخذت منها أقوى عناصرها .

وقال : انه رغم هذه الحقائق التاريخية فقد ظل الناس يقرعون فى كتب التاريخ ان تجارة الرقيق فى أفريقيا كانت تجارة عربية يجد منها التجار العرب الذين يسرقون أو يخطفون الأولاد والبنات ويصدرونهم الى الجزيرة العربية وما وراءها من بلاد المسلمين ليكونوا رقيق وجوارى غير ان تجارة الرقيق بدأت فى القرن السادس عشر وازدهرت فى القرون الثلاثة التالية أى عندما بدأ النفوذ العربى ينكمش وينحسر فى تلك المنطقة فضعفت وتفككت امبراطورية غانا ثم امبراطورية مالا الكبيرة وانزوى هذا النفوذ .

(٣٠)

شبهة موسيقى القرآن

ترددت شبهات كثيرة تحمل دعوى باطله هي وضع موسيقى للقرآن الكريم بما يعنى اخضاع القرآن للفنون البشرية التى صنعتها الأهواء المضلة .

يقول الأستاذ أحمد حسن الباقورى: ان للقرآن الكريم موسيقاه الخاصة به التى أخذها أسلافنا عن رسول الله وأصحابه وتقيد بها الأخلاف حتى يوم الناس هذا ، وهى مانعرفه اليوم باسم تجويد القرآن الذى ارتضته الأمة وتلقته بالقبول حريصة عليه أشد الحرص .

وفن التجويد أو موسيقى القرآن يقوم أول مايقوم على كون الكلمات القرآنية خفيفة النطق على اللسان ، جميلة الوقع فى الأذان ، فليس فى الكتاب الكريم كلمة بغير هذه الصفة ، ثم يجيء بعد ذلك نظم الكلمات بعضها مع بعض خاضعا لقواعد مرسومة فى القنة التى هى صوت يخرج من الخيشوم فيه جمال ولو كان صوت صاحبه غير جميل ثم تجيء بد الفتحة قاعدة الادغام والاظهار والقلب وهمس الحروف وجهرها وتضخيمها وترقيقها والمد الطبيعى والمد المتصل والمد المنفصل والمد الغارض للسكون .

فهذه هذه القواعد التى تتكون منها موسيقى القرآن ثم يجيء بعد ذلك تاوين الصوت وله صورتان الأولى ما أشارت اليه الآية الكريمة « وقل القرآن ترتيلا » فالترتيل هو التزام النؤدة بغير اسراع فى القرآن والثانية هى ما أشار اليه الحديث الشريف « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أى من لم يحسن صوته بالقرآن تلك هى موسيقى القرآن ليست الا اتساعا لرسول الله ونزولا على كلمة وليست ابتداعا متحرفا ولا تجديدا هداما ، أما أولئك الذين يحاولون وضع القرآن فى لحن تستصحب الآلات الموسيقية انما يعرضون كتاب الله لأشد محنة تمتحن بها الأمة الاسلامية فى الكتاب الكريم وكل تحريف بحذف كلمة من آية أو تغيير شكله من حرف من شأنه أن يهيج عواطف المسلمين فى كل مكان وقد رأينا

الناس يثورون أشد الثورة على مثل هذه التغييرات ينسبونها الى كيد صهيونى يتربص بالاسلام عن هذا الطريق وتلحين القرآن مصاحب بالآلات اللهو والطرب هجوم على قداسة القرآن ولا يشك مسلم أن من ورائه دعوة خبيثة وعداوة متريصة تريد أن تلحق القرآن بالأغاني التى تميل مع الهوى بغير حدود ولا قيود واخشى مانخشاه أن يكون وراء أصحاب الدعوة يد دخيلة تتآمر بالاسلام والمسلمين فى أعز حصن تلوذ به الأمة فى مختلف شئونها الموصولة بالدنيا والدين .

(٣١)

شبهات حول اللغة العربية

تواجه اللغة العربية الفصحى شبهات عديدة ومحاولات خطيرة لتغليب العامية عليها وأهم تلك المحاولات هى الحيلولة دون تعلم العلوم والطب بها بعد أن نجحت تجربة تعلم الطب والعلوم فى جامعة دمشق منذ بضعة عشر سنة .

ولا ريب أن موضوع تعريب العلوم وترجمتها الى اللغة العربية ضرورة لا سبيل الى تجاوزها كمقدمة لاستيعاب التكنولوجيا العصرية وإقامة منهج علمى اسلامى عربى الأصول . ولم يعد من الجائز الآن أن يطرح مبدأ : هل تصلح هذه اللغة لأن تكون لغة العلم أو لا فقد أنتهت الفترة التاريخية التى كانت تطرح فيها هذه القضية للنقاش وقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة وقد كشفت تجربة دمشق أنه لا بد من التعريب من أجل بناء حضارة اسلامية عربية اللغة وأصبحت الشعوب تدرك أنه لا يمكنها الوصول الى حد الابداع والمشاركة الأصلية الا من خلال لغاتها ، وإن التعليم باللغة الأجنبية دليل الضعف وعدم الثقة وخمول العزيمة فى أهلها ومما يذكر أن تعليم الطب فى القصر العبنى استمر سبعين سنة باللغة العربية ثم احتل الانجليز مصر فكان من أكبر أعمالهم الحيلولة دون بقاء اللغة العربية لغة لتدريس الطب والعلوم .

وقد تبين أنه لا بد لتعريب تدريس العلوم والطب أولاً ايجاد المصطلحات وقد نجح تعلم الطب باللغة العربية وتبين أن تدريس العلوم باللغة العربية ميسر : الهندسة والطب والعلوم .

وقد أمكن تخطي العقبات والمصاعب ووضع المصطلحات العربية وتبين أن السبب في تهرب البعض من تعليم العلوم باللغة العربية هو قلة الإقدام وعدم الاعتماد على النفس .

وقد أمكن التقدم في هذا الطريق طويلا على جميع جبهات العلوم وليس تعلم العلوم باللغات الأجنبية هو وحده التحدى ولكن هناك التحدى الذى يواجه اللغة العربية بالعاميات ومحاولة كتابة اللغة بالحروف اللاتينية .

يقول العلامة مالك بن نبي : ان استعمال اللغة الأجنبية في تدريس العلوم بوجه خاص في البلاد العربية هو نفسه علامة الفشل في استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث تبقى الصلة بينها وبيننا صلة سطحية لا نغير نحن فيها شيئا ولا تغير هي فينا شيئا بينما نرى في المجتمعات الحية أن هاته الصلة تتغير يوميا ونجمل الفرد يهيم أكثر فأكثر لا على هضم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما . مثل اسرائيل التى أعادت لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها الى الأمام ، وكما يحدث في اليابان والصين وكما حدث ذلك في حضرة الحضارة الإسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت في اللغة العربية الفصحى في لغة قحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة .

(٣٢)

شبهات حول مهمة الجامعة

تكشفت من خلال بعض الدراسات الجامعية في البلاد العربية مخططات ترمى الى مهاجمة القيم الأساسية وخدمة النفوذ الأجنبي وتحويل هوية الأمة الى تغريب كامل تحت اسم العقل الحر والفكر الحر ، وقد واجه السيد محب الدين الخطيب هذه المحاولة فقال : ان كل جامعة في الدنيا مطالبة في البيئة التى نشأت فيها بأمرين اثنين : أولهما أن يتنزه القائمون بها عن كل موجدة نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الراى وسائل لتوهين رابطة النشء المثقف بدينه

وقوميته ومقدساته ولا سيما اذا كان دينهم صديقا للعلم وداعيا الى الحق واخذوا بيد المعرفة ينشطها ويرفع مقامها ، وفى مصر اناس تعرفهم بأعيانهم وتعرف أتباعهم بسميائهم لا يفتأون يعملون على توهين رابطة النشء بالدين وتوهين امره عليهم وتشكيكهم فيه وما فتئوا يحاولون اقناعهم بأن الحقائق تخالفه وانه واقف حجر عثرة فى صريقها .

والواقع انهم لم يتحرروا من مؤثرات بيئتهم الا ليتدثروا بمؤثرات بيئة اجنبية عنهم ولم تتحرر افكارهم من قيود التقاليد الاسلامية الا ليصفدوها بأغلال تقاليد اخرى غريبة عنهم ، فسدنة هيكل الجامعة يجب ان يحرصوا على أن يعرفوا فى امتهم بأنهم محررون من الضغن لمقدساتها ويجب ان يتنزهوا عن أن تحفظ عنهم كلمة أو حركة تدل على أن لهم هوى يميل بهم الى جهة معينة ويصبغهم بلون يعرفون به . اما الذى يقتنع امته فى كل ادوار حياته بأنه منغمس فى هذا الهوى الى انفيه ، مصطبغ باللون الخاص الذى يجافى به الانصاف والاعتدال ولا يغسل وجهه منه ، فليعذر الناس اذا اعتبروه من اعداء الحقيقة لا من سدنتها وانصارها .

والامر الذى نطالب به الجامعة أن تقوم بمهمة البعث لناصر هذه البيئة وأن تجدد حياتها المعنوية فالجامعات الايطالية تنحو اليوم بالفعل احياء مجد الرومانيين واقناع الطلبة الجامعيين بأن من واجبه اكمال سلسلة التاريخ التى ابتدأها قياصرة روما ، والجامعات الالمانية تعلم ان لها وظيفة روحية لاتنفى وطبيعتها نحو حقائق العلم .

ان لمصر مكانة فى المجتمع الاسلامى والبلاد العربية .

ومن مقتضى ذلك ان يكون الجيل القائم الآن فى مصر والاجيال التى ستلحقه حلقات فى سلسلة التاريخ الاسلامى .

وهى لا تكون كذلك عن جدارة واستحقاق الا اذا اعترفت الجامعة المصرية بأنها الهيكل العلمى والثقافى لبلاد اسلامية عربية ، وان من واجبها للاسلام الذى هو دين المصريين وللعربية التى هى لغة المصريين ان تحمل لواء محاسنها وامجادهما كما تحمل لواء العلم المجرد والعقل الحر والفكر المطلق ، وان هذا لا ينالنى هذا ، ومن زعم أنه يتنافى فهو غشاش ،

وكما أن الاسلام لا يقف فى طريق العلم فى مصر ولا فى غير مصر فيجب على هيك العلم فى مصر وفى غير مصر الا يقف عن طريق الاسلام . نريد نشأ مثقفا عالما ولكننا نريده نشأ مسلما عربيا وكلما ابطأ القائمون على أمر الجامعة فى فهم هذه الحقيقة تأخروا بمصر عن أخذ مكانتها التى تستحقها وكانوا بذلك مسيئين الى وطنهم .

* * *

وتقول الذكورة بنت الشاطيء : لقد كانت محنة الجامعة بالحزبية التى سمحت وجودها العلمى لاتقل عن محتتها بتغلغل النفوذ الاستعمارى الذى اتخذ من مناطق معينة منها قاعدة لتدمير معنويات الأمة ومجال غزو فكرى يظهر ما اجتاح وجودنا العلم من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الأجنبية وأجهزة دعايتها المدربة .

انه من الممكن أن نهضم الثقافات الغربية دون اتخاذها أصلا ننسى فيه أصلنا ومن الممكن أن نبني حياتنا الجديدة فوق أرضنا مع اخصابها بمستورد من جديد الفكر .

ومن خطأ القول بأن علينا أن نمثل الحياة الأوربية والاحساس الأوربى هذا جانب من طبيعتنا يرفض تمثل الاحساس الأجنبى اذا لم يمت الينا بسبب من الأسباب .

وكان من الممكن أن يتيح لنا وعينا القومى هضم الثقافات الأجنبية دون أن يجور ذلك على أصلتنا وإن نستصفى منها ما يخصب تربتنا ويثرى وجودنا ويوسع آفاقنا .

ان هؤلاء يفقدون فى زهو العصرية ملامح أصلتهم ، عقولهم مشدودة الى الغرب ، مأخوذة بفتنته وهم مع ذلك عاجزون وان جهلوا عجزهم أو تحذوه مكابرين عن التخلص من احتطام الميراث الذى تأصل فى أعماق كياناتهم .

ومن هنا كان لابد أن نبدأ بتقديم الثقافات والآداب الأجنبية الى جيل الغد قبل الاطمئنان الى أنهم اتصلوا بثقافتهم وأديهم القومى اتصالا وثيقا يكفى لأن يصنع أساس تكوينهم العقلى والوجدانى .

ولا يقرأ تاريخ دولة أجنبية قبل أن يكون قد وعى تاريخ أمته أو كان يتقن لغة مستعمارة قبل أن يفقه لغة قومه .

هل الاتصال بالقديم والكشف عن أعماق وجودنا يوصم بالتخلف بينما إعادة مسرحيات شكسبير يعتبر خطوة تقدمية ، وإذا ما عشنا في أساطير شعوب بادت من زيوس وباخوس وجوبيتر وما لا أدري من آلهة خرافية فنحن عصريون مجددون ؟ أما أبو العلاء والمتنبى فهو تخلف (١) .

(٣٣)

شبهات حول تمثيل الصحابة

ترددت دعوات باطلة ترمى الى تمثيل أهل البيت وجلة الصحابة وقد عزى هذا الى مخطط صادر عن قوى مضادة للإسلام ، كذلك المخطط الذى استهدف ترجمة نص القرآن قبل ربع قرن أو تزيد يقول الدكتور محمد سعاد جلال :

ان امتناع تمثيل آل البيت الكرام وصحابته الاعلام شرعا فذلك ثابت بالأدلة الآتية :

أولا : قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا » ولا ريب أن تمثيل شخصيات هؤلاء العظماء ممتنع عقلا ويؤدى الى تشويه صور حياتهم فى نفوس الناس واستصغارها على صغر نفوس الممثلين عن اللحاق باستفراق عظمة المعنى والحقيقته فى نفوس أولئك العظماء ، وامكان تقديمها للنظارة فى جلالها التى كانت عليه ولما كان القدر المشترك فى كل أقسام التمثيل هو طلب الفرجة والتسلية على المناظر المعروضة ، مما لا يخلو عن شئ من معانى اللعب النفسى بالمشاهد المعروضة . وتعريض تاريخ آل البيت وصور حياتهم لهاتين النقيصتين . ولا شك هو منافي للطهارة التى حكم النص بثبوتها لآل البيت فهذا بيان جهة الاستدلال بالآية الكريمة ، وإذا ثبت وجوب

(١) نقل بتصريف .

توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه (وهو ثابت) بما يحرم تحريما قاطعا الاقدام على تمثيل شخصيته المقدسة ثبت بناء على ذلك تحريم تمثيل آل بيته الكرام الحاقا به — عليه السلام .

ولما كان الحق تبارك وتعالى قد حكى عنه « قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » فان مفاد النص ان النبي لا يسأل الامة اجرا على نعمة الرسالة وكرامة الهداية التى جاءهم بها من لدن الله ، الا ان يوادوه فى قرابته من اهل بيته بتعظيمهم وتوقيرهم له والامتناع عن الحاق الاذى بهم ولا شك ان وضع صور حياة آل البيت وأشخاصهم فى موضع الفرجة واحتمال الغلط والتشويه والتقص لشخصياتهم، مناف لحكم الآية ، مضاد لوصيته — عليه السلام — للامة بمودة قرابته وخفض الجناح لهم وهى وصية فيها معنى الالتزام والايجاب .

ويقول الدكتور سعيد جلال :

ان الدليل على تحريم تمثيل الصحابة — رضى الله عنهم — يجرى من وجهين :

الأول : تعظيم النبي لأصحابه ودعوة المسلمين لتعظيمهم فمن ذلك قوله :

(الله الله فى أصحابى) وقوله (أصحابى كالنجوم بأيهم اشتديتم اهتديتم) وهو حديث مستشهد به وان كان فيه مقال .
وقوله غيرة على عمار بن ياسر : (من سب عمارا سبه الله ومن اغضب عمارا غضب الله عليه) .

وقوله فى حق سلمان الفارسي (سلمان منا آل البيت) .

فهل هذا التعظيم كله لصاحبه — عليه السلام — خلا من نكص على عقبيه منهم بعد موته — دليل مانع للمسلمين من الاقدام على سدال شخصياتهم بتمثيلها واجرائها على اللهو والفرجة مجرى مايلعب به من صور الاشياء وأخيلتها .

الثانى : انه تقرر فى القرآن ان اهل الانبياء هم اهلهم فى الديانة والمذهب ، ليس فى القرابة والدم ، بدليل قوله تعالى : فى قصة نوح حين قال : « ان ابنى من اهلئ وان وعدك الحق » .

فرد الله عليه بقوله تعالى : « انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » .

ومعنى الرد : بما ان ولدك لم يعمل بديانتك ولم يدخل فى عقيدتك معك فهو لا يعد من اهلك لان اهل الانبياء من كانوا اهلهم فى الديانة والمذهب لا فى الدم والنسب .

اذا تقرر هذا المبدأ الشرعى الثابت بالقرآن ثبت ان اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام هم اهلهم المعترفون شرعا فيأخذون احكام اهل قرابته المؤمنين به من بعض الوجوه واقربها واطهرها الحاقهم بقرابته المؤمنين به فيما يجب لهم من الحرية والتعظيم والصون عن الابتذال فان هذا مقتضى الدليل مع عدم المانع .

ولقد ظن بعض الكتاب ان تمثيل احدى الروايات المتضمنة لتمثيل بعض شخصيات آل البيت العظام وبعض الصحابة الكرام مباح لايحوز حظه بجعة العمل بمبدأ حرية الفكر . وقد فات ملاحظة هذا الكاتب الفرق بين حرية الفكر التى لا تتجاوز الاعلان عن الراى وتنفيذ الموضوع أو البناء الذى يتعلق به ابداء الراى . اما الاعلام بالراى فهو داخل فى نطاق حرية الفكر لا نزاع فى ذلك ، اما تنفيذ المشروع أو البناء الذى يتعلق به الراى فليس داخلا فى مفهوم حرية الفكر فهو لا يصح ابرازه الى حيز الوجود الا بموافقة اغلبيه من تتعلق حقوقهم المادية أو المعنوية بهذا الموضوع .» .

والمعروف ان التمثيل سيكون صورة ناقصة بالآلاف الدرجات لهؤلاء الصحابة وهذا يؤدى ان لم يكن يعنى الى وضع السلف فى نقط الخلف فى صورة اقل من مستواهم الحقيقى .

(٣٤)

شبهات حول مفهوم القوميات والاقليميات

ان طرح نظريات القوميات والاقليميات فى محيط وحدة عالم الاسلام وفكره انها تستهدف تمزيق هذه الأمة والقضاء على روح الاخاء الاسلامى والتعارف الجامع للشعوب التى ضمها الاسلام .

وفى رأى الفيلسوف المسلم اقبال : ان الانسانية لن تستريح أبدا مادامت تسودها هذه النظرية المشؤومة التى تقطعها اربا اربا بحيث لا يكاد الصدى يلتئم » .

لقد أخذت نظرية القوميات مفهوم العنصرية وايقاع الخلاف والصراع بين الجيرة المتلاقية ، واثارة العصبية التى أدت الى الحروب والعداوات

لقد كان رواد اثارة دعاوى القوميات والاقليمات هدف بعيد المدى هو غرس العنصرية الصهيونية على انها قومية تضارع العروبة ، وقد سبقتها الدعوة لاجراء الدولة العثمانية من وحدتها الجامعة بين الترك والعرب بالدعوة الى الطورانية التى حملت لواء العنصرية البغيضة ، ولما كانت تركيا هى صاحبة النفوذ الحاكم فقد تعرضت العروبة لخصومة شديدة من الاتحاديين الذين حملوا لواء الطورانية لتمزيق وحدة المسلمين عربا وتركيا وكان ذلك لحساب الصهيونية .

لقد كانت فكرة القوميات فى الغرب محاولة للقضاء على الوحدة المسيحية الاوربية من أجل ادخال نفوذ اليهود الذين كانوا محصورين فى الجيتو ، وكان قضاؤهم على الوحدة المسيحية عاملا لاعلاء شأن الاقليمية او القومية التى يتكونون من خلالها من الوثوب الى مراكز النفوذ والسلطان . ثم جرت المحاولات للقضاء على الوحدة الاسلامية التى كانت تمثلها دولة الخلافة لفتح الطريق أمام الصهيونية الى فلسطين .

ولقد جرت المحاولات لادخال مفهوم القومية الغربى الى تصوير العلاقة بين العروبة والاسلام مع الاختلاف البعيد ، فالاسلام هو الذى صنع وحدة الغرب .

وقد خدعت دعوة القومية كثيرون وظنوا أنها طريق موصل لعزة العرب ولكن التجربة كشفت عن فساد هذا الخط الوافد حين انحرف عن مفهوم الترابط الجامع بين العروبة والاسلام ، وحين تسلطت قوى التغريب ففرغت العروبة من مفهومها الاصيل والتمست مفهومها غلمانيا خادعا مفرغا من كل القيم .

وقد كانت دعوى القومية العربية كما يقول الأستاذ محمد رشاد خليل حربا على الأمة العربية الاسلامية ومنها مصر ، وكانت دعوة العروبة هي الشرك المنسوب لاصطياد السذج باسم حقائق التاريخ حين عجز القوم عن فهم حقيقة النوايا المستترة وراءها فالعروبية المعاصرة هذه تعنى ملائكت تعنيه الشعوبية فى القديم ، والشعوبية مصطلح اطلقه المسلمون الواعون بحقائق دينهم وامتهم وتاريخهم ممن حسن إسلامهم من العرب والفرس والترك على جميع الذين حاربوا الاسلام تحت ستار عصبية الجنس . فالعروبية الحديثة لاتضرب الاسلام فقط ولكنها تضرب العرب ، وقد نشأت القومية العربية (العروبية الحديثة) نشأة مركبة فى حجر المدارس الارسالية الفرنسية والأمريكية ذات الأهداف التبشيرية والاستعمارية وعلى أيدي المسيحيين اللبنانيين والسوريين خاصة والمارونيين اللبنانيين على الأخص . وكانت الوجهة تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد التى يشغلها المسلمون الآن وكان للكلية السورية الانجيلية دورها فى بعث النعرة العروبية التى اصبحت الآن الجامعة الأمريكية فى بيروت فمن هذه المدرسة خرجت كل رعوس الثعابين التى نفتت سمومها فى الشام ومصر تحت ستار القومية العربية ، وأول جمعية سرية كان كل أعضائها من المسيحيين اللبنانيين وكان هدفها الأساسى هو التفرقة بين العرب والترك . وكانت تستهدف أحداث انقلاب داخلى ضد الاسلام والجماعة الاسلامية تحت ستار الخدمة التعليمية مجندة لهذا العمل أبناء الطائفة المسيحية المارونية . وكان الموارنة بحكم انتمائهم المشبوه وعلاقتهم التاريخية المدبوغة بالخيانة مع الصليبيين قديما هم أصلح العناصر لتنفيذ مخططات الصليبية الجديدة وبذلك كانت أول جمعية عروبية غير عربية . كانت مكونة من اناس ليسوا عربا لا من ناحية الانتماء ولا من ناحية الغايات والأهداف .

ومن سمومهم قولهم بأن الاسلام نفسه هو تراث عربى شأنه شأن
الشعر الجاهلى واللغة العربية وظهر البعث العربى الذى يشيد برسول
الله باعتباره بطلا عربيا ويشيد برسالة الاسلام باعتبارها رسالة عربية
انسانية وهذا هو نخط حزب البعث .

وقد صب مفهوم اللبئانى المسيحى فى قالب الأمة : الدعوة الى أمة
عربية تكون منفصلة فى أساسها الدينى الذى قامت عليه وتسوى تسوية
كاملة ومطلقة بين المسلمين والمسيحيين فى جميع النواحي ، على أن
يكون الضامن لاستمرار هذه المساواة حماية أبدية من قبل أوربا الليبرالية
وفرنسا الكاثوليكية . وكان جرجي زيدان ونجيب عازورى من كبار المزيفين
لمفهوم العروبة ، فقد نادى الأخير بأمة عربية واحدة للمسيحيين
والمسلمين على السواء وجعل حدود الأمة العربية مقصورة على الناطقين
بالضاد فى آسيا فقط دون مصر وشمال أفريقيا . وفى نطاق هذا التفكير
العروبي : دعوة عزيز المصرى للجمعية القحطانية والعربية الفتاة التى
شكلها فارس الخورى وشكرى القوتلى وجمعية العهد التى شكلها عزيز
المصرى بعد فشل القحطانية .

وقد كانت العروبية حركة علمانية موجهة من المسيحيين اللبئانيين
والسوريين ومن الغربيين واليهود ضد الاسلام والجامعة الاسلامية وقد
نشأ جميع الداعين اليها اما فى مدارس تبشيرية خالصة واما فى جامعات
غربية خاصة فرنسا ، او فى مدارس عربية ذات منهج غربي مشبع
الى أقصى حد بالعداء ضد الدين وبفكرة فصل الدين عن السياسة
وبالاعتقاد بأن الروابط القومية هى التى توجد المجتمع سياسيا على
عكس المعتقدات الدينية التى تفرق بينهم ، من أجل ذلك عملوا على
يكون الحكم الوطنى مستقلا عن الدين . وقد دعم هذا المبدأ العلماني
عوز كمال أتاتورك ومؤيديه فتشجع العروبيون والقوميون والاقليميون على
السير فى الطريق الى نهايته .

ولقد سقط فى مصر قناع العروبة كما سقط قناع الفرعونية .

ويقول الدكتور محمد. على الزغبى فى كتابه حقيقة الماسونية :
الدعوة للقومية المدخولة نتاج ماسونى اذ هما سكين شق بها
أتاتورك العرب عن الترك ونفذ لما دعاه فصل الدين عن الدولة وفرض
العلمانية وجعل الخمسين الف مسجد فى تركيا عديمة الأثر فى الواقع .

(٣٥)

شبهات حول المسرح

لن يكن المسرح فى البلاد العربية نتاجا عربيا أصيلا ولكنه
أسلوب وافد لم يعرفه العرب ولا المسلمون وقد استطاع المسرح الوافد
أن يدخل سموما كثيرة الى العقلية المصرية وأن يطرح مفاهيم متعارضة
تماما مع مفهوم الفكر الإسلامى القائم على التوحيد .

ولا ريب أن فكرة المسرح الوافد تقوم على مفاهيم الفلسفة اليونانية
فى المأساة وهى مفاهيم تستمد أساسا من فكرة الخطيئة الأولى التى
لا يعترف بها الفكر الإسلامى ولا يقرها ، كذلك فإن المفاهيم المسادية التى
يقوم عليها الأدب المسرحى والتقصى يعتمد أساسا على تصور الإنسان
تصورا ماديا خالصا وفق مفهوم النظرية المادية ونظرية فرويد وعلى أنه
محكوم بالجبرية التاريخية فلا ارادة حرة له وكل ذلك مما يرفضه الإسلام .

ولم تكن المسرحية العربية التى عرفت طوال هذا التاريخ الا مسرحية
غربية قد غيرت فيها الأسماء والأماكن وبقيت فى جوهرها الاجتماعى قصة
مجتمع غربى بتحدياته ومشاكله ، وهذه كلها تختلف تماما عن قضايا
المجتمع الإسلامى ومشاكله ومواجهته لهذه المشاكل وأسلوب حله لها .

وقد تبين أنه حتى فى نطاق المسلسلات الإسلامية فإن الهدف المسموم
المبني واضح فيها من حيث إبراز جانب الجاهلية وحوارها وفكرها أكثر من
إبراز جانب الإسلام .

ولقد كان لدى بعض المثقفين رغبة فى إقامة المسرح الإسلامى أو
تمثيل المسرحية الإسلامية ، ولكن تبين أن هناك قوى خطيرة تحول
دون تحقيق ذلك وتعمل على تشويه المسرحية الإسلامية بحجة عدم فنيتهما

أو عدم خضوعها للمفهوم الوافد القائم على الدراما والحبكة والتبعية في مفهوم الصراع بين الاله والانسان الذى هو عقدة المسرحيات الغربية .

ولقد كشف توفيق الحكيم وزكى طليمات فى وضوح فساد اتجاه المسرح فى البلاد العربية وعدم قابلية الروح العربية الاسلامية لهذا اللون من الفن الوافد .

(٣٦)

شبهات حول الأساطير

الأساطير فى القاموس (لسان العرب) هى الأباطيل وفى تاج العروس (الأكاذيب) كانت شائعة بين العرب وكان المشركون اذا سموا شيئاً من القصص الوارد فى القرآن قالوا : ان هذا الا أساطير الأولين . أما كلمة خرافة وجعلتها خرافات فقد أطلقها العرب على الحديث المستمخ من الكذب .

وقد نسب العرب بناء تدمر الى الجن بينما لم ينسبوا بناء الأهرام اليهم مع أن الأهرام أحق أن تنسب الى الجن لخرابة بنائها وضخامتها ولكن العرب جاءوا الى مصر بعد الاسلام وبعد أن وضع تفكيرهم بالرسالة السامية وغربت عن عقولهم الخرافات .

وكان من حسن حظ الاسلام أن بدأ تاريخه مكتوباً أو مروباً رواية تقرب من أن تكون مكتوبة ، ثم جاء الاسلام بالعلم والحث على التفكير قبل شرب الخرافة اليه حتى أن أسلافنا لما رأوا عدداً من المبالغات فى ثنائى التاريخ الدينى والسياسى والثقافى سموها بالاسرائيليات اذ جزموا أنها من وضع بنى اسرائيل اليهود فى محاولتهم تشويه الاسلام .

وكان أعظم تحول أحرزه الانسان القديم هو التحول من نضحية الحى الى رمز فنى يجسّمه : ففى فيضان النيل استبدل القاء فتاة بالقاء تمثال لفتاة ثم جاء الاسلام بالغاء الخرافة نهائياً ، وذلك بالقاء رسالة عمر بن الخطاب .

إذا كنت تفيض من عندك .

لقد جرت المحاولات الضخمة فى العصر الحديث فى اذخال الخرافة والأساطير فى الأدب العربى والفكر الإسلامى بعد أن نقي المسلمون مختلف فنون القول منها وخاصة السيرة النبوية ، فكانت محاولة طه حسين الخطيرة فى كتاب (على هامش السيرة) فى إعادة الأساطير الى السيرة النبوية بعد أن نقاها علماء المسلمون منها وحرروها كما حرروا الحديث النبوى من الوضع والذخيل والأسرائيليات .

وفى ابان النهضة الإسلامية فى القرن الثالث رفض المسلمون ترجمة أساطير الأمم وقالوا انها أهواء الشعوب وأنهم لا حاجة لهم بها اذ لكل أمة فنونها وللمسلمين فنهم وهو الشعر ، ولكن العصر الحديث جاء فى اطار النفوذ الأجنبى ففرض على المسلمين ترجمات الالياذة الاغريقية والشاهنامة الفارسية والرامايان الهندية والأساطير المصرية والأساطير الهندية .

هذه الأساطير التى تمثل ركاز الفكر البشرى القائم على أهواء النفوس والمشبع بالاباحية والمادية وفساد الذوق وتصورات الطفولة البشرية ، وكلها مما جاء الإسلام للقضاء عليها وهدمها ، وهى فى مجموعها تختلف على مفهوم الإسلام الجامع ، ومفهوم الدين الحق سواء باثاعة روح الفساد الخلقى ، أو تغليب الوجدان المترف أو المادية المسرفة أو تجريد القوة أو عبادة الأجساد وكلها تصور الآلهة وهى فى صراع مع الانسان وتجمع الى قدرة الآلهة حماقات البشر وتجعل قانونها شهواتها وتخبط كيفما قادتها الهداوات والنزوات وتميز أساطير الإغريق بعبادة الطبيعة والفن والجمال والنشوة بالحركة العنيفة التى لا تقرر ولا تهدأ .

وكل هذا يختلف عن الفطرة الانسانية الاصيلة وطبيعة النفس الانسانية الجامعة بين أشواق الوجدان ومطالب المادة والتى تتطلع الى الايمان بالله الواحد الأحد .

(٣٧)

شبهات حول القرامطة

ان أول بحث عن الحركة الباطنية فى الإسلام هو مكتبته الطبرى فى تاريخه كما دون المسعودى فى كتابيه التنبيه ومروج الذهب حوادث القرامطة ،

ويعد المقرئ في طليعة المؤرخين الذين بحثوا الحركة الباطنية القرامطية وكذلك فعل ابن خزم والشهرستاني ويرى الأب انستاس ماري الكرملي أن (قمرطه) لفظة آرامية نبطية من قمرطونا أي المذلي أو الخبيث أو المكار أو المحتال .

يقول محيي الدين عزور : لقد كان لأصابع ابن سينا دورها في اذكاء نار الفتنة التي صدعت الخلافة الإسلامية أيام عثمان وعلي ، ولما كان الحزب العلوي يمثل جانب المعارضة فقد آزروه بكل ما استطاعوا من مال ودهاء وسعوا الى تقوية هذا الحزب بكل الفئات الغاضبة في المجتمع ليجعلوا من غضبتها ثورة عارمة تدك صرح الحكم الإسلامي كما اتضح ذلك من ثورة القرامطة التي هيا لها اليهود أخلاقيا بالاكثار من الحانات وتشجيع روادها من الخلفاء وقد أفرد ماسبتون بأحد كتبه الدور اللعين الذي قامت به البنوك اليهودية في الطور الأول والثاني من العصر العباسي في سعيها لتخريب البيئة التي مكنتها من العيش المريح ، وقد تغفلوا في صفوف العمال وهيجوا العبيد وفرقوا بين الأجناس حتى تبرز الأقليات منها واذكوا ماقد يكون لديها من نقمة ولما لاحظوا أن كل محاولاتهم هذه لم تنجح في القضاء على القوة الإسلامية من الداخل اتصلوا بالدول المسيحية ليصارع عملاق عملاقان . جاء هذا العمل في وقت انفصلت فيه بعض الأقاليم عن الحكومة المركزية واشتد فيه ساعد الضعفاء والمحررين من الناس الطامعين في أسباب الخلافة وقد اعترف المسيحيون بالمساعدة التي لقوها من اليهود ، فعند اليهود هذا انتقاما من العباسيين الذين تجاسر أحد حلفائهم وهو القادر بالله (٢٨١ — ٤٢٢) على حل حكومتهم وحدد نشاطهم بشكل ملحوظ .

وقد أخطأ الكاتب الفرنسي جارودي حين ربط بين نحلة القرامطة وبين العدالة الاجتماعية في الإسلام وقد رد عليه الدكتور محمود قاسم (الهلال — يناير ١٩٧١) .

القرامطة والجلاح والباطنية والماسونية

وقد واجه الدكتور محمود قاسم هذه الأفكار (الهلال يناير ١٩٧١)

لم تكن دعوة القرامطة تسعى الى تحقيق كرامة الانسان تمهيدا

لاحترامها بل كانت حركة انفصالية تمت في عصر تحلل الدولة العباسية الى دويلات .

كانت حركة القرامطة استمرارا لثورة الزنج التي قامت قبيل منتصف القرن الثالث الهجري ، وكانت نوعا من الأخذ بالثأر وقد حرص هؤلاء العبيد الذين حُسرروا أنفسهم على اذلال العرب عن طريق المسترقاقهم والتكيل بهم .

اما حركة القرامطة التي قامت في الشمال الغربي لبلاد العراق ثم اتخذت مراكز لها في منطقة الكوفة وفي بعض بلاد الشام وفي سواحل الجزيرة العربية المطلّة على الخليج الفارسي ثم استقرت آخر الامر في البحرين .

كانت حركة القرامطة على صلة وثيقة بالحركة الاسماعيلية في دور الستر وان اختلفت معها في دور الظهور فان الفاطميين رأوا بعد ظهور دولتهم في الغرب أن يستهلوا بتوجيه السياسة في ذلك العصر باستقاط الدولة العباسية ومن جانب آخر يمكن القول بأن الجلاح المتصوف المشهور كان من اكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية اذ كان على صلة بالقرامطة وقد روى عنه انه أقسم في أحد احاديثه القدسية التي يزعمها لنفسه لسنة ٢٩٢ هجرية وهي السنة التي شهدت ثورة القرامطة الكبرى .

ولقد كانت حركة القرامطة حركة طائفية ، فقد اقر القرامطة شيوع المال في مجتمعهم ولكن طبع العبيد التي يتكون من الأسرى لم تكن تتعامل على قدم المساواة مع الأخرى .

تظاهر أصحاب هذه الحركة بالنشيع والميل الى البيت العلوي ، ولكنهم سلكوا من الناحية الأخرى اذ اعتدوا على الأماكن المقدسة وجرحوا صحابة الرسول بل الرسول نفسه — وقتلوا نحواً من ثلاثين ألفاً من هؤلاء الحجاج وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة صرفا للناس عن الحج ، وهذه الوقائع تؤكد صلة بين هذه الباطنية وأمثالها وبين الجلاح الذي كان معاصراً لحركة القرامطة ، ومن الطريف أن الجلاح قد أدين وقتل بتهمة صرف الناس عن الحج وقد ورد في تاريخه أنه كان يستعص

عن الحج بكعبة مصفرة فى بيته يطوف بها اتباعه طوافا يغنيهم عن الذهاب الى مكة وكان يطلب اليهم أن يقدموا بدل الهدى شيئا من المال .

وقد تكشفت الصلات الظاهرة والخفية بين الباطنية وبين الصليبيين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وهى ترسم فى وضوح عن بذور انتقلت الى أوربا جنوب ايطاليا أدت الى ظهور الماسونية فى البلاد الأوربية وعن علامات بين الباطنية فى الاسلام وبين الماسونية فى الغرب وإن الماسون يصفون الحسن بن الصباح رئيس الاسماعيلية الشرقية فى القرن الخامس الهجرى بأنه من أسلافهم ، ويقولون انه كان الأستاذ الأكبر للماسونية فى العالم الإسلامى .

(٣٨)

حول اخوان الصفا

وقد كشف الباحثون عن العلاقة بين اخوان الصفا والاسماعيلية وتشيعهم ودعوتهم الى المهدي المنتظر وقال كازنوفنا اننى على اتم الثقة من أن آراء اخوان الصفا هى برمتها آراء الاسماعيلية ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الامام الذى سوف يملأ الأرض سعادة .

وهم يؤمنون بوحدة الكون (وحدة الوجود) .

ويعتقد جولدزهر ان رسائل اخوان الصفا كانت الأساس الذى نبتت عليه معتقدات الاسماعيلية . وإن هناك اتفاقهما فى مذهب الحلول . وتفسير القرآن تفسيراً غير مايدل على ظاهر اللفظ . وهو الأسلوب الباطن الذى جرى عليه الباطنية ويقول اخوان الصفا فى رسائلهم :

« واعلم ان للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة هى الالفاظ المعهودة المحدثه ولكن لها تأويلات خفية باطنية وهى المعانى المفهومة والمعقولة » .

وقد أفاض الباحثون فى الكشف عن وجهة الاسماعيلية الملقبون بالحناثيين فقد اتاحوا لتابعيهم كل أنواع اللذات وأطلقوا لشهواتهم

العنان وأباحوا لهم زواج الاخوات وكل من يجرم الدين الزواج بهن وعكفت على تعاطى الحشيش فئة طاغية مجرمة تحلل المحرمات وتحض على المسكرات وترى فى القتل عملا مشروعاً يثاب عليه فاعله .

وفى أثناء الحروب الصليبية كان لهم يد سوداء ، قاموا أثناءها بأفطع الأعمال الوحشية فأطلق عليهم الفرنجة اسم (أساسيين) وجعلوه لكل قتائل مجرم ، وقد قاموا بعديد من فظائع الأعمال رسمت بلون الدماء الأحمر ، وقد أشار المسعودى وابو الفداء الى انه بلغ من جراءة الحشاشين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات بأغرب الطرق وقد توفى الحسن الصباح ٥١٨ وظلت الزعامة قائمة فى قلعة الموت حتى ٦٥٤ نحو قرنين ، ولا يزال للاسماعيلية الى وقتنا هذا صوت وزعيمهم اغا خان والطائفة موزعة بين الهند وفارس .

(٣٩)

شبهات حول الزنج والقرامطة

استغل دعاة التفسير المادى للتاريخ بعض المواقف الهدامة فى التاريخ الاسلامى لمحاولة وصفها بأنها حركة تقدمية أو ثورية ومن ذلك حركة القرامطة وثورة الزنج كما حاولوا اصفاء صفة البطولة على (على ابن محمد) الذى تجمع المصادر على عدم صحة ما ادعاه من نسب علوى ويرون انه انما ادعى هذا النسب خدمة لما ربه وليضفى على حركته طابع الشرعية ، وقد بدأ حياته مشعوذا يشتغل بالتنجيم والسحر ، وانتقل من سامرا الى البحرين وجعل منطقة البصرة مركز نشاطه ، فجمع حوله الزنج فى البصرة فى ثورة عارمة اشعل نارها سنة ٢٥٥ .

وادعى خلال ذلك انه المهدي المنتظر وادعى النبوة .

وقد استغل بالنسب العلوى المادى الشيعة من تأييد وعطف بين الجماهير فقد أصابت دعواه المهدي وترا حساسا فى نفوس المعذنين فى الأرض فأطاعوه فيما ذهب اليه وأحرقوا البصرة وأعملوا السيف فى أهلها واستباحوها ثلاثة أعوام وصعد الزنج فى حركتهم نحو بغداد فدخلوا واسط عام ٢٦٤ والنعمانية فأحرقاها واستمر لفظهم عشرين سنوات وهم يحتلون

منطقة شامية تمتد من الأهواز وواسط وتصل الى مشارف بغداد، وقد شملت هذه الحركة الزراعة والتجارة والمواصلات ولكن الأمر انتهى بأن سقطت عاصمة الزنج « المختارة » بعد أن دافعوا عنها وبعد أن قتل على بن محمد .

وقد فشلت ثورة الزنج لأنها لم تكن لها منهاج واضح للإصلاح ووقعت في نفس الخطأ الذي ثارت من أجله إذ أقبل الزنج بعد نجاحهم المؤقت على اقتناء القصور واسترقاق النساء واستعباد ساداتهم .

وكذلك فعل القرامطة فقد خدعوا الناس عن طريق الادعاء بأنهم من آل البيت وكانت أكبر أعمالهم الغارة على مكة وقتل الناس وسرقه الحجر الأسود ، وكانت دعوتهم الى شيوعية الأموال ، فقد أسقطوا الحدود بين الحلال والحرام وأحلوا زواج الاخوات وتقديس الخمر وكانت لهم تفسيرات باطنية للقرآن والحديث ، وقد لعب اليهود وراء هذه الحركات وكانت الاسرائيليات هي مادة فكرهم . ويذهب بعض المؤرخين الى أن القرامطة وغيرها من الدعوات الباطنية يهودية الأصل والفروع .

(٤٠)

شبهات حول الحرف اللاتيني

كانت أهواء الاستشراق متعلقة بالدعوة التي يكتبها اللغة العربية بالحرف اللاتيني وقد دعا الى ذلك طويلا وقام من أزر دعوتهم في مجمع اللغة العربية في القاهرة بطرح هذا المشروع المسموم ، وكان عبدالعزيز فهمي من جيل الرواد (سعد زغلول ولطفى اميد) اتباع كرومر ودعاة التغريب وصناع الاقليمية والتبعية الغربية في مجال السياسة والاجتماع والتربية والفكر . ثم جاءت محاولة سعيد عقل تطبيقا لهذه الدعوة التي أذاعها ماسنيون كجزء من خطة لهدم اللغة العربية تقوم على تشجيع العاميات وكتابتها بالحرف اللاتيني وقد أصدر سعيد عقل ديوانه (يارا) جامعا بين عامية لبنان والحرف اللاتيني وقد استهدف سعيد عقل القضاء على التراث العربي الاسلامي ثم القضاء على كل ما يربط لبنان بالعرب ، وخلف تراثا خاصا بلبنان يبسدا من حرف سعيد عقل ، يقول الدكتور عمر فروخ ولقد بامت هذه المحاولة بالفشل لأنها استهدفت تغيير واقع ثابت

خطير ولم يكن ممكنا إعادة الكرة للصورة التي عرفت عن اللاتينية في القديم وانفصال اللهجات الأوربية عنها وقد تبين أن ما حدث لبعض اللغات القديمة لا يحدث اليوم ، وقد كان الانقطاع بين اللاتينية القديمة وفروعها فيما بعد لأن اللاتينية لم تكن استقرت على أسس نهائية ، كانت جذرا لا قواعد ثابتة لها وحين تبلورت شخصيات الأقوام والقبائل التي كانت تتعلم اللاتينية في شعوب ، بدأ الانقطاع تدريجيا بين تلك الجذور ، والفروع التي تكاملت قواعدها يوما بعد يوم واستقرت نهائيا . ومن ذلك الحين لم تتبدل تلك الفروع التي أصبحت لغات كاملة كذلك تختلف اللغة العربية عن اللغة الفرنسية في منبعها الاشتقاقي فهي — أي العربية — ذات بنية متواصلة الأطراف متسجمة الحلقات لا زيادة لمستزيد عليها . ومن هنا كانت منبعاً ثرا لا ينضب مسائرا أقوى الحركات العلمية ، بل كانت لفظة العلم الوحيدة في المئتين قرونا عديدة وكانت اللغة العربية أول تعبير عن امكانات العربي وعمق وعيه لذاته وللوجود . ومن هنا فإن كل حرف في لفظه لم يوضع اعتباطا ولا رمية من غير رام وانما كان ذا صلة مباشرة بالاحساس العربي بما حوله أو بما يعتل في داخله .

كذلك فإن اللهجات العامية ليست لغات ولا يوجد لها قواعد ولا ضوابط ولا أسس مما يتيح كل يوم خلق لهجة جديدة فهي وليدة التفسخ والفساد في حياة الغرب ووليدة انهيار شخصيتهم إبان عهود مظلمة طويلة .

ولا ريب أن هناك مؤسسات أجنبية تثبت حرف سعيد عقل وانها في طريق ترجمة أمهات الكتب الأجنبية الى العامية وواضح أنه كلما تقدم العرب واقتربوا من استعادة شخصيتهم عادوا شيئا فشيئا الى اللغة الأصلية . وحرف سعيد عقل وليد المجتمع المتفسخ والشخصية التي لم تجد نفسها بعد .

(٤١)

شبهات حول الفاظ القرآن

حاول بعض المستشرقين إرجاع بعض الألفاظ القرآنية والإسلامية إلى أصول عبرية وآرامية وحبشية وسريانية وكلدانية حتى أن أعرق الألفاظ العربية والإسلامية من مثل (الله — الصلاة — الزكاة — النبي — الرسول — السجود — التجارة) ومصطلحاتها حاولوا التماس أصولها من اللغات السامية وفي العهد القديم .

ذهب إلى ذلك منسك وشاخت ورينان وهولشر ، وشميدت وهننج وغيرهم كثير تملأ افتراءاتهم بعض مواد دائرة المعارف الإسلامية .

والواقع أن هذا كله ادعاء بالباطل .

قال السيوطي (نقلا عن أبي عبيدة) من زعم أن في القرآن ما ليس بلغة العرب فقد أكبر القول . وقد يوافق اللفظ اللفظ ويغايره ومعناها واحد فأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . فمن ذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج وهو استيره بالفارسية وغيرها .

وقال السيوطي : وليس في كتاب الله سبحانه شيء بغير لغة العرب لقوله تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » وقوله تعالى : « بلسان عربي مبين » وادعى ناس أن في القرآن ما ليس بلغة العرب حتى ذكروا لغة الروم والقيط والنبط وترجع أصالة العرب وصفاتها إلى نشأتها في أقدم موطن للعرب وبقيائها في منطقة متصلة منعزلة فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى .

يقول الأستاذ عبد الجليل عبد الرحيم : ان مزاعم الدخيل من لغة القرآن الكريم هو ما استغله أعداء اللغة الحاقدون على الإسلام للظعن في فصاحة القرآن وبلاغته مع فساد المنهج الذي سلكوه في تبرير فقر اللغة العربية بأسناد هذه الكثرة من الألفاظ التي استعمل القرآن قسما كبيرا منها فقد اعتبروا معظم الألفاظ العربية التي توجد بينها وبين

الألفاظ أخوتها من اللغات المسماة بالسامية نوع من التشبه أنها من الدخيل في العربية من تلك اللغات .

قال جرجي زيدان : اننا نستدل على تكاثر الألفاظ الأجنبية في اللغة العربية بخلو أخواتها من أمثال تلك الألفاظ فإذا رأينا في اللغة العربية لفظا لم نر له شبيها في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها (آداب اللغة العربية ج ١ ص ٣٦) وبناء على هذا الدليل الواهي يستدل على عجمة كلمات هي في الواقع من صميم اللغة العربية . ولم يقتصر الأمر على هذا بل نجد منهم من قد اعتبر الألفاظ المتعلقة بالحضارة كلها من الألفاظ الدخيلة الى العربية من غيرها زاعمين ان الناطقين بهذه اللغة لم يعيشوا حياة حضارية في جزيرتهم بل ان جميع الألفاظ الدينية عندهم دخيلة الى العربية بحجة أن العرب لم يكونوا أصحاب دين سماوى ، ويرجعون هذه الألفاظ الى اللغة العبرية أو الحبشية لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب . ان اعتبار كل لفظ في اللغة العربية شبيه بلفظ آخر من لغة من اللغات المسماة بالسامية دخيلا الى العربية من تلك اللغة منهج خاطيء لا يقوم على أساس علمي ، ذلك أن اللغات السامية كما هو مقرر عند العلماء ترجع جميعها في الأصل الى لغة واحدة أطلقوا عليها اللغة الأم ثم بمرور الزمن ونزوح الناطقين بها الى مناطق مختلفة ومجاورتهم لأصحاب لغات مختلفة تسببت هذه اللغة الى لهجات مختلفة أخذت تتباعد فيما بعد حتى استعمل كل منها عن الأخرى وأصبح لغة مستعملة .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي ترجيح أصالة هذه الألفاظ المتشابهة بين هذه اللغات في اللغة التي ترجح أصالتها وترجح أنها من الدخيل في غيرها وقد رجح كثير من الباحثين أن اللغة العربية هي أصل اللغات السامية جميعا ولذلك فان استدلال جرجي زيدان ومن لف لفه باطل وحكم مناف للصواب فقد استطاع الباحثون في اللغات المسماة بالسامية أن يثبتوا لنا أن اللغة العربية هي أكثرها احتفاظا بالكلمات القديمة التي يرجح أنها كانت مستعملة في اللغة الأم عن طريق جمع الكلمات القديمة والمقارنة بينها . وعلى هذا يكون من الراجح أن هذه الألفاظ العربية التي لا يوجد لها شبه في اللغات السامية الأخرى مما احتفظت به اللغة العربية من اللغة الأم بينما سقط من تلك اللغات باهمال

الاستعمال أو الاستعاضة عنه بلفظ يدل دلالاته . ولذلك فلان من خطأ القول بأن أكثر الدخيل من أسماء المصطلحات الدينية منقول من العبرانية أو الحبشية لأن اليهود والأحياش من أهل اللغات ولا يمكن القول بأسبقية لغة من اللغات على اللغة العربية التي نبتت في جزيرة العرب بالقول بأن بعض الكلمات من هذه اللغات . وكذلك خطأ الأب نخلة في القول بأن الكلمات العربية المختصة بالزراعة أرامية الأصل فقد كان العرب في جزيرتهم أهل ديانات سماوية قبل غيرهم من أصحاب الديانات فقد بعث الله تبارك وتعالى من يلقتهم رسالة السماء قبل أن يسمع الناس بالديانة اليهودية والمسيحية ، ذلك أن نبي الله هودا ونبي الله صالحا قد بعثهما الله برسالة سماوية إلى عاد وثمود قبل بعثة نبي الله موسى وعيسى بل وقبل بعثة الخليل إبراهيم .

وكذلك خطأ دعواهم بأن أكثر الكلمات العربية المختصة بالزراعة أرامية الأصل مع أن المعروف أن الجزيرة العربية كانت جنات غناء إبان نبوة هود وصالح وشهادة القرآن في هذا واضحة ففي نبي الله هود : « فأتقوا الله وأطيعون وأتقوا الذي أمركم بما تعلمون ، أمركم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون » (سورة الشعراء) .

وفي نبي الله صالح : « اتفركون فيما هاهنا آمنين ، في جات وعيون وزروع ونخل طلمها هضيم وتنختون من الجبال بيوتا فارهين » (سورة الشعراء) .

(٤٢)

شبهات حول الدارونية

ما تزال فكرة الدارونية القائلة بأن الانسان والقرود من أصل واحد شائعة في دوائر التعليم بالرغم من ظهور نشرات الأبحاث في هدمها وتدميرها ومن ذلك كتاب تحت عنوان : (هذا التقسيم : مأساة مذهب النشوء) للكاتبين الوارت أي مذهب دارون الذي ينكر الخلق الفجائي ويقول ان أنواع الحيوان والنبات حتى الآن متسلسل بعضها من بعض وإن بيننا وبين القروود لذلك لحمه نسب وصلة قرابة . ولا يزال مذهب

دارون ناقصا ليسمونه الحلقة المفقودة التي تثبت قرابة الانسان للقرود
ومادامت مفقودة يبقى مذهبها افتراضيا ويبقى لذلك خارج دائرة اليقينات المثبتة
اذ يعوزه البرهان . يقول الوارث : ان الدارونية كخبة كانت السبب الاول في
تدهور الحضارة الغربية بانها حكمه هذا على اكتشفات اكتشافه وبرهن عليه
على ان نشوء الطيور خرافة لا كما يقول المذهب الداروني . ان النشويين
لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التي تصل الانسان للقرود كما يزعمون
مع انهم قلبوا باطن الأرض يبحثون عنها ولكن الجيولوجيا تضحك من
بحثهم عن شيء لا وجود له .

وقد اعترف دارون في زمانه بان الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك
السلسلة الدقيقة المتدرجة التي يطلها ناموس النشوء نفسه بل الضد
من ذلك ثبت ان الدارونية غير صحيحة لان وجود بقايا الحيوانات في الصخور
لا يمكن تعليله بأى مذهب من المذاهب .

وقد هدم مندل بناموسه عن الوراثة ناموس الانتخاب الطبيعي الذي
هو أساس الدارونية . ان الدارونية زعزعت أسس الدين فلو أمكننا التخلص
منها لمهدنا الطريق الى احياء الايمان بالخالق . ومن الغرابة بمكان ان يمينى
الناس تززع ايمانهم بالله مدة قرن كامل على مذهب لم يثبت بالبرهان
ولا يمكن اثباته .

فالايمان بالله أسهل من الايمان بخدع العلم وأوهامه وهكذا نجد ان
العلم ورجاله اخذوا يحضون هذه النظرية الباطلة التي استغلها
الفلاسفة الماديون في هدم العقائد . كما استغلها رجال السياسة في خلق
جو مضطرب من العنصرية ، حين حاولوا تطبيق نظرية الانتقاء الطبيعي في
المحيط الانسانى .

ولا ريب ان نظرية دارون هي مجرد افتراض وصل اليه دارون
استنادا على جزئيات مختلفة شاهدها وان لم يكن قد استوعب الا ماسمحت
الظروف به في عصره ، ولقد مضى العلم والبحث والكشف عن الحفريات
الى مراحل كثيرة وخطوات واسعة وتبين انه لم يستوعب كل ما هو بسبيل
اليه لتقييم نظريته التي وصفها بأنها ينقصها الحلقة الأساسية التي
تربط دعواه في القول بان الانسان والحيوان من أصل واحد ، وقد جاءت

الحفريات المتوالية مكذبة لدعواه ومثبتة أن كل خلق مستقل عن غيره وأن الحيوان مستقل عن الإنسان وأن الإنسان منذ ظهر على وجه الأرض وهو صاحب قامة مستقيمة ، ولكن الخلفيات التي كانت وراء نظرية دارون كثيرة فقد استغلها اليهود الذين كانوا يطرحون نظرية تدمير عالم الجوييم فقد أخذوها لبناء نظرية الإنسان الحيواني الأصل واستغلوها في الدعوة إلى التطور الشامل الذي لا يرتبط بأى قاعدة من قواعد الثبات وقد نقلوا الدعوة من مجال البيولوجيا إلى مجال الاجتماع عن طريق هربرت سبنسر الذي حاول تطبيق التطور على الإنسانيات والأخلاق وكانت الدعوة إلى تحطيم الضعيف والقضاء عليه سلاحا بتارا للمستعمرين في البلاد التي احتلوها من أجل القضاء على أصحاب الأرض واقامة شريعة الغاب .

ويقول العلماء أن كل ما استند إليه دارون هو مجرد ظنون وافتراسات لايسندها واقع علمي أو تأكيد حسي في أى عصر من العصور ، منذ خلق الله الدنيا إلى يومنا هذا ولم يشهد أحد بل لم يسمع بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء ولم يثبت قط أن عصفورا قد تحول إلى ديك أو أن حمارا قد ارتقى إلى حصان ، أو أن قردا قد تحول كما يزعمون إلى إنسان ، ولو حدث شيء من التطور لبعض الحيوانات في أى عصر من العصور لظل مدى الدهر خبرا متواترا ، وحديث لأجيال متعاقبة . كما أعلن أن الاعتماد على الحفريات في إثبات التطور والارتقاء لايجوز الاعتماد عليه لأنه ليس في مقدور أحد أن يدعى أنه قد أكمل التنقيب في جميع طبقات الأرض وتحت الجبال والبحار . كذلك فإن عملية التطور التي شرحها دارون التي أخضعها لناموس الحياة مثبتة على المصادفة أو العوامل الطبيعية وهي أمور باطلة بالأدلة الأكيدة والبراهين القاطعة .

أما بالنسبة للإسلام الحنيف كما يقول الدكتور حلمد محمود اسماعيل فإنه يرفض نظرية التطور جملة وتفصيلا : ذلك أن القرآن الكريم قد أوضح لنا كيف خلق الله الإنسان الأول ومم كان خلقه ، وخلق ذريته من بعده ومم كانوا أو كيف كانوا « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون » هذا بالنسبة لخلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام أبو البشر أما عن خلق أبنائه من بعده فقد قال الله تعالى عنه « يا أيها

الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرم عند الله اتقاكم » وقال جل شأنه « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجهه لقادر » .

وفي معرض الأطوار التي يمر بها خلق الانسان يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » هذه الآيات تبين ان الانسان خلق نوعا مستقلا وليس متطورا من نوع آخر من انواع الحيوانات ، ايا كان هذا النوع ، وكيفما كان التشابه بينه وبين الانسان في بعض الخصائص وبعض الأوضاع الجسمية ، فلو كان خلق الانسان بطريق الارتقاء والتطور لكان ما أخبر به القرآن عن خلقه لا يطابق الحقيقة ولا يتفق مع الواقع . وهذا امر باطل من أساسه . ثم ان نظرية دارون تفترض ان الانسان ليس الا طورا من أطوار الترقى الحيوانية وتفترض كذلك ان الحيوان يحمل خصائص التطور الى مرتبة الانسان والواقع المشهود يكذب هذا الفرض لتفسير الصلة بين الحيوان والانسان ، ويقرر ان الحيوان لا يحمل هذه الخصائص بل يقف دائما عند حدود جنسه الحيواني لا يتعداه ، ويبقى النوع الانساني متميزا يحمل خصائص معينة تجعل منه انسانا . هذه الخصائص ليست نتيجة تطور آلى او انتخاب طبيعي بل هي مقصودة ليخرج على الصورة التي كرمه الله بها وفضله على سائر مخلوقاته .

ودارون ونظريته انما ينفي تلك النفحة الالهية عن الانسان ومن جهة أخرى فان مسألة خلق الانسان الأول من الأمور الغيبية التي لا يتناولها الحس ولا التجربة ولا المشاهدة ، كما انه ليست هناك مقدمات عقلية تهدي العقل الى معرفة واقعها ، وانما سبيلنا الى العلم بها هو اخبار الوحي الالهى الذى يرتقى فوق الشكوك والشبهات وقد نص القرآن الكريم ان يكون مبدا الخلق عامة مما يعلمه الانسان بنفسه او بما منح من قوى الادراك والتفكير قال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » .

من أجل هذا فإن الاسلام يرفض هذه النظرية التى أبطلها الواقع وكذبها العلم وفندوها العلماء ، ومما يفكر ان هذه النظرية لم تقتصر الا كسلاح شهرة بعض علماء الطبيعة فى وسطه الكنيسة التى ظلت تحارب العلم وتحد من حرية البحث والفكر ، كما انها تستخدم من قبل أعداء الاسلام كسلاح آخر لزعزعة عقائد الشيطان وصرفهم عن الايمان بحقائق الاسلام مع أن الاسلام دين علم ومعرفة وتوحيد ، ومن هنا كانت هذه النظرية وغيرها عاملاً من عوامل الالحاد فيجد أدت الى أن أصبح الشباب يتشككون فى بعض حقائق الدين واستهوى بعضهم القول بأن الانسان وليد المصادفة البحتة ومن ثم وجد الالحاد .

وعلى المسلم أن يكون فى حذر من مثل هذه الأباطيل التى يكمن وراءها القول بأن الانسان خلق عن طريق المصادفة أو أن الحياة نشأت عن المادة ذاتها أو أن تولد الأحياء جاء عن الطبيعة وكل هذا كفر صريح .

« ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » .

(٤٣)

شبهات حول الجهاد

أثار الاستشراق والتغرب شبهات كثيرة حول الجهاد الذى هو شرعة الله الماضية الى يوم القيامة بهدف دحض هذه الفريضة الأساسية .

والجهاد — لا الحرب بالمفهوم الاسلامى هو قتال فى سبيل الله وحده واقامة حكم الله فى الأرض وتطوير الانسان من عبودية الانسان والأهواء ودفاع عن المخرمات والمقدسات وتحقيق السلام المبدل والجهاد هو ذروة مقام الاسلام وهو بالمفهوم الاسلامى العام : وضع قدرات المسلم ونشاطه وتعامله وجهوده فى سبيل الله تهذيباً ودعوة وعلماً وانفاقاً وقتلاً وبناء حضارة فاذا هو جهاد حياة المسلم مع الاسلام .

قد عرض المستشرقون للجهاد فى صورة قائمة بهدف افراغ الانسان الغربى وتطويده على أنه زحمة همجى ، أو أن الاسلام يغفل آداب المجتمعات قبل القتال واثرائه ويعدده ، وأكثر المستشرقين يعرض الجهاد على أنه

سيف الإسلام المصلت الذي لم ينتشر إلا به ، وإن الإسلام لم يتمكن من اجتياح العالم بالسرعة الخاطفة إلا بالعنف والقسوة .

ويقول ماكغونالد : إن الجهاد هو نشر الإسلام بالسيف وقد حرصت تشويهاات الكنيسة وشبهات المشرين المفرضين على اذكاء روح العداة فى عوام الناس ومثقيهم .

وقد درج المستشرقون على تصوير فتوحات المسلمين على أنها أعمال عداية وقاتلية أجبرت المواطنين على الاستسلام للإسلام والدخول فيه .

كما وصفوا معاملة الأسرى بأنها معاملة غير انسانية ، وعبر المستشرقون عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة فأصبحت عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية .

(٤٤)

شبهات حول التوراة

كشفت الدراسات العلمية الدقيقة فساد نسبة « الكتاب المقدس » أو العهد القديم كما يسمونه الى أنه الكتاب الذى أنزل الى موسى عليه السلام وهو التوراة .

وقد تبين أنها من كتابة اليهود إبان السبى البابلى ، وأنها حملت معها أحقاد اليهود على العالم وتصورهم بأنهم شعب الله المختار ، وقد تجمعت أدلة كثيرة على تحريف التوراة وبطلان مزاعم اليهود منها :

أولا : وصف الله تبارك وتعالى بأنه قد تعب من خلق السموات والأرض ولذلك احتياج الى يوم راحة وقد حضى القرآن الكريم هذا الزعم بقوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » وقوله « وما مسنا من لغوب » .

ثانيا : ظاهرة عدم العدل التى اعتبرها اليهود قاعدة التعامل مع أنفسهم ومع الغير « للاجئين تقرض برى ولكن لأخيك لا تقرض برى »

ثالثا : ظاهرة الاستعلاء بالجنس على العالم ، ودين الله الحق لا يقر

الاستعلاء بالجنس فالناس كلهم سواسية وجعل الأمضية للعمل الصالح « وكذلك جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

رابعا : فساد صورة الأنبياء فى العهد القديم ، فقد رماهم بأشنع القبائح وأفظع الجرائم (شرب الخمر والقتل والزنا والغش والاحتيال والانسياق وراء الشهوات) وما نسبته من اكاذيب الى نوح ولوط ويعقوب وداود وسليمان .

ومنذ أصدر الدكتور ريتشارد منجستون عام ١٦٧٨ كتابه عن التاريخ النقدى للعهد القديم ونفى فيه نفيا قاطعا نسبة أسفار الشريعة الى موسى عليه السلام مؤكدا أنها مجموعة من مدونات مختلفة الأصول عكبت اجيال متعاقبة من الأبحار على اعادة تسجيلها باجتهاد وهوى ، تحويرا وحذفا وإضافة ، حتى يتوفر لها آخر الأمر (عزرا) ومريدوه خلال القرن الرابع قبل الميلاد فتستقر على الوجه الذى تطالعنا به اليوم . منذ بدأ هذا البحث وقد نشأ تيار علمى صحيح يقف على رأسه الدكتور بوكاى اليوم يكشف زيف هذا الكتاب ، ومنذ ذلك الوقت تابع هذا وأيده علماء آخرون منهم أوريل اكوستا وباروخ سينوزا وغيرهم .

ويرجح الخبراء ان أسفار التوراة تعود الى تليفات مستقاة من أربعة مصادر رئيسية على الأقل غير عديد من رواقد فرعية . وربما عاد بعضها الى ماثورات لم تكن تمت الى بنى اسرائيل أو بنى يهوذا بأصول، الا انها بمرور الزمن كانت شائعة بين شعوب المنطقة جميعا ، ويقول حسين ذو الفقار صدى أن التوراة استقطبت عمدا أربعة قرون من التاريخ . ويقول ان هناك فجوة بين قصص الآباء الأولين امتدت أربعمئة وثلاثين عاما ، فتخصص الآباء تسجل بدقة تفصيلا بينما نجد أنه قد نسخ من ذاكرة القوم جميع مايتعلق بفترة ربما كانت أعصب فترات حياتهم القومية لو اننا بصدد أمة كان لها بالفعل كيان من قومية متصلة . ويقول ان هناك قصدا معيناً وراء طمس معالم تلك القرون الأربعة تسترا على أحداث كان لها دلالتها أو فجوة تفصل فصلا قاطعا بين أزمة غابرة وبين واقع فعلى هو الميلاد الحق لاركان من عقيدة توحيدية حين اصطفى موسى شعبه من بين

مبتضعفين ومن لاذ بهم من متذمرين فخرج بهم من أرض مصر الى صحراء التيه .

وقال : ان رهط موسى هم أول من يطلق عليهم بنى اسرائيل ، وتجد في سفر الخروج أنه يتحاشى في نصوصه ذكر كلمة عبرانيين وهي التي كانت علما على القوم طيلة سفر التكوين بينما قصر اسم اسرائيل على شخص معين هو يعقوب ولم ينسحب قط على أى من اقوام .

وهذا الذى يقوله حسين ذو الفقار صدى وارد في جميع الأبحاث التي صدرت في السنوات الأخيرة لتكشف زيف هذا الكتاب ودعواه البعوضة الباطلة .

(٤٥)

شبهات حول مفهوم الانسان

الانسان عقل وجسد وروح : ليس روحا فقط كما صورته بعض الفلسفات الغنوصيين الشرقية ، وليس عقلا فقط كما صورته الفكر اليوناني القديم وبعض الفلسفات الحديثة وليس جسدا كما اعتبرته دولة الرومان وأسبارطه بوجه الخصوص فركزت على ابراز مفاته والتمتع بجسماله وعضلاته لينازل الوحوش المختلفة .

فالانسان جماع ذلك (عقل وجسد وروح) وان أى تجاهل لأي من هذه يبعد الباحث عن التصور الصحيح وقد خلق الله تبارك وتعالى الانسان وأعلن مولده بنفسه (انى خالق بشرا) وقلده أمر الاستخلاف في الأرض واسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وهداه الى الطريق المستقيم ، ووضح له طريق الخير والشر (وهديناه النجدين) ومنحه حرية الاختيار وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل والفجور والتقوى وزوده بالادراك ووسائله (وجعل لكم السمع والأبصار والامثدة) .

وهو بهذا قد خرج من طين الأرض فهو من صنع الله وهو ليس خلاصة التربة الأرضية كما تقول الداورنية ولكنه قبضة من طين الأرض ونفحة من روح الله فالانسان في الدارونية مبتوت الصلة بالسماء ،

والإنسان في منهج الإسلام مستخلف في الأرض ودنياه طريق إلى آخرته (وان إلى ربك المنتهى) وتختلف عن فرويد صاحب الشواذ والذي قرر أن الطاقة الجنسية هي المحرك والموجه للإنسان . ان منهج الإسلام لا يهمل الطاقة الجنسية في حياة الإنسان ولكن لا يعطيها أكثر مما تستحق وهي وسيلة وليست غاية ، الجنس في منهج الإسلام وسيلة لاستمرار النوع .

(انتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وبنث منها رجالا كثيرا ونساء) والجنس وسيلة للسكن والراحة والمودة والرحمة .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

والجنس دافع وليست فيه ليس كل الدوافع .

ويختلف الإنسان في الإسلام عن التفكير السيكولوجي الذي حصر الإنسان في شعور التفوق كما قرر أدلر أو شعور النقص كما قرر فرويد . فليس هذا هو الإنسان على أي حال ولكنها جزئية من جزئياته فقط . والإنسان ليس هو المدرسة التحريية ولا من شأنها أن نضعه على المشرحة لأن أدواتها داخل المعمل تعجز عن استيعاب تكوينه .

وليس هو حيوان المدرسة السيكولوجية التي تفسر على أنه مجموعة من العادات لردود الفعل المنعكسة لأن هذا ينطبق على الحيوان .

وليس كما تخيلها ماركس وأتباعه صاحب التفسير المادي للتاريخ . يفسر الإنسان من الخارج ويحصر تاريخ البشرية في البحث عن الطعام .

وليس كما صورته الوجودية أو الشيوعية ، ليس هو الإنسان الذي ترتبط حياته بالقهر الاجتماعي الذي لا يراعى مشاعره كما قرر دوركايم .
الإنسان في منهج الإسلام كما قال تعالى (ما عرك برك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك) (عبد الرحمن عميرة)

إرادة الله تبارك وتعالى خالق السكون هي التي جعلت للإنسان

فعالية معينة في هذه الأرض ولذلك فلن من أكبر أخطاء تفسير التاريخ
إنكار مشيئة الله أو اثباتها مع إنكار فعالية الإنسان .

ولفهم ذلك علينا أن نعرف أن الله تبارك وتعالى خلق هذا الكون
فأودع فيه سنناً تعمل عملها ، فكل ما في الكون هو تحت سيطرته وما
شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وشاء الله أن يتمتع الإنسان بخيرات
هذا الكون ويحالفه النجاح إذا أحسن استعمال هذه السنن بعد التعرف
عليها واكتشافها ويصيبه الفشل إذا لم يحسن استعمالها أو التعرف
عليها . ومع ذلك فطاقة الإنسان محدودة وهناك أمور لا خيار فيها
وتخرج عن طاقته وكل ما يستطيع أن يفعله هو أن يتبع أساليب الرقاية
منها لا منع وقوعها ، كالأزلازل والبراكين والأمراض والموت والليل والنهار
والفصول . وهناك أمور أودع فيها للإنسان ميزة الاختيار في حياته
وباستعمال حواسه لاختيار الهداية أو الضلال والاستماع إلى الحق أو
الاستماع إلى الفسق والفجور والانحياز إلى معسكر الفئة المؤمنة أو المروق
إلى معسكر الفئة الكافرة وذلك باستعمال أسباب العلاج أو أسباب
الخسران .

قال تعالى « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » .

ومشيئة الله هي المشيئة الموافقة لمصله والله لا يهدي القوم الظالمين
ومع ذلك فما نسميه أسباباً لانتقيد إرادة الله فالإرادة الإلهية حرة تعمل
حرة طليقة فيستطيع خرق هذه السنن وحصول نتائجها من دون حدوث
أسبابها المقدرة لها ، كما يحدث العكس ، فقد لا تحدث النتائج بالرغم من
حدوث أسبابها فالله هو الذي خلق هذه السنن وهو القادر على تعطيل
مفعولها .
(قيس القرطاس)

(٤٦)

شبهات حول المنهج الغربي والاسلامي

ان المنهج العلمى العربى يقوہ على الهوى والاستعلاء ولا يصلح
المنهج العلمى الا اذا قام على ضبط النفس والاخاء البشرى .

وقد واجهت المناهج والايولوجيات الفرعية هزائم متوالية في التطبيق لأنها عارضت الفطرة وطابقت الأهواء ولأنها لبشريتها لم تتمكن من متابعة تحولات الزمن والبيئات . أن أخطر حقائق المنهج العربي هو النظرة الجزئية والانشطارية ولا ريب أن انطلاق المسلمين على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن يتم بدون الارتكاز على قاعدة أساسية تكون المصدر والمنطلق ونقطة البدء ونقطة النهاية . الواقع أن هذه القاعدة ليست سوى المنهج الاصيل الذي قدمه الاسلام لبناء المجتمع ، وعلى هذه القاعدة تقوم الثقافة ويقوم النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي .

لقد وصل الفكر البشري الى حد التحدى لرسالة السماء ودين الله حين اعطى الانسان لنفسه حق التشريع وتحويل أهوائه ومطامعه الى منهج فاسد .

ان الفكر الغربي الآن محاصر بنظريات ثلاث : هي النظرية المادية والدوافع الاقتصادية والدوافع الجنسية ، وأهواء الوجودية ، وكلها تحتقر الانسان احتقارا شديدا ، وهناك الجبرية التي تريد أن تحلى الانسان من المسؤولية الفردية وتلقى تلك المسؤولية على المجتمعات وتلقى هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع مختلفة : طوابع المتعة الحسية : طوابع العنف والقسوة ، طوابع الحقد والبغض ، الاهتمام بالكم وتضحية النوع والتكيف .

وقد ثبت أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتان في أفق المجتمع الاسلامي وأن التجريبتين كانتا لمجتمع تختلف عن مجتمعا وأن الماركسية ماهي الا جزءا من نظام غربي ، وانها رد فعل لواقع الرأسمالية التي عجزت عن اقامة مجتمع سليم ، ولا ريب أن الرأسمالية والماركسية كليهما من منبع واحد ، من حيث سيطرة مفهوم الربا ومن حيث التفسير المادي للتاريخ .

ان أبرز مظاهر النظريات البشرية هو التصدع السريع حيث يعترئها الفساد بمرور الزمن فيصبح في حاجة الى التعديل بالحذف والاضافة وهنا يظهر الفرق الواضح والعميق بين منهج القرآن الثابت الفطري

الرياني المصدر الانساني الطابع وبين مناهج الفكر البشرى حيث نرى نظريات ترضى التطلعات والغرائز .

ولقد استغلت القوى النازية هذا الاضطراب حيث يقول البروتوكولات : لسكى نظمئن الى الراى العام يجب يادى ذى بدء أن فريكه تماما ، فنسهمه من كل جانب ويشتى الوسائل آراء مناقضة لدرجة تضل معها الطرق ، فيدركون حينئذ أن أقوم سبيل لهم الا يكون لهم راي .

ان الهدف هو القضاء على وحدة الفكر الجامع التى اقامها القرآن فى الأمة الاسلامية وخلق الصراع الفكرى حيث نجد ذلك الغزو المتتابع الذى لاتثبت معه أى قيمة أو فكرة ، والذى ينقل الانسان الحديث من نظرية الى نظرية ومن وضع الى وضع ، وخطر من ذلك أن كل نظرية تقدم للانسان الحديث لا تلبث أن تواجه بنظرية مضادة ، ومن هنا يجرى الجدل والحوار حولها ثم ينشأ الفراغ النفسى والاجتماعى فى الولاء حول احداها ومعارضة الأخرى فاذا استغلت نظرية قريبة من الفطرة الانسانية سحقت بقوة وظل الاعلاء والانتشار للنظرية المنحرفة واعلى شأن فرويد ودوركايم وماركس فى نظر معارضيه .

وقد تحمل النظرية على غير محاملها وتنقل الى اجواء واوضاع لم يكن يقصدها صاحبها ، كما نقلت نظرية دارون من كونها نظرية بيولوجية الى نظرية اجتماعية كاملة . فاذا جرت محاولة للتوفيق بين النظريات المتصارعة على طريق البحث عن الفطرة والأصالة رعى صاحبها بالتلفيق والقسر ، رغبة فى أن يظل الصراع قائما .

وتكون نتيجة صراع النظريات المختلفة فى مجالات الفكر والتاريخ والاجتماع أن تؤدى الى خلق روح اللامبالاة والعزلة والانفصال فتتعمق روح الشك والسخرية واحتقار القيم .

ويقع الصراع فى المجتمعات بقدر الاجابات المختلفة عن سؤال واحد أو المواقف المتعددة آزاء قضية واحدة .

وميزة الاسلام أنه صنع وحدة الفكر الاساسية التى تحول دون

المصراع الفكرى، وليس للانسان أن يضع مفهوما ويجهل الناس عليه
ولكن على الانسان أن يتبنى مفهوم الاسلام نفسه .

ثبت أن البضاعة الفكرية والثقافة التى قدمها الغرب بشقيه الى
الامة الاسلامية ليست مجردة من الأهواء والتخطيط المرسوم للمتطلب على
خيرات البلاد التى يتوفر فيها مصادر الطاقات دون أن يقابل ذلك
تقدم صناعى تكنولوجى وأنها حافلة بالعضلات والطق والتناقض فى
كل مذهبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأنها فوق كل ذلك
تدعو للسلام باللفظ وتلوح بالحرب بالأيدي والسواعد وبريق العيون
والأسنان وتريد من العالم المتخلف أن يستجدى اذنها فى كل خطئه فى
التقدم وأن يتقبل الوصاية الجشعة وهو مسلم بالأمر الواقع والقوة
وكل ذلك مسلم به فى القانون الدولى الذى فرضت أعرافه على الشعوب
الجديدة كشرط أساسى فى دخول العائلة الدولية يوم كان الغرب
المسيحى متفوقا متقدما يصرف شئون الشعوب المختلفة فى أفريقيا
والهند .

وعلىنا أن ندرك أن الفكر الأوربى فى السياسة والفلسفة والاقتصاد
بعد أن كتب له الغلبة والانتشار وبهر أنظار الشعوب الأخرى فى
كل من آسيا وأفريقيا عجز عن الاحتفاظ بوميضه وبريقه الخلاب حين
تبين للشعوب الاسيوية والأفريقية أن مايقعد اليها من الغرب الأوربى
والأمريكى من فلسفات وأفكار ساسية واقتصاد وفلسفة لايمكن تقبله
والانتفاع به واستيراده دون تحفظ كما تستورد السيارات والمعد
والماكينات .

لا اختلاف فى أن العلوم النظرية والعملية تراث انسانى قابل للنقل
والتصدير والاستيراد ، أما الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية فلها
مجال آخر لأن هذه الأفكار تتأثر بالذات القومى والتاريخى لكل أمة
وبالعقائد والمثل الدينية والتاريخية والأخلاق السائدة لقد كانت رسالة
الاسلام أعمق حركة من حركات التحرر والتجديد لأنها يادرت منذ اللحظة
الأولى الى تحرير الانسان من ريقه الوثنية والثنية ، والطاغوت وكل
سلطان مارسه العقائد البدائية ، وأعلنت مساواة الأجناس البشرية

أمام العدل الإلهي وإزالة ضرر الباعدين بين الشعوب فلم تقو عروش
كبرى وقصر على صدى تيار التحرر الذي تدفق من جزيرة العرب
وتحطمت الطبقة الساسانية الفارسية المغلقة على صخرة المساواة
وانجلى الاستبداد البيزنطى عن سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط .

ثم داهمت أوربا العالم الإسلامى باسم الصليب وتحالفت مع الموجة
المغولية الشرسة الغازية لتقويض العالم الإسلامى ، فتقوضت الدولة
الإسلامية وأصبح العالم بحاجة الى من يدعوه للعدل على أوسع نطاق .

ولما كانت رسالة المسلمين عالمية الأهداف أعلنها الإسلام عقيدة
ونظمت بها العربية لغة وتقبلتها الشعوب التى اعتنقت الإسلام وانضوت
تحت لواء الأخوة الإسلامية ولكننا نسينا تراثنا حقبة طويلة من الزمن .
ووقفنا مبهورين أمام التقدم الغربى الإلحادى المادى فخيل إلينا أن
كل تقدم رهن بتقدم الغرب وجهلنا أن الحضارة والتقدم تغيرات
وتحولات متقلبة وأن جوهر تراثنا الإسلامى هو فى التعامل الحضارى
والتبادل مع جميع أنواع الحضارات والعقائد والفلسفات والأخذ منها
والإطعام للمها يستعمل منها مايفيد إلينا لنحضره ونعرضه على معايير
النقد والعقل ونصدره تراثا إنسانيا جديدا .

(صلاح الناهى)

المنهج العلمى الإسلامى

رسم علماء الحديث أصول المنهج العلمى الإسلامى : فالبحث فى
الحديث يقوم على أساسين :

(أولا) النظر فى السند من ناحية اتصاله أو انقطاعه ويقوم على
سلامة الرجال من الطعون واتصال السند أن يسلم سلسلة الحديث من
سقوط راو فى أثناءه وذلك بأن يكون كل واحد من سلسلة السند قد ورى
الحديث عن شيخه .

(ثانيا) النظر فى المتن . وقد تميز بطريقة التوثيق على الموضوعات:
البخارى ومسلم والترمذى كما تميز بطريقة المسند ولكل إمام مسنده :
أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبة .

وصحيح مسلم يفضل صحيح البخارى لجودة الترتيب وسهولة التناول بالإضافة الى أنه اقتصر فى كتابه على ذلك الحديث المرفوع الى النبى ولم يمزجه بغيره من الأحاديث الموقوفة على الصحابة والتابعين كما صنع البخارى .

والبخارى يفضل بأنه من حيث الثقة برواته أقوى من الثقة برواة مسلم واشترطه فى الراوى للحديث لقاءه بمن روى عنه ولو مرة واحدة أما مسلم فقد اكتفى بمعاصرة الراوى لمن يروى عنه وإن لم يلتقه وقد اختلف على أنه ينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم ، وقام علماء الجرح والتعديل ببيان قال الرواة من حيث الضبط والعدالة والاتفاق فمن عدلوه قبلت روايته ومن جرحوه ردت روايته وكان التاريخ خير سلاح يتسلح به العلماء تجاه الكذابين .

ولقد عنى المحدثون بالنقد الداخلى للحديث كعنايتهم بالنقد الخارجى أما مآذركه المستشرقون أمثال جولد زيهر ومن تبعهم أمثال أحمد أمين فى ضحى الاسلام من أن العناية انحصرت على النقد الخارجى فهو كلام لا يقصد به الا مجرد التشكيك فى مجهودهم العلمية فهذا من الإصلاح الذى كتابه (علم الحديث) يقول :

وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوى والمروى فقد وضعت أحاديث طويلة تشهد بوضعها بركاكة الفاظها ومعانيها ويمكن القول أن نقد المتن كان أول علوم الحديث وجودا وذلك يعرض الرويات على نصوص وقواعد الدين .

وقال ابن الصلاح ان معرفة علل الحديث هى من أجل علوم الحديث وارفعها وأشرنها وأما يضطلع بذلك أهل الحفظ والفهم الثاقب .

ويمكن اجمال موقف الفكر الاسلامى مما يلى :

أولا : لا يعترف الاسلام بأى نظرية عن تطور الأديان ويكر انكارا باتا النظرية القائلة بأن البشرية مرت بثلاثة ادوار بالنسبة للتسلسل الزمنى وهى دور الخرافة ودور الفدين ثم دور العلم ، كما ينكر النظرية الاوسطوية الطوطمية ، عن نشوء الأديان التى تدعى أن الابن اراد الاعتداء جنسيا

على أمه فمنعه أبوه فقتله ثم ندم فنشأت المحرمات وإن فكرة الألوهية ابتدأت بعبادة الحجر ثم الحيوان ثم الإنسان ثم الآلة ثم العلم ، وذلك أن القرآن يقرر أن الإسلام ابتدأ ببداية البشر وكانوا لا يحيون عن التوحيد ثم حدثت انحرافات بتقديس بعض الأشياء ثم نسوا بمرور الزمن أن هذه مجرد واسطة فعبدوها من دون الله وبما أن هذه الانحرافات قد حدثت في عصور ممتدة صحيحة فلا دليل على ما يقولون والحكم للقرآن وحده في هذا المجال بحكم العقل والواقع لا بحكم الإيمان وحده .

« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للصابرين » . (قيسن القرطاس)

ثانيا : لا يقر الإسلام مفهوم الجبرية اللاهوتية التي تقول أن الإنسان ليست له إرادة وأنه مسير غير مخير فقد شاء الخالق تبارك وتعالى أن يكون الإنسان قوة مريدة فعالة في هذا الكون . وقد أعلن القرآن أقراره بأثر البشر وفعاليتهم : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » وأن التعلل بمشيئة الله باطل (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ولا أبأؤنا ولا حرمانا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول إلا البلاغ المبين) .

كذلك لا يؤمن الإسلام بالجبرية المادية التي تقول أن الإنسان ليست له إرادة وإنما الوسيلة المادية هي التي ترسم التطور الاقتصادي ثم لواقع الاجتماعي الذي يجب أن يعيش في حياته فما يفتحته الإنسان من أصناف وتمائيل لا تتحكم في حاته كما يزعم هذا التفسير :

« أتعبدون ما تنتحون والله خلقكم وما تعملون »

صحيح أن الآلة تدل على مدى الرقي الذي قطعته الإنسان في الميدان المادي كما أنها تسهل له حياته بمشقة بسيطة وهذا هو أثر الآلة وما سواه مبالغة .

ثالثا : لا يؤمن الإسلام بفلسفة هيجل التطورية للتاريخ التي تقول بارتقاء الحضارات حضارة بعد حضارة وبعد أن ترتقى الحضارة إلى أرقى ما يمكن تظهر في حضن الحضارة أفكار معادية لها وتشرع في محاربة الأفكار القديمة وتكون نتيجة هذه المحاربة حصول الامتزاج بين بعض

العناصر القديمة وأخرى جديدة تكون موجودة من التتابع ولكنها تقوى في دور الاعتلال ، وان الحضارة لا تزول الا بزوال الأسس التي قامت عليها أو بهزال الأسس التي تستند عليها .

رابعاً : لا يقر الاسلام النظرية الفردية لتفسير التاريخ ولجعل التاريخ من رسم أفراد محدودين ولكن الاسلام لا ينكر أثر الأفراد كعامل من عوامل رسم التاريخ بما أودع فيه من قوة سواء في الطريق الصحيح أو الطريق الخاطئ .

فأثر فرعون وهو فرد لا ينكر : « ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين » وأثر ابراهيم لا ينكر في انتقاد أمة من عبادة الأصنام وان وزنه يعادل وزنها بل يزنها : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله خفيفا ولم يك من المشركين » .

كما لا يقر الاسلام النظرية الجبرية للمجتمع لأنه لا ينكر أية نظرية تثبت الجبرية على الانسان وتغفل ارادته حيث انه يؤكد مشيئته الانسان ومسئوليته عن أعماله ومع ذلك فانه لا ينكر أثر المجتمع في سير التاريخ .

خامساً : لا يؤمن الاسلام بالنظرية الجغرافية والطبيعية المتطرفة التي تتألف في اعطاء الأثر للأتجار والجبال والتضاريس وانها هي التي تسير التاريخ . اما ان تكون هي احدى العوامل المؤثرة فهذا مالا شك فيه في كثير من الأحيان . فانهزام نابليون في زحفه على موسكو تدخل العامل الجغرافي بالمناسخ كعامل من عوامل انهزامه وليس معنى ذلك انه سبب الانهزام الوحيد ، فقد تدخلت عوامل أخرى منها عبقرية القائد الروسي الفردية . واما انتصار المسلمين في محهم للاندلس فقد ذاب فيه العامل الجغرافي أمام العقيدة .

البهائية

كشفت الدراسات الاستشراقية الروسية الحديثة الكثير من الحقائق حول قيام الماسونية والبهائية حيث تحفظ المتاحف الوثائق في روسيا ووثائق كثيرة تبين جهود الضباط الروس ورجال السفارة الروسية

فى طهران وتروى ادوارهم فى تأسيس الحركة البابية البهائية والاموال والخبرة التخطيطية ، وتنفذ الأرمنى الروسى (منوچهرخان) الى اشهار اسلايه واستيطان نهطيه ليتمكنه الاشراف المباشر على الحركة البهائية ورعايتها وتكشف هذه الوثائق كما يقول الدكتور حسن بخدادى ان البابية والبهائية المتطورة عنها : ابتكارا روسيا اراد به القيصرية الروس منافسة المساعى الغربية فى ديار الاسلام ، فاذا عرفنا ان الماسونية ابتكار يهودى صرف استفاد من امكانيات الانجليز والفرنسيين والالمان ، وان القادنية ابتكار انجليزى صرف استخدموه للقضاء على دعوة الجهاد الاسلامى الذى كان يمارسه علماء الهند الابرار عرفنا الى اى حد يجرى التخطيط لاحتواء الاسلام والمسلمين .

وقد جاء تخطيط الروس فى انشاء الحركة البهائية نتيجة لطموح القيصرية للاستيلاء على البلاد العربية مهد الاسلام وتطويق الدولة العثمانية من الجنوب من بعد ما ضربوا الاسلام ضربتهم الاولى فى بلاد القوقاز والتركستان وازبكستان واستولوا على عوالمهم الاسلام الكبرى هناك (بخارى — سمرقند — مرو) وانهم اقصص المجد التى سطرته .

وما البهائية والقادنية والماسونية فى هذا العصر الا حركات بديلة وورثة للقراطمه واخوان الصفا والاسماعيلية والنصيرية (مع تعدد الاسماء واختلاف الأزمان) والهدف واحد ، كما سخرت قلوب الدولتين المجوسية والرومانية طوائف الهجيمة والقراطمه واخوان الصفا لتهديم الدولة العباسية فى العصر العباسى كما استغل الصليبيون الاسماعيلية والنصيرية لمحاربة آل زنكى وصلاح الدين والتجسس عليهم . وقد استغلت دول الغرب هذه الحركات الجديدة لهدم الخلافة الاسلامية والدولة العثمانية .

وقد انتهت ثورة البلاشفة على روسيا هذه المخططات مما اتاح للانجليز فرصة ورائة القيصر فى رعاية الحركة البهائية منذ ذلك الحين وحتى اليوم وقد استعان البلاشفة ببعض من سايرهم من البهائيين وتدرجت حالهم الى اعتناق الشيوعية . وانتقال الوصاية على الحركة البهائية الى الانجليز فتحت صفحة جديدة من ازدهارها . وقد اوصلوا من دسوه من عملائهم الى مناصبهم القيادية . وجددت البهائية نشاطها فى ايران ونمت محافلهم

فى عكا وانحاء فلسطين كجزء من تخطيط اليهود الروس لاستغلال هذه الحركة بواسطة القيصر للتمهيد للهجرة اليهودية الى فلسطين . وهكذا دخلت الماسونية والوكالة اليهودية هذه المحافل البهائية ضمن قواها العاملة فى فلسطين لانشاء الدولة اليهودية .

وقد وصلت طلائع التبشير البهائى الى العراق الجاورة لايران لتنتشر بها خلال القرن الماضى حيث ظهرت داعية البهائيين المسماة قرة العين مستخدمة ذلك الاغراء الاتئوى وتقديم جسدها بأساليب شيطانية لجر الشباب الى الطائفة .

كما ان الحكومة البريطانية حملت الملك فيصل للتدخل لابطال حكم قضائى صادر ضد الماطئفة البهائية فى دعواها ملكية مبنى محفلها فى بغداد .

وقد شاع خبر التعاون العميق بين المحافل البهائية فى عكا ودولة اسرائيل بعد انشائها حيث نهج اليهود بدور البهائية المساعد فى تمكينهم من انشاء دولتهم ، ودور نداء الميرزا حسين رأس الحركة البهائية وابنه عبد البهاء ليهود العالم بالتجمع فى فلسطين خلال القرن التاسع عشر .

وقد بدلوا بعد ذلك خططهم وابتكروا للماسونية نوادى الروتارى والليوتر تمويهها وخداعا للسذج ، وابتكروا للبهائية أسماء جديدة تحت اسم الجهاد المقدس .

هذا التبديل فى الأسماء والأساليب هو ثمرة مباحثات المؤتمر البهائى العالمى المنعقد برعاية التجليز فى لندن ١٩٦٣ .

وفى مارس ١٩٧٢ هدم المحفل البهائى فى مصر واعتقل أكثر من مائة بهائى مصرى من الرجال والنساء وضبطت بحوزتهم خطابات خطيرة تدعو الى نيل الشريعة الاسلامية وقد اتخذوا من طنطا مركزا عاما وكانت لهم مناصب ولا يخفى أن امرأة بهائية عريقة فى زيفها من أصل عراقى كانت تخدم المصالح البهائية من خلال سلطة زوجها الواسعة وقد ذكر كراتشوفسكى فى كتابه عن المخطوطات الدينية خبر لقائه ١٩٠٨ ببهائى يعمل تساخا بدار الكتب بمصر ذكر له بعض أخبارهم اطمئنانا له لكونه من روسيا راعية البهائية اذ ذاك .

الفرعونية

قال أرنولد توينبي : عبثا بحثت عن الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة وأعلن أن الحضارة الفرعونية قَد ماتت من قديم ، وهذه حقيقة يجب أن تكون موضع نظر الخادعين والمخدوعين على السواء ، فليست الفرعونية الا تلك التماثيل المكسدة فى المقاحف أو المعلقة على سفوح الجبال ، أما فى الوادى فقد انقرضت كما يقول دكتور جمال حمدان كما انقرضت من قبل تماسيح النيل فى النهر ، وان انتقل مصر الى الاسلام بعد أن مرت بها الدعوة الابراهيمية الحنيفية ودين موسى ودين عيسى ليعطى الصورة النهائية لحضارة كونها الاسلام ولثقافة بنسائها القرآن واللغة العربية ويمثل وضعها هذا انقطاعا طبيعيا لا سبيل الى استعادته مع العصور الحديثة والديانات القديمة ولم تكن العروبة والعربية حديثة على مصر بدخول الاسلام بل كانت موجات متوالية خرجت من الجزيرة العربية قبل آلاف السنين ووسدت هذه المنطقة وأعدتها للنقلة الى المرحلة الأخيرة .

(٤٧)

التفسير المادى للتاريخ (١)

يحاول التفسير المادى الاقتصادى للتاريخ أن يصور للناس أن الارتقاء المبدئى يسير الى جنب الارتقاء فى الوسائل المادية ، بينما التاريخ بين لنا خلاف هذا الأمر فى بعض الأحيان بل فى كثير منها . فان تعلم الوسائل المادية والمعلومات العلمية تسير على خط غير الذى تسير عليه المبادئ فى ارتقائها المزعوم .

ومصادقا لذلك نرى المبادئ البشرية تنتكس انتكاسات فظيعة وبعضها ينادى بالهجمة الأولى وسبب الانتكاسات الفظيعة فى المبادئ البشرية لأن الجماعة الأولى التى تمثل المبدأ البشرى الأولى عندما تعلن الحرب على الجماعة الثانية التى تمثل المبدأ البشرى الثانى تشوه كافة أفكار المبدأ للجماعة الثانية بينما نستفيد من الوسائل المادية والمعلومات

العملية ، بل قد تستعمل نفس الوسائل اذا حصلت محلها فى حربها مع الجماعة الاخرى .

ليس من مهمة الانسليان ان يقوم بوضع المبادئ والنظم حتى لا يحطم البشرية خصوصا وانه لم يخلق لهذا الامر ، ولكن من المفروض أن تظل مبادئه فى مستواها على الأقل ان لم تتقدم قليلا بل الأصح أن تتقدم ولو قليلا جدا وتستلهم فى تصحيح أخطائها كلما و انتهت الفرصة . وهذا النسب فى ارتقاء الوسائل المادية ارتقاء كبيرا بينما تنفكس المبادئ والنظم بينما تسير للوسائل المادية فى خط مائل ارتقائى تسير المبادئ فى خط منحنى يرتقى ارتقاء بسيطا على شكل منحنى ثم تنكس انكاسة فظيمة ، صحيح ان بعض الحالات تضاد فيها الوسائل المادية افكتكاسات مع تهديم ولكنها على كل حال فترات بسيطة بل حتى عملية التهديم بسيطة ، ولا تنال من كفاءة الوسائل كما تنال فى البدا بكامله .

(٤٨)

أهل السنة والجماعة

ان مذهبنا هو مذهب أهل السنة والجماعة وليس مذهب الفلاسفة او الباطنة او المعتزلة الغلاة أو التصوف الفلسفى ، ولقد كان من عظمة الاسلام وكهاله ان جمع بين العقل الذى عرفه المعتزلة ، والقلب الذى عرفه الصوفية ، واذا اردنا ان نتخذ نموذجا لنا فان هذا النموذج موجود فى انسان واحد هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو التطبيق العملى للإسلام : القرآن هو المنهاج ، هو القانون والرسول هو النموذج ، هو التطبيق « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

فإذا ما عدونا فاننا نرى بشرا وفى درجة واحدة ، ونحن نؤمن بتتابع الصحابة حسبما جاءوا بالبوكل وعمر وعثمان وعلي ، لانفضل أحدا على أحد فكلهم له عمله ودرجته وسابقته فى الاسلام ومفهومنا الاسلامى واضح صريح ، وهو ان الاسلام لم يورثه الرسول صلى الله عليه وسلم أحدا من آل بيته ، وإنما قدمه للمسلمين جميعا ولم يكلم شيئا عن الناس منه

لو اختص به أحدا ، وإنما قدم الإسلام للناس جميعا فليس لفئة ما من المسلمين ميزة خاصة ولا شريعة خاصة ولا نظام خاص .

ولم يجعل الرسول لأهل بيته من الأمر شيئا يزيد عما ما للمسلمين عامة وقال قوله المشهورة : يا عباس ، يا علي ، يا فاطمة : اعملوا فإني لن أغني عنكم من الله شيئا . وقال لأسامه حين توسط في رفع الحد عن الخزومية : أنشف في حد من حدود الله ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، فلا امتياز لأحد لقربته لرسول الله ومفهومه أن القرابة قريبة هي أبو بكر وقرابة هي علي ، ولقد قال الله تعالى وتعالى لنوح عن ابنه الذي خرج عن مفهوم الإيمان : إنه ليس من أهلك فالصلة في الإسلام بالعمل وليست بالنسب ، ولقد أدخل المسلمون مفهوم التشييع داخل فكرهم فأحبوا أهل البيت حبا صحيحا ولكنهم انحططوا بمفهوميهم التكامل بأن الله هو خالق كل شيء وأن الرسول بشر يوحى إليه (قل إنما أنا بشر مثكم يوحى إلي) والمسلمون بعد ذلك متساوون ليس لأحدهم امتياز وليس في الإسلام ارتفاع للقلب عن العقل أو العقل عن القلب وكل الذي قالوا بذلك بعسوا عن فهم توازن الإسلام وتكامله ومن هنا فنحن ندرس الفلسفة ولكن الفكر الفلسفي ليس هو الفكر الإسلامي وإنما الفكر الإسلامي قرأني المصدر ، ونحن نحب الرسول ونحب أهل البيت ولتكننا تحرك دائما داخل إطار التوحيد الخالص للحق تبارك وتعالى لا شريك له . ونحن نكبر العقل ونراه مصدر التكليف ولكن لا تؤمن بأنه تارك على أن يفصل في كل الأمور فهناك الوحي هو هادي القلب وهو الضوء الكاشف أمامه ولا ريب أن هناك نظريات من غير مفهوم الإسلام القائم على القرآن تلمع وتغيب قوى النظر القاصر ولكنها ليست من الأصالة بل هي من هوى النفس .

٢ - أن أخطر ما يعتمد عليه الاستشراق والتعريب في دراسة الإسلام أو الكتابة عنه ثلاثة مصادر :

أولا : الفكر الباطني الذي كتبه اخوان الصفا والرازي الطبيعي .

ثانيا - الفكر الفلسفي الذي كتبه ابن سينا والسكندري والفارابي وابن مسكويه فقد تعلم ابن سينا على أيدي الاسماعيلية وابن مسكويه اتصل

بناين العميد ثم بعلاء الدولة الديلمى وكذلك ماكتبه أبو البركات البغدادى صاحب كتاب الاعتبار فى الحكم وهو يهودى اعتنق الاسلام توفي ٥٦٠ هـ .

ثالثا : الفكر التصوفى الفلسفى الذى كتبه أمثال البسطامى والحكيم الترمذى والجلاح والسرورردى فى فلسفة الاشراق .

والمعروف ان فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة تقوم على أساس مفاهيم الباطنية وقد استقى الفارابى والباطنية النظرية من مصدر واحد هو جمهورية افلاطون وفلسفة ارسطو .

وأخطر ما هناك الفرق الغالية من الشيعة الذين لا يؤمنون بالقرآن الذى بين ايدينا وتبدأ الشبهات من قولهم الباطل بأن آيات الله ظاهرا وباطنا وان هذا العلم الباطن لا يعلمه الا ائمة الشيعة القائمون منهم والغائبون وانهم المهيمون على التأويل ، وكذلك القول بأن القرآن كتب له ظاهر وباطن فهو كتاب مستور ومحجوب عن الجمهور وبينما كتب السنة تورد الراى وضده ، وحجج كل فريق فان فى كتب الشيعة اصولا لا تقبل المناقشة لأنها مستورة وباطنه وخاصة مبدأ العصمة والرجعة .

٣ — هناك حقيقتان أساسيتان هما :

أولا : ان دعاة السلفية يعيشون الآن موقف الانفصال من دعاة التربية الروحية مع أن كليهما مكمل للآخر فان دعاة التوحيد ينقصهم تكامل الاسلام شريعة وخالقا ودعاة التصوف ينقصهم تكامل الاسلام توحيدا وشريعة ان المفهوم الجامع عقيدة وشريعة وخالقا لم يعرفه الا الاسلام ، ولذلك فلا بد من أن يتسلف الصوفية ويتصوف السلفيون ويلتقى الجميع حول حلقة أساسية تجمعهما هى تطبيق الشريعة .

والاسلام يرتفع فوق جدلية الفلاسفة والمتكلمين والمناطق والمعتزلة فى العقيدة كما يرتفع عن صوفية الأعاجم القائمة على وحدة الوجود والاتحاد والحلول .

ثانيا : ان مفهوم التوحيد الخالص لم يعرفه الا الاسلام .

اما دعوات التوحيد التى عرفتها كتب التاريخ قالها لم تستكمل الجمع بين توحيد الربوية وتوحيد الألوهية .

ومفهوم التوحيد الخالص لا يكفى بتوحيد الربوبية الى الايمان لوجود خالق العالم فحسب بل لابد من توحيد الألوهية الذى يعنى توحيد العبادة اى عبادة الخالق وحده لا شريك له من الأهواء والأنداد والأشباه والأوثان (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) فلا نكون « ممن يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » هذا التوحيد الذى لا يعقل التمثيل والنسبة والتعطيل كما حدث فى الفلسفات والأديان التى سبقت الاسلام .

ومن هنا فان مايقال عن توحيد اخناتون أو غيره من ديانات أو نحل موحدة كله باطل فان الاسلام وحده هو الذى حرر الانسان من عبادة غير الله .

٤ — اعظم ما فى الاسلام تجرده من ورائة النبوة .

فان حقيقة أن النبوة لاتورث التى تقدمها الاسلام هى التى أعطت هذا الدين دفعته القوية حين عرف الناس فى آفاق العالم أن الذين قتلوا على الدين بعد النبي ليسوا من أهله أو قريته لقد وضع الإسلام قاعدة ذهبية هى أن خلافة الرسول من بعده انما تكون للأقرب فى الأخذ بكتاب الله وأسوة الرسول ومن بين هؤلاء الذين قربهم الرسول اليه من أصحابه وأهل مشاورته وذلك لفضلهم ورأيهم وسبقهم الى الاسلام .

فالنزعة الى توريث الملك هى أصلا نزعة فارسية تظهر فى النسق الكسروى كما يرث أبناء الملك فى فارس ملك أبيهم فان لم يكن له ولد ورثه أقرب أهله اليه .

أما الاسلام فقد دعا الى الاختيار للأصلح ورأى ذلك أكثر عدالة ورحمة .

٥ — علينا تصحيح الفكرة القائلة بأن الاسلام لم يحكم واقع الحياة الا فى فترة محدودة من عصر الراشدين بينما تبين الدراسات الاجتماعية والنفسية أن الاسلام وان تخلى عنه الحاكمون بدرجة أو بأخرى فانه ظل يحكم المجتمعات ويوجهها وتتفلغل روحه فى أعماق النفوس وتصبغها وقد استمر الاسلام يعطى هذه الفاعلية الاجتماعية والنفسية الى عهد قريب حيث نجحت المؤامرات الغربية فى تجميد قدرته على التوجيه النفسى والاجتماعى .

(٤٩)

شبهات حول الوثنية

تقطع الاسلام الامتداد الفكرى والثقافى بين ما قبل الاسلام وبعده عن العرب أولا ثم فى كل مكان ذهب اليه ، وقد ذهب الى كل مكان واثّر فى جميع النحل والأفكار ثم قطع امتداد الوثنية فى العالم كله .

وقد صدق من قال أن الاسلام أحدث رقيا عظيما فأطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تأسر حول المعابد وبين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة .

وقد خلص الاسلام الفكر الانسانى من وثنية القرون الأولى .

وكان من أبرز خصائص الاسلام أنه حرر الانسان من زيف الفكر البشرى والوثنى والمثالى الذى تشكل نتيجة استعلاء الدعوة العنصرية أو خطأ تفسير الرابطة بين الالهية والبشرية أو محاولة إثارة الشبهة حول وحدة البشرية ووحدة الدين ومبادئ الأخلاق أو حول الفصل بين الأخلاق والدين أو بين العبادة والشرعية . والدعوة الى انكار انقياب والجزاء أو الدعوة الى سقوط التكليف أو الفيض والاشراق والاتحاد والحلول . أو فصل الدين عن المجتمع والدولة . أو طرح النظرية المادية المنكرة لوجود الخالق أو الدعوة الى التحلل والاباحة والتحرر من الضوابط والحدود .

ولقد كشف القرآن وجه الحق فى هذه القضايا جميعا وحررها ولذلك جاء الاسلام مصححا لكل هذه المفاهيم الزائفة التى استشرت وتمثلت فى فلسفات ومذاهب ودعوات بسواء منها ماذهب مذهب العقلانية الخالصة أو الروحية الخالصة ، ولما كان الاسلام ممثلا للفطرة ، وجمع بين قوى الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والنفس والجسد والحياة والموت والدين . والآخرة فى إطار التوحيد الخالص لله ، كما جمع بين الثبات والتطور ، فأقر ثوابت هى بمثابة الدعائم وسمح بالتغيير والتطور من داخلها وفى إطارها وأقر المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقى وعارض

التناسخ والاشراق ووحدة الوجود والطول . والاسلام بوصفه منهج حياة ونظم مجتمع فانه يقرر الاعتراف بالرغائب البشرية واباحتها في اطار الشريعة والأخلاق والضوابط الحافظة للشخصية الانسانية من الانهيار والتحلل ومن الربط بين الرغائب المادية والأشواق الروحية ، والاعتراف بالطاقة والجهد حيث لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، كذلك يقرر الاسلام منهج المعرفة الجامع الذى يرفض الفصل بين القيم ويدعو الى تكاملها في توازن دقيق ، وقرار مفهوم التقدم على أنه تقدم مادي ومعنوي معا خالص لله ، وحيث يقوم منهج المعرفة على القرانية الخالصة وليس المنهج الفلسفي أو المنطقي ، باعتباره اصدق المساهج واقربها الى التطورة البشرية وقد جاءت الشريعة الاسلامية ذات قواعد كلية واطارات مرنة ومن هنا صلاحيتها لتكون شريعة انسانية عالمية صالحة لكل زمان ومكان ، وقد قامت على البرهان وتحكيم العقل وانتهى عن الهوى وفتح باب الاجتهاد . وكذلك انكر الاسلام القول بغير دليل وقرر عدم كتمان العلم ودعا الى التحرر من التبعية والتقليد وأقر مبدأ الأصالة وفرق بين العقائد والمعارف عامة وفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية ودعا النظر الى ما يقال ودعا الى معرفة الرجال بالحق وفرق بين مقاييس العلوم المادية ومقاييس العلوم الانسانية كالنفس والأخلاق والمجتمع ، كذلك قرر الاسلام أن كون عمل الانسان خالصا لله ولحساب الله وبإلوسائل التي ادها الله وفي الحدود التي جفدها وفي الاطار الذي رسمه وعلى الطريق الذي سار عليه الأبرار والمجاهدون .

كذلك فقد اقام الاسلام قاعدة التوازن بين مختلف القوى البشرية ، وخاصة بين الروح والجسد والعقل والقلب ورفض التطرف ممثلا في الاباحية والرهبانية على السواء ، وممثلا في القرف والحرمان فحال بذلك بين خطرى الكبت والانحلال ، وهو اذ يوازن بين المادية والروحية في الانسان يوازن بينه كفره وبه كعضو في المجتمع فالفرد جبرء من المجتمع والمجتمع هو كل الأفراد ، وبذلك تنادى الاسلام انحرافات الشطط وأخطار التطرف وقضى على ما يسمى بالصراع أو التناقض أو الضياع النفسي وحفظ للانسان وجوده بعيدا عن الانهيار الذى يفرضه الانطلاق والتدمير الذى يفرضه الجمود واعلن أن كل معطيات الحياة مطبوعة

يطابع الأخلاق والتقوى ، وأخلاقية الحياة من أكثر أسس الإسلام والتقوى قيمة الأخلاق الإسلامية وهي تحمل معنى الكظم والامتناع عن الدنيا والارتفاع فوق السيئات .

والإسلام هو الذى أقر سقوط عبودية الفرد للفرد وعبودية المرء للمجتمع وعبودية النفس الإنسانية والعقل البشرى للأوثان والمادة وحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى . وقرر تضامن المجتمع فى المسؤولية عن كل اقترارة وأقام العدل الاجتماعى على أساس التضامن والمساواة والأخوة . وفى الإسلام التقى العلم بالدين والإسلام هو الذى دفع البشرية الى الخروج من دائرة المنهج اليونانى القياسى الى منهج التجريب فانشأ المسلمون المنهج التجريبى ثمرة دعوة القرآن لهم بالنظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ومعرفة أسرار الوجود وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحث على العناية بتنمية العقل الإنسانى وفضل العلم على العبادة ، وأقر مفهوم العلم على أنه علم الدنيا وأندى ، والعلم فى الإسلام يزكو بالاتفاق .

وأقام الإسلام الفطرة ودعا الى نقائها وشجعه بالنهى عن افسادها والتعاليم الصارمة ودعا الى التحرر عن الحق والى أن يغير المسلم رايه متى تبين له وجه الصواب ولا يصر على الباطل ، ولا يأنف من أن يأخذ الحقيقة من أى وجه يأتىه والا يتعصب لراى شخصيا يحول بينه وبين النظر

كذلك دعا الإسلام الى الانتماء من النفس واقرار الحق بالنسبة للقريب والبعيد والصدى والغنى والفقر . واليوم اذ تواجه البشرية هذا الفكر الوثنى المادى ممثلا فى مذاهب جديدة وفلسفات براقة تحاول أن تخطف الأبصار فان الإسلام قادر على أن يقدم الحقائق التى تحرر العقول وتشفى الصدور ، ومازال الإسلام هو الأمل المرجى للبشرية للخروج من أزمتها وهو الحقيقة القادرة على العطاء الصحيح للنفس الإنسانية والعقل البشرى بما يحقق للإنسانية القدرة على التماس الصراط المستقيم بعد أن تفرقت بها السبل .

(٥٠)

شبهات حول الرقيق

لقد خُفِلَت كتب التاريخ المقررة على مدارسنا بأخطاء كثيرة منها أن تجارة الرقيق في أفريقيا كانت تجارة عربية يحترفها الغرب الذين يشترون أو يخطفون الأولاد والبنات ويصدرونهم إلى الجزيرة العربية وما وراءها من بلاد المسلمين ليكونوا الرقيق والجواري .

ولقد كشفت الأبحاث الجديدة أن تجارة الرقيق كانت في أيدي الاستعمار وأن كتاب « جذور » الذي ألفه الباحث المنصف (اليكس هيلي) يكشف عن أن الذين مارسوا هذه التجارة على نطاق واسع وبأساليب متقنة على مدى قرنين أو أكثر من الزمان هم الانجليز الذي تخصصوا في فرق مختلفة للذهاب إلى أفريقيا لشراء الرقيق واختيار الأصناف المطلوبة في رحلات بالغة القسوة والعنف أو في تولي بيع الرقيق على الشواطئ الأمريكية لأصحاب مزارع القصب والقطن والذرة وأن هذه المرحلة السوداء جاءت في اعتاب المجد الإسلامي الذي عرفته أفريقيا إبان إمبراطورية غانا وإمبراطورية مالي وملوكها المسلمين الذي كان العالم المتحضر يتحدث عن قصورهم ومدارسهم وجامعاتهم ورحلاتهم في الحج إلى مكة فلما ضعفت هذه الدول الإسلامية وتفككت بدأ الأوروبيون يتسلطون إلى أفريقيا ومارسوا تجارة الرقيق ثم بلغت أوجها على أيدي الانجليز ، وقد أفرد الانجليز واستثمروا أموالهم في تجارة الرقيق وتكدست الأموال وأصبحت أحد مصادر الثروة الصناعية .

وهناك من التقديرات ما يذهب إلى أنه خرج من أفريقيا عشرون مليوناً من الشباب والصبية والفتيات عصفت الأمراض الأوبئة بعدد كبير منها وربما وصل نصف هذا العدد وقد أضعفت تجارة الرقيق أفريقيا لأنها أخذت أقوى عناصرها .

(٥١)

الشيعة والسنة

لا ريب أن التقريب بين السنة والشيعة هدف من أكبر أهداف الوحدة الإسلامية وسوف يحدث أثرا لا مثيل له في تاريخ اليقظة الإسلامية فقد كانت المحاولات للتفريق وتعميق الخلافات من جانب النفوذ الأجنبي عاملا خطيرا خلال القرن الماضي للحيلولة دون الالتقاء بين شقى الأمة ممن يقولون لا اله الا الله . غير أن الأمر يقتضى إعادة النظر فى مسائل كثيرة أهمها الالتقاء على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفه هو وحده المعصوم بالنبوة والرسالة والوحي وأن تكون العاطفة موجهة الى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعه له واستثناسا به وأن تكون المساجد أكثر أهمية فى نظر المسلمين من المشاهد بعيدا عن الزخرفة الشديدة المرفقة فى استعمال الذهب والفضة وأن يكون هناك حرص شديد فى أن لا تكون الامامة منافسة للنبوة أو مشاركة لها فى كثير من الصفات .

وأن تكون الصلة بالنبي وآل البيت هى صلة متابعة على طريق الدعوة واداء الفرائض والكفاح عن بيضة الدين .

والملاحظ الآن فى العواصم الشيعية أن الزحام يستأثر بالمشاهد دون المساجد فهذه المشاهد غاصية بالزوار علمرة بالرجال والنساء حيث لا يوجد فى المساجد مثل هذا الاقبال على الصلاة والعبادة ، كما أن الصلة العاطفية والحماس الداخلى فى حب أهل البيت وتعظيم الأئمة يكاد يشغل كل فراغ فى النفس والعاطفة والعقل والضمير ، ويخشى أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة ومن شخصية الرسول الأعظم الذى نال به أهل البيت الشرف واستحقوا الحب والتعظيم .

بل ان الشعر الذى قاله شعراء ايران فى مدح أهل البيت وخاصة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ينافس ويزيد على ماتيل فى الرسول صلى الله عليه وسلم .

بل ان هذا الهيام بأئمة أهل البيت قد وصل الى حدود عالية بظهور
صور لأئمة أهل البيت وأمير المؤمنين على بن أبى طالب فى المساجد
والبيوت .

وزيارة الأضرحة والمشاهد وشد الرحال اليها مما نهى عنه الاسلام
ويخشى ان يكون العامة قد جعلت منافسة للنبوة او مشاركة لها فى
كثير من الصفات .

وفى مجال التقريب بين المسلمين ان يوجه التيار الى النبوة التى هى
ملتقى كل مسلم وان تتغير نظرة اخواننا أهل الشيعة الى صحابة رسول
الله وأزواجه أمهات المؤمنين فلا يقوم تقارب حقيقى الا بالاحترام المتبادل
الشخصيات التى نصرت النبى ونشرت الاسلام .

الباب الثاني

الأدب

• الأدب العربي

• الإباحة

الأدب المكشف

التجديد

الفكر والأدب

القصة

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

الأدب العربي

أبرز مظاهر الأدب العربي هي إنسانيته وطابعه القائمة على الحق والخير والعدل ، وقد وجهت للأدب العربي اتهامات متعددة وأثيرت شبهات كثيرة ، من أبرزها القول بتفتش السجع في القرن الرابع الهجري ، ومن الحق أن يقال أن السجع لم يجد قبولا من الكتاب العلماء ، ولدينا شهادة المقدسي في هذا « لم يلق البديع قبولا من الكتاب الكبار ، وإنما نسب حب السجع والقوافي إلى العامة » وقد استشرى السجع في مرحلة ضعف الأدب العربي وتأثره بالأدب القديمة وإن ظلت الدراسات الثقافية في مجال الاجتماع والأخلاق والساسة وغيرها من الجوانب الإيجابية في الفكر الإسلامي قوية . وقد جاء هذا الانحراف نتيجة لآثار الفزوة الشعوبية ، فقد استمد الأدب العربي مفاهيمه أصلا من الفكر الإسلامي الذي يعد « القرآن » قاعدته الأصلية ، وبقي حريصا على ألا يخرج عن أرض الواقع الصلبة ، فلم يكن مهملًا للقضايا الحيوية ، ولكنه نأثر في مرحلة من مراحل بالآثار الواردة من الأدب القديمة والدخيلة فاضطرب أمره حينئذ عاد إلى أصلاته .

وقد كان الأدب العربي قادرا دوما على مغالبة أمرين : الأسطورية والخيال المفرق ، والاشراقية . وهي طوابع وفدت إلى الأدب العربي من الآداب الفارسية والهندية وغيرها ، وكان الأدب العربي في واقعته وارتباطه بالطابع الفطلي والحياة أقرب إلى مفهوم الإسلام وجوهره .

وحيث لم يكن هناك بد من هذا التأثير فقد كان الأدب العربي كالفكر الإسلامي حريصا على ألا يفرق في الطوابع الدخيلة ، وكان قادرا على أن يتحرر منها وأن يأخذ مايزيد قوة دون أن ينصهر في أي بوتقة تخرجه عن أصلاته .

وقد انحرف الأدب العربي في مجالين : مجال الشعر عندما أخرج الشعراء الفارسيون الذين تأثروا بالمجوسية من أمثال بشار بن برد وأبي

نواس وغيرهم ، أخرجوه من مفهومه الأصيل الى الانحراف نحو الغزل الحسى والخمريات والفلمانيات وهو تيار بدأ غريبا ودخيلا مدموغا بالاتهم ، والمجال الآخر مجال النثر حين انحرف الى السجع والمحسنات البديعية والمقامات وأسرف فى ذلك اسرافا أنصرف به عن طبيعته الأصلية .

ويمكن القول بأن « الأدب العربى » فى مفهومه الحق قد تكون بعد الاسلام ، وأن ماسبق ذلك لم يكن سوى تلك الحصلة من الشعر الذى ضاع أغلبه وما أثر من بعض الحكم وسجع الكهان ، فلما نزل القرآن تأسست القاعدة الأصلية للأدب العربى بمفهومه الصحيح القائم على قيم التوحيد والحق والعدل ، وكان القرآن بأسلوبه ومضمونه معا هو المصدر الحقيقى للأدب العربى الإسلامى الذى تشكل فى ظل القرآن وجرى فى مجراه ، فقد جاء القرآن معجزا ، هز النفس العربية ببلاغته ومضامينه معا ، ولم يستطع بلغاؤهم أن يصلوا اليه ، وسقطت كل محاولاتهم فى تقليده ، ومن هنا نشأ الأدب العربى من خلاله ، وبدأ النثر العربى الإسلامى يسيطر ويأخذ طريقه ، متحررا من سجع الكهان ، كما تحول الشعر ، فى مضامينه ونظمه ، وأن كان النثر القرآنى قد أخذ المسكنة الأولى ، وكان للقرآن نظرتة الى الشعر والشعراء ، محررا إياهم من الغرور والوثنية ومفاهيم الجاهلية ، وفى خلال ذلك نشأ أدب واسع الأفاق حوته كتب السنة والشريعة والعلوم والتربية والتصوف .

غير أن مدرسة النقد الغربى الوافد التى تسلطت على الأدب العربى الحديث قد حاولت أن تعزل هذا التراث عن مراحلته الجديدة ، وأن تقتصره على جوانب معينة من شعر الشعراء وما وصف بالنثر الفنى لتجيب تلك الثروة الضخمة من الأدب العربى الإسلامى ، ثم كان لها أن أعطت من شأن الأدب ووسعت دائرته وأذاعت شعر الشعراء المساجنين المسرفين واهتمت به وحاولت أن تتخذ من الأغاني وكتب المحاضرات مراجع أدبية وتاريخية ، وحاولت الحكم على العهود الإسلامية الزاهرة من خلال هؤلاء الشعراء .

وكان هذا انحرافا خطيرا بالأدب العربى الحديث عن طبيعته وعن اتصاله الوثيق بالأدب العربى الإسلامى فى مراحلته المتعددة ، بوصفها حلقات متصلة ، يسلم بعضها الى بعض ، وكان إعلاؤها لجوانب الكشف

والغزل الحسى والإبلاحة هديفا من أهداف التغريب والغزو الثقافى لأخراج الأدب العربى من مضمونه الأخلاقى الذى لا ينفصل عنه ، ومحاولة لدفعه الى الانتصار فى مفهوم الآداب العالمية ، بينما تستحيل آداب الأمم وثقافتها عن التذويب والانتصار فى آداب الأمم الأخرى لأنها تستمد وجودها وكيانها من النفس والذات والمزاج الخاص ، الذى يختلف من أمة الى أمة والذى يختلف فى الأمة العربية الإسلامية فى الجوهر والمضمون كثيرا وعميقا عن الآداب الأوربية التى تستمد جذورها ومصادرها من الآداب اليونانية الوثنية .

(فى الأدب) الإبلاحة

كلمة « الإبلاحة » تعبير اشتقه الأستاذ محمد فريد وجدى معبرا به عن التخلل والخروج عن العرف ، وقد اتسع نطاق كلمة الإبلاحة فى مجال الكتابات الأدبية والاجتماعية على أثر موجة الدعوات المستحدثة الوافدة من الغرب والداعية الى إطلاق حرية المجتمع فى مواجهة الضوابط الأخلاقية والأدبية . ولقد صممت هذه الفلسفات المستحدثة للإبلاحة تبريرا متصلا بها لفقته المذاهب النفسية والاجتماعية التى تدعو الى أن للإنسان مطلق الحرية فى القول والعمل ، وهذا الإطلاق وهذه الحرية لاغبار عليها اذا ما صدرت فى حدود قاعدة واضحة أساسية فى بناء المجتمعات وقانونية ، وهى « عدم الإضرار بالغير » وترى مختلف الدعوات العقائدية سواء منها المستمدة من الأديان السماوية أو الدعوات الأخلاقية البشرية أن للجماعة أصولا عامة تعلق بها الحريات ولكنها تحول نون تحطيم إنسانية الإنسان أو أزهاقها أو تدميرها بالأسراف أو الانحراف أو التمزيق ، وقد ربطت هذه الدعوات بين واقع الإنسان الروحى والمادى مما ، وحاولت أن تخلق له « توازنا » قادرا على بناء شخصيته والحفاظة عليها وانمائها . غير أن دعوات جديدة ظهرت فى الفكر الأوربى والغربى على السواء فى مجال استعلاء الفلسفة المادية حاولت أن تدعو الى تحرير الفن والأدب الغربى والفن الأوربى الى الإبلاحة بمثابة رد فعل على موقف المسيحية والكهنة والقسيسين فى الغرب من مقاومة لهم حرية الفكر . فكانت تلك الاندفاعات التى أخرجت الفنان والأديب من ضوابط الأخلاق وقيم المجتمع ، مما فتح الباب لموجة طاغية من موجات الإبلاحة

فى المجتمع نفسه ، وكلن ذلك فى الحضارة الحديثة متصلا أوثق اتصال بالحضارة الإغريقية ومفهومها الإباحى المتحلل من مختلف القيم والضوابط الأخلاقية قبل الميلاد .

فالفكر الغربى حينما يندفع الى موجات الإباحة والتحلل انما يجد من مصادر وتاريخه وسوابقه وجذوره ما يؤصل له هذا الاتجاه ، أما فى الفكر الإسلامى العربى فان الأمر يختلف اختلافا كبيرا .

ذلك أن المجتمع العربى الإسلامى كان مرتبطا طوال حلقات تاريخه بمقومات وقيم ذات طابع أخلاقى فى مختلف مجالات العلاقة بين المرأة والرجل ، ومختلف علاقات المجتمع والسياسة والتجارة وغيرها وأن موجة التحلل والإباحة تمثلت فى شعر البعض الشعراء لم تكن الا مرحلة عارضة وغزوا شعوبيا التمس مصادر من الفلسفات اليونانية والفارسية وديانات المجوس ومذاهب الماوية والزرادشتية وغيرها ، وقد جاء هذا الطابع من الإباحة المتمثل فى أبى نواس وبشار وغيره فى ظل تحديات خطيرة واجهتها الحضارة الإسلامية والمجتمع ، وهي تحديات اضطربت فيها معايير الفكر الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية حين ظهر طابع الترف المعاصف وطوابع التشرى وأسواق الجوارى وغيرها مما كان مخالفا فى حركته لمفهوم الإسلام نفسه ، ومما أدى الى رد فعل قوى من الناحية الأخرى بظهور فلسفات الزهادة والتصوف الفلسفى الى جوار مذاهب الباطنية وغيرها .

وقد انبعثت هذه الدعوات والحركات على أيدي رجال كانت لهم صلات سابقة بالديانات الفارسية والفلسفات الدخيلة ولم يكونوا فى حقيقة الأمر منطلقين من مفهوم أصيل للفكر الإسلامى بما غير به مفاهيم المجتمع والحياة .

وما يزال مفهوم الفكر العربى الإسلامى الأصيل أن تقوم الضوابط الى جوار الحريات موزنة للسكان المسلمى ، ويرى كثير من الباحثين — حتى فى الغرب نفسه مثل تولستوى — أن كل فكرة فنية لاتستقيم والشعور الدينى فهى ليست فنية أصليا ، وأن شأن الفن أن يعطى من أمر الإنسان ويسمو به ويقيم الناس صلات المودة والاخاء وأن يدفع البشرية نحو الوصول الى الإنسانية .

الأدب المكشوف

تجرى الدعوة التغريبية الدخيلة على الأدب العربى والفكر الإسلامى والثقافة العربية الى القول بأن الأدب من حر يصور النفس الانسانية وليس له أن يعطل عمله ليسأل عن قواعد الأخلاق . وهذا مفهوم غريب خالص ، وبعيد كل البعد عن الذوق والضمير والمزاج العربى والإسلامى ، فالمفهوم العربى الإسلامى للأدب أنه وحدة من وحدات الفكر الكلية لا تنفصل عنها ولا تستقل ، بل تتكامل وتتلاقى مع وحدات الأخلاق والدين والمجتمع على نحو لا يضحي فيه بأى قيمة من القيم فى سبيل اغلاء قيمة أخرى ، وهذا ما يختلف مع المفهوم الغربى الذى يستقل فيه الأدب بانطلاقته وحرية الحركة بعيدا عما يتأثر به المجتمع أو الأخلاق أو الدين . بل ان الفن والأدب فى الفكر الإسلامى والثقافة العربية والأدب العربى يلتقى مع الدين والأخلاق ولا يتعارض معها ليوذى دوراً بنشأ متساميا لحياة الجماعة والفرد معا . فليس هناك تعارض أصلا بين الأدب والأخلاق ، أو الفن والدين بل هناك تطابق واتفاق ، مثل ذلك التطابق القائم بين العلم والدين . وفى هذا يقول العلامة محمد أحمد الغمراوى « ان للفطرة كلها منشأ واحدا هو الله والعلم والدين كلاهما اجتماعا على استحالة التناقض فى الفطرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تنافض دين الفطرة ، ودين الإسلام فى شيء . فاذا خالفته فى أصوله ودعت صراحة أو ضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لدفعها عن الانسان حتى يبلغ ملتقى له من الوقى فى النفس والروح ، واذا خالفت الفنون الدين فى شيء من هذا نهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون قد جلبت الحق وداهرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق » ومعنى هذا أن الأدب والفن يتطابقان مع الدين والأخلاق فى الفكر الإسلامى والثقافة العربية ، ولذلك فإن الأدب المكشوف المستورد الغربى الأصل يهدو واقدا غريبا لا جذور له ولا أصالة لأنه معارض للمزاج والفوق والفطرة جميعا .

فاذا قيل أن الأدب العربى القديم قد عرف الأدب المكشوف قلنا ان ذلك لم يكن بدافع الفطرة بل كان غزوا شعوويا على النحو الذى نواجهه اليوم ونسميه بالغزو التغريبى ، وأن هذا اللون انما دخل على أيدي

المتصلين بالثقافات والديانات والفلسفات القديمة السابقة للإسلام وفي مقدمتها وثيقة اليونان ومجوسية الفرس وفلسفات الهند .

وان الذين انصهروا في أصالة الفكر الاسلامي انصهارا تاما من الفرس أو الترك أو العناصر الأخرى قد استجابوا لفطرة الفكر الاسلامي اما الذين ظلوا على مفاهيمهم القديمة وابتعثوها من جديد معارضة الدولة الاسلامية أو الاسلام أو خصومة لهما فانهم هم الذين عرفت لهم هذه الألوان من أمثال : بشار وأبى نواس وغيرهم ، هذا هو الطابع المكشوف الذي أدخل على الأدب العربي في باب المجون والفحش واستشرى في الهجاء والخمرات والشعر الخليع ، غير أن أدبنا العربي كان دائما قد حدد موقفه على نحو يختلف عن الأدب الغربي فقال « الشعر الرفيع لا يقاس بحسن الديباجة وبراعة المعنى فحسب ولكن بشرف الغرض » وهذه نظرة تختلف اختلافا بينا عن مفهوم الأدب الغربي الذي يرى أن الأدب هو الأداء الفني بصرف النظر عن غايته وطابعه : مكشونا كان أو غير مكشوف .

وروح الفكر الاسلامي والأدب العربي تقوم على القول الكريم ، دون الهجو ، وعلى الإشارة العابرة الى الأمور المبتذلة دون الكشف والافاضة في التبذل والتهتك وتصوير المحرمات الجنسية والميول المنحرفة ، وذلك بالقدر الذي يدل عليها ، أما هذا اللون من تصوير أخنى القرائز البشرية والتحدث عن تطوراتها وتقلباتها على النحو المثير الذي تكون له آثاره البعيدة في نفوس الشباب والفتيات فهو غير مقبول ، هذا في نفس الوقت الذي يستبجح فيه العلم كعلم دراسة قضايا الانسان والنفس البشرية ومعرفة أهوائها عن غير طريق الأدب .

فالفكر الاسلامي والثقافة العربية انما تلتبس عناصر الوحدة والتكامل في حزبائها على نحو يحقق لها بناء الفرد السليم والمجتمع السليم . حيث لا تعارض بين الروح والمادة ولا تصادم بين الأدب والأخلاق ، أو بين الفن والمجتمع ، ومقياس الجمال النفسي الانساني انما يتمثل في الوسطية بعيدا عن منحدر الشهوانيات والذات ، وبعيدا أيضا عن الجمود ، فالفكر الاسلامي قد أعطى الحرية في متاع الحياة دون اسراف أو تبذل على هدى الفطرة التي خلق الله الناس عليها ، والأدب المكشوف

لا يقدم السعادة ولا السلامة ولا يرسم للنفس الانسانية لسلوب الجمال والخير والحق ولكنه يكشف جوانب موهلة في الإباحة والتهتك على نحو من شأنه أن يدمر النفس الانسانية لا أن يحييها ويسمو بها .

ولا شك أن الاتجاه الى الكشف في الأدب من غربي له خذور اغريقية قديمة وله طوابع متصلة كل الاتصال بالوثنية وعبادة الأجساد والانفصال في مجال الفن والأدب عن المجتمع وعن الدين ، وإذا كان بعض الفلاسفة الغربيين قد عارض كل من لا يستقيم مع الشعور الديني فإن الفكر الاسلامي يرى أن التوازن بين هذه القوى جميعا هو عامل قوة للشخصية الانسانية وحماية لها من التحطم والانهار ودفعها لها الى الخير والقوة ، وعندنا أن هذه المذاهب التي تحمل طوابع لها مظهر علمي براق إنما هي دعوات مستترة الى الهدم وعوامل تغريبية ذات هدف بعيد في محاولة القضاء على مقومات هذه الأمة وتحطيم روحها الإيجابية ذي الطبيعة المتكاملة دينا ودنيا ، وروحا ومادة .

التجديد

كانت كلمة « التجديد » أحد الاصطلاحات الخطيرة التي اتكأ عليها النفوذ الاستعماري والتغريب لشجب التاريخ واللغة والتراث والدين ومختلف فنون التراث القديم واتهامها بعدم الصلاحية للوجود ، ومعنى التجديد في كتابات دعاة هو الانفصال الكامل عن كل قديم والاتجاه الشامل الى الجديد ، دون تحفظ .

وفي مواجهة التجديد كانت هناك الحملة على الجمود والسلبية والتقليد والرجعية . غير أن استطراد هذه الدعوى وبلوغها أقصى مدى من التحدى . كشف عن خطأ الداعين لها ، حتى من وجهة نظر التقدم والنهضة ، وربطها ربطا أكيدا بالتغريب والنقود الاستعماري ، فإن الدعوة الحقبة الى النهضة حين تدعو الى التجديد لاتفصله عن القديم . ولا تعزله عن الماضي بل تجعل من الماضي سبيلا الى الجديد ومن التطور رابطة بين القديم والحديث ، والغريبون أنفسهم الذين يلتبس بعض الكتاب منهجهم إنما يفهمون التجديد على هذا النحو ، فلا انفصال مطلقا بين الكلاسيكية والعصرية ، أو بين الأصالة والتجديد ، أو بين

المتأخر والحاضر ، وتمديد عرف أصحاب المنهجات والعضارات بذلك
الترابط الأكيد بين الماضي والحديث ، فالأصول الأولى لها قيمتها الإسلامية
فى بناء كل جديد ، وهى ذات معنى بليد يشمل كل شئ تقريباً ، فالأسس
والأرض والجذور كلها معالم طبيعية لكل حركة تدعو الى التجديد .

وقد ذهب العلماء العقليون والتجريبيون معا وهم ابعد الناس عن
أوهام الفلسفة ، ودعوات الغزو الثقافى والتغريب واقتلاع الأمم من
مقوماتها وجذورها ، الى أن المعنى الحقيقى لكلمة (جديد) هى فكرة نقد
شئ فى طور التحول ، فى حين أن كلمة قديم تعنى الموجود الساكن
الموضوع مسبقاً . وأن كلمة قديم استعملت عند العرب بمعنى الموجود
لم يزل ، وتجمع المفاهيم العلمية للتجديد على أن التجديد فى الآداب
كالتجديد فى العلم لا يمكن أن يقوم الا على أساس تعاون الماضى والحاضر ،
وينبنى العقل فى حاضره على أساس العقل فى ماضيه .

وبصور مصطفى صادق الرافعى التجديد فى الأدب على نحو علمى
غاية فى العمق حين يقول أن التجديد يتمثل فى قاعدتين :

(الأولى) ابداع الحى فى آثاره بفكره بما يخلق من الصور الجديدة
فى اللغة والبيان .

(الثانية) ابداع الحى فى آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد
المستحدثة وأساليب الفن الجديدة ، وفى الأبداع الأول ايجاد مالم يوجد ،
وفى الثانى اتمام مالم يتم ، فلا جرم كانت منهما معا حقيقة التجديد بكل
معانيها ولا تجديد الا شئ ، فلا جديد الا مع القديم .

ولا شك أن التجديد قانون طبيعى وقانون ثابت فإذا لم يكن تجديد
مقدهور وانحطاط وهو فى الفكر شأنه فى الكائنات الحية ، بيد أن له
أصوله ومقوماته وقواعده فهو لا ينفصل عن أرضيته وقاعدته . ولا ينقطع
عن تطوره الطبيعى .

الفكر والأدب

هناك خطأ كبير مشهور ، نبيه اليه كثير من الباحثين ، وما يزال في حاجة الى التذكير ، ذلك هو تحرير دائرة الآداب ، وتحديد مكانها من دائرة الفكر الأوسع والأشمل .

فالفكر هو الوحدة الأساسية التي تصدر عنها جميع الفروع والأجزاء ، ويضم الفكر في بوتقته : الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون والآداب . وكلها في مفهوم الفكر الاسلامي تتكامل ولا تنفصل ولا تستقل ، فالآداب قطيعة من الفكر يوصفه أدبا له مفاهيمه وطبيعته ودوره الطبيعي ، ولكنه في حركته هذه لا ينفصل عن دائرة الفكر ولا يخرج عن مهمته وطبيعته فيعرض نفسه على دوائر أخرى ، فيسيطر عليها ويتكلم باسمها .

غير أن الأدب العربي الحديث قد دفع دفعا الى هذه المخاطرة ، وأطلقت له الحرية ففاض فيها ليس من اختصاصه ، غاص كثيرا وحاول هبطه وبهمته . وليس في هذا ما يفهم منه معنى الحد من حرية الأدب ولكن قيمته دعوة الى الارتباط بالقاعدة الأساسية التي هام عندها الفكر الاسلامي وهي قاعدة التكامل بين الفروع والأجزاء التي تشكلت في مجموعها عملا متكاملا ، ذلك لأنه اذا اطلق للأدب حريته على النحو الذي تدعو اليه الآداب الاوربية لكان في ذلك عدوان على دائرة الدين والأخلاق والمجتمع ، والأدب العربي المستمد من الفكر الاسلامي هو ادب ملتزم بالعمل على ترقية المجتمع وإعلاء شأن الأخلاق ، فهو لا يستطيع أن يتحرر من مهمته تلك .

ولذلك فإن الأدب العربي قيمه ومفاهيمه لا يستطيع أن يتقبل بسهولة نظرية تحرير الأدب من أخلاقيته . هذه النظرية التي دعا اليها الأدب الغربي واستمدتها من الأدب اليوناني الذي فصل بين الأدب والأخلاق . وقد زاد هذه النظرية قوة ، ظهور نظريات فرويد ومذاهب الفن للفن ، وهي نظريات ثبت خطأها العلمي وانحرافها ، ولقد حاول دعاة التفرغ بالفكر بهذا المنهج على الأدب العربي ، ولكن الأدب العربي الذي يتصل بالفكر الاسلامي اتصالا عضويا ضمن دائرة متكاملة ، يقوم على أساس أن الفكر

فى مجموعته انما يعمل من خلال الشخصية الانسانية المسلمة فى بنائها وتركيبتها والسمو بها واعلائها . هذا الادب العربى رفض هذه الدعوة . ايهاا بأنه لا يمكن أن يتجه فرع من الفكر الاسلاى للبناء بينما يتجه فرع آخر الى الهدم .

ولقد دعا الباحثون المنصفون الأدب (اى أدب) أن يلتبس طريقه الاصيل معليا قانون الأخلاق القائم على حراسة الاجتماع .

ولقد كانت هناك آثار سيئة لتعدى الأدباء دائرة علمهم والتداخل فى حواثر أخرى بينما هم يؤمنوا أساسا بتكامل الفكر الاسلامى ولم تنح لهم الفرصة لدراسة الجوانب الأخرى على النحو الذى يمكنهم من استعراضها والحكم عليها .

وذلك أن بعض الأدباء عرضوا فى العقد الثالث والرابع الى الدين والأخلاق ، وتناولوا هذه المباحث على طريقة الماديين فاثاروا شكوكا كثيرة ، وكان لانتشار الأدب فى الصحف اثره فى نفوس القارئین ، هذا الاثر السوء الذى تمسك اليه التغريب من طرح قضايا الفكر الاسلامى عن طريق غير المتخصصين فيه ، وفى هذا يقول العلامة محمد فريد وجدى « كيف يرمى من ادب كل منه منصرف الى تحليل عاطفة الهوى ودرس ثارات الجوى ، وتضوير الوعود السكانية وقضول العدال واللاهين وعدوان المنافسين والمعاكسين ، أن يتناول بالبحث أعلى عواطف النفس وهى عاطفة الدين ، يمثل اسلوبه الذى مرن به عليه واستولى على شعوره ، وهى تستدعى اسلوبا يجافى هذا الأسلوب ولا يبت اليه بصلة من درس النفس فى حالة عزوفها عن الشهوات وترفعها عن الفرائز ، رايناها يثرون شكوكا ويجرون فى مباحثهم التاريخية والاجتماعية على غير الأسلوب العلمى من التحقيق والتمحيص » .

من هنا نعرف الفرق بين دائرة الأدب ودائرة الفكر ، وأن دائرة الأدب تقتصر على تصوير النفس الانسانية ، أما الفكر فانه الدائرة الأوسع التى تتصل بالشخصية الإنسانية من جوانبها المختلفة العقلية والروحية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية .

ومنى مفهوم الفكر الاسلامى أن الأدب خلق من حلقات الفكر لا تفصل ولا تتحرك فى غير اتجاه التوازن والتكامل مع الحلقات الأخرى .

القصة

« القصة » فن من فنون الأدب : كالشعر والنثر والترجمة ، وهو فن قديم ومستحدث وهو في حلة الى القاء أضواء كثيرة عليه ، حتى ينكشف موقفه الصحيح من الأدب العربي وفيما قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن كان هناك كثير من الاساطير التي أطلق عليها من بعد اسم القصة: وهي أساطير اليونان في الغرب واساطير الفرس والهند ، وهناك أساطير العرب في الوثنية العربية .

وكانت هناك الملاحم والمسرحيات التي عرفت في أوربا في ظل الوثنية الاغريقية ثم في ظل المسيحية الغربية ، وقد استمد كثير منها من الكتب الدينية القديمة ، فلما جاء الاسلام ، ظهر عصر جديد وفهم جديد للقصة ، ذلك هو ما القاه القرآن الكريم المنزل حيث عرض لعند من قصص الاولين ، على نحو له طابعه الخاص المتميز ، بالصدق والشمول والايجاز والاستعلاء على التفاصيل واستخلاص العبرة والتماس حكمة التاريخ ورسم نوااميس الحضارات وقوانين قيام الأمم وسقوطها ، والعوامل ذات الأثر في تطوير المجتمعات وانهارها ، وذلك من خلال تاريخ الانبياء والأمم والدول التي مرت بها البشرية من قبل .

وقد وصف القرآن قصصه بأنه (القصص الحق) القائم على الواقع الصادق البعيد عن الخيال والتزيد والتفاصيل ، وذلك جريا مع منهج الايجاز والشمول والقصد .

ومن هنا ان مفهوم القصة الحديثة الذي حرمة الأدب الغربي مستمدا اياه من التراث الهليني اليوناني ، أو ما عرف من قصص مثل كليلة ودمنة أو ألف ليلة وليلة ، أو غيرها مستمدا من التراث الفارسي الهندي القديم ، هذا المفهوم لا يتفق مع مفهوم الأدب العربي الحقيقي المستمد من القرآن للقصة .

والفكر الاسلامي لا يقبل من القصة غير لون واحد هو (القصص الحق) ذلك أن الأدب العربي قد اتسم منذ ظهوره والى اليوم بخاصية واحدة تتمثل في الصدق والوضوح والايجاز ، وهي عناصر تكاد تكون مضادة للقصة الحديثة بل ومعارضة لها .

ذلك أن العربي الذي كان يفكر في أفق مفتوح مشرق طليق ، من
النور في ضوء الشمس التي تطلع على أرض الصحراء الواسعة ، فضلا
عن طبيعتها الجرداء الجريئة ، طبيعة الفارس المقاتل ، الذي يقول
كلمته في صراحة ووضوح ، هذه الملامح في الطبيعة والإنسان لم تكن
في حاجة إلى من القصة القلم على الرموز والمبالغة والظلال والاستخفاء ،
أو على الشرح الواسع والتفصيل الكثير ، ذلك أن العقيدة الإسلامية
كانت أيضا بسيطة منحة وهي تقوم على التوحيد أساسا فلم تكن في مثل
حاجة المذاهب والعقائد الأوربية أو الشرقية القديمة إلى مزيد من
التفاصيل وإلى ادخال فلسفاتها المعقدة في قصص ومبرحيات تقام في
المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاصدها .

والفرق بين مفهوم القصة في الأدب العربي ومفهومه في الآداب
الأخرى ، هو فرق في ذاتية الأمة العربية ومزاجها النفسى وتركيبها
الاجتماعى والجغرافى والعقائدى البسيط السهل السمج الطليق ، ومن
هنا فقد اختلفت من الأدب العربى القديم المسرحية والملحمة والقصة
والأسطورة ، وحين ظهرت قصص مثل ألف ليلة أو كليلة ودمنة أو
المقامات كانت كلها دخيلة على الأدب العربى ولم تكن تصور النفس العربية
في حقيقتها وربما كانت تصور النفس الشرقية التى مازالت تحت تأثير
وثنيات الجوفية أو نظريات وحدة الوجود الهندية أو غيرها .

لما النفس العربية حتى فى وثنياتها القديمة ولساطيرها الجاهلية
فقد كانت بسيطة غير مسرفة حيث لم تكن إلا انحرافا عن التوحيد القديم
الذى جاء به إبراهيم .

ومن هنا فإن القصة في مفهومها العربى اليوم قائمة على الخيال
والوهم ، وعلى العقيدة والحل ، وعلى الاسراف فى التفاصيل ، وعلى
انتقاء الصديق ، وعلى طوابع الرمز والظلال انما تنجح بعيدا عن جوهر
النفس العربية ولا تكون الا صورة مقلدة للآداب الغربية ، ولذلك فإنها
تستقط وتختفى مع اشراق المفهوم الاصيل للذاتية العربية والمزاج النفسى
الإسلامى الذى هو مصدر الأدب فى الحقيقة .

الباب الثالث

الفقه

السنة

الشريعة

الاجتهاد

التقليد

الربا

الرقيق

1. 1943

2. 1944

3. 1945

4. 1946

5. 1947

6. 1948

7. 1949

8. 1950

السنة

السنة هي تفصيل ما أجمل القرآن والتطبيق العلمى للإسلام . وتشمل السنة : الحديث النبوى وأعمال الرسول نفسه . وقد أثرت الشبهات منذ وقت طويل حول السنة . وتردبت دعوات كثيرة تطلب الاكتفاء بالنص القرآنى وتتهم بالحديث النبوى بانطوائه على كثير من المخاليل ، والحق إن الدعوة الى رفض السنة أو انتقاصها والاكتفاء بالنص القرآنى وهذه إنما هي دعوى مغريبية خبيثة ترمى الى الفصل بين النص والتطبيق وبين القانون والواقع العلمى الذى جرى عليه الإسلام منذ أقام مجتمعه وانفذ نظامه .

فالسنة هي التطبيق الواقعى العلمى المتمثل فى الأسلوب الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تنفيذ النص القرآنى ، ومن هنا فالنص القرآنى وحده لا يكفى المسلمين اليوم ولا يحقق لهم اسلامًا حقيقياً ، وهذا فضلاً عن أن (السنة) جزء من القرآن نفسه بنص القرآن : « وانزلنا اليك الكتاب لمبين للناس ما نزل اليهم » .

فهذا البيان الذى يفسر القرآن ويطبقه هو بأقرار القرآن جزءاً أساسياً ، وفى هذا يقول العلامة ليوبولد فابيس (محمد أسد) :

إن رفض الحديث يرجع الى استجابة الجمع بين حياتنا الحاضرة المتدهورة وبين روح الإسلام الصحيح كما يظهر فى سنة النبى - فى نظام واحد . ولكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا تصورهم وتصوير بيئتهم فاتهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحي ، أى حسب قبول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو ، وهكذا هو الهدف الكامن وراء مهاجمة السنة وإثارة الشبهة حول الحديث .

وقضية التقليد قضية قديمة قدم الفكر الإسلامى وهى فى نفس الوقت

قضية أساسية يتخذ منها الاسلام موقفا واضحا أساسه التحذير من التقليد ومدى الخطر المترتب عليه . وفى هذا يؤثر عن رسول الله قوله : « لتبتعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة : حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ، قال فمن !

والمسلمون والعرب فى العصر الحديث خرجوا من تقليد قديمهم الى التقليد الغربى فسكانهم عادوا الى السفن السابقة حيث يقوم الفكر الغربى فى جوهره على الفلسفة اليونانية او القانون الرومانى ، ويعتقد نفس النظريات القديمة المتصلة بالوثنية واعلاء الاجناس والألوان والمتفرقة العنصرية واعتبار مادون اللون الأبيض (صاحب الحضارة) عبدا . واتباعها ! ومن الخطر أن يظن المسلمون والعرب أنهم بخروجهم عن قديمهم وفيه الكثير من قيمهم الانسانية الفطرية المتجددة ، الى تقليد الغربى المستحدث الذى يرجع فى أساسه الى قديمهم السابق للتوحيد والأديان ، انما يتجددون ويتطورون ، ذلك انهم فى الحق انما يتركون أصلح ما فى القديم الحى المتصل بواقعهم وتاريخهم ، الى القديم المتجدد من تراث الوثنية القائم على غير التوحيد ومفهوم الدين الحق .

وهو ظن فاسد كل الفساد بعيد عن طبيعة الفطرة الانسانية التى يمثلها الاسلام أعظم تمثيل .

الشريعة

يطلق لفظ « الشريعة » على النظام الذى شرعه الاسلام فى التعامل بين الناس ، وهو القانون الذى كان مطبقا فى العالم الاسلامى والبلاد العربية الى حين قدم النفوذ الاستعمارى قازاله وأقام بدلا منه قانونه الأوربى المعروف الذى سائرال تتعامل به أغلب بلاد العالم الاسلامى الى اليوم .

وقد حرت ابحاث عديدة خلال العقود السبعة الماضية حول المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وقام دعاة التغريب بإثارة الشبهات حول الشريعة الاسلامية واعلاء شأن الأنظمة الغربية ، وكان

لورد كرومر فى مقدمة من حمل على الشريعة الاسلامية فى مصر منذ عام ١٨٩٢ وقد اورد هذه المعانى فى كتابه (مصر الحديثة) الذى صدر عام ١٩٠٧ وهاجمه كثير من اساطين الفكر فى مصر والعالم العربى ، وكشفوا وجه الحقيقة فى امر الشريعة الاسلامية ، ولم يمس على ذلك أكثر من ثلاثين عاما حتى اعترف اساطين القانون فى العالم اجمع بايجابية الشريعة الاسلامية واستقلاليتها وأصلاتها وقدرتها على أن تقدم للعالم كله وللإنسانية أصلح نظام ، وذلك فى مؤتمر القانون الدولى فى لاهى سنة ١٩٣٧ الذى قرر بأن الشريعة الاسلامية نظام قانونى مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى وبذلك تقرر تمثيل الشريعة الاسلامية فى محكمة العدل الدولية كنظام مستقل من النظم العالمية الكبرى ، وفى خلال هذه الفترة هوجمت الشريعة الاسلامية ومن بعد هذا المؤتمر أيضا ، وفصل الاسلام عن أنظمة الحكم ، وفصل المجتمع عن الشريعة فى حياة المسلمين ، ومن هنا انطلقت دعوات الفصل بين الدين والسياسة ومحاولة القول خطأ بأن الاسلام دين عقدى ولا صلة له بالمجتمع والحياة ، جزيا وراء المفاهيم الغربية التى رددت ذلك فى أوربا بالنسبة للمسيحية ، وكانت هذه الدعوات والمحاولات ترمى فى الأغلب الى تصوير الاسلام بصورة مختلفة عن حقيقته وجوهره ، باعتباره الدين الوحيد الذى قصد الى بناء مجتمع وفق نظام كامل ، وليس تقتصرا على العبادات وحدها ، ولا على الأحوال الشخصية من زواج وطلاق واث ، وإنما يشمل مختلف جوانب المعاملات فى المجتمع ، سياسية واقتصادية وتربوية وأخلاقية .

ولقد جرت محاولات متعددة خلال فترة الاحتلال البريطانى لمصر وفى خلال فترة الحماية وقبلها تهدف الى إلغاء الشريعة الاسلامية من أنظمة الأحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج والطلاق .

وقد واجه المفكرون المسلمون هذه القضية باهتمام كبير ، وأصدر (على أبو الفتوح) أول كتاب عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عام ١٩٠٥ ، كما أجرى كثير من الباحثين بعد ذلك مقارنات حول ما أثير من شبهات عن صلة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى وأشارت (المنار) الى واقعة دخول القانون الفرنسى الى البلاد المصرية فى أواخر عصر اسماعيل وقالت :

« انه لما أريد تنظيم القضاء لم يتمكن العلماء المصريون من الكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية واضطروا تحت ضغط النفوذ الأجنبي الى ترجمة قانون نابليون ، وقد واجه الفكر الاسلامى منذ يقظته كل ما أثر ضد الشريعة الإسلامية وما يوجد من أوجه نقص فى القانون الأوربى فيما يتعلق بالزنا والربا والخمر والميسر ومسائل زواج المسلمة بغير المسلم ومسألة الميراث واباحة البغاء ، وظهر علماء من رجال القانون ومن درسوا القوانين الأوربية والشريعة الإسلامية وكشفوا عن الفوارق والميزات بين الشريعة والقانون ، وأشار الكثيرون الى ما جرت عليه تركيا فى عصر مصطفى كمال من تبني القانون المدنى السويسرى ، وأثبتوا عن أن هذا القانون ليس مستحدثا ، وإنما هو مزيج من القانون الرومانى القديم والروح المسيحية ، وأنه وُضع تصميميا خاصا بعبادات وتقاليد أمة من الأمم ، وكيف أن ذلك يكشف عن مخالفته لدين وتقاليد وعادات تركيا .

وفى عام ١٩٥١ عقدت شعبة للحقوق الشرقية من المجتمع الدولى للقانون المقارن مؤتمرا للبحث فى الفقه الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم (أسبوع الفقه الإسلامى) ودعت عددا كبيرا من المنظرين وأساتذة القانون فى الدول العربية لبحث كثير من النظريات وأبدى نقيب المحامين فى باريس عجبه حين قال :

« لست أدري كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى وعدم صلاحيته أساسا تشريعا يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين ما نسمع الآن ، فقد ثبت بجلاء : أن الفقه الإسلامى يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مرية فى نفسها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التى تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة .

وقد عرض الكثيرون للفروق والمخالفات بين الشريعة الإسلامية والقانون الرومانى وأبرزها أن الشريعة الإسلامية لم تفرق بين الروح والجسد ولم تهمل واحدا منهما ، وأن الانسان مركب منهما جميعا ، وأن المسلمين قسموا الفقه على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات بينما قسم القانون الرومانى الى أساس الأشخاص والأشياء والخصومات .

وأن أساس القانون الاسلامى مستمد من كلام الله المنزل بالوحى ، أما أساس القانون الرومانى فمستمد من مشيئة الانسان ، وان خلاصة القانون الاسلامى : (لا اله الا الله محمد رسول الله) بينما ينى الرومان احكامهم اما على اوامر رئيس الحكومة او العرف والعادة ، وقد أهملت كتب الفقه الرومانى المسائل العمومية كالأمر الدستورية واحكام القانون الدولية وجعلتها من أمور السياسة ، بينما الامام عند الفقهاء المسلمين حسب النية من حيث العمد والخطأ ولا توجد هذه عند الرومانيين ، وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين ، وكذلك الحدود التى تتعلق بالقتل والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والارتداد ، بينما الزنا والقذف وشرب الخمر ليست مجرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها .

ولست هناك مشابهة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى فى الزواج وهو عقد يجمع الزوجين برضاها بينما يوجد عند الرومانيين اصناف عديدة للزواج الجائز يعتبر اكثرها عند المسلمين كالزنا ، وقانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يتاير ماعند الرومانيين ، وكذلك نظام القضاء وادوات القصاص والقانونان يختلفان حتى فى المعاملات المالية ، فمثلا الربا غير محرم عند الرومانيين ، وحتى أساس التجارة يختلف بينهما ، فالبيع عند الفقهاء المسلمين (عقد برضا المتعاقدين) وهو عند الرومانيين عقد يتعلق بالمال الخ .

وأضافت هذه الأبحاث ومنها البحث الذى اعتمدنا عليه للدكتور محمد حميد الدين أن الفقهاء المسلمين ماكانوا يعرفون اللغة اللاتينية التى كتب بها القانون الرومانى ، ولم تترجم هذه القوانين الى العربية قبل أوائل القرن العشرين ، ومن المعروف أن المقنن عند الرومانيين هو موظف الدولة ، أما عند المسلمين فالفقيه لم يكن ابدا الا رجلا من عامة الناس تعلم وتفق فأفتى ودون كتب الفقه .

الاجتهاد

الاجتهاد : كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعى ويذل الجهود فى استنباط الاحكام من النصوص الشرعية ، واستخلاص الفروع من الاصول .

ويمثل الاجتهاد طابع الحركة ومواجهة التغير والتطور في البيئات والعصور تجاه المسائل والقضايا الاجتماعية والمعاملات المختلفة . ويكشف عن قوة الحيوية والحركة في الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، فهو عامل مؤثر يحول بين الفكر والجمود أو التخلف أو التوقف عن مواجهة العصر أو التجارب معه ، وهو علامة على طبيعة الفكر الاسلامي القادرة على التحرر من قيد التقليد ، وينسحب طابع الاجتهاد على الفكر الاسلامي كله فيكون علامة من علاماته البارزة بما يحقق له القدرة على النماء والتدرة على مواجهة كل جديد .

والفكر الاسلامي يقاوم التقليد ويرى فيه آفة الجمود وعلة التخلف . ولذلك فان الاجتهاد قانون أصيل يتمثل في القدرة على التجدد والحركة في مواجهة الأمم وحضاراتها وثقافتها والملازمة بين قوة الفكر وحركة المجتمع .

و « الاجتهاد » المصطلح مفهومي بمعنى بذل الوسع للحصول على رأى أو حكم في مسألة من مسائل الشريعة ، وهو أخذ طوابع الإصلاح والتقدم والتجديد في الفكر الاسلامي .

وقاعدته أن يهتدى بالقيم الأساسية والقواعد العامة ويتحرك في اطارها بما يحقق العصرية والتطور ويحفظ الطريق للطريق الطبيعي للمجتمع داخل الشريعة .

وتجد حرص الفكر الاسلامي ورعيته الثقافة العربية على سلامة الجرى المتصل خلال التاريخ الطويل باقرار ركيزتين أساسيتين :

أولاهما : حماية القيم الأساسية والفاهيم الأصلية لهذه القيم من أن تتوارى أو تذبل أو تتحرف .

ثانيهما : فتح باب الاجتهاد لمطالبة العصور المتوالية والمجتمعات المختلفة مع القدرة على الاستجابة والتكافة وإيجاد حلول واجابات لكل ما يتصل بها من قضايا ومشاكل وتطورات .

وبذلك يكون الاسلام والفكر الاسلامي متحررا دوماً ومختلصا دوماً من الزيوف الخيلة والامكار المغايرة والمذاهب الوافدة ويظل محتفظا بقوته

وذايتته فى نفس الوقت الذى يكون فيه قادرا على الحركة والانتفاع على الفكر البشرى أخذًا وعطاء .

ولأشك أن المجتمع الإسلامى فى العصر الحديث فى حاجة الى أمرين أولهما : اقتباس العلم والتكنولوجيا ومشاركة الأمم فى هذا التراث الحضارى .

والأمر الثانى هو أن يحقق له ذلك دون أن يخرج عن إطار فكره وذايتته وثقافته ، ومن هنا فإن قانون الاجتهاد هو الاداة المشروعة لتحقيق هذا العمل ، بوضعه على مستوى الأمم الحية ، دون أن يذوب فى ثقافات الأمم وبوتقة مذاهبها وأفكارها .

ان حاجة الأمة الى الحياة والتطور تجعل لها من قانون الاجتهاد حافظا للحركة وضابطا لحياتها ، بحيث تستطيع أن تتحرك فى حرية داخل نطاق فكرها وقيمتها ودون أن تدع الحضارة العالمية لتفقد لها ذاتيتها وشخصيتها وقيمتها الاساسية .

والاجتهاد قادر على أداء هذه المهمة ، من خلال الجوانب المفتوحة والمطلقة للاجتهاد ، دون أن يخل ذلك بالقوانين الاساسية العامة مما رسمت الشريعة الاسلامية من خلال وحرام ، والمعروف أن القوانين الثابتة فى الشريعة الاجتهاد فيها ولا تحايل على الخروج عنها .

والشريعة الاسلامية هى مناط التنظيم الاجتماعى ترسم اطارا واسعا له حدود وضوابط ، وتدع للمسلمين الحق فى أن يتحركوا فى داخل هذه الحدود والضوابط ويلتمسوا من الانظمة أو الأساليب ما يتفق مع عصورهم وبيئاتهم .

ولقد برز الأشعرى وابن حزم وابن تيمية فى ازمنة حضارية اجتماعية شبيهة بأزمة عصرنا فاستطاعوا أن يحطوا الزيوف ويخلصوا الشبهات ويقضوا على الخائل التى تحاول أن تفسد الجوهر أو تؤثر فى طوابع الفكر الإسلامى وملائحة وقيمة الاساسية .

ولقد كان مفهوم الاجتهاد فى الفكر الإسلامى هو مفهوم التجديد فى مجال تصحيح الفهم الناقص أو الفهم المنحرف بالاضافة الى الحقيقة الأصلية ، وكان الاجتهاد والتجديد طابع الفكر الإسلامى والثقافة العربية

جميعا وليس طابع الفقه وحده ، التماسا للمنابع الأصلية ، ربناء عليها مما يتصل بالحضارة والعصر والتقدم ، واعطاء اجابات صحيحة لكل القضايا الجديدة التى يفرضها العصر بحيث يظل الفكر الإسلامى قادرا على مواجهة تطورات الحضارة .

ومفهوم الاجتهاد لا شك هو مفهوم التجديد وهو فى أعرق صورته ايجاد حلول للقضايا الجديدة مع حماية الأصول العامة والحيلولة دون أن يفقد الفكر الإسلامى طابعه وروحه وذاتيته المتمثلة فى التكامل والشمول والامتزاج بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة .

وتجمع الآراء الأصلية أن باب الاجتهاد مفتوح فلا يجوز سده ، وأن الفترة التى وصفت باغلاق باب الاجتهاد فيها ، إنما هى فترة الغزو التتري الصليبي للمجتمع الإسلامى وقد كان القول بتوقف الاجتهاد فيها إنما يعنى المحافظة على الشريعة من أن يدخلها ما ليس متنسقا مع أصولها فى ظل نفوذ أجنبى يخشى من خرقه وخصومته ولذلك كان ذلك العمل فى حقيقته من أعمال الحفاظ على أصول الشريعة من أن ينالها ضرر .

التقليد

« التقليد » هو المتابعة بغير يقين عقلى أو اقتناع برهانى . وهى مرحلة ضعف تمر بها حياة الافراد والأمم . والمقلد فى مفهوم الفكر الإسلامى لا يعد عالما ، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وقد نى الإسلام أصحاب الراى الذى لا يستند الى دليل ، وقد رفض الإسلام مبدا التقليد والتبعية ، يقول الامام الغزالى :

« لو التقليد يمنع من الأصالة ، والمعرفة التبعية ليست معرفة حقيقية » .

وعندنا أن التقليد ليس هو تقليد القديم وحده وإنما تقليد القديم والوافد جميعا وهما سيان : تقليد القديم بغير برهان ، أو الأجنبى بغير ضرورة واتساق ، وكلاهما تتحرر منه الأمم التى بلغت مرحلة الرشد الفكرى وتسقط فيه الأمة الضعيفة . وأخطر الأمور أن تدعى الأمم الى التحرر

من تقليد قديمها لتقع في تقليد الأجنبي عنها ، وكلاهما يفسد الشخصية والذات .

ولكل أمة ثقافتها وقيمها وذاتها ومزاجها ، فلا تحتاج الى تقليد أمة غيرها في أسلوب تفكيرها أو تعتنق قيمها ومبادئها ، ولكن الفكر الاسلامي والأمة العربية كانت متفتحة دوماً على ثقافات الأمم دون أن تتخلى عن مقوماتها ، والاستعمار يستهدف من دعوته الى ترك تقليد القديم ودفع الأمم الى تقليد الوافد الأجنبي ، وذلك في محاولة التغريب الجادة الى اخراج الأمم من مثلها وشخصيتها وتمييعها في الأمية والشعوبية .

ولكل أمة مظهرتها وثقافتها الخاصة التي تقوم على أساس تراثها .

يقول أحد كبار المؤرخين : « لقد علمتنا التجارب ان المقلدين من كل أمة ، المفتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء اليها . وتكون أفئدتهم مهبط الدسائس نتيجة لتعظيم الذين قلدوهم ، ويكون هؤلاء المقلدون طلائع الجيوش الغالبة وأرباب الفارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ، ويثبتون لهم الأقدام ويمكنون السلطان » .

الربا

الربا معناه الزيادة وكان العرب يطلقونه على نوع خاص من معاملاتهم وهو أن يؤجل الدين أو ما يتبقى منه الى تاريخ معين بحلوله يرد المدين ما أخذ مع زيادة معينة ، والربا في لغة الاقتصاد الحديث الفائدة (Interet) ويرجع استعمالها الى القانون الروماني وكان يعنى بها التعويض الذي يدفعه المدين الى دائئه عندما يقصر عن الوفاء .

فالربا هو ربح المال المقدم للعرض عن طريق المصارف أو المقرضين بالربا ، وهو شاعرة من قواعد الاقتصاد الغربي العصري وللإسلام منه موقف واضح هو موقف التحريم القطعي ، وقد أقر الإسلام قاعدته الأصلية في الأمر « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

والتعريف العام للربا يمكن أن يكون بتبادل سلعتين من نوع واحد

أو من نوعين متقاربين كالقمح بالقمح أو القمح بالشعير ، والربا في القرآن له ثلاث عناصر :

١ — اعادة مال أو أغذية أو بضائع أخرى معينة .

٢ — فائدة باهظة . ٣ — وفاء مؤجل للدين .

فقد اراد الاسلام ان يجعل من التجارة عملا أخلاقيا لاساسا اقتصاديا للتشايض (تبايغ السلع) أما التهي عن اكل الربا فواضح في قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » وكذلك لا يقر الاسلام أن يدفع المدين مبلغا من المال الا اذا تأخر في وفاء دينه ، ذلك لأن الزمن ليس سلعة تجارية تباع وتشترى ، من أجل ذلك لا يرى الاسلام أن يزداد الدين على المدين اذا تأخر عن تسديد ماعليه من المال .

وهكذا يتضح أن الربا متعلق بالدرجة الأولى بالديون المعقودة الى أجل مسمى .

ولما كان الذين يستدينون هم الذين يكونون في حاجة ملحة الى ما يستدينونه سواء اكان مالا عينيا أو عرضا من عروض التجارة ، شاء الاسلام أن تكون جميع الديون قروضا حسنة (بلا زيادة على مبلغ الدين الاساسي) .

وتقدير الربا في الاسلام لا يقتصر على الديون المعقودة فقط ، ولكن هناك عددا من أوجه البيع المعتدى يمكن أن ينقلب ربا في أحوال معينة .

وقد حرم الربا في القرآن تحريما واضحا صريحا ولم يعقب تحريمه تفصيل أو تفريق بين الربا الفاحش أو الربا المعتدل ، وليس في هذا التحريم ما يعوق النهضة أو النمو الاقتصادي في العالم الاسلامي أو الأمة العربية ، التي تقوم أنظمتها ومشاريعها وحركتها على عوامل مختلفة عن عوامل مدنية الغرب .

فالمعروف أن المدنية الغربية تقوم على الصراع وتوسير الذات ، ويغلب عليها الترف وحب الذات ، وفي ظل المدنية الغربية ومن منطلقات الربا والصراع ظهرت المزاخمت والمضاربات .

ولكن مفهوم المدنية الإسلامية ومفهوم المجتمع الإسلامى الصحيح لا يقوم على مثل هذه البواعث بل يقوم على احقاق الحق وازهاق الباطل والسعى لاقرار حكومة عادلة تقوم على الأمر بالمعروف وبذل الصدقات ، والمواخاة والتعاون والتكافل ، لترقية النفس الانسانية واعدادها للكمال . ولذلك فإن الاقتصاد الإسلامى لا يقوم على أسس التزاحم والتنافس والمضاربة ، بل للتراحم والتساهل والملاينة .

وبالجملة فالشكل الحضارة الإسلامية لا يقتضى وجود الربا فيه .

وحكمة تحريم الربا فى الإسلام : الا يتمنع الناس بالمعروف .

يقول لورد كيتس الأستاذ بجامعة كامبردج : من الممكن أن تنسب جميع الأزمات الاجتماعية الى الربا - ويقدر مايزداد مجتمع ما تقدما فى المدنية والثقافة فانه ينقص عنه نصاب الربا فى عين المقدار والنسبة بحيث انه فى مجتمع مثالى سيكون المبلغ « صفرا فى المائة » .

الرقيق

اقرت الحضارة الرومانية « الرق » واعتبرته اسلبا لبناء المجتمع الرومانى ، ونصت جمهورية افلاطون على تقسيم الناس الى قيادة وعبيد ، ودافع ارسطو عن اقامة نظام العبودية والرق .

والقانون الرومانى لم يكن يعتبر الرقيق انسانا له شخصية ذات حقوق على الإنسانية ، بل يعتبره شيئا من الأفعياء كسلع السلع التى يباح الاتجار فيها . أما الإسلام فانه وضع قانون تصفية الرق ، بعد أن حصره فى دائرة ضيقة . واقام بين الانسان ورقيقه علاقات جديدة كريمة لم تكن موجودة من قبل ، وجب اليه العتق وقرر للأرقاء حقوقا لم تكن لهم من قبل .

كما قيد الإسلام الاسترقاق ، بحرب شرعية على أن يكون المجاربون من غير المسلمين ، ودعا الإسلام المسلمين الى رعاية أرقائهم ، ونها النبى عن أن يقول « هذا عبدى » وأمر باجتراءهم والانعطاف لهم .

ولم يبطل الاسلام الاسترقاق لأنه كان واتعا من انظمة المجتمع القائم .
ولم يكن من اليسر الغاؤه الا بالتدريج كما اعطى الاسلام الأرقاء حقوقا
لم يحلم بها أحرار الأمم السابقة « أخوانكم خولكم » .

يقول الدكتور جورج يوست في كتابه قاموس الكتاب المقدس (١)
أن المسيحية لم تعترض على (العبودية) من وجهها السياسى ولا وجهها
الاقتصادى ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم فى آدابهم من جهة
العبودية حتى ولا على المباحثة فيها ، ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب
العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية
ولا عن فسادها ، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالا ، وبالإجمال لم تغير النسبة
الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك قد أثبتت حقوق كل
من الفريقين وواجباتهما . وهكذا كانت عبودية الإنسان فى أمم الأرض
عندما ظهر الاسلام فهو نظام كان معترفا به من كل الأمم ، وأساوقه قائمة
فى كل مكان وآثاره موجودة فى بيوت الناس ومجتمعاتهم .

وقد أمر الاسلام :

أولا — بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق الى أقصى ما يمكن
أن تسمو إليه الفضائل الانسانية .

ثانيا — الترغيب فى تحرير الرقيق الى أقصى ما ينتظر من دين عالمي
جاء لمعالجة عيوب المجتمع وبحسن توجيهه نحو الفضائل .

ثالثا — وضع قاعدة المعاملة بالمثل فى الحروب الدولية فيما يتعلق
بالأسرى ومبدأ الاسترقاق .

وقد نص القرآن على إيجاب تحرير الرقيق فى سورتى التوبة والنور ،
وجعل من مصارف الزكاة تحرير الرقاب (أى تحرير المملوكين) وجعل من
حق الرقيق أن يطلب من مالكة التعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له
لنسيه فى سبيل التحرر من الرق « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » كما
جعل الاسلام تحرير الرق قديمة عن أمور كبرية .

والاسترقاق الشرعى فى نظر الاسلام هو الذى يقع فى حرب يراد بها اعلان كلمة الحق على أن يعامل المسترق بالرفق والاحسان كما يعامل الابن والآخر .

وقد هاجم كثير من الكتاب الغربيين مفاهيم الاسلام فى الرقيق وأثاروا الشبهات حولها ومن هؤلاء الكاردينال لافيغرى الذى القى محاضرة عام ١٨٨٨ فى باريس هاجم فيها الاسلام ورد عليه أحمد شفيق باشا بكتاب بالفرنسية نشر عام ١٨٩٠ وترجم الى العربية . ومما قاله شفيق باشا :

« ان الدين الاسلامى لا يبيح باى حال من الأحوال معاملة أحد من الناس معاملة الرق اذا كان ابواه مسلمين حرين » ولا يكون الاسترقاق الا فى الحرب ومع ذلك فهو مقيد بشروط وروابط معلومة . وأن الشريعة الاسلامية تأمر تابعيها بالتزام الرق والرأفة مع المملوكين » .

الباب الرابع

قضايا الفكر والاجتماع

| | |
|------------------------|------------------|
| العروبة والاسلام | الأصالة |
| العصرنة | الأحجار والبطولة |
| العصور الوسطى | الأساطير |
| عصر الانحطاط | الاستشراق |
| علة تأخر المسلمين | الاقتباس |
| الفبيات | الاحاد |
| الفلكلور | التسامح |
| الفكر والعنصر | التطور |
| القيم | التحليل |
| كتب الصفراء | التعريب |
| كتب المحاضرات | التقدم |
| اللاتينية | التكامل |
| اللاهوت | التوراتية |
| المنهج العلمى التجريبي | التوحيد |
| المرأة وتحرير المرأة | الثورة الفرنسية |
| المحافظة | الجرح والتعديل |
| المعرفة والعقيدة | الجبرية |
| المثل الأعلى | الجهاد |

| | |
|------------------------|--------------------|
| منطق أرسطو | حرية الفكر |
| المسرح والفكر الاسلامي | الخطيئة |
| القرآن والأدب | الدولة الشيوقراطية |
| هزيمة المعتزلة | رجل الدين |
| وحدة الوجود | العلم والدين |
| وحدة الحضارة | العقل العربي |
| | الوسطية |

١٩٤٠

١٩٤١

١٩٤٢

١٩٤٣

١٩٤٤

١٩٤٥

١٩٤٦

١٩٤٧

١٩٤٨

١٩٤٩

١٩٥٠

١٩٥١

١٩٥٢

١٩٥٣

١٩٥٤

١٩٥٥

١٩٥٦

١٩٥٧

١٩٥٨

١٩٥٩

١٩٦٠

١٩٦١

١٩٦٢

١٩٦٣

١٩٦٤

١٩٦٥

١٩٦٦

١٩٦٧

١٩٦٨

١٩٦٩

١٩٧٠

١٩٧١

١٩٧٢

١٩٧٣

١٩٧٤

١٩٧٥

١٩٧٦

١٩٧٧

الأصالة

جاءتزال «الأصالة» هي الخطأ التحليل التي تواجه المجتمع الإسلامي والفكر الإسلامي راجعت طرقات تحديات «التفريب» التي تحاصرنا من كل جانب ولا تنوع مجالا واجدا دون ان تواجهه بالمشكلات والتروب .

أن المحاولات كلها تستهدف إثارة «ضباب» شديد يحجب الرؤية الحقيقية أو يموه الواقع ، أو يحدث تداخلا بين الحق والباطل ، فلا يجد المسلم إلا خيرة شديدة يحتاج إليها إلى الضوء الكاشف والنور الهادي إزاء هذه الظلمات المتراكبة التي يحاول أن تجتأح الأصالة وتحتوى هذه الأمة وتصهرها في بوتقة الإلهية لتفقد كائنها الخاص وذاتيتها التي بها تسمت أمة الإسلام .

ومن هنا جاءت المحاولات المسمومة التي تحاول أن تصور الأصالة بغير مفهومها الصحيح أو تزيف أبعادها الحقيقية مع المعاصرة ومع التفريب ، وهي التراث ، كذلك فأنينا نجد أنفسنا أمام تفسيرات عديدة لكن قيمة من القيم أو مفهوم من المفاهيم نجد تقصيرا ماديا خالصا ، ونجد تفسيراً ماركسيا ، ونجد تفسيراً «فرويديا» أو تفسيراً وجوديا وتضيع «الأصالة» بين هذه التفسيرات لأن أحدا لا يقول ماهي وجهة نظر الإسلام الذي هو نظام مجتمع ومنهج حياة .

وفي هذا يصدق قول المستشرق «هاملتون جب» لقد استقطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العنصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم أمرا يجعلهم في مظهرهم العام «لا دينيين» إلى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك خلاصة هو اللب المثر في كل ماتركت محاولات القرب لحمل العالم الإسلامي على الابتعاد عن حضارته من آثار .

ونرى وكان الإسلام معزول عن الحياة والنظم والثقافة ، كأننا ليس له في كياننا وجود ، وجين نواجه الحضارة الغربية يقولون أن هناك من

يرفضها وهناك من يراها الطريق الوحيد ، ويحاولون القول بأن هناك مدرسة تتوسط ذلك وتحاول أن تجمع بين التراث والمعاصرة ، هذا الكلام مازالت تردده دوائر التغريب منذ أكثر من خمسين عاما .

وهذا من التهميه الذى يريد أن يصطنع مذهباً انتقائياً ، يريد أن يجمع شيئاً من التراث الى شئ من الحضارة ، وهى محاولة تدرج نحو فقدان ملامح الشخصية الأصلية بالتنازل عن أشياء وتبولى أشياء ثم نعصف العواصف مع استعلاء النزعات الغربية بمابقى من التراث ، ويحدث الانفصال المأمول عن التراث ، عن الماضى ، وبذلك تنتهى قضية الأصالة ، ويحدث مايسمى بالانقطاع الحضارى .

والواقع غير ذلك ، فإن الفكر الإسلامى لم يقبل طريقة الانتقاء التى قدمها بعض الباحثين أمثال رفاعة الطهطاوى أو محمد عبده أو غيره ولكنه دعا الى أن يقام (أساس) من الدعائم الأصلية للإسلام ثم تعرض معطيات التراث ومعطيات الفكر الوافد جميعاً على هذا الأساس ، وفى ضوءه يمكن تقبل ما يقبل شريطة ألا يكون ذلك معارضاً للأصالة أو معطلاً لها أو حاجباً لآى ملامح من ملامحها .

وجاء اليوم من يدعو الى تجديد الفكر العربى ، بتجديد دعوة الانتقاء من التراث ومن الحضارة ، وهى محاولة زائفة يراد بها أعلاء عناصر معينة من التراث ليست هى العناصر الأصلية فيه .

أعلاء الفكر الباطنى والنفوسى واليونانى والمجوسى القديم الزائف الذى حطمه (التوحيد الإسلامى) وكشف عن زيفه والذى جاهد المصلحون (أحمد بن حنبل والأشعرى والغزالى وابن تيمية وابن حزم) فى سبيل تقديم التصور الإسلامى الأصيل ، خروجاً على مفاهيم الفارابى وابن سينا وابن الهيثم وندى وابن عربى والسهورردى والحلاج وغيرهم من خصوم الإسلام الداعين الى هدم مقوماته .

ولقد كشف أبرار المسلمين وقادتهم عن أن الطريق الوحيد هو التماس المنابع الأصلية وهى الضوء الهادى والكاشف الى (الأصالة) .

نحن لا نطلب من حضارة الغرب الا (العلوم التكنولوجية) وحدها ، ومن حقنا أن نأخذها دون أن نأخذ معها (أسلوب العيش الغربى) الذى

يختلف عن قيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا .. ولا صحة مطلقا للزيف الذى يدعيه التفريبيون من أن هناك ارتباطا بين العلوم التكنولوجية ، واسلوب العيش الذى هو منهج خاص بمجتمع مختلف .

وأمانا تجربتان سابقتان : الأولى تجربة المسلمين حينما نقلوا علوم اليونان والفرس والهنود دون أن يأخذوا ثقافتهم وآدابهم .. والثانية هى تجربة الغرب حينما نقل علوم المسلمين فى عصر النهضة دون أن يأخذ عقيدتهم أو اسلوب عيشهم .

وكل مايقال فى هذا الصدد فهو من قبيل التمويه الزائف الذى لا تقره قوانين المجتمعات ولا نوااميس الحياة .

أما العلم التكنولوجى فهو ملك للبشرية كلها ، وكانت لنا فيه مشاركة ، وكنا من بناة دعائمه الأولى ، فالمسلمون هم الذين قدموا أصول المنهج التجريبي ، ولذلك فإن من حقنا أن نأخذ به متى توافرت لنا الإمكانيات العقلية والخبرة ، على أن نصهره فى بوتقة الفكر الاسلامى واللغة العربية حتى يدخل مرحلة الأصالة وحتى تنطبق عليه قوانين الاسلام فى العلوم والحضارة : « سلاما وأمانا ورحمة وعطاء للبشرية وأخاء » .



وهناك قضية : « الأخلاق والتقاليد » وهى قضية يموهها التفريب ويحاول أن يفسد الفوارق العميقة بين الأخلاق التى هى جزء من الدين والتى هى قائمة بالحق ، لها طبيعتها الثابتة التى لا تتغير ، وبين التقاليد التى هى من صنع المجتمعات والتى تتغير مع تغير الزمان والبيئات .

ولقد حرص التفريب والاستعمار على إغلاء التقاليد وإضعاف الأخلاق حتى سيطرت على مجتمعاتنا تماما ، وأن من حق الاسلام علينا أن نكشف هذه الآفات والعلل التى دخلت على مجتمعاتنا من العادات القديمة فاختلطت بالدين حتى كادت تظلب عليه .. وأن علينا أن نغزل عن جوهر ديننا تلك البدع والخرافات والعادات التى تحاول اليوم أن تسيطر على مجتمعاتنا وتزيح الأخلاق الاسلامية الأصيلة .

ونحن في هذا كله علينا أن نهتدى بهدى القرآن .

ولا ريب أن المحافظة على شخصيتها من أن تتأثر بعوامل التحول والاحتواء والانذابة هو أكبر الأمانات في هذه المرحلة من حياتنا ، ذلك أن المحاولة التي تجري الآن من طريق الصهيونية والفكر التلمودي ومفاهيم العلوم الاجتماعية والإيطالية وعن طريق التبشير والأستغراق والتغريب تستهدف (إذابة) المسلمين في الفكر الأممي ، بظن ذلك البأس الذي يميزهم عن العالم ، بالقضاء على تلك القيم والأخلاق والمناهج وأساليب الحياة وطرائق العيش التي تجعلهم في الناس شامة ، وتميزهم عن الأمم الغربية والشرقية على السواء ، وتلك (مزرقة) المستعيلة دعاهم إليها دينهم وحرص عليها نبيهم ، وثبتها كتابهم « صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة » .

وستظل الأسس التي بناها الإسلام لهذه الأمة هي الدعائم الحصيفة التي تحول بينهم وبين الانصهار في بوتقة الأممية أو الاحتواء ، وسيظل في مأمن من كل خطر ما استمسكوا بهذه الأسس وعلى ضوئها استقبلوا من أمرهم كل جديد وكل تغيير ونظروا في كل ما يعرض عليهم من أمور العصر أو الحضارة .

إن كل هذه المحاولات التي يرسمها التغريبيون والتلموديون من وراء الماركسية والفرويدية والوجودية والبرجماتية تحاول أو تضع أهواءها في مناهج وتضع أحلامها في السيطرة على هذه الأمة في مخططات . هذه المناهج سينكشف زيفها ، وهذه المخططات سوف يتحطم هدفها .

ولقد تحطمت في السنوات الأخيرة مناهج ومخططات ، وتبيح فشل احتواء الإسلام وفكره وأمنه ، وبعد سنوات طويلة من محاولات الليبرالية من ناحية ومحاولات الماركسية من ناحية أخرى ، ومن بين ذلك دعوات تختفي وراء الفرويدية والوجودية ومذهب العلوم الاجتماعية وغيرها من دعوات تختفي وراءها التلمودية صاحبة مخططات بروتوكولات صهيون . كان الظن أن درة تاج الإسلام منه أوشكت أن تسقط في مضيدة (الأممية) ولكن هل توقف التغريب عن الغزو ، وهل توقف عن اتخاذ أساليب جديدة ، في سبيل هدفه الخبير في إذابة المسلمين في الفكر الأممي ،

وتتمويه الأصول الأساسية للفكر الإسلامى بآثاره الضعيفات حول القيم الإنسانية وحول قضايا العصر .

إن حقيقة واحدة لا سبيل الى تجاوزها : أن المسلمين (أساسا) يعرضون عليه ما سيقدم اليهم من التراث أو من الفكر الوافد ، وإن كل محاولات الفكر الليبرالى والفكر الماركسى فى التطبيق قد أثبتت فشلها وزيفها ، وإن المجتمع الإسلامى قد أعلن ، رفضه للجسم الغريب وأنه بعد تجربة استمرت الآن أكثر من مائة عام نستطيع أن نعلن فى وضوح وصراحة فشل التجربة الغربية فى مجال التعليم والسياسة والاجتماع والقانون .

وإن طريقا واحدا ليس غيره هو الطريق المفتوح أمامه الى استعادة مقدراته مع الاحتفاظ بشخصيته وذاتيته وأصالته : هو طريق القرآن والشريعة الإسلامية .

البطولة

يخطئ كثير من باحثينا عندما ينساقون وراء مفهوم غريب للبطولة فى تقدير طابع من طوابع الفن كالتماثيل أو ما يطلق عليه تجسيد البطولة فى المهرجانات والاحتفالات الاستعراضية .

فنحن نرى التماثيل لآل جانب من جوانب الفكر أو قضاياها يجب أن نلجس جوهر قيمنا وذاتيتنا حتى لا تقع فى ملى خطأ كبير هو التماسك المفهوم دخيل علينا وهجر لمفهومنا الأصلى أو تجميد له .

« البطولة » قيمة من القيم التى تتمثل فى مختلف الثقافات والأفكار الإنسانية ، شرقية وغربية ، أوربية أو إسلامية أو إفريقية ، وهو أمر متصل بكل المذاهب والأديان والدعوات ، ولكن هذه القيمة الإنسانية الكبرى يختلف الرأى فيها أو يختلف مفهومها ، فى كل ثقافة عن الأخرى ، وبكل أمة عن غيرها ، استعداءا من تراثها وجوهر فكرها .

وقى فكرنا العربى الإسلامى يدعو الأمر واضحا وضوحا لاحتياج الى حماء فنحن فى فكرنا الإسلامى وثقافتنا العربية نكرم البطولة ونضعها

موضع التقدير ولكننا نختلف عن الفكر الغربى فى أساليب تقديرها وتكريمها، ان هذه القيمة عندنا لها مفهوم يختلف ، والتمائيل تجسيد مآدى للبطولة يتفق مع ثقافات أهم مختلفة ، ولكن الفكر الإسلامى العربى يعق فطرته وجوهره وذاته وطبيعته ومزاجه اذا تقبلها ، وتقدير البطولة فى ثقافتنا يكون بتكريم العمل الذى قدمه البطل وينشر الفكر واعزاز الراى وهو تخليد معنى ، يقوم على تقدير الكلمة ولا ينصب أبداً على تقدير الفرد أو تقديسه أو وضعه فى صورة يبدو منها فى مجال التأليه أو مايشبهه على النحو الذى عرفه الأغريق قديماً حين رفعوا أبطالهم الى مصاف الآلهة وأنصاف الآلهة . والأمم الغربية مستمدة من نظرتها ومن تراثها الأغريقى القديم تجسد الأبطال فى أشكال مادية ، ويرجع هذا أصلاً الى الطابع الوثنى المستمد من فلسفات اليونان والهنود . ولكن الإسلام والفكر الإسلامى له طابعه ومفهومه لهذه القيمة الإنسانية . فبطولة الإسلام : بطولة فكر لا بطولة تمائيل واحجار ، وليس فى الإسلام هياكل تهر ولا بعلبك ولا الأهرام ، وقد عرض لهذا الراى كثير من الباحثين ، وفى مقدمتهم الدكتور عبد السلام العجيلى الذى يقول : ربما عد البعض هذا الفهم نقصاً ولكنى اعتبره من مزايا العبقريّة فلم يخلف العرب (والمسلمون) ماخلفته الأمم الأخرى ، فاوبد الحضارة العربية لم تحتها من حجارة أو تسجلها الصخور بل سجلتها الأعمال الحية .

ويبدو هذا المعنى واضحاً من وراء الوعى فى قول عمر بن عبد العزيز لرجل كتب يستأذنه فى بناء سور للمدينة ، قال عمر (حصن مدينتك بالعدل) وكمهن سور يزوره السائحون وهو مبنى على أساس من الظلم والجور . ويمتد اثر هذا الفهم الى الفن الإسلامى .

يقول الدكتور العجيلى : ان فن العمارة العربية لم يتميز بالضخامة والرسوخ بينما تميز بالجمال والدقة وخفة الظل فهو لم يقصد به ان يطاول الدهر وانما أريد به ان يكون متعة للعين والروح ، ومعنى هذا غلبة المعنويات على الماديات فى طابع الفن والبطولة ، ويصل هذا المعنى الى غايته بالقول بأن الذوق الإسلامى العربى لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة ، ليس لأن الدين نهى عنه بل لأن الروح العربية الإسلامية لا تميل اليه ولأنه لا يتفق مع فطرته التى تجد مجالها الفنى فى « الكلمة »

وليس هذ مفهوم الذوق العربى وحده ولكنّه فى الحق انما يمثل مفهوم الفكر الاسلامى الاصيل المستمد من جوهر الاسلام والقرآن أصيلا وربما اخذ به العرب وعمقه ، وان تخلف فى اجزاء اخرى لطبقة الفلسفات الوثنية السابقة للإسلام .

والفن الذى تعلق به العرب وأخلصوا له قبيل نزول القرآن هو الشعر ، لأنه ارضى رغبتهم فى الحيوية والاستثارة وجاعت الموسيقى امتدادا للشعر واتصالا به والفارق بينهما هو الفارق بين المذاجة والترف ، وجملة الراى ان الطابع العربى الاسلامى فى الفن والحضارة هو طابع الحيوية والروح العلمية ، ملخصا فى كلمات قليلة « أعمال خالدة لا آثار خالدة » .

الاساطير

كلمة (Historia) كلمة يونانية معناها « خرافة » وهى التى دخلت الى العربية فى عصورها الاولى فأصبحت الأسطورة أيضا كلمة (Mythology) الميثولوجيا ، وقد كان لدى الاغريق القدماء قصص كثيرة عن ماضيهم تدور حول أبطال عظماء ، هذه الاساطير كانوا يفسرون بها الحياة والطبيعة والخير والشر ، وكانوا يؤمنون بأن هذه الأمور بأيدى آلهة وآلهات ، وقد آمن الرومان بالآلهة الاغريق واطلقوا عليها أسماء رومانية كما اضافوا الى الاساطير الاغريقية كثيرا من اساطيرهم ، وتستعمل كلمة (أسطورة) فى التعبير عن الأعمال الخارقة وتدور حول الآلهة وتختلف عن الملاحم التى تسجل أفعالا انسانية ، ويرى الغربيون أن بين الأسطورة والدين علاقة ، وكثيرا ماتحكى الشعائر أحداث أسطورة والاسطورة فى الأغلب تحكى بمنطق العقل البدائى ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية ، وثمة تفسير يرى أن الاسطورة ابتكرت للابانة عن الحقيقة فى لغة مجازية ، ثم نسي المجاز المقصود وجرى تفسيرها حرفيا .

ولا يسد العلماء الآن بنظرية واحدة تطبق على الاساطير ، والاصح عندهم التفسير الخاص بالاساطير كل امة ، ومن حق أن يقال أننا حين نتحدث عن لأساطير انما نتحدث عن عالم مختلف عنا وربما لا يتطابق تطابقا كاملا معنا ، فاختلاف الثقافات والأمزجة بين الشرق والغرب يؤكد

وجود خلافات عميقة في مختلف مفاهيم الفنون والآداب والقيم الاجتماعية والدينية ، وعلمنا حين نتحدث عن الأساطير أن ننظر إليها على أنها عالمها وتحدياتها ، وكذلك الأمر في القصة والفن والدين ، والأغريق واليونان لهم في هذا طابع وقيم تخالف جو الشرق الذي عرف بأنه مبعث الانبياء ومتمثل الديانات والذي طبع منذ القديم بطابع الإيمان بالله .

والخرافة لم تكن واضحة تماما عند العرب ، ومن هنا فإن الأساطير التي عرفت عنهم قليلة ، أما الفراعنة والفرس والهنود فكانت لهم أساطيرهم المشتركة الأصل الوثنية الطابع ، ويجمع العلماء أن هذه المجموعة من الخرافات إنما كانت تهدف إلى تعليل خلق الكون والله والأبطال . ويمكن أن يطلق على الميثولوجيا : « علم الإنسان القديم » ، وقد اعترف الأغريق بأن أسماء الآلهة رموز لقضايا طبيعية وفلسفية (أبولو) يرمز إلى النار و (ميراميرا) ترمز للهواء و (بوسيدون) للماء و (أرتميس) للقمر ، وما حروبها ومغامراتها سوى إشارات إلى حرب العناصر الطبيعية .

وترى بعض النظريات أن هذه الآلهة ليست إلا أسماء أفراد من البشر قاموا بأعمال باهرة البستهم التخليد الذي رقى بهم في نظر الأغريق إلى مقام الآلهة وأنصاف الآلهة ، وهو نوع من عبادة الأموات أو عبادة الأبطال .

وهذا المعنى غريب على الفكر الإسلامي كله ، هذا الفكر الذي عرف بوضوحه وصراحته وبساطته منذ جاء الإسلام ، حيث يقوم الفكر كله على قاعدة التوحيد الخالص لاله واحد ، لا متعدد ، ولا يموت ، ولا يجارب البشر ، ولا يضارعهم ، ومن هنا تختلف مفاهيم عديدة من القضايا الخاصة بالطبيعة والخلق والتاريخ بين مفهوم الإسلام ومفهوم الهلينية .

فالبطولة في الإسلام هي بطولة العمل والكلمة ، وليست بطولة الفرد نفسه ، ولذلك فإن الأبطال في الإسلام ظلوا في درجة الإنسان ومكانه حتى بالنسبة لأعظم شخصية في التاريخ الإسلامي كله وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ، (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) .

وهكذا يقطع الفكر الإسلامي قطعا ببشرية الرسول ، وبالتالي عبادة الأبطال أو ترقيتهم إلى كرامة وأنصاف آلهة . وتبدو هذه التفرقة بين الفكر الهليني والفكر الإسلامي في تصوير الآلهة ، فضلا عن تعدد الآلهة .

فالهيلينيون يصفون الآلهة بالصامرة والبشر أوة وبالشرابعة والجنون ،
فهم يتزوجون لمهاتهم وأخواتهم ثم يقطعون أجسادهم ويترقون ويكلمون لحوم
البشر (١) .

وهناك آراء تقرر أن وضع الأساطير عند الهيلينيين وغيرهم إنما كانت
للذة والامتع والابتسار ، وليس للاختبار أو لأعطاء المعلومات ، ويقول
الباحثون المتخصصون أن الميثولوجية تصور خلق الإنسان والكون وخلق
النجوم والشمس والقمر ، وأصل الموت وتغنى بسير الأبطال ، وأكثرها
يقدر حول قصة واحدة في روحها ، ومبذوها عاشق وممشوق يقترف
أحدها خطيئة فيتوارى عن الأنظار أو لا يكون سبباً لأفراق حياته
أو فعلاً مستحيلاً عن غيره (٢) .

وقد قذف الغربيون : الفكر الإسلامي والأدب والثقافة العربية بقدر
ضخم من هذه الأساطير (٣) ، وعنى كثير من الكتاب والادباء بترجمتها ومحاولة
اغراق الأدب العربي فيها (٤) ، وجرى البحث حول الأساطير في الأدب العربي
نفسه وكان من أهم هموم المستشرقين والمبشرين للبحث عن الأساطير ،
وقال رينان أن العرب ككل الأمم السامية ليس لها أساطير في شعرها ولا
في عقائدها ، وإن هذا يدل على ضيق الخيال لديهم ، وقد عمد البعض
إلى بحث الأساطير العربية في عصر ما قبل الإسلام ، وفيها وصف العرب
لآلهتهم ، وقد وجدوا من ذلك شيئاً ليس بالكثير ، ولا بهذه الصورة
الهيلينية ، ومرجع هذا في الأغلب إلى أن الوثنية العربية كانت وثنية
تقليدية (٥) ، وليست فلسفية وإنما لم تنمى هذه الألوان ، فقد كانت العرب
على دين إبراهيم وهو دين التوحيد ثم انحرفت إلى وثنية طارئة ، فلما
جاء الإسلام قضى على هذه الآثار ، وقد حاول طه حسين وغيره انتحال
أساطير حول سيرة الرسول وألف عنها كتاباً هو على (هامش السيرة)
وقد عارض الدكتور هيك هذا الاتجاه ووصفه بأنه اتجاه خطير من
حيث حرص المسلمين طوال العصور على تنقية سيرة الرسول من
الأساطير وابتعادها عن الروايات الخيالية والوهمية التي حاولت الاسرائيليات
الصاقها بها (٦) .

(١) أنيس فريجه ، مجلة الأبحاث . م / ٤

(٢ ، ١) راجع المعارك الأدبية لأنور الجندي .

وإذا جرت المحاولة للربط بين الأسطورة عند العرب قبل الإسلام وعند
الآغريق فقد ثبت أن هناك فارقا بعيدا بينهما يستمد أصوله من مزاج
الشعبيين وطبيعتهما المتباينة فضلا عن اختلاف الجغرافيا والتاريخ فضلا
عن الوضوح الموجود في البيئة العربية . وفي هذا يقول الشوباشي :
بينما الشعر الآغريقى الملحمى يصور عالما وهما لا تكاد تقود صلة بينه
وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الآغريقى وتصف آلهته وعمالقته وقرساته
بأنهم يتميزون بقدرات غير آدمية ويحققون الخوارق ويتسامون وراء
شهوات وأطماع واحتقاد ويأنفون أن تغلب عليهم الرحمة أو تحس قلوبهم
بحب أو حنان ويرتكبون في سبيل تحقيق غايتهم أثاما تنقزز منها النفوس
ولا يعتمدون على الأجساد فاحسب ولكنهم يمثلون بالجثث . والمرأة
قاسية كالرجل فهناك امرأة تشترك مع عشيقها في قتل زوجها والتنكيل
بأبنائها وأخرى تزوج بأبنائها .

وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصور المشوهة المخيفة ، حرص
الشعراء العرب القدامى على تصوير عالمهم الحقيقى بما فيه من خير وشر
وتحليل عواطفهم كما أحسوها ، ووصف الأحداث على نحو ما وقعت لهم ،
وهناك فارق آخر أشار إليه الشوباشي وهو أنه بينما كان الشعر العربى
ديوان علوم العرب وأخلاقهم وأخبارهم ، كانت حكمة الشعر الآغريقى
أقرب الى أن تكون مواعظ تربوية .

وبينما كانت الملاحم الأسطورية اليونانية تقوم على شطحات الخيال
والتهويل والأغراب ، فإن رواة الشعر العربى يحرصون على صيانتهم من
كل تغيير أو تحريف .

ويتصل بالفوارق البعيدة بين مفهوم القرب للأساطير ، فارق الطبيعة
النفسية الواضحة الصريحة في العربى والجو المكشوف في الصحراء ،
بينما هناك وحشة الجبال وقسوة الطبيعة ، ولهذا الخلاف الجذرى

(١) ص ١٣٨ رحلة الأدب العربى الى أوربا للشوباشي .

(٢) الرسالة م ١٩٤٩ ص ٨٢٤ .

(٣) نفس المصدر .

لم يترجم العرب والمسلمون الميثولوجيا والأساطير والأياذة اليونانية وقالوا : أنها تعبير عن النفس الانسانية الهلينية ، ولهم تعبيرهم الأصيل عن النفس العربية .

وتختلف الميثولوجيا اليونانية عن الميثولوجيا المصرية القديمة أيضا كما تختلف عن العقيدة الاسلامية « فالآلهة في الميثولوجيا اليونانية والميثولوجيا الاغريقية تدفعها حيوية عارمة الى كل تصرفاتها ، حيوية لا تفرض العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوانية عاتية شهوانية باطشة ، والآلهة في الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق في الغالب » .

أما الاسلام فينبذ نهائيا فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله ، وفكرة القدر في الاسلام لا تتفق مع الفكرة الاغريقية ولقد حاول كثير من الكتّاب ترجمة الميثولوجيا الاغريقية ولكنهم كانوا يحسون أنهم ينحتون الصخر ، وذلك لفوارق الواضحة بين النفس العربية والنفس الاغريقية ، وقد أشار الى ذلك كاتب الرسالة حين قال ان الصعوبة الأساسية في الأساطير واستلهاها ليست في الحاجة الى الفهم . فالفهم قد يكون ممكنا بالشرح ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة في الشعور بها في أعماق الضمير . ان الأسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه ، وتعيش كامنة في دمه واحساسه وهي تراث شخصي لكل شعب لا يمكن نقله الى ضائير الشعوب الأخرى ، كما لا يمكن نقل الثقافات الى الرؤوس بل كما يمكن نقل الأعمال الأدبية التي لا تقوم على أسس وراثية كالأساطير ، ولابد ان تعيش الأسطورة حياتها في تاريخ الأمة وضميرها حتى يستسيغها فوقها وتنبض لها قلوبها . لهذا لم يكن ممكنا ان يشعر العرب بجمال التراجيديا الاغريقية والمستندة في صميمها الى الأساطير لأن تنقل الى تراثهم كما نقلت الفلسفة لأن الفلسفة تراث ذهني في الأغلب والأسطورة تراث شعوري في الصميم .

الاستشراق

ان البسط تصوير للاستشراق وعممه هو انه « استخدم العلم في خدمة السياسة » والاستشراق بعضه متصل بالنفوذ الاستعماري وبعضه متصل بالثقافات الغربية والمسيحية ، وبعضه متعصب .

ومن هنا فقد كانت مبادئه في الإغلب نابعة لتغذية حركة التبشير وكانت آراؤه وملقطاته انما تمثل « مادة » خاما يستطيع التبشير استعمالها في دعم خطته ، وفي اثارة عوامل الخلاف وتاريت الشبهات بما يحقق مخطظه ، والاستشراق اذا كان خاضعا لنفوذ ديني أو سياسي فانما يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة وبأحكام مقررّة وبأهداف واضحة : أساسها خدمة النفوذ الاستعماري ، وقوامها التعصب والاتهام للشرق والاسلام والعروبة ، ومهما صيغت كلماته في أسلوب له طابع علمي فانها تنطوى على عدم الخبذة وعلى لا انحياز . وقد عمل عدد كبير من رجال الاستشراق في مجال التبشير ، وكانت كتاباتهم وقودا خطيا في أيدي المبشرين ومن هؤلاء مرجعيات وماسليون وهنسري لافنس ولويس شيخو وفنسك وجولزير ههم من اشد المستشرقين تعصبا على الاسلام واللغة العربية .

وقد كانت كلمة (الاستشراق) في نظر الكثيرين وما تزال تحمل طابع البصّة المجرّد من الهوى ، فخير بان النصوص التي يقدمها علماء الاستشراق في مختلف البحوث تكشف عن غير قليل من القصور في الفهم أو الهوى في التصيد ، وأخطر ما يتصل بتاريخ الاستشراق ان رجال الإرساليات التبشيرية قد خلعوا أثوابهم في السنوات الأخيرة بعد ان انكشف امرهم وتخفوا وراء أستارهم كما ان هناك كثيرين تحولوا من الاستشراق الى التبشير وفي مقدمة هؤلاء : لويس ماسنيون الذي كان تابعا في عمله لوزارات الاستعمار وقد عاد في سنواته الأخيرة فعمل في معسكر المبشرين جبهة اعتمادا على اسمه السامع المحيط بقدر كثير من سميت الهيئات .

وقد يتحدث الكتاب ببساطة وحسن نية عن الدور الذي حققه الاستشراق في بعث التراث التعريفي الاسلامي . ونحن نعرف ان مصدر اهتمام المستشرقين بالشرق والاسلام ليس مجردا ولا خالصا لوجه العلم

والحق انما يرجع الى أن العالم الاسلامى واقع فى قبضة استعمارهم فهم يدرسون تاريخه وأدبه بهدف محدد ، وهو التعرف الى نفسية هذه الأمم ليكيفوا مواقفهم ومعاملاتهم وعرفوا من أى جهة يستطيعون إخضاعه . وما هي جوانب الضعف فيه للتركيز عليها وما هي جوانب القوة فيه للقضاء عليها ، وذلك بهدف أن يبقى نفوذهم ويستمر . وهم فى كل ماكتبوه قد عمدوا الى وضع : (الاسلام واللغة العربية والثقافة والتاريخ) فى قفص الاتهام ، وحملوا كتاب العرب والمسلمين على الوقوف موقف الدفاع ورد السهام .

وإذا كان المستشرق خالصا لوجه العلم فلماذا يركز على الجوانب الضعيفة والروايات المدخولة والمثبتهات ، ولماذا يركز على النصوص الفلسفية حين يدرس التصوف وعلى الباطنية حين يدرس التاريخ ولماذا يولى اهتمامه للجلاج والسهروردي فى الدراسات الصوفية وأبو نويس ويشار فى الدراسات الأدبية وأبو بكر الرازى وابن الراوندى فى الدراسات الفلسفية ، ولماذا يهاجم يعنف المغبى وابن خلدون والغزالي ولماذا لا يعنى بالأصالة فى الفكر الاسلامى ويهملها ثم يركز على الآثار الفارسية والهندية واليونانية ؟ ولماذا يبحث من جديد تلك الشبهات التى أثارها الشعوبية قديما ويعيد النظر فيها ولماذا يركز على الخلافات بين السنة والشيعة وبين المسلمين والنصارى ، وذلك كله فى محاولة تأريث الخلافات بين المسلمين والعرب حتى لا تثم لهم وحدة فكر ولا نداء الى تجمع ؟ ولماذا القول بأن هناك اضطهادا للمفكرين ومحاولة لمنع حرية الفكر ، ولماذا الاهتمام بأخبار الزنج والقرامطة والمجوسية ولماذا تكتب الأبحاث المطولة عن مسيلمة الكذاب ولماذا ينكر وجود عبد الله بن سبا .

ولقد ركز استشراق على الأفكار البخيلة فى الاسلام والفلسفات البواغية فى محاولة لتصويرها بنها جوهر الفكر الاسلامى مع الاغضاء المتعمد عن القيم الأساسية والدور الذى قام به أمثال ابن حزم والغزالي وابن تيمية والقاضي ابن العربي وابن الجوزي وغيرهم فى تحرير الفكر الإسلامى من هذه الخيالات .

ويؤلى المستشرقون عناية كبرى بفكرتى وحدة الوجود والحلول . وهناك ذلك الاهتمام الدائب بالعماليات والفلكور والأمثال الشعبية والأغاني

والمواويل وكلها محاولات لخلق تصور وجود لغة عالمية قائمة بذاتها .

وقد جاهد المفكرون المسلمون هذه الاتجاهات وكشفوا عنها وحالوا بين هؤلاء المستشرقين وبين تحقيق أهدافهم ، وكان عبد العزيز جاویش وأحمد زكى باشا وأحمد تيمور وغيرهم فى مقدمة هذا الرعيل ، وكانت فى مصر عند انشاء المجمع اللغوى محاولة أخرى لرد المستشرق فنسك عن عضوية المجمع ، وقد هاجمه الدكتور حسين الهوارى وقدم صورة لآرائه فى الإسلام والنبي والقرآن وكشف عن اتجاهه واتجاه المستشرقين علمية . ومن بين ما قاله « انه اذا اراد احد منهم أن ينال من الإسلام امرا هائلا يفرض فرضا ثم يبحث عن الآيات القرآنية التى تتناسب مع هذا الراى الذى فرضه ، فاذا وجد آية تدحض رايه حذفها وانكرها انكارا حتى يخرج بالنتيجة التى تزرع الشك فى مؤاد من يطلع على أقواله من غير تمحيص بحجج شبه منطقية يزعمون بها عقائد المسلمين ، وهى احدى الطرق التى وضعها الاستعمار من زمن قديم ، وكانت احدى وسائلهم مع تقوية اللغات العالمية التى لايتفاهم بها المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم » .

ولا شك أن من أخطر أعمال الاستشراق هو وضع موسوعات كاملة أمام الباحثين العرب والمسلمين تمكنهم من أن يجدوا ما يريدون البحث عنه فى سرعة وسعة ، فيلجأون اليها دون أن يكلفوا انفسهم مؤنة البحث عما تتضمنه من حقائق أو باطيل وذلك اعتمادا على طبيعة بعض المؤلفين والباحثين والعلماء من الثقة بالسكمة المطبوعة ومن الاعتماد على شهرة الأسماء التى وضعت على صدر هذه الأبحاث .

ومن هذه المراجع التى يجب مراجعتها فى حيلة وحذر لاحتوائها على كثير من الشبهات « دائرة المعارف الإسلامية » والمنجد والموسوعة العربية وبرو كلمان فى الأدب العربى » والهدف الأكبر من مثل هذه الأعمال الهادفة الى تشويه الحقائق هو خلق شعور بالنقص واحساس بالازدراء من شأنه أن يسيطر على نفوس المسلمين والعرب ، ويصدق فى هذا قول الدكتور عرفان عبد الحميد من أن هدف الاستشراق هو خلق جيل يتنكر لتراث هذه الأمة ليصير الى حيرة واضطراب فكرى فيسهل عنده غزو المجتمع الإسلامى بالفكر والمبادئ والمفاهيم والتصورات الغربية .

وقد أشار العلامة مالك بن نبي الى انه في أى قضية أو مسألة أو مفصلة تواجه المسلمين فإن الاستعمار والتبشير والاستشراق والتغريب قادر على طرح اجابات مستمدة من محاولته المستمرة لتغيير مجرى التفكير الاسلامى .

وقد أجمعت كتابات النصفين على أن المستشرقين لم يتخلصوا بعد من تعصبهم ، وأن عملهم لم يتحرر من الهوى وقد سجل لويس برنارد وهاملتون جنب مثل هذا المعنى حيث أشار برنارد الى أن ظاهرة التعصب الدينى واضحة في مؤلفاتهم ، وقال جنب أن ظاهرة الأحكام المسبقة على الاسلام لا تزال تحكم أعمالهم بالرغم من محاولة التحرر منها ، ولا شك أن الزعم الجديد الذى يروج له المستشرقون في السنوات الأخيرة من أن أبحاثهم قد أخذت شكل الموضوعية والتجرد من الأهواء والأخذ بأسباب البحث العلمى ، هذا الزعم لا يثبت أمام الصورة المشوهة والعبارات الحاقذة والأهواء الدفينة التى تظهر هنا وهناك من وراء السطور بالرغم من محاولة اخفائها ، هذا الاخفاء هو الذى جد على هذه الأبحاث .

ومجمل آراء المستشرقين منحرفة ، وهى منصبية على القرآن والرسول والاسلام ، وعندهم أن القرآن صوة من الكتب السابقة عليه وأنه منقول منها ، وأن له لبقة في مكة تختلف عن لبقة المدينة ، وأن الاسلام جملة مستقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ، وأن الرسول كان راهبا رومانيا غضبت عليه البابوية فخرج عليها ودعا الى دين آخر ، وما تزال كتابات ورسوم دانتي وفرجيل وفولتير وديدرو وهم من أقدر كتّاب الغرب وفنانيه تحمل صورة التعصب ، وما تزال تؤثر فيمن تبهم من أمثال لامنس ومرجليوث ولويس شيخو وسفوك وفنسنت ، وقد انتقلت الى طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وسلامة موسى وما تزال تنقل الى طبقة جديدة من أتباع البشرين والمستشرقين .

الاقتباس

« الاقتباس » ضرورة لا محيد عنها بين الأمم في محيط الثقافات والحضارة والنظم ويجب أن تتم في حرية كاملة وفي حالة من حالات الرشد السكّال والايمان العميق بالجلور والمقدّرات الأساسية ، ودون أن تفرض

أو يلتزم بها المقتبس تحت ضغط نفوذ سياسي أو استعماري أو سيطرة من نوع ما ، وقوام الاقتباس المعرفة الكاملة بالفروق الواضحة بين المعرفة والثقافة وبين العلم والفلسفة ، وبين الجوانب العقلية والروحية ، وبين الحضارة والثقافة ، وأن تجرى في إطار كيان الأمة وشخصيتها ومزاجها وطوابعها الأساسية ودون أن يتعرض أي مقوم من مقوماتها للخطر أو الاضطراب .

ومن المعروف أن العالم الإسلامي يتعرض للاقتباس وهو تحت ضغط نفوذ استعماري عاتٍ جبار يستهدف تحويل الأمم عن قيمها وإخراجها من مقوماتها وصهرها في بوتقة العالمية والأممية التي تستهدف إفقاد هذه الأمم قدراتها وكيانها الخاص حتى تستسلم عن طريق الفكر للغزو الثقافي والنفوذ الأجنبي .

وأهم شروط الاقتباس (١) نقل الإيجابي الصالح النافع (٢) الجراة في نقل العلم (٣) التحفظ في نقل الثقافة والأدب مع الإيمان الكامل بأن العلم ليس ملكا للغرب ولا للشرق ، أما الثقافة (والأدب جزء منها) فهو ملك خاص لكل أمة . ولكل أمة قيمها الاجتماعية والأخلاقية والمدنية وهي من أهم المجالات التي تبرز فيها طبائع الأمم ، والمعروف أن القيم الأساسية بالنسبة لأي أمة أو ثقافة كالترية بالنسبة للنسبات والبذور ، فكل تربة لها مقوماتها التي تستطيع أن تنقل حضارة نبات بعينه أو بفرقة بعينها ، بينما لا تتقبل عشرات من البذور التي لا تستطيع أن تنمو في غير تربتها ولابد أن تموت إذا انتقلت إلى تربة أخرى ، إذ أن لكل تربة عوامل خاصة تحوطها تختلف عن غيرها ، من جو وماء ومكونات جيولوجية كذلك لكل أمة تربة فكرية لها مقوماتها التي تصلح لبذر دون بذر .

يقول وليم مرسية : أن البشر والشعوب لا يتقبلون من التاثيرات والعوامل الا ما كان ملائما للخلاصة الخالصة من عقليتهم ، مسائرا لما فيها من حركة وتوثب ، وفي ايجاز مائه لا يجوز أن يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها البعض الا ما كان حيا في قرارة أنفسهم متوثبا للوجود .

وإذا كان هناك مفهوم باحث غربي بالنسبة لموقف الفكر الغربي

من الاقتباس ، فلماذا يكون مفهوم الاقتباس عنصرا دائما للفطرة ، خارجا عن القوانين الطبيعية والاجتماعية التي عمليتها الأمم ، وما تزال الأصالة التي عرفها الفكر العربي الاسلامي طوال تاريخه تفرض عليه أن يرغب تلك النظرية الفجة التي ينادي بها دعاة التغريب والتي تقول بتقبل الحضارة الأوروبية بفكرها : وخيرها وشرها ، ما يحمد منها وما يعاب .

ان أماننا تجربة أصيلة هي تجربة المسلمين في القرن الرابع من ترجمة واقتباس ، فقد أخذوا ما يتفق مع مقوماتهم وقيمهم الأساسية وردوا ما يختلف معها وعندما أخذوه صهره في بوتقتهم وصاغوه وحولوه الى كيانهم فلم يغير من معالم شخصياتهم ، وانما أضاف قوة الى حياتهم وكذلك فعل توماس الاكويني حينما ترجمت آثار الفكر الاسلامي الى اللغات الغربية ابان حركة النهضة فانه عمد الى غرطة طابع الفكر الاسلامي وحرر منها الفكر الغربي المتجدد .

وعندما ننظر نظرة موضوعية منصفة لأولئك الذين يفرضون علينا الاقتباس غير المشروط نجد علامة كبيرا مثل الأستاذ هنري بورديو يقول لقومه : لا شيء أقتل من تغفل الأفكار الأجنبية لأن الغاية التي تصل اليها هذه الأفكار انها هي جرح مواطن حسنا وشعارنا فاذا أردنا أن تكون ثقافتنا ضربا من المولى من التشويه لزمانا أن نجعل هذه الثقافة عاجزة عن تغيير طبيعتنا وروح عنصرنا . يجب علينا قبل كل شيء أن ندرس أنفسنا فاذا وثقنا بأنفسنا بعد هذه الدراسة وتمكنا من استخدام قلوبنا وأفكارنا كما يستخدم القائد جيشه الأمين الذي يترفع عن الانضمام الى العدو . فحينئذ نحاول فتح العالم اى الاتصال بأداب الأمم . فالوطن كما عرفه أحد كتابنا انها هو اجتماع الموتى والاحياء في بقعة واحدة .

ويبدو خطر الاقتباس والاستعارة واضحا حين نرى امما كبرى تخشى خطره بينما نحن ، ونحن بين شقى الرحى وفى قلب خطر صراع الثقافات نستهيئ بالامر وننظر اليه في بساطة بل ربما عددنا ذلك امرا لا أهمية للاحتياط له . يقول جون بول سارتر « لو افترضنا أن شعبا أوريبيا صغيرا اضطر بحكم الظروف السياسية والاقتصادية أن يستعير من الأيدولوجية الأمريكية او السوقية شيئا فهذا الشيء المستعار لن يبدل جوهره بعد

الاستعارة الابولية هضم صحيحة سليمة، وذلك لأن اصوله مستمدة من طبيعة الاقتصاد والوضع الاجتماعى والسياسى فى أمريكا أو روسيا أما حين يكون المستعير سطح الثقافة فلا يستطيع أن يبدل طبيعة هذا الوضع فيبقى الشيء المستعار فى جوهره أمريكا أو روسيا يفرض على ثقافة صغيرة لا قبل لها بتحويله أو طبعه من جديد - وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة ضعفه السياسى والحاجة الاقتصادية والفقر الثقافى » .

وهكذا تبعوا مسألة الاستيعاس فى ضوء الواقع وينكشف مدى الخطر الكامن من ورائها ، أن الفحيجة الطبيعية هى ضياع مزاج الأمة وكيانها وطاقاتها وشخصيتها فعلى الأمم أن تحتفظ بخصائصها . التى تتميز بها والى تستمدتها من جذورها وراثتها ودينها وعلمها أن تستوحى تاريخها وتستلهم أجواءها ، والتقليد أقل باعاً من الأصالة وأضعف شخصية ، وهو لن يستطيع أن يكون ذلك الأجنبى ولا أن يعصود ذلك الأول . ومن هنا فإن ذاته سوفهم تمسح مبخاً وتضيع فى بوتقة العالمية والأممية التى تنصهر فيها الأمم الضعيفة التى فقدت مقوماتها .

الإلحاد

الإلحاد فى التعبير العربى (*Atheisme*) هو نفى وجود الخالق المبدع للكائنات ، وهو تعبّر عن نفى وجود الله . والإلحاد ضد الإيمان . وقد بدأ الإلحاد فى القرن السابع قبل الميلاد على يد الفيلسوف طاليس وتلميذاته كثيرون وكان مرماهم جميعاً التدليل على قيام الوجود بنفسه مستغنياً بقواه الذاتية عن مدبر حكيم فوق عالم المادة وقد دارت بين الإلحاد والإيمان منذ ذلك الوقت وإلى اليوم معارك متعددة .

ولا شك أن الإيمان من طبائع الفطرة الإنسانية التى لا مفر منها ولا مرد عنها والإلحاد عارض وهى ظاهرة طبيعية فى البشرية لا تتوقف ولا تنتهى وقد جاء العلم الحديث فأعطى ظاهرة الإلحاد مفاهيم جديدة نتجت عن قدرة الإنسان على استكشاف الجاهول والسيطرة على الطبيعة مما دفعه إلى الامعان فى انكار وجود الله .

وهناك عوامل أخرى دافعة إلى إذاعة مفاهيم الاتحاد والتأكيد عليها وفرديتها تتصل بأصحاب الحركات الهدامة الزامية إلى القضاء على التوحيد أو سيطرة نفوذ معين .

وتكاد تجمع الأدلة على أن تفشى ظاهرة الاتحاد في الفكر الغربي إنما ارتبطت إلى حد كبير بعوامل تتعلق بالدعوة إلى القضاء على الأديان ، أو على نفوذ الكنيسة والمسيحية في أوروبا ، وقد اضطلع الاستعمار ومؤسساته من تبشير وتغريب وشعوبية أساليب الاتحاد وأمعنوا في إذاعتها وتوسيع نطاقها كجزء من الهدف المرسوم للقضاء على الإسلام في نفوس معتنقيه وأثارة جو من الريب والشبهات وخلق أجيال ضالة بعيدة عن مفهوم الإيمان والدين والتوحيد ، لتكون الأمم بهم فريسة سهلة تمهد إلى التهام النفوذ الأجنبي لها .

وقد قامت في أوروبا خصومة شخمة بين العلم والدين ، وغلبت نزعة العلم وسيطرت وحملت طواء الهدم للعقيد للدين ومفاهيمه وموقفه ومن بينها القيمة العليا وهي وجود الإله الخالق الأكبر .

ولكن هذه الحملة تركزت على الكنيسة وعلى مفهوم معين للدين أساسه المسيحية الغربية وطقوسها ومفاهيمها التي تختلف كثيرا عن مفهوم المسيحية المنزلة من السماء إلى المسيحية المشرقية الأصيلة ، فالأوروبيون لم يأخذوا المسيحية كاملة وانما اطلوا الفلاسفة اليونانية الموشية وللقائمين بالرومانى . ومن ههنا فقد كانت الحملة على الدين في أوروبا مسألة مستقلة تدور في دائرتها ولا تتصل بأي دين آخر ، وخلصه الإسلام الذي ليس هو دينا فقط ولكنه دين ومنهج حياة . وقد نقلت هذه المعركة إلى العالم الاسلامي كاستلوب من أساليب الاستعمار في إثارة الشبهات وتحريف المفاهيم ولكن الواقع يثبت أن الإسلام يختلف في موقفه من العلم والحضارة عن غيره من الأديان وأنه يقوم أساسا على مفهوم الانفتاح في مواجهته على العلم وفي ظل دعوته نشأ المنهج العلمي التجريبي .

وهنا فإن الحملة على الدين استتبعته في أوروبا ظهور ظاهرة الاتحاد والحملة على الله بمفهوم الغرب .

والمعروف أن أول من اجترأ في هذا السبيل هو نيتشه حين قال « لقد مات الله » وقد ارتبط هذا الاتجاه في الفكر الغربي بخيطه الأول والقديم في الفكر اليوناني حين قال الفلاسفة « أن الآلهة المقيمة في المكان المقدس قد ماتت » .

وقد تنوعت فلسفات الالحاد في العصر الحديث وتطورت ، ومنها ما يدعو الى الوهية المادة او الوهية الانسان ، ومنها ما يجعل الغريزة محور تفسير الوجود ، وقد اختلف مفهوم الاله نفسه في الأديان التوحيدية ، فالاله في عرف اليهود اله قومي لهم وحدهم دون غيرهم من الاميين وهو اله شرير ، وعند النصاري واحد من ثلاثة والتفسير المادي للتاريخ ينكر فكرة الالهية ويربط الانسان ومصيره بالمادة ويفسر حركة التاريخ بعوامل ليس فيها ارادة الله . والمحدد يرى أن الكون مادي يدار من داخل نفسه .

أما المؤمن فيرى أن وراء هذا النظام الدقيق وهذه القوانين الثابتة والنواميس الدقيقة خالق مدبر موجه « وأن هذه النواميس التي اكتشفها العالم ليست مستقلة في ذاتها ولكنها مظاهر مختلفة لقوة واحدة هي المهيمنة على الوجود كله ، وانها لو لم تكن كذلك لما كان هذا الترتيب البديع ، وهذا التضامن المتبادل بين العوامل الكونية ومعنى اتحاد نواميس الوجود كلها فيما بينها انها مظاهر مختلفة لقوة واحدة عامة مهيمنة على الوجود بأشهره حافظة له من التلاشي » (دائرة معارف القرن العشرين) فالالحاد ضد الايمان ، والالحاد انكار وجود الله ، وهو مفهوم قام على المذهب المادي الذي يرى أن كل ما ليس محسوسا فهو ليس موجودا أصلا .

وتنفي الالهية يتضمن نفى النبوة والكتب المنزل وعالم ماوراء الطبيعة والجزاء والحساب والقيامة والجنة والنار ، ويرجع بعض الباحثين الالحاد الى نظرية أصل الأنواع لدارون ولكن المتمنع في الأمر يجد أن دارون لم يخالف مبدأ الايمان بالله ، ولكن الذين تلقوا هذه النظرية من بعده بهتف هدام ، هم الذين فسروها واستخرجوا منها مايدفع الى خلق طابع الالحاد ، ويتمثل هذا المعنى واضحا في بروتوكولات صهيون .

ومن حق أن يقال أن هجوم الفلسفة الأوروبية على الأديان وعلى كل القيم الأساسية التي تمثلها ومنها وجود الله إنما كان منظوراً فيه إلى الكنيسة والامتاع وأثرهما في تعويق النهضة وفي تحرير الإنسان وأن جميع المذاهب الفلسفية : سواء منها الفلسفات الاجتماعية أو الطبيعية أو النفسية (نيتشه ، ماركس ، فرويد ، دوركايم) إنما كانت تضع أمام أنظارها هدفاً ضخماً تريد هدمه هو الدين الغربي ، وذلك نتيجة التحدي الذي واجهته النهضة الأوروبية مع الكنيسة من ناحية ، والدور الخطير الذي لعبته الصهيونية منذ الثورة الفرنسية وبعدها في تصديق المسيحية والكنيسة والقضاء على فكرة الإيمان والدين والقيم الأخلاقية والاجتماعية وذلك طبقاً للمخطط الذي كشفت عنه بروتوكولات صهيون في الاستيلاء على العالم ، وفي ضوء هذه البروتوكولات يمكن إعادة النظر في كل خطوات التاريخ الغربي وثوراته وفي ظهور الماركسية وغيرها .

ومن الواضح أن تتفق تماماً بالنسبة للعالم الإسلامي والإسلام والأمة العربية كل هذه التحديدات التي واجهت الفكر الغربي ، ولكن التبشير والتفريب والنفوذ الاستعماري قد اتخذ من هذه الشبهات سلاحاً هاماً في مواجهة الإسلام وزلزلة مفاهيمه في قلوب المسلمين عن طريق عرض هذه القضايا والتركيز على بعض الجوانب منها وإثارة الشبهات ، فليس في الإسلام بالحق قصة خلاف بين العلم والدين ، ولا قصة صراع بين المذهب والعلماء وليس في الإسلام كنيسة ولا كهنوت ولا طبقة رجال دين ، ولا توجد فيه بالقطع ما يسمى بالكهانة إطلاقاً فذلك شيء لم يعرفه التاريخ الإسلامي بجملة ، ولقد كان علماء الدين على العكس من ذلك دعاة النهضة والعلم واليقظة وهم الذين أشعلوا نيران المقاومة والجهاد والفضال في وجه النفوذ الأجنبي ، والذين أوقدوا شعلة العلم والحرية .

وإذا كانت نزعة الإلحاد يمكن أن يتسع نطاقها في الغرب حيث تهرج المسيحية المثلثة بالوثنية الأخرقية فإنه في الشرق لا توجد هذه النزعة إذاً سارت الأمور على طبيعتها الأصدى خفيئاً ، فالمسيحية الشرقية والإسلام الموحد يبعد إذا سارت عن الإلحاد كثيراً ولكن الأمور لم تتوقف في ظل التفريب ونفوذ التبشير عند هذا الحد بل نقل ميدان المعركة إلى

عالمنا الإسلامى وفرض علينا فرضاً ذلك الصراع . والنفس الإسلامية
الشرقية بطبيعتها نفس مؤمنة بالله ، عميقة الإيمان بالخالق ، وفى رحابها
نزلت الأديان السماوية الثلاثة . وهى تهق فطرتها حين تتعلق بمفاهيم الألحاد
الغريب الأصيل الوثنى الجذور .

وقد واجه الفكر الإسلامى والثقافة العربية تجارب قليلة فى هذا المجال
منها ماكتبه اسماعيل أدهم تحت عنوان (لماذا أنا ملحد) وقد كشف فيه
عن تحدى نفسى خاص وشخصى يتعلق بالأمر الذى دفعه الى هذا الانهيار ،
فقد كان والده مسلماً متزماً يضربه فى الصباح ليصلى الفجر قسراً بينما
كفته أمه تأخذ أخته الى الكنيسة يوم الأحد فى رفق ، وكان هذا هو
التحدى الذى دفعه الى الألحاد بعد صراع نفسى مجاد .

وهذه تجربة فردية لا تتصل بجوهر الدين نفسه ولا تمثل أفكاراً
أساسية للتوحيد ، ولكنها نوع من الانحراف دفع الى مهاجمة كل القيم
فى سبيل الانتصار وتأكيد الذات . وقد ذكر اسماعيل أدهم ذلك فى
وضوح حين قال « أهدأ الأسباب التى دفعتنى للتخلّى عن الإيمان بالله فهى
كثيرة منها ما هو علمى وما هو فلسفى ومنها ما يرجع لبيئتى وظروفى ومنها
ما يرجع لأسباب سيكولوجية: لقد كان أبى لا يعترف لى بحق تفكيرى ووضع
أساس عقيدتى المستقلة وكان يفرض على آراء الإسلام والتعليم بشعائره
وقد ثرت على هذه الحالة وامتنعت » لقد خرج اسماعيل أدهم عن
جذوره فى سبيل التحدى الشخصى وتأكيد ذاته ، وآمن بالعلم وحده
ولكنه فى النهاية كانت ماذا ! عندما تعرضت الاسكندرية للغارات أيام
الحرب العالمية الثانية وفرغ المنزل الذى كان يعيش من أيراده ، انتهى
لأنه أحس بأن مورده قد انقطع . وهذا مفهوم الألحاد . والفرق بينه
وبين مفهوم الإيمان بالله .

والمعروف أن الألحاد كسائر أنواع الشر طارئ على النفس ، أى
أنه ليس من طبيعتها .

ولقد كشف درس الطبيعة الإنسانية عن أن فى أعماق النفس حاجة
الى التدين بدين ما ، وقد اكتشف الرواد الذين زاروا مجاهيل الأرض
أنه لا توجد قبيلة من البشر بغير دين ، فالذين لم يعرفوا الله مثله حسب

تصوراتهم في الآلهة التي اتخذوها لأنفسهم وقد ظهر في كل جيل ملاحدة ومراطقة وأعداء للدين ولكنهم كانوا ولا يزالون غير ذات فاعلية وما تزال المشكلة البشرية وسفلى مدينة .

والأمر الجديد الذي يكشف عنه الدراسات العلمية اليوم ، مع تثبيت الذرة واقتحام الفضاء ، ومع انهيار النظريات العلمية القديمة هو أن وراء هذا الكون خالقاً وصانعاً وديراً . وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مؤلفات كثيرة لعلماء المعامل الذين يعيشون كالرهبان خلف الهياكل الزجاجية وبين أبق دقائق الأجهزة العلمية تكشف عن توصيلهم باليقين إلى هذه الحقيقة . لقد انتهت مرحلة توقف العلم عند المجهول والمعقول . ولذلك فإن العلماء المعملين ليسوا هم دعاة الإلحاد وإنما تنطلق دعوى الإلحاد من محيط الفلاسفة . والفلاسفة نظرية وافتراض وليست علماً ، وهي افتراض يقوم في نفس أصحابه أولاً ثم تلمس له الأدلة ، وهو قابل للإنقراض والتحول باختلاف العصور والبيئات .

وهناك فلسفات معاصرة ترى أن التحديات الأساسية لها هي في مهاجمة الدين وإثارة النفس الإنسانية ضده وخلق جو من الإلحاد والإباحة لأهداف سياسية ورغبة في تسلط على العالم البشري والسيطرة عليه . وقد استفاد الاستعمار والنفوذ الأجنبي من هذه الموجات والدعوات وحاول استخدامها في الأقطار التي يسيطر عليها وقد كانت الفلسفات المادية أساساً بعيدة عن العلم الخالص ، وقد حاولت منذ ظهور نظرية أصل الأنواع لداروين أن تنجح بالفهم للعلم منحي فلسفياً وتتخذ منه ذريعة لتأكيد المذهب المادي القائل بأن الكون يدبر نفسه بنفسه ، ولم يكن داروين ولا واحد من العلماء التجريبيين أو المعملين قيد قائل بذلك ، ولكنها الفلسفة التي كانت تواجه تحديات معينة في مقدمتها الكنيسة ومفاهيم المسيحية الغربية وقضايا متعددة تتعلق بالنفوذ السياسي للبابوات وأمراء الإقطاع . ثم كانت الفلسفة المادية المتمثلة في التفسير المادي للتاريخ الماركسي أعلى مراتب الدعوة إلى مخاصمة الدين ، والدين الذي تخاضه الماركسية هو دين لوريل .

التسامح

لم يعرف فكر بشرى معنى التسامح كما عرفه الفكر الإسلامى وخاصة فى مجال العقائد المخالفة ، وقد كتب العرب ألفوا فى الملل والنحل وكانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى ، وحاولوا أن يفهموها وأن يدحضوها بالبرهان والحجة ، ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن خزم فى هذا المجال بالنصيب الأوفر ، وقد كتب أبو الريحان البيرونى عن أديان الهند فى القرن الخامس للهجرة فلم يمس عاطفة أحد من أهلها ، وكان إذا كتب عن نحلة يشمرك أنه هو أحد ابنساء تلك النحلة لتطفه فى وصف شعائرها ، وكان كتاب العرب يذكرون جميع المخالفين بكل حرية ، وفى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصبحة وطبقات الحكماء لابن القفطى وطبقات الأديباء لياقوت وفى الواقى بالوفيات للصفدى ، وفى تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى ، أمثلة لهذا التسامح فقمى ترجم المؤلفون للنصارى واليهود والساميين والمجوس كأنهم أبناء ملة واحدة (هامتون جب فى كتابه الأدب العربى) .

وفى مختلف مجالات المجتمع والفكر ترى هذا التسامح واضحا فقد بلغ أرباب الديانات الأخرى فى الحضارة الإسلامية مكانا عاليا فكان منهم أطباء الخلفاء وأعيان الأمراء ، ويرجع ذلك الى مفهوم الإسلام فى التسامح مع أهل الذمة وأصحاب الكتاب من الملل المختلفة .

غير أن كلمة التسامح لم تلبث أن استعملت فى العصر الحديث على نحو آخر جد خطير ، فقد استعملها دعاة التقريب وخصوم العرب والمسلمين على نحو يدعو الى تساهل المسلمين عن القيم الأساسية لفكرهم فى سبيل اتاحة الحرية للحضارة وبين ذلك قولهم : الشرط الأول للحضارة وهو التسامح للأراء المخالفة وحرية الرأى ، ويذهب البعض الى القول بأن السياسة والاجتماع والدين لن ترتقى حتى تشملها الحرية شمولاً تاماً كما شملت العلوم المادية ، والمقصود من ذلك أن يتجاوز الفكر الإسلامى عن قيمه الكيزى أو مفاهيمه للقيم الإنسانية العمامة ليفسح المجال للقيم الغربية فى السياسة والاجتماع والدين وهى مخالفة للفكر الإسلامى مخالفة جوهرية وتامة .

ان الفكر الاسلامى كان دائما متفتحا على الفكر الانسانى وعلى مختلف المذاهب والآراء والفلسفات والأديان ولكنه كان حريصا على أن تبقى جذوره وقيمه الأساسية القائمة على التوحيد ، ولم يمنع عن تقبل أشياء كثيرة من هذه المذاهب ما التمس فيها قوة ايجابية وتقدما ، ولكنه لم يقبلها على علاتها ، بل صهرها فى بوتقته وإذا بها فى كيانها وأسائها أصلا بحيث أصبحت عاملا مجددا له ، دون أن تخرجه من ذاتيته وطوابعه ومزاجه الأصل .

ومن هنا فإن مثل هذه الدعوى الى التسامح ، على هذا النحو لاغراق الفكر الاسلامى والثقافة العربية فى اتون التيارات والمذاهب الغربية التى تمر الآن فى مرحلة الانهيار ، وحيث تسيطر أممها وحضارتها على العالم وتحاول أن تفرضها بقوة هذا النفوذ ، وحيث ان الفكر الاسلامى والثقافة العربية لاتزال بعد لم تصل الى مرحلة الموازنة القائمة . كان من حق كل ثقافة أصيلة أن تحتفظ بمقوماتها وأن لا تمكن أى ثقافة أخرى من أن تجتاحها أو تقهرها أو تحتويها .

فمفهوم التسامح والتساهل اليوم فى هذا المجال ، مفهوم جدير بالنظر والاعتبار والتوقى . والغربيون فى صدر حضارتهم لم يتقبلوا الفكر الاسلامى كاملا بل أخذوا منه ما جدد فكرهم ولكنهم لم يقبلوا التسامح معه الى الحد الذى يغير ذاتيتهم .

(التطور (التطور والثبات)

التطور قانون طبيعى يعترف به الفكر الاسلامى على نحو ما يعترف به الفكر البشرى كله ، وهو يقوم على أساس واحد هو أنه لا يعنى التغير الكامل ، فالفكر الاسلامى يؤمن بثبات الأصول العامة والتواعد العليا وتطور الجزئيات والتفاصيل والفروع ، وفكرة التطور لا تتعارض مع الفكر الاسلامى الا اذا استهدفت القضاء على الجذور والقومات الأساسية ، أما فيما عدا ذلك فهى طابع من طوابعه : يتمثل فى المرونة والقدرة على الحركة والتجاوب مع ظروف البيئات والعصور ، والقدرة على امتصاص عسارات الثقافات والتفتح على الحضارات دون الانفصال عن جذورها

أو فقط ان ذاتيتها ، ومفهوم الفكر الاسلامى هذا عن التطور اقرب ولوثق
اتصال العلم من المفهوم الغربى الذى اوجدته الفلسفة وفرضت به
— انبعاثا من المادية الخالصة عن عدم وجود شىء ثابت مطلقا .

ومفهوم الفكر الاسلامى فى التطور والثبات هو مفهوم العلم فى
شأن الكون والوجود نفسه ، الثابت الأصول والطوابع المتطور
الجذور والفروع .

ومفهوم التطور فى الفكر الاسلامى يستمد وجوده من قانون الاعتدال
والتوازن فكل تجاوز لحدود الصورة أو الغاية ينقلب بحكم هذا
القانون الى نقص أو اضطراب أو اختلال — وهنا أجماع بين الباحثين
على أن التطور ليس قانونا أخلاقيا وليس كل طور أفضل من الذى سبقه ،
بل أن التطور قانون اجتماعى واقعى لا يقتضى مطلقا تفضيل الطور الأخير
على الأطوار السابقة ، ذلك أن فكرة التطور الاجتماعى أخذت من
فكرة التطور الحيوى (البيولوجى) والتطور فى الحياة يكون تحسنا
وارتقاء وقد تكون ضعفا وانقراضا .

وهنا يبدو الفارق بين التطور والتطوير . فالتطور يشمل أى تغير
يحدث فى أوضاع الجماعة سواء فى اتجاه تصاعدى أو فى اتجاه عكسى
تنازلى . ثم هو فوق ذلك يبنى على أن دوافع هذا التغير وعوامله إنما
يكون منشؤها ذات الشىء ومردّها الى مافيه من طاقات طبيعية .

أما التطوير فهو على عكس ذلك . يختص أولا بالتغير التصاعدى
الذى يهدف دائما الى طلب الكمال والحياة الأفضل ويتأثر بدوافع
خارجة عن طبيعته والقوة الخارجية هى القيادات الإصلاحية والدعوات
التقدمية (١) .

وهو يعنى المواعمة بين مقتضيات الفكر الاسلامى بما يتضمن من
فلسفات وتشريعات ، وبين ما جد فى المجتمع تحت الجاه من عوامل التطوير
الضرورى فى مختلف نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن

(١) راجع بحث الدكتور محمد بيصار عن (المعتقد والأخلاق) .

هنا فإن التطور لا يمكن أن يكون قانونا تقديما : أى أن كل طور أفضل من الطور الذى سبقه . ورجال النظرية يقولون أن التطور يبدو كحركة دائرة ، الى أمام والى أعلى ، وتطور من البسيط الى المركب ومن الأسفل الى الأعلى ومن الكمية الى النوعية .

غير أن التطور هو القانون الذى تتمثل فيه الجهود الانسانية وتبدو فيه أعمال المكلفين الاختيارية والارادية التى هى مناط الحكم عليها بالخير والشر والصواب ثم بمبلغ ملامعتها أو عدم ملامعتها لصالح المجتمع ورقى الانسانية .

ولمسا كائن مفهوم التطور قد ارتبط أساسا بالمفهوم المادى الذى استخلصه الفلاسفة من نظرية دارون فقد قام على مفهوم انكار وجود الخالق ، ويرى أن نشأة الكائنات الحية هى نشأة طبيعية أو من ذاتها . ولكن الفكر الإسلامى يرى اثبات الخلق لله لا للطبيعة ووقوع البعث فى الآخرة ، مع الايمان الكامل بالغيب ، ولذلك فإن التطور الذى التمسته المذاهب الفلسفية المادية بمعنى اطلاق الحريات الاجتماعية والفكرية على النحو الذى يصل الى الاتحاد والاباحة ليس من مفهوم الفكر الإسلامى ولا هو مقبل فيه . وإن ذلك النحو من الفهم إنما قام فى أوروبا فى ظروف محلية خاصة ، وليس له قيمة حقيقية فى مجال القيم الانسانية وقد وردت حكمة التطور بمفهومها الإسلامى فى الطبقات السكبرى للسبكى وفى مقدمة ابن خلدون وفى كتاب البدر الطالع للشوكانى . قال السبكى ومن كرامات هذه الأمة التطور بأطوار مختلفة وهذا الذى يسميه الصوفية بعالم المثال ويثبتون عالما متوسطا بين عالم الأجسام والأرواح ، وأشار ابن خلدون الى أن اهل الدول أبدا يقلدون فى طور الحضارة الدول السابقة قبلهم . الخ .

ولقد دارت مناقشات متعددة حول التطور والثبات ، بافتراض أن هناك تناقضا حتميا بينهما ، والواقع أن الثبات يبدو نظريا نقيض التطور والحركة ولكن اذا أنعمنا النظر من الناحية العلمية والواقعية وجدنا أن للتطور والحركة ضوابط ، هذه الضوابط بطبيعتها ثابتة باعتبار الثبوتات والدوافع الأساسية للحركة والتطور ، فالقطار والسيارة والطائرة والصاروخ كلها أجسام متحركة ولكنها فى نفس الوقت محكمة الصنع

بضوابط ثابتة ، تنظم حركتها وتيسر اندفاعها باستمرار ، ولولا هذه الضوابط الثابتة لكانت الحركة عشوائية أقرب الى الفوضى ولما تولدت الحركة قط ، فالقطار يخرج عن مساره اذا أهملت صيانتة ، واختلت ضوابطه ، وفقد أحكام صنعه ، والصاروخ يتفجر فى قاعدته اذا اختلت تلك الضوابط .

كذلك المجتمع الانسانى مجتمع دائب الحركة والتطور ولكن هناك ضوابط أساسية تنظم حركته ، هذه الضوابط هى القيم الدينية والخلقية ومن هنا لا يجوز أن نقول أن هذه القيم ثابتة ومن ثم فهى تتناقض مع الحركة ، والواقع أنها ضوابط للحركة ، وليست بالقيود المعوقة لها ، أما هؤلاء الذين يحاولون تصويرها كذلك استنادا الى نظرية المتناقضات فهم لا يتعمقون الحقائق .

التعقيل

عبارة وردت على لسان بعض المفكرين فى معارضة الحماسة والعاطفة . والتعقيل هو العمل الذى يحتكم الى العقل ويستند الى شواهد الحس والتجربة .

والمعروف أن (مصطفى كامل) داعية الوطنية المصرية الكبير كان مصدرا من مصادر الوعي واليقظة ظهر بعد أن أصاب المصريين الجمود واليأس على أثر الاحتلال البريطانى . ومن هنا فقد كانت صيحته عاملا هاما فى ايقاظ الوعي وتحريك المشاعر ودفع النفوس الى التطلع العاطفى والروحى بالحرية والوطنية ، ومن هنا كانت حركته مطبوعة بطابع الحماسة والوجدان والعاطفة ولم يكن فى الامكان أن تبدأ حركة بعث الأمة بعد يأس الا عن طريق تلك الشعارات المثيرة التى تهز النفس من أمثال قوله « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ونفسى أنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » .

هذه الدعوة التى حمل لواثها مصطفى كامل بعد عشر سنوات من وقوع الاحتلال البريطانى كانت مبعث ثقة وبقظة عارمة بين طبقات

الشعب المتطلع إلى الحرية ، وقد ظل مصطفى كامل يشدو بمثل هذه الأنغام منذ ١٨٩٣ تقريباً إلى أن توفي ١٩٠٨ وفى عام ١٩٠٧ ظهرت الجريدة ونشأ حزب الأمة وطلع لطفى السيد بتلك الصيحة الداعية إلى « التعجيل » والمهاجمة للحماسة والعاطفة ، انطلاقاً من مفهوم التفاهم والمصالحة والالتقاء على منتصف الطريق ، على النحو الذى كان يطمح كرومر فى تحقيقه ، بإيجاد طبقة تحمل لواء الحكم فى مصر وتوالى النفوذ الأجنبى ولا تعاديه وتتقبل أوضاعه وتجربى مع الأمور مجرى الإصلاح على مراحل ، دون أن يشوبها هذا الطابع من الوطنية الجارفة التى اتسم بها مصطفى كامل وصحف وكتابات الحزب الوطنى ، والذى كان يتطلع إلى المطالبة بالجلء والحرية كاملة .

ومن حق أن يقال أن طابع الحزب الوطنى لم يكن طابعاً عملياً ولكنه كان ضرورة وطنية لابد أن تستهل بها الحركة الوطنية بعد الاحتلال الأجنبى .

غير أن التعجيل الذى دعا إليه لطفى السيد لم يكن قابضاً على هذا المفهوم وحده ولكنه كان مخططاً كاملاً معارضاً تمام المعارضة لاتجاهات الحزب الوطنى السياسية والاجتماعية التى كانت تنقسم بالإيمان ، بالوطن وحرارة الدفاع عنه .

التفريب

التفريب فى أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تجف فى أنفسهم موازين القيم الإسلامية : ويستهدف تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامى ومبادئ الإسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله وانتقاص الدور الذى لعبه فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع توهين القيم الإسلامية والغض من مقدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية .

ومن مخططات التغريب الحيلولة دون قيام (وحدة الفكر) التى
هى مصدر وحدة الأمة وبليلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب
والدعوات ، ومجميد الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة ، بما
يحول دون قيام الوحدة .

وحركة التغريب (Westernism) دعوة كاملة لها نظمها واهدافها
ودعائها ، وتخدمها مؤسسات مختلفة أهمها التبشير والاستشراق .

ويقول اصحاب هذه الدعوة أن للمسلمين والعرب قيميا ومثلا وذاتية
خاصة تحول بينهم وبين الاندماج فى الأمم الأخرى وتخلق فيهم قدرة قوية
على مقاومة النفوذ الأجنبى والغاصب ، ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة
الا بصهر هؤلاء فى بوتقة الفكر الغربى وإخراجهم من قيمهم لينصهروا
فى قيم الغرب هناك لا يجدون فى أنفسهم مشاعر الخصومة معه ، بل
يجدون طابعا من التقبل والانصواء تحت الوية النفوذ الغربى وفكره
والرضى به .

ومن هنا يجرى العمل على اخراج الفكر الاسلامى والثقافة العربية
من قيمها وجذورها ومفاهيمها بمحاولة فرض قيم مقبينة لا تلتقى مع الذوق
والنفس والطابع والمزاج العربى الاسلامى ويجرى تحقيق ذلك عن طريق
ايجاد النخبة والقادة الذين يتعلمون فى مدارس التبشير ومعاهد
الارساليات .

التقدم

مفهوم التقدم فى الاسلام أنه يدفع الانسان دائما الى الامام ، والتقدم
فى الاسلام هو تأكيد القيم الانسانية المطلقة ، وهو تقدم كامل شامل ،
يعنى التقدم المادى والروحى معا ، وهو تقدم سياسى واقتصادى ومعنوى ،
وفى مجال التقدم المادى يتحتم أن يكون هذا التقدم مشروطا بالقيم
الاساسية الاخلاقية بغير اذلال للخلق ، وذلك انطلاقا من مفهوم الاسلام
بأن الحوافز الروحية تعطى المادى مثلا أعلى .

وقد علت أصوات غادرة تدعو المسلمين والعرب الى أن الدين معوق
عن التقدم ، مانع من النهضة وأن عليهم أن ينفصلوا عنه حتى يتقدموا .

هذه الأصوات ليست خالصة في دعوتها وليست صادقة فيما رتبت من نتائج . ذلك أن الاستعمار إنما كان يريد بذلك أن يخرج المسلمين والعرب من دينهم ليكونوا أسلح قياذا ولينصهروا في بوتقة العالمية فتضيع شخصيتهم وطوابعهم .

وهي ليست صادقة لأنه إذا كانت أوربا قد فعلت ذلك ، ونجحت بالانفصال عن دينها ، فإن المسلمين يفشلون دائما إذا تحقق لهم هذا الانفصال . ذلك أن أوربا كانت بطبيعتها لا دينية وكانت المسيحية دخيلة عليها ولذلك سرعان ما لفظتها أو حرقتها ، أما الشرق الإسلامي العربي وهذا العالم الوسط بين الشرق والغرب قد تشكل والدين جزء من ذاته وتكوينه ، فهو عنصر أساسي يعجز لا سبيل إلى التخلص منه إلا إذا أعيد تشكيل الأمة من جديد ولأمر ما نزلت الأديان الثلاثة الكبرى في هذه المنطقة .

ولذلك فإن محاولة اخراج المسلمين والعرب من الدين بعبارة أو الإسلام بخاصة إنما هي تجربة مسحولة ، ذلك لأنها مضادة لاتجاه التاريخ بخالفة لروح التقدم متعارضة مع مزاج المسلمين وذوقهم والإسلام لم يحل مطلقا خلال تاريخه دون التقدم وليس الإسلام الذي وقف أو يقف أمام التطور أو النهضة والحضارة ، لأنه كان بطبيعته مصدرا للبحث العلمي ومنشئا للمذهب العلمي التجريبي الحديث . وإن الحضارة التي اتهمها كانت نتاج إيمان المسلمين به وتحقيقهم لدعوته الدالة إلى النظر في الأفاق واستطلاع أسباب القوة والعبارة في الأرض .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن الإسلام قادر على القصور والحركة في مجال التقدم ولكن ليس إلى الحد الذي يراه من تبرير القيم القبرية ، فإن ذلك يفتح الباب لذوبان المسلمين وتلاشي شخصيتهم .

والواضح أن مفهوم التقدم في الفكر الإسلامي مختلف عن مفهومه في الفكر الغربي ، وتاريخ الإسلام وحضارته وفهضته يستطيع أن يرسم هذا المفهوم في وضوح ويقرر حقيقة دور الإسلام والفكر الإسلامي في التقدم الإنساني وفي هذا يقول العلامة الفرنسي معتبر :

« ان تقدم العلوم فى الغرب فى وقتنا هذا حصل رغما عن الدين ، أما دين الاسلام فالتعكس من ذلك . اى لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة الا بانتشار العلوم ، فان بين الاسلام والعلوم رابطة كلية . والغربى اذا صار عالما ترك دينه أما المسلم فانه لا يترك دينه الا اذا صار جاهلا وبأى وجه يمكن نسبة التقدم الحالى الى الدين النصرانى والحال أنه ماجاء الا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره وبأى وجه يمكن نسبة تأخر المسلمين الحالى الى دينهم وفى عام ٧٤٢ م أى بعد مائة واحد عشر سنة من وفاة (محمد) كانت دولة الاسلام اكبر من دولة الاسكندر المقدونى وفى عام ١٥٠٦ عند وفاة السلطان سليم كانت أكبر من مملكة الرومانيين » وبذلك يتضح أن عظمة الاسلام مكثت ألف سنة وكل منا يعرف أنه لا يمكن الوصول الى مثل هذه الدرجة من الأمور السياسية والحربية الا بالعلوم والتجديد . »

وقد أشار الى مفهوم التقدم وارتباطه بالاسلام العلامة جوستاف لوبون حين قال للشبان المسلمين الذين زاروه فى بيته بباريس فى أوائل هذا القرن : ان السبب فى انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبعه بالعقائد الباطلة وأن قوة الدين قوة أدبية كما أن الشعب الذى يريد الرقى يجب الا يقطع الصلة التى تربطه بماضيه ، وقال ان العلوم لا تفيد المسلمين الا اذا اقترنت بدينهم .

التكامل

هذا مصطلح اسلامى اساسا يكشف عن فوارق عميقة بين الفكر الاسلامى العربى والفكر الغربى . فالفكر الاسلامى يؤمن بتكامل وحداته وعناصره المختلفة والتقاءها على الهدف الأساسى للفكر وهو بناء شخصية الفرد وبناء المجتمع .

وأبرز مميزات التكامل فى الفكر الاسلامى هو التوازن والموازنة والتنسيق بين تيارات الوحدات المختلفة واتجاهاتها ، بحيث يحميها من التعارض أو التضارب أو التخلف ويحول بينها وبين خلق جو من الصراع ، بحيث تلتنى مروع الاجتماع والسياسة والاقتصاد والزراعة والقانون على

مفهوم متكامل أساسه بناء الفرد والجماعة ودفعها الى التقدم والبناء والنمو وأداء الرسالة الانسانية الأساسية التى يقوم الفكر الانسانى من أجل بنائها وحمايتها ودفعها الى الأمام ، عندما يتم هذا اللقاء يمكن لهذه الرسالة أن تحقق غايتها ، وهذا لا يتم الا بوجود جو من التكامل بين هذه الفروع المختلفة من الفكر تستهدف غاية موحدة وتقوم على أساس فهم واحد مستمد من القرآن والاسلام .

أما الفكر الغربى فقد قام أساسا على غير ذلك ، بل على عكس ذلك ، قام على أساس الانفصال والتخصص والتباعد بين كل من الأعمال العاملين فى مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون ، أو أنه حين دفع هذه الفروع الى العمل لم يخلق بينها ذلك الرباط الأساسى والحمى الذى يربط أجزاء الفكر الإسلامى وهو الأخلاق ، والارتباط بالتوحيد والإيمان برسالة السماء التى يمثلها الاسلام ويرسم القرآن منهجها وطريقها ، بحيث يظل الفكر الإسلامى يستمد منها ويسير فى فلكها ويستهدف الغاية من عمله تحقيق منهج ربانى فى مجال الفكر والحضارة . ان الفكر الغربى ليس مرتبطا فى حركته بمسئولية عقائدية أو أخلاقية تنتظم وحداته كما التزم بذلك الفكر الإسلامى استمدادا من الاسلام ولذلك فقد حاول دعاة التغريب التأثير فى طابع التكامل الذى يتسم به الفكر الإسلامى بمحاولة تجزئة هذه الفروع . ومن ذلك اعطاء الادب مثلا حرية خاصة تخرج به عن هدف بناء المجتمع ، أو الفصل بين الدين والمجتمع فى مجال الحضارة ، أو تفريغ السياسة من القيم الأخلاقية ، أو بناء الاقتصاد على الأساس المادى الخالص بينما هو فى الاسلام لا يقوم الا على أساس التكامل بين المادة والروح ، والدنيا والآخرة .

ومحاولة التجزئة هذه لها أبعاد خطيرة حين يحاول الفكر الإسلامى الأخذ بها فأنها تصرفه عن منهجه الأصيل وتخرجه عن مساره الحقيقى المهدى بأهداف الاسلام ومنهج القرآن .

ولذلك فإن الدعوة الى التكامل ولقت النظر إليها إنما هى من الأسس التى لا شك فيها لتحرير الفكر الإسلامى والثقافة العربية من التبعية والغزو والتغريب ووضعها على الطريق الصحيح .

التورائية

ليس هناك رأي واحد في كتابات من كهوا من التوراة من الباحثين والعلماء الغربيين يحزم بأن التوراة المتداولة اليوم هي كتاب سماوي، وأحدث ماكتب في هذا الصدد عدد خاص من مجلة لايف باسم الكتاب المقدس صدر في أبريل ١٩٦٥ ومن قبل ذلك صدر العديد من الدراسات والأبحاث في الشرق والغرب تشير إلى أن التوراة لم تعد كتاب علم وتشريع بعد أن وكل الغربيون أمر العلم وسن الشرائع للإنسان — على حد تعبير الدكتور أنيس فريجه ، الذي يرى أن ذلك قد حرر الإنسان — الأوربي من تقديس الحرف — ف شعر أنه حر طليق من كل قيد ينظر في الكون بعقله ويحس الجمال في روحه . ويرى الدكتور فريجه في بحثه باسم « نقد التوراة » أن هذا النقد هو ظاهرة عامة في هذا العصر ، من أجل إعادة النظر في الدين والتوكيد على الإنسان وعظمته والتقليل من أهمية الحرف وهي عوامل أساسية في الفكر الغربي المعاصر ، حيث الإنسان سيد نفسه له أن يفهم الكون بعقله . ويرى هذا الباحث نقلا عن عدد كبير من الباحثين أن نقد نصوص الكتاب المقدس أصبح اليوم ضرورة من أجل معرفة كتابها وأزمته وضع مختلف أقسامها ، وقد أدى هذا النقد إلى اكتشاف فوارق في الأسلوب وتناقض في الروايات عن الحادث الواحد وتباين في الإواصر التي يفترض أنها من مصدر واحد ، ويعقب على ذلك بقوله « مما جعل القول بأن كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هي وحي إلهي جرئاً أمراً بالغ الصعوبة » ، ويقول : لقد كان الناس يعتقدون جيلاً بعد جيل أن المكتب الخمسة الأولى من التوراة (تكوين ، خروج ، لاويين ، عدد ، تثنية) كتبها كلها النبي موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد في التوراة ذاتها ، وأنه حين طبقت مقاييس البحث العلمي التي اشتغلت في دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر خلاف ذلك (مجلة المعرفة (٤٥) ١٩٦٥) .

و « التوراة » كلمة عبرية الأصل معناها توجيه وتعليم ، ثم شرع مؤلفاها ، وبعد إطلاق لفظ التوراة على الأمثال الخمسة المعروفة بأسفار موسى بحسبان موسى هو صاحبها ، وغاية الفحور أبيض فريجة في

هذا الصدد هي (تيوهيا ابن مويى مؤلفها) أما في العربية فإن لفظ « تورا » يطلق موسعا على الكتاب المقدس بجملة : أي بعهديه القديم والجديد (٦٦ كتابا) .

ويقول الدكتور فريجة : لا يعلم بالضبط متى كتبت التورا « ليس لدينا أدلة تاريخية سوى تلك التي جاءت نتيجة التحليل اللغوي والتاريخي للنصوص ذاتها » والنص العربي الذي ضبطت أحكامه بين القرن ٦ ، ٨ الميلادي فقد حدث في هذه الفترة شبه تسابق الي ضبط حرف السريانية والعبرية ، وذلك بسبب ظهور الاسلام وحرصه الهجيب على الحفاظ على اللغة التي نزل بها الوحي . ويقول الدكتور فريجة أيضا : ان ترتيب الكتاب الذي استقر عليه يعود الى زمن أبعد من الزمن الذي ضبط فيه النص (والمجمع عليه هو بدء القرن الثلثي للميلاد ، ويرجع زمن تأليفها — أي التورا — الى ما قبل المسيح ، وقد اعترف بقدميتها في القرن الخامس قبل المسيح) (٤٤٤ ق.م) . وكتب الأنبياء (٥٥٠ — ٢٠٠ ق.م) والكتاب المقدسة بين (١٥٠ ق الى ١٠٠ م.م) ولا يعرفه لسماء المؤلفين ولا زمن التأليف بالضبط . وهناك إجماع على أن أقدم كتاب قد ظهر في يهوذا في القسم الجنوبي من فلسطين في القرن (١٠ ، ٩ ق.م) وحاول أن يكتب قصة الخليقة ويتميز أسلوب هذا الكتاب بدقة الوصف والحرارة الحقيقية التي تشيع في كتاباته وجاء بعده كاتب ديتي آخر دون تاريخ شعبه (شمالي) فلسطين وجاء كتاب آخرون متعددون .

ويقول الباحثون أن المبروع في دراسة التورا دراسة نقدية لم يبدأ إلا بعد القرن السابع عشر حيث جرى تطبيق قواعد النقد الأدبي على التورا وأن ذلك جاء بنتيجة مباشرة للثورة الانجيلية ضد الكنيسة البابوية « بهدف التخلص من طريقة التقليد الكنسي لوعدهم أن تقدم للعلوم مبادئ على نقد التورا حيث للثورة العقلية للواقع بين ما أثبتته العلم وما جاء في التورا شكاً وقلقا روحيا وأبرز هذه التناقضات في التورا قتالت أن الأرض ثابتة . وعندهما اتجهت أفكار الغربيين الى الأدب الاغريقي والروماني أحدث ذلك رد فعل ضد الكتاب المقدس وظهرت الدعوة الي أن الفكر الشرقي لا يتلاءم مع روح أوروبا ، وقد أشار الدكتور

أنيس فريجه الى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف ، وقال ان هناك أغلاطا منشؤها السهو والكسل والملل ، أو ضعف النظر ، وإذا كان الناسخ غير أمين في عمله عندما يعرض كلمة لا يستطيع قراءتها فانه يعبد الى تغيير الكلمة أو تحوير النص بكامله ليستقيم المعنى فضلا عن أن كثيرا من هوامش المعلقين والشرائح كانت تحشر في المتن ولم ينج نص التوراة من كل هذه الآفات ، فجاء نصها مشوها قلقا غامضا في كثير من الأسفار » وقد جرت الدراسات الى نقد التوراة وهل هي شعر أم نثر أم تاريخ أم دين . وجرى البحث حول شخصية المؤلفين وهل هي شخصيات تاريخية أم أسماء وهمية .

واعتبرت التوراة « أدبا » في نظر الباحثين أو قسما كبيرا منها اعتبر من الفنون الأدبية. ويرى بعض النقاد انها دراما بطلها « يهوه » يبدأ الفصل الأول بقصة الخليقة ، وظهور الانسان الأول فيقع في الخطيئة ويطرد من الفردوس . ويرى قسم آخر انها اقرب الى الملحمة « ملحمة الخلاص » ويقول الدكتور فريجه ان من نتائج هذه الدراسات النقدية للتوراة ان اخذ الانسان في اعادة النظر في نشأة الدين .

وقد جاء في دراسات الكتاب المقدس في مجلة لايف أن التوراة اوسع الكتب انتشارا ومن اكبرها أثرا في تاريخ البشر ، ولكنها مع ذلك كتاب كتبه الانسان وأن مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل : (بسياه ، ايزيكييل ، جرمياه ، القديس بول) . ولكن اغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لايعرف أحد من هم ولا يمكن معرفتهم في يوم من الأيام ، فقد ظل الوحي الالهي الى الانسان ينتقل من الأب الى الابن الف سنة تقريبا بعد ابراهيم من غير أن يكتب . وبعد ذلك فقط بدأ اليهود في تدوينه ، وكان ذلك قبل الف سنة تقريبا من ميلاد المسيح فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة وأضافوا اليها قصص وقصائد أخرى جديدة .

وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائهم عدة مرات وأن ينقل وينسخ ، مما أوجد فرسا عديدة لا تحصى لتغييرات كثيرة لا حد لها ، بعضها مقصود والبعض الآخر غير مقصود ، ولما بدأت المسيحية تنتشر

بسرعة ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة لاسيما العهد الجديد ،
واخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لأنفسهم بأنفسهم أو كان أحدهم يقرأ
بصوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر
ناسخ ، وهذا ما مهد الطريق لأخطاء أكثر وأكثر ، لذلك فإنه لا يوجد
اليوم أى نص (أصلى) لآى جزء من الكتاب وربما حوى العهد الجديد
تغييرات أكثر وأبلغ من العهد القديم (١) .

وقد أشارت هذه الأبحاث الى أن الكتاب المقدس كتب أول ماكتب
باللغة العبرية القديمة واللغة الكينية أى الإغريقية الا انه عاش
أكثر ما عاش فى الترجمة : وقالت الأبحاث أن كل الترجمات ناقصة
قاصرة ، وكانت طريق المترجمين محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز
القديس جيروم نفسه عن ارضاء الكنائس المعاصرة ، والتمشى مع
ذوقها وميولها » .

وبعد فإن هذه الدراسات (الأوربية وما قيل فيها يفوق ما أوردناه)
إنما تمثل موقف الفكر الغربى نقداً واثارة للشبهات حول صحة التوراة
الموجودة الآن وصلتها بالتوراة المنزلة من عند الله ، وهذا كله معروض
للقول فى مواجهة الحملات الاستعمارية والتبشيرية والتفريعية الخطيرة
ومحاولاتها فى اذاعة التوراة وتوزيعها فى العالم كله من حيث أنها وثيقة
تاريخية ودينية ، ويؤخذ من احصاء جمعية التوراة فى نيويورك أن
الكتاب المقدس نقل الى ٤١٢ لغة غير اللغات الأوربية : (عام ١٩١٨)
ويقدر عدد النسخ التى وزعت من التوراة فى العالم وفى جميع اللغات
التي ترجمت اليها بأكثر من ٣٠ مليون نسخة . وقد عهد كثير من الكتاب
وخاصة الادباء المهجرين وفى مقدمتهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة
الى نقل أسلوب التوراة الى الأدب العربى . وقد وصف ميخائيل نعيمة
بأنه ربيب التكوين الذى تغذى بالعهد القديم من آيات شعرية نافذة العبير
السحرى مثل المزامير وشعر الجامعة وسفر أيوب ونشيد الانشاد حيث
لا يخلو مقال من مقالات نعيمة من تعبير شعر دينى أو من آية أو بضع آيات

(١) عن بحث الدكتور امير رضا - الوعى الاسلامى - مايو ١٩٦٦ .

برمتها ويطلق على هذا النهج : الأسلوب التوراتى ، وهو أسلوب عرف منذ راجع ابراهيم اليازجى ترجمة الأناجيل التى قلم بها الأمريكيون فى أوائل القرن . وقد رغب اليازجى أن يتصرف فى بعض كلمات الترجمة ويتخير الفاظها ويزيل عجمتها ويخلصها من فساد التركيبا وسوء التأليف فحيل بينه وبين ذلك ومنع منه ، وبذلك نشأت لغة توراتية عامية ركيكة التركيب ، وقد حاولت هذه اللغة غزو اللغة العربية الفصحى بمحاولات جبران ونعيمية ولكنها تراجعت بعد فترة من الزمن عاجزة عن تحقيق أى تحول فى الأسلوب العربى التوراتى المصدر .

وكان المستشرق كامبفيلر قد أشار فى ترجمته لجبران الى أن تأثير الترجمة العربية للتوراة ظاهر فى أسلوبه وخاصة فيما يتعلق بالرموز والاستعارات والمجازات .

ومن الحق أن يذكر أن (التوراة) كانت مستوحى لكتاب فى الغرب أمثال فكتور هيجو ولامرتين وجوتيه وتوماس مور والفردى دى فننى وملتون .

أما فى اللغة العربية فإن الدكتور أنيس فريجة يشهد بأنه ليس لها أثر كبير فى الأدب العربى فتمت عدا محاولات جبران ونعيمية التى أخفقت ، فليس هناك غير محاولات ساذجة من بعض الشعراء الذين يكتبون قصيدة الفتر يستعملون فيها عبارات الخلاص والخطيئة وغيرها وهى كلمات ليست أصيلة فى الفكر العربى وفى نفس الوقت يمكن القول بأن القرآن الكريم والحديث النبوى هما كائنا ولا يزالان المصدرين الهامين من مصادر الأسلوب الأدبى والإداء الفكرى والموضوعى ، وفى مجال الدراسات العلمية والاجتماعية والجيولوجية والاقتصادية وليس فى مجال القصة أو التاريخ وحدهما .

وفضلاً عن ذلك فقد ظل القرآن بعيداً عن كل اتهام بالخلط والاضطراب أو الشك حول نصه أو مضمونه فضلاً عن أنه لم تثبت قط أى معارضة فى نصوصه لأى نظريات علمية حديثة أو اختلاف مع المنهج العلمى الحديث من ناحية مصدره أو مضمونه أو النصوص الواردة فيه .

وقد حاول الدكتور طه حسين أن يقف منه موقف كتاب الشراب من

التوراة بنقد النص الأدبي أو التاريخي ولكنه فشل فشلاً ذريعاً وتحطمت محاولته ومحاولة تابعيه أمام وثاقة النص القرآني وسلامته ، وعجزت الشبهات التي جمعها الدكتور طه حسين من البشريين والمستشرقين عن أن تقدم شيئاً له أهميته أو من شأنه أن يثبت أمام التحقيق العلمي أو العقلي .

التوحيد

يتسم الإسلام بسمة واحدة كبرى أصلية تمثل محور عقيدته وشريعته ونظامه الاجتماعي كله تلك هي « التوحيد » وعليها تقوم القواعد الأخلاقية والفكرية والعقائدية والوجدانية جميعها « هو الله الذي لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » والتوحيد هو مفهوم للقطرة السليمة التي تتمثل في أنه لا معبود ولا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله سبحانه وتعالى .

والتوحيد في مفهومه الأصلي هو أن يقتضى الإنسان رباً في كل أعماله ولا يرى سوى الله وهذه سيدها وهديها ، فليس غيره من يخشى أو إليه يلتجئ أو يستند ، فلذا عرف الإنسان مفهوم التوحيد وحرمة كهلته بنفسه ذلك إلى الصدق والخير والشجاعة فلا يرى غير الله ولا يخشى سواه . ومن هذا المفهوم نفسه يقوم كيان الفكر الإسلامى كله في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد وقعت البشرية في أخطاء الوثنية والتعدد والشرك والإنكار الكلي وتاليه البشر وغيرهم نتيجة لقصور في الإدراك وخطأ في التصور . وقد وصل بها ذلك إلى مراحل عديدة من الاضطراب والفتنة والبعد عن مناهج العدل والحق .

ذلك أن مفهوم التوحيد في الإسلام إنما يرسم دائرة كاملة للمجتمع والفكر الإنسانى كله قوامها سياسة الإنسان للكون تحت حكم الله والتقوى القيم الروحية بالقيمة المادية ، وإرهاط القلب بالعمل ، والفكر بالآخرى ،

ومن هنا فان جوهر الأديان فى مفهوم الاسلام واحد لا يتغير وانما نشأت الانحرافات بمرور الزمن ، والدين واحد على لسان جميع الأنبياء والرسل « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقوام التوحيد اعلاء الله سبحانه عن الشريك والشبيه وشجب عبادة الأصنام والاتجاه الى الاعتقاد بوجود الله عن طريق التأمل والبصيرة والعقل والدليل والايمان بقوة عليا مسيطرة .

والتوحيد غير الثنوية وغير التثليث مما تقول به بعض المذاهب الأخرى .

والتثليث ليس خاصا بدين معين فان بعض الأديان القديمة غير المنزلة فيها تثليث خاص بها . وهناك الثالوث الفرعونى والافريقى والهندي .

اما فى الاسلام فان الله منزّه عن المشابهة والمساكلة وأنه لا يجوز عليه اتحاد وتركيب بل لا يجوز أن نتناول التكلم فى ذاته المقدسة بعقولنا القاصرة « ليس كمثله شيء » « ولا يحيطون به علما » ولا شك أن الأديان كلها قامت على التوحيد « ولكن بعد وفاة الرسل ادخلت الأمم الى تعاليمهم جميع أهوائها الموروثة لها من الوثنية الأولى من التشبيه والتجسيد والتعدد فى ذات الخالق ، أما الأديان فى مبادئها فكانت بريئة من ذلك كله وكان أتباعها الأولون على غير ما عليه أشياعها الآخرون » (محمد فريد وجدي: كنز العلوم واللغة) .

ويقول الدكتور حسن صعب ان قاعدة الاسلام الأزلية هى الاعتقاد بوجود الله الذى لا يتغير بتغير الزمان والمكان .

وحقيقة كونه واحداً هى حقيقة لا يأتيها البساطل من قريب ولا من بعيد وكل الدعوات الباطلة تتحدى هذه الحقيقة بالانكار والمبالاة وتتحداها بالنفى والاستهزاء .

وتعطى عقيدة التوحيد للمسلم اعلاء الله سبحانه على كل عظيم ، فلا تعبد الأُمُراد ولا الأبطال ولا الصالحين ولا الأولياء وتقدر الناس بأعمالهم

لا بأحسابهم ولا مكائنتهم المادية ولا أصولهم ولا أنسابهم . والتوحيد هو الذى يقرر المفهوم المطلق الذى يفتح الباب بين الانسان والله سبحانه على مصراعيه بغير واسطة أو وصاية .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » وفى ذلك قول الرسول واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) .

فالله خالق كل شىء واليه يرد كل أمر ولا يقطع قضاء الا باذنه (والله فى العقيدة الاسلامية وجود كامل متصف بالحياة والعلم والقوة والارادة) « ولله المثل الأعلى » وليس كمثله شىء . وهو واجب الوجود — والانسان وفق هذا المفهوم من التوحيد : حر مسئول ، لا يقر بالجبرية ولا يقبل بالقدرية .

الثورة الفرنسية

شفطت الثورة الفرنسية حيذا كبيرا فى الفكر الاسلامى الحديث وعدها كثيرون مصدر النهضة واليقظة فى العالم الاسلامى والامة العربية ورتبوا على وجودها كل مظاهر التقدم الفكرى والاجتماعى . ولم يكن هذا هو الحق بوجه من الوجوه ، فقد بدأت اليقظة فى العالم العربى كحركة طبيعية تلقائية داخلية عرفها التاريخ الاسلامى فى عديد من مراحلها ، حيث تنبعت الحركة من الداخل ولكن اصحاب هذا القول كانوا دائما هم دعاة التفريب وصنائع المستشرقين والمبشرين والعاملين على محاولة صيغ اليقظة العربية الاسلامية الحديثة بطابع غربى بينما تتسم هذه اليقظة بعربية واسلامية المصادر والبواعث والمراحل المختلفة .

والثورة الفرنسية حركة غربية مرتبطة بالمجتمع الأوروبى ولها بواعثها التى من أهمها : محاولة حصول طبقات معينة من المجتمع كانت معزولة عن الحياة على حقها فى الحرية والعمل والمشاركة فى النشاط السياسى وأهم هذه الطبقات هم اليهود والنهم يعزى قيام هذه الثورة .

ويمكن القول بأن الثورة الفرنسية كانت بمثابة رد الفعل الذى واجه الفكر الغربى فى العصر الحديث بعد اتصاله بالفكر الاسلامى فان الحرية

والإخاء والمساواة. وهى شعارات الثورة انما استمدت أساسها من الاسلام وهى حلقة من الحلقات المتصلة بتأثيرات الاسلام فى الفكر الغربى والجميع الأوربى التى بدأت بحركة لوثر وكالفن وقد تمثلت فى أولا : إلغاء الوساطة بين الله والناس ثم تمثلت فى الثورة الفرنسية ثم فى الدعوة الى إلغاء نفوذ الأشراف ورجال الدين ومحو الفوارق بين الطبقات .

وقد أشارت الى هذا المعنى وأكدت أبحاث كثيرة ، مالت الى الاعتقاد بأن الثورة الفرنسية بروحها كانت وليدة للتعاليم الاسلامية والتراث العربى .

فى القرن الثامن عشر كانت الثقافة الاسلامية قد أثرت الى حد كبير فى أذهان مفكرى أوربا وأدبائها والفرنسيين منهم خلاصة . وكانت كلمات عمر بن الخطاب من مثل قوله « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » هى الأصل فى قول رجال الثورة الفرنسية « يولد الناس ويعيشون أحرارا متساوين فى الحقوق » وقد ثبت اطلاع مفكرى فرنسا وفلاسفتها على التراث الإسلامى اطلاعا كبيرا يقطع بهذه الصلة التى لا ريب فيها وهى أنهم تأثروا بها وتفقوا عليه من مفاهيم الاسلام فى الحكم والشورى والعدل والمساواة .

ويتصل بهذا ما ذكره رثيف خورى فى كتابه عن الثورة الفرنسية نقلا عن رفاعة الطهطاوى حيث يقول : وقرأت جزأين من كتاب روح الشرائع لمؤلفه مونتسكيو ويلقب عندهم بابن خلدون الأفرنجى ، فهونتسكيو إذن اطلع اطلاعا مؤكدا على آراء فيلسوفنا الاجتماعى ابن خلدون فما الذى يمنع أن يكون روسو وسواه من مواطنيه قد اطلعوا أيضا على شيء أكثر من التراث الإسلامى ؟

ويقول « أوليس من المعجب أن يستعمل المفكر الفرنسى روسو كلمة جارية ابن سيدانه « عهدا وميثاقا » فى جبين كتابه الذى كان انجيل الثورة الفرنسية كما لقبوه « أوليس المعجب أن تقول جارية للخليفة : (أعطينا عهدا وميثاقا وأعطيناك سيمما وطاعة فإنا وفينا لنا وفينا لك) وان نزعمت الى غير ذلك فإنتبها تركنا وراينا رجالا أشداء والبينة خدادا)

وفى هذه الكلمات المعدودات زبدة المساواة التى ارتكزت عليها الثورة الفرنسية .

ومعنى هذا أن الفرنسى الحديث تتلمذ على المسلم العربى القديم ، ومن غير شك أن اطلاع فلاسفة فرنسا وكتابها على الفكر الإسلامى تسبب خلق فتيهم استعدادا نفسيا كبيرا للثورة — وهذا هو الواقع الذى أنكره كتابنا العرب والمسلمون حين كتبوا عن الثورة الفرنسية وصورها على أنها كانت بعيدة الأثر فى الفكر العربى الإسلامى دون أن يذكروا أنها استمدت وجودها منه أصلا ، ومن الحق أن يقال أن كتابات أدبائنا عن الثورة الفرنسية إنما كانت تحاول أن تصور عظمة فرنسا وتأخر العرب والمسلمين لقلقى ظلا من التبعية والاعجاب بالغرب والولاء الفكرى والسياسى دون أن يعرف هؤلاء أبعاد الهدف الذى اتخمتوا مخدوعين كخالب قط له ، ذلك الهدف هو اعطاء الثورة الفرنسية مسحة قداسة حتى تخفى بواعثها الحقيقية التى كان من ورائها اليهود .

حاشية : الثورتان الفرنسية والروسية (١٧٨٩ — ١٩١٧) يرى بعض المؤرخين أنهما مكملتان بعضهما لبعض الأولى سياسية والثانية اجتماعية ، والثورة الفرنسية أخرجت اليهود من الجبوت وجعلت لهم وضعاً اجتماعياً مساوياً لوضع المسيحيين ، أما الأخرى فقد وضعت النظرية اليهودية الاقتصادية موضع التنفيذ تحت اسم الشيوعية أو الاشتراكية ، وأن اليهود كانوا من وراء الثورتين . جاءت فى فرنسا انتقاماً من النفوذ المسيحى الضخم ، وفى روسيا انتقاماً من سحق دولة اليهود الكبرى فى الخبز ومحاوله احتوائهم . بدأت الثورة فى فرنسا بما هيأت له الأذهان: فولتير وروسو وديدرو وسائر رجال الانسكوبديا فجذعت الثورة وفى الأذهان تربة صالحة لها ، كذلك فإن الثورة الفرنسية وما تلاها من ثورات فى أوروبا قد قضت على وحدة الجامعة المسيحية وأطلت بدلا منها صراع القوميات وكسب اليهود من ذلك السيطرة الاقتصادية والاجتماعية فى كل قطر . وإن حرية وأخاء ومساواة شعار الثورة الفرنسية هما شعار الماسونية التى مهدت للثورة الفرنسية لتحقيق هدف اليهود .

ذلك أن ماحققته الثورة الفرنسية بإعتراف قطب من كتاب فرنسا هو هو جوستاف لوبون « كان سيتحقق طبيعيا دون قيام هذه الثورة » ولكن الهدف من الثورة في تقديرنا إنما كان في أن يصل اليهود الى مقاليد الأدوار السياسية ومكان الصدارة ليس في فرنسا وحدها بل في أوربا جميعا، وإذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية ذات أثر في العالم الاسلامي فان هذه المبادئ أساسا هي بضاعة الاسلام والعرب ولا ضرر من أن ترد اليهم، هذا مع التأكيد الواضح على أن ميثاقا لحقوق الانسان قد وقعه أمراء المالك في مصر للشعب بقيادة علمائه عام ١٧٩٧ حيث لم تكن آثار الثورة الفرنسية قد وصلت الى الشرق وقبل وصول الحملة الفرنسية مما يؤكد أن نقطة الشرق ونهضته إنما كانت مستمدة من أعماقه وأن الاحتكاك الغربي قد وسع الجوانب ولكنه لم يكن المصدر الأول ولا الباعث الأسبق أو الوحيد .

الجرح والتعديل

كان من اعظم ما قصد اليه مفكرو الاسلام في سبيل توثيق «النص» وحمايته من هجوم خصوم الاسلام والغزو الفكري هو انشاء علم الجرح والتعديل أو علم أسماء الرجال وهو ميزان دقيق يكشف خصائص الباحثين والثقة بصفاتهم ويجعل من سواهم موضع الشك والريبة ومن ثم فعلا يؤخذ العلم منهم .

وقد وصف الدكتور أسبرنجر هذا العلم بقوله :

لم تعرف أمة في التاريخ ولا توجد الآن على ظهر الأرض أمة دقت لاختراع فن أسماء الرجال الذي نستطيع بفضلها أن نقف على ترجمة خمسمائة ألف (نصف مليون) من الرجال المسلمين ، وقد التزم المحدثون الصدق والصراحة في دراسة هؤلاء الرجال وجميع مايتصل بهم وما يدل على تفوقهم ويقظتهم واحتياطهم وتساهلهم .

ويمكن أن يسمى هذا العلم « الكشف عن الشبهات » التي يدسها أعداء الفكر الاسلامي وخصومه ، والتي تحمل أحيانا طابعا بارعا وظاهرا متقبلا وصياغة براقية زينا خفيت على البسطاء والعقالين عن خطر من

لبسوا ثوب الاسلام وعملوا على هدمه من الداخل من اتباع الجوسية والباطنية والديانات القديمة والفلسفات الغنوصية والوثنية .

ومن هنا فقد حرص مفكرو الاسلام على وضع قواعد عامة لعلم الكشف عن الشبهات من شأنها ان تكشف هؤلاء الخصوم وأن ترد الناس الى الحقيقة وأن تقيم حصانة دائمة ويقظة مستمرة ازاء مثل هذه المحاولات في مواجهة هذه الشبهات .

وقد أصبح هذا المنهج الذى اصطنعه رجال الحديث من بعد ضروريا فى مختلف مجالات الحياة الفكرية العربية الاسلامية وذلك للكشف عن حقائق الأمور فى حياة الباحثين والمفكرين ومعرفة اتجاهاتهم وهوياتهم وطوابعهم .

وقد وجه علم الجرح والتعديل اهتمامه الى عدة عناصر هامة فى هذا المجال منها :

أولا — لابد من معرفة تاريخ الرجال وأهوائهم قبل معرفة أئوال الرجال .

ثانيا — لابد من القاء نظرة شاملة على الأمور ، لا نظرة جزئية .

ثالثا — كل قول يؤخذ منه ويترك الا قول الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم .

رابعا — العلم والمعرفة ملك للناس جميعا ، أما الفكر والثقافة فمرتبطان بالعقول والأرواح ولكل فكر قيمه وأسس ومفاهيمه .

خامسا — يرفض قول أصحاب البدع والأهواء .

سادسا — لابد من وجود مطابقة أخلاقية كاملة بين حياة كل باحث ومفكر وبين فكره .

سابعا — لا يقبل رأى من لا تتوفر فيهم الثقة الأخلاقية والعدالة والكرامة .

وإذا نحن راجعنا تاريخ الفكر الإسلامى وتطوره وجدناه قد واجه نوعين من التحدى .

(النوع الأول) : التطور الانساني في قطاعه الأفقى والرأسى
(١) الأفقى مع تغير الأزمنة (٢) والرأسى مع اختلاف البيئات .

(النوع الثانى) : يتمثل فى التحديات الخارجية المتمثلة فى الفلسفات والأديان والمذاهب القديمة التى تحاول فرض مفاهيمها وتقاليدها . وقد حاولت هذه التحديات هدم أو تدمير مقومات الفكر الإسلامى ، وقد تمثلت هذه التحديات فى دعوات أو حركات مختلفة : كالراوندية والبابكية والخرمية والمتنعة والباطنية وغيرها .

وقد أثارت هذه الفرق عديدا من الشبهات والقضايا التى نقلتها من الأديان والفلسفات القديمة : كالجوسية والزرادشتية والمناوية والمزدكية ، وذلك لمحاولة تغيير جوهر الفكر الإسلامى وتحويله عن قيمه الأساسية ، وقد انصبت هذه التحديات على تحريف مفهوم التوحيد والنبوة وما وراء المادة والبعث والجزاء وأثارت الى جانب ذلك دعوات الى الإلحاد والإباحة ، كما أثارت دعوات الى الوثنية والتعطيل . كما أثارت قضية ظاهر الكلمات وباطنها وذلك بقصد قطع الصلة بين المعانى والكلمات والبأس العقائد الوثنية ثيابا إسلامية تهدف الى زعزعة إيمان الناس فى الإسلام وإعادة بعث دياناتهم القديمة وادخالها فى الإسلام .

وقد استطاع المفكرون المسلمون عن طريق علم الكشف عن الشبهات دحض كل هذه المفتريات بعد كشفها وكشف الدعاة عنها ومن ثم فشلت هذه الدعوة كما فشلت دعوات كثيرة من قبلها ومن بعدها .

الجبرية

حاول كتاب التفریب وصف الإسلام بالجبرية لموقفه من قضية القضاء والقدر ، وفى ظل مرحلة الضعف التى مرت بالعالم الإسلامى ، هذه المرحلة التى يحاول خصوم الإسلام عزو أسبابها الى الإسلام ، والواقع أن مفهوم القضاء والقدر مفهوم إيجابى بناء وقد كان مصدر انتصار المسلمين وقوتهم ، وكان قوة دافعة فى حياتهم فهو الذى حرضهم على أن يهبوا أرواحهم خالصة لله فلا يخشون الموت . ولقد فرق المسلمون دوايا بين التوكل على الله مع العمل والحركة وبين التوكل ولقد كانت

الشبهة التى يثيرها خصوم الاسلام دواما تتركز فى القضاء على هذا الفرق الواضح .

ومن هنا كان « اصطلاح » الجبرية التى أريد به اقرار مفهوم التواكل والاستسلام للاقدار وهو غير ماعرفه الاسلام .

وقد انتشرت فكرة الجبرية فى القرون الأخيرة السابقة لحركة اليقظة الاسلامية المصدر ، نتيجة لانتشار مفهوم خاطئ جاء فى أطواء التصوف حين تأثر بالمذاهب الاغريقية والغنوصية الشرقية فيما يتصل بالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من المفاهيم البعيدة عن جوهر الاسلام المطبوع اساسا بطابع الوحدانية الخالص .

ولذلك فقد كانت أولى بواعث حركة اليقظة الاسلامية التى انبثقت من الجزيرة العربية والأزهر قائمة على التوحيد وفى مواجهة خطر الجبرية التى ليست من أصول الاسلام . وانما جاءت انحرافا عن مفهوم الاسلام الصحيح ، وأطلق عليها عبارة التواكل والاستسلام للاقدار على النحو الذى خلق شبهات عديدة حول موقف الاسلام الواضح ازاء العمل والمسئولية الفردية التى هى عماد مفهوم الاسلام .

ومن الحق أن يقال انه ليس فى مفهوم القدر الاسلامى مايبيت شجاعة المسلم أو يؤدي الى فتور همته ، وأن هذا القدر مرادف لسنة الكون التى تهيم على جميع أعمال الناس وقد أكد القرآن حرية الانسان وتأثير ارادته فى عمل الخير والشر .

الجهاد

الجهاد فريضة من فرائض الاسلام الأساسية . تعنى حماية الفكرة والامة من عدوان المعتدى والتسأهب الدائم والاستعداد المتصل بحماية النفوس واعادها وحماية الثغور وحراستها ، وليس هو بمفهوم القتال والحرب الا فى حالة واحدة هى العدوان .

وتتمثل فى آى القرآن الواضحة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فهو ليس قتالا ولا يكون

أبدا عدوانا وإنما هو ارهاب واشعار باليقظة الدائمة « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » و «الجهاد» الاسلامية من أن يقتحمه الاعتداء الخارجى وحفظا لحدود الدول الاسلامية من أن يخرقها العدو ، وقد أجمع الأئمة على أنه فرض كفاية يجب على أهل كل ثغر أن يقاتلوا من يليهم من العدو فإن عجزوا ساعدتهم من يليهم من المسلمين .

ولكن كلمة « الجهاد » فى دراسات المستشرقين والمبشرين قد لقيت عنتا شديدا وأثرت حولها الشبهات المختلفة ، وحوربت أعنف الحروب ، وكانت آيات الجهاد فى القرآن تلقى من الاستعمار والتبشير وما تزال تلقى حربا عنيفة ، فقد كانت الدعوة الى جهاد المستعمر عن طريق مفاهيم الاسلام من أخطر الأسلحة التى قاومت بها الأمة العربية النفوذ الأجنبى ، حتى لقد حرم المحتلون الفرنسيون فى الجزائر تدريس (الجهاد) فى آيات القرآن أو فى أبواب الفقه .

وقد اتسع هذا المفهوم المنحرف فى الهند ، فقامت دعوات أيدها الاستعمار تقسّر القرآن تفسيرا جديدا يؤول فيه مفهوم الجهاد بما لا يناقض الوجود الاستعماري البريطاني غير أن أقطاب الاسلام ما لبثوا أن كشفوا هذه الخدعة .

الحرية

للحرية فى كل فلسفة مفهوم . ولها فى الفكر العربى الاسلامى أرقى مفهوم وأعقق مضمون ، فهى الحرية بمعناها الشامل القائم على حماية حريات الآخرين وعلى تقدير النعمة الى جوار تقدير الحرية . وهى بمفهوم الشريعة الاسلامية « القدرة على عمل كل شئ لا يضر بالغير » والحرية حريات :

١ — فالحرية ضد الرق ، فلا يكون الانسان — رجلا أو امرأة ، مسترقا أو مملوكا لغيره ، ولا تكون الأمة محتلة أو مستعبدة بل تملك حريتها .

٢ — الحرية هى حق الدفاع عن النفس أمام القضاء .

- ٣ — حرية الرأي هي حق التفكير والحكم على الأشياء .
٤ — الحرية في التعليم في مواجهة الجهل ، والحرية في التعليم حق للرجل والمرأة .
٥ — الحرية في الاعتقاد والحرية في القول .

٦ — حرية التملك ، وشريطة هذه الحريات كلها في الاسلام أن لا يكون فيها طغيان على حريات الآخرين ، وقد كفل الاسلام حرية العقيدة (لا اكراه في الدين) ودعا الى تحرير الفرد فكريا وتحريره من الرق الاجتماعي فوسع منافذ العتق والحرية وحصر الرق في أضيق نطاق ، محاولا تصفيته على التدرج .

واعتمد كرامة الانسان قائمة على أساس الاخوة ، وجعل الاسلام الحرية السياسية قائمة على الثورى وجساع نظرة الفكر الاسلامى في الحرية هي أن الناس جميعا ولدوا أحرارا ، لأفضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أبيض الا بالعمل النافع ، وما يراه فلاسفة اليسار من أن الحرية هي إلغاء استغلال الانسان للانسان هي جانب من جوانب مفهوم الحرية في الاسلام ولكنها ليست الحرية كلها ، وما يراه بعض فلاسفة الغرب من إطلاق الحرية بغير حدود فلا يقبله الفكر الاسلامى لأنه يراه دعوة الى تحطيم قيم المجتمع التي تحميها الحرية .

ومفهوم التوحيد في الاسلام هو أعلى مفاهيم الحرية حيث تتحرر النفس الانسانية والعقل الانسانى من قيود الوثنية وعبادة الفرد والعبودية لغير الاله الواحد الأكبر ، وقد ألفت دعوة التوحيد أمام الانسانية الضوء الصادق محررتها من كل قيود العبودية : عبودية العقل والنفس وخلصتها من عبادة ما هو غير الله وفتحت الطريق أمامها الى فهم الحقائق الكبرى .

فالحرية في مفهوم الاسلام هي ضد العبودية والرق والوثنية والظلم ، وهي حرية الفرد والمجتمع جميعا ، ليست حرية المجتمع على حساب الفرد ولا حرية الفرد الممتاز على حساب المجتمع والجماهير ، وهي حرية الفكر المنطلق في طريق الحق ، الى الاجتهاد والابداع والتجديد ، فالاجتهاد له

أجر إذا خطأ وأجران إذا أصاب ، وهى حرية المتدين حيث « لا اكراه » ،
والعقل هو المنطق والبرهان هو أداة الجدل والحوار ، وكل مسلم يعود
الى الحق متى تبين له ، حتى الرسول نفسه وهو المعصوم يتقبل الحق
 ويعود اليه ولا يرى فى ذلك ضيرا فالحق أحق أن يتبع .

والاسلام ينعى على الذين يستخدمون الحرية من أجل الغرض
الخاص ، أو الغايات الفردية ، وينعى على الذين يتبعون الرأى من غير
أن يعرفوا أدلته ووجه الحق فيه ، ويأخذ عليهم أن يتمسكوا بالباطل متى
استبان لهم الحق .

والاسلام أول من دعا الى الحرية بمعنى التحرر من قيد الجهل
والخرافة والتقليد فى مهم الظواهر والأحداث .

حرية الفكر

هناك قضية تثار بين آن وآخر يرددها بعض الكتاب ، هى أن حرية
الفكر وجدت اضطهادا خلال العصور المختلفة وفى مجال الأديان والأمم
المختلفة . وأن مفكرين لقوا حتفهم من أجل حرية الفكر أو قول الكلمة .
وهذا القول على إطلاقه لا يمثل الحق ، وإنما يستهدف اتهام المجتمع الاسلامى
بأنه عجز عن حماية المفكرين ، وأن شأنه فى ذلك هو شأن المجتمع الأوروبى
وأنه خاصم حرية الفكر وارتكب من أجلها الاضطهاد والقتل ، ويضعون
أمثال السهردردى والحلاج فى مجال القتل وابن رشد فى مجال المضطهدين ،
والحق أن حرية الفكر لم تكن مصدر اضطهاد أو قتل فى الاسلام على أى
نحو من الأنحاء أو وجه من الوجوه ، وأن هناك مارقا بعيدا بين ماواجه
جاليليو وسقراط وغيره من مفكرى أوربا وما واجه أمثال الحلاج وابن رشد .

ان الكنيسة والدين الغربى قد ضاق بحرية الفكر وبالكشوف العلمية
وضاق بمخالفه فاقام لهم محاكم التفتيش ومذبحه بارتملى وعقد عديدا من
الحاكمات . هذا معروف وثابت بواقع التاريخ ، ليس هناك مجال
لإنكاره ، أما مجال الاسلام والمجتمع الاسلامى فلم يضار مسلم واحد مهما
بلغ من حرية الفكر وإطلاق الكلمة .

وان الذين عوقبوا لم تكن الكلمة هي سبب عقوبتهم ولكنه كان التصرف الخاطئ ، ولولا ثبوت اليقين باتصال السهرورى والحلاج بأعداء المسلمين محرضين أو متأمرين ، لما كانت محاكمتهم ، وان الكلمة وحدها لم تكن مصدر اضطهاد ، فقد بلغ غيرهم من حرية الفكر ما هو أشد جراً دون أن يمسهم اذى من أمثال ابن عربى وأبى العلاء المعرى ، ولكن الاتهام بالنسبة للسهروردي والحلاج كان واضحاً واكيدا فليست الكلمة هي التي قتلتهم ولكنها المؤامرة ، ولقد كان الاسلام سمحاً في حرية الفكر التي كانت أساساً من أسسه وقاعدته من قواعده ، ومنها استطاع العلماء المسلمون أن يصنعوا في دراسة الفكر اليوناني والروماني والفارسي والهندي وأن يصنعوا ما يقبوه منه وفق مفهوم التوحيد ، وأن يرفضوا ما يعارضه . ولقد أطلق الاسلام لدعاة الأديان الدفء عن عقائدهم وسمح لهم بالسجل والجدل في حرية كاملة كما حفظ لهم حرية العقيدة وحرية العبادة .

فإذا ذكر ابن رشد فان تحريق مؤلفاته لم يكن خصومة الفكر نفسه ، ولكن الخصومة الشخصية بينه وبين أمير الأندلس هي التي جرت عليه عقوبته واضطهاده ، فلما زالت أسباب الخصومة عادت لابن رشد ولؤلفاته مكانته في نفس حياة ذلك الأمير ومجتمعه ، ولم يكن الأمر في هذا كله متصلاً بآراء ابن رشد ولا بحرية الفكر نفسها من قريب أو من بعيد (راجع فصل ابن رشد في آخر الكتاب) .

وعلى الجبهة فان المسلمين لم يضطهدوا أحدا ولم يسفكوا دم أحد عقاباً له على الاشتغال بالعلم أو الفلسفة ، حيث لا اكراه في الدين ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقد انتفى القتال بين المسلمين من أجل الاعتقاد ، كما عمد المسلمون الى التساهل مع أهل العلم والنظر من كل ملة ، وحيث لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين أو الأشاعرة والمعتزلة كما حدث بين البروتستانت والكاثوليك في تاريخ أوروبا ، وما كان يقع في القسطنطينية من سفك الدماء بين الأرثوذكس والكاثوليك في عهد القياصرة الرومانيين ، بل ان أبا العلاء المعرى قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو ، ومات مع ذلك على فراشه ، ولم يرد في التاريخ الاسلامي علماء يحرقون لأجل معتقداتهم وهم على قيد الحياة كما

صنع الأوربيون فى ديوان التفقيش فى أسبانيا ، وقد جاء ذلك نتيجة لتقدير المسلمين للعلم واحترامهم للاخاء الدينى أشد احترام ، وهم لا يكفرون من أقر بالتوحيد وان اختلف فى الراى والفروع .

وحرية الفكر فى الاسلام انما هى حرية شاملة ، تشمل المسلم وغير المسلم ، وهى مطلقة خالصة لوجه الحق وحده ، فالمفكر المسلم يقول الحق ولو على أقرب الناس اليه ، وينصف من هو اهل للانصاف ولو كان من غير ملته ، وغير هذا مفهوم حرية الفكر فى الغرب بشهادة جوستاف لوبون نفسه : الذى يقول : ان حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى اوروبى عندما يمتد بحثه الى فكر العالم الاسلامى ، فان المفهوم الصليبي العميق الأثر فى النفس الأوربية يحول دون الانصاف .

ومفهوم حرية الفكر فى الاسلام انما يهدف الى تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى وتربيته على استقلال الإرادة واحتقار التقليد والتبعية العمياء ، وتحريره من عبادة الأهواء ودعوته الى الاقتناع بالدليل ، تحرير من الجهل والظن .

وقد نهى الاسلام عن التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنصرة الطائفية .

الخطيئة

« الخطيئة الأصلية » مصطلح غربى مسيحى ، له أبعاده فى الفكر الغربى ، ويعنى مايسمونه الخطيئة التى ارتكباها آدم وورثها عنه البشر وترتب عليها فى تقديرهم مادعى بصلب المسيح فداء للبشر وتكفيرا لهذه الخطيئة .

وقد كان هذا الاتجاه مفهوما جديدا فى المسيحية اعلنه أحد مفكرى المسيحية بعد المسيح (بولس) وأقرته الجامع وأصبح جزءا من الفكر المسيحى والأوربى جميعا وقامت من أجله معارك عديدة فى عصر النهضة الأوربية ، وأصبح من بعد له تأثير كبير فى الفكر الغربى وفى عقلية الأوربيين ، ويعد فى نظر بعض المؤرخين مصدرا لنشوء كثير من المدارس

اللاحادية ، وقد تظفل الصراع من أجل هذه الفكرة فى الأدب الغربى والفلسفة الغربية « وفى كثير من النظريات السياسية الأوربية .

أما الفكر الإسلامى فإن هذا الاصطلاح لا يمثل شيئا معنا ، ومفهوم الإسلام كما أورده القرآن بالنسبة لآدم وعيسى واضح فليس فى عمل آدم مايمد خطيئة عامة شاملة للإنسانية كلها ، ويقرر القرآن أن آدم عصا ربه فغوى ، ثم تاب عليه ربه فهدى ، والإسلام بذلك يقرر عدم وراثة الخطيئة ، ويعتبر أن كل امرئ بما كسب رهين .

والفاظ الصلب والخلاص والفداء والخطيئة الفاظ ذات دلالة واضحة فى الفكر الغربى المسيحى ، ترتبط بهذا المعنى ، ولكنها لاتحمل مثل هذه الدلالات فى الفكر الإسلامى وليس لها تاريخ أو أثر ، والفكر الإسلامى يكشف فى هذا عن استقلاليته عن التأثير بما هو خارج عن عقيدته .

الدولة الشيوقراطية

من الأخطاء التى ينسبها الغربيون للإسلام اتهامه بأنه أقام الدولة الشيوقراطية أو يدعو الى إقامتها ، وتعنى الدولة الشيوقراطية : الحكومة الدينية فى المجتمع الغربى ، ومن الحقائق الواضحة الأكيدة أن الإسلام لم يقم الدولة الشيوقراطية على المفهوم الذى عرفه البابوات فى حكومتهم ، والدولة فى المفهوم الإسلامى تجعل جميع المواطنين متساوين أمام القانون فى الحقوق والواجبات ولكل مواطن الحق فى ارتقاء أعلى المناصب ماعدا منصب الرئيس ، وحرية العبادة فى الدولة الإسلامية مكفولة لجميع المواطنين ، والمبادئ الاجتماعية فى الدستور الأساسى توافق جميع الديانات وإن احتوى بنودا تشجع نمو العقيدة الإسلامية دونما تمييز للمسلمين عن سواهم بمنافع خاصة ، والإسلام أسلوب صالح للحياة الكريمة ، تسوده الأصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر .

ومفهوم الدولة الشيوقراطية (أى الدولة الدينية) لا يقوم فى العالم الإسلامى قط ، أن الإسلام ليس عبادة وتدينا ولكنه أسلوب صالح للحياة الكريمة تسوده الأصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر . والدولة

التيوقراطية التي يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه فى الغرب لا توجد فى الاسلام . وشريعته السمحاء لا تقرر وجود مايسمى رجل الدين ، والعلمانية والتيوقراطية لا وجود لها فى الاسلام حيث فى الدول الاسلامية يتساوى المواطنون أمام القانون فى الحقوق والواجبات وحيث حرية العبادة مكفولة لجميع المواطنين على السواء .

ومن هنا فان مايردده دعاة التغريب من وصف الحكومة الاسلامية بالدولة التيوقراطية ليس صحيحا على اطلاقه ، حيث لا توجد فى الاسلام سلطة للكهانة .

ولم تكن يوما أداة من أدوات الاستبداد على نمط الحكومات التيوقراطية التي عرفت فى أوربا . وليس فى التوحيد بين السلطتين الدينية والدنيوية فى الاسلام ماؤدى الى شىء من التضارب ، فليس الاسلام حقائق روحية خالصة ، ولكنه حقائق روحية ونفسية واجتماعية .

رجل الدين

كلمة « رجل الدين » كلمة غريبة وافدة يحاول الكتاب والمفكرون ان يطلقوها على العلماء المتخصصين فى دراسات العقائد والفقه والشريعة والتفسير ، والذين تكون دراساتهم فى الأغلب مستمدة من المعاهد الاسلامية الخالصة : كالأزهر والزيتونة والقرويين ، والواقع ان الاسلام لا يعترف بطلقة معينة يمكن ان تسمى رجال الدين لها نظام خاص ، أو حقوق معينة ، أو نفوذ من أى نوع ، ولكن هناك علماء متخصصون فى الدراسات الاسلامية والدينية .

ورجل الدين عند الفرنسيين يوصف بأنه (Relig uienx) ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش يستتب انقطاعه عن صحة الناس .

وقد جاء هذا المفهوم فى الفكر الغربى نتيجة للتحديات التى واجهها الدين فى أوربا ، فى صراع الكنيسة مع العلم ، مما دعا العلماء والباحثين ان يضعوا الدين موضع الخصومة العنيفة ، حتى ان جميع الفلسفات

النفسية والاجتماعية تهاجم الدين وهى لا تقصد الا مفهوم الدين فى المجتمع الغربى وليس المسيحية المنزلة .

ومن هنا كان اتهام رجل الدين بأنه منفصل عن المجتمع ، أما فى الاسلام فان عالم الدين (وليس رجل الدين) ، له خبرة عميقة بالمجتمع وأدواته ، ذلك لأن الاسلام دين وزيادة ، فهو ليس قاصرا على العلاقة بين الإنسان والله بل شاملا للعلاقة بين الناس والمجتمع .

العلم والدين

ان مايقال عن الصراع بين العلم والدين يقصد به الصراع بين العلم التجريبي والمسيحية الغربية ، أما بالنسبة للفكر الاسلامى فليس هناك صراع او معضلة ما ، فقد ربط الاسلام بينه وبين العلم ، بروابط عميقة ، والاسلام هو الذى دعا الى حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الدينى ، فلم ينأهض الاسلام العلم ، بل فى احضانه تكامل الدين والعلم ، فالاسلام كما يقرر المثل الأعلى لقواعد الايمان يقرر المثل الأعلى لقواعد العمل ، ويربط بين العلم والعمل ، والاسلام لا يقرر مالىس عليه دليل وبرهان ، ولا يقرر المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق وانما يرى المفاهيم والأفكار مقدمات دائمة لبناء حياة كاملة .

والعلم فى مفهوم الاسلام هو العلم المطلق ، وليس العلم الدينى وحده ولكن كل مايتصل بالعلم من كيمياء وفلك وتكنولوجيا وقد أطلق الاسلام كلمة العلم على كل نوع منه ولم يقصرها على نوع معين مه ، وقد وردت مادة العلم فى القرآن بصورة تدعو الى الكشف والنظر وتكررت ٨٦٠ مرة ومادة البيان وردت ٥٢٢ مرة ومادة الكتابة ٢٢٠ مرة ، ومادة القراءة ٢٨ مرة ومادة الراى ٣٣١ مرة ومادة السمع ١٨٥ مرة ، ومادة البصر ١٤٨ مرة ومادة النظر ١٣٠ مرة ، ومادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفؤاد والقلب ١٩٤ مرة .

وأول كلمة نزلت من القرآن هى « اقرأ » وأول قسم فى القرآن كله ، أقسم به الله سبحانه فى ثانى آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صـدر بحروف من حروف الهجاء وكان بالقلم ومايسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون »

ونقول مع الأستاذ عبد العزيز جاويش أنهم اذا تحدثوا عن تاريخ النزاع بين العلم والدين فانما يأخذونه من غير تاريخنا واذا ذكروا وضع السلطة بين أيدي رجال الدين فانما يتكلمون عن محيط غير محيطنا وماض غير ماضنا .

وليس في تاريخ الاسلام أو الفكر الاسلامي ما يشير الى أن هناك مناهضة بين العلم والدين وقعت ، أو أن الدين ناهض العلم ، ان علماء الغرب وجدوا في كتبهم الدينية المقدسة ما يتعارض مع كشفهم العلمية فخالفوها ، أما القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس فليس فيه ما يخالف أو يختلف أو يتعارض مع رأي من آراء العلم والعلماء ، بل على العكس من ذلك ان كثيرا من النظريات العلمية الحديثة لها مدلول في القرآن .

والدين بمفهوم العقائد له مجاله وأسلوبه في المعرفة ، والعلم بمفهوم الكشف عن الطبيعة له مجاله وأسلوبه ولكن الاسلام يجمعهما معا ولا يجد هناك تعارضا حيث يجمع الاسلام في منهج المعرفة بين أسلوب العقل وأسلوب القلب معا .

والاسلام هو الذي دفع المسلمين الى ابتداع المنهج العلمي التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الحديثة .

العقل العربي

جري دعاء التغريب على اثاره الشبهات حول العقل العربي ، واتهامه بالقصور ضمن نظرية السامية والآرية التي تحاول أن تعلل من شأن العقل الأوربي والغربي وهي احدي النظريات التي يتخذها الاستعمار لتبرير وجوده ، ولخلق جو من التقدير والاعلاء للعقل الاوربي .

أما العقل العربي في مجال الانصاف فانه يختلف عن العقل الغربي ، اذ يجمع بين الاضداد والاشباه فربط بينها في انسجام ، دون أن تتصارع أو تختلف ، بينما يعجز العقل الغربي عن مثل هذا التوحيد ولا يرى الا شيئا واحدا وضده .

ومرجع ذلك أن الاسلام يقوم على التكامل والوسطية ، فيجمع بين الدين والدنيا ، والعقل والقلب والعلم والدين ، والروح والمادة .

ومن هنا كانت استطاعة العقل العربى توحيد الأضداد فى انسجام : المسجد والقصر والمسجد والمصنع ، كما جمع بين العقل والطبيعة وبين الحكمة والشرعية .

والعقل فى مفهوم الفكر الإسلامى أساس ضخم ولكنه وحده عاجز عن أن يصل الى كل الصواب . وللمعرفة فى الفكر الإسلامى طريقان يجريان معا . العقل والقلب ، أما الايمان التقليدى الموروث فهو مرفوض قطعاً ، والعقل ليس مستقلاً بالأحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء فى جميع المعضلات ، وان هناك حقائق لا يدركها الا القلب .

والعقل فى تقدير علماء المسلمين نور فى القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحنن من القبيح ، وقد حدد الامام الغزالى حدود نطاق العقل وانكر الاعتماد عليه كلية فى ادراك الأمور الالهية ، وقد كان هذا المفهوم الإسلامى هو الذى جاوز بالفكر الإسلامى مرحلة الغيبيات واطل على « التجربة » حين انشأ المذهب العلمى التجريبى . فالمسلمون هم الذين وضعوا قاعدة : (جربواحكم) فى مجال الطب والفلك والهندسة والكيمياء .

العروبة والاسلام

من أكثر المحاولات التغريبية خطراً ، تلك المحاولة التى تريد أن تصفى العروبة من مفهوم الاسلام وتفصل بين الاسلام والعروبة ، وذلك فى نطاق النظرية التى تقول بأن الدين ليس مقوماً من مقومات الدعوات القومية وكيفما يكون الراى فى هذه النظرية فإن الاسلام ليس ديناً بمفهوم اللاهوت القائم على العلاقة بين الله والانسان وانما الاسلام الى جوار ذلك منهج حياة ونظام مجتمع وثقافة وحضارة .

ومن هنا فإن علاقة الاسلام بالقومية ، أو علاقة الاسلام بالعروبة هى علاقة عميقة الجذور بعيدة المدى حيث ارتبطت منذ أمد طويل ارتباطاً

عضويا ، أما مقومات القومية من لغة وتاريخ فى مجال العروبة والاسلام فلا يمكن الفصل فيما بينها . فاللغة والتاريخ العربيان مرتبطان بالاسلام ارتباطا شاملا متصلا على مدى القرون الأربعة عشر ، وليس هذا قولنا وانما هو قول بعض العلمانيين والتغريبيين حيث لا مفر من الاعتراف به ، يقول دكتور نبيه أمين فارس : ان تشابك الاسلام والعربية فى التاريخ تشابك عضوى متفاعل حيث لا مجال الى فصل الواحدة عن الأخرى ، وهل كانت النهضة العربية الحديثة الا تيارا من النهضة الاسلامية فى القرن التاسع عشر . هذا بالاضافة الى تشابك المفاهيم القومية والاسلامية وقوة النزعة الاسلامية فى الجماهير .

ولقد كان مفهوم الوحدة العربية مفهوما اسلامى الجذور منذ بدأت حركة اليقظة ، ولم يكن فى الامكان غير ذلك ، غير أن الدعوة التغريبية ومحاولة القضاء على أصالة الفكر الاسلامى والثقافة العربية كانت دائما تحاول أن تفرغ مفهوم القومية العربية من الاسلام وتجعله علمانيا خالصا مجردا . بينما لم تستطع القوميات فى الغرب أن تنفصل عن مفاهيم المسيحية الغربية التى هى بطبيعتها ليست الا دينا لاهوتيا خالصا ، وقد جرت هذه المحاولة فى الحركة الطورانية ، وفى العالم العربى حاولت بعض احزاب الحركة العربية أن تتبنى هذا المفهوم فى محاولة خلق قومية عربية علمانية على الطراز الذى عرفته تركيا عن طريق الاتحاديين والماسونية ومن هنا فقد كانت أزمة الوحدة العربية هى ذلك الجفاء الواقع وبين النظرية المستوردة التى لو صلحت للتطبيق فى بيئات الغرب فهى لا تصلح للتطبيق فى بيئة الفكر الاسلامى والثقافة العربية : وفى هذا المعنى يقول (عيسى البندك) وهو مسيحى يفهم أعماق الروابط والعلاقات بين الاسلام والعروبة : « ان العربى مسلما أو مسيحيا يرتبط بالاسلام والعربية : اللغة التى يتكلم بها والأخلاق التى يتخلق بها والتقاليد التى يزاولها ، وما يعتز به من آباء وشهامة ومروءة ، اننا نؤمن ايمانا قاطعا بأن كيان النصارى العرب جزء من كيان اخوانهم المسلمين ، ويقول دكتور محمود عزمى : الاسلام مبدأ يخضع له جميع العالمين فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بلادنا مهما كانت عقيدتهم » عقيدة المسلمين أو المسيحيين أو اليهود ونحلهم والملحدون ، ذلك أن بلادنا

تبد غمرتها « الاسلامية » بالمعنى الذى نفهمه » وقول الدكتور السنهورى « أنه فى الاسلام الى جانب الدين توجد المدنية والذين يؤمنون بتعاليم الدين هم المسلمون ، أما الذين ينتمون الى الثقافة الاسلامية فهم أولئك الذين يضمهم هذا الوطن الاسلامى الكبير على مختلف أديانهم ومذاهبهم وجنسياتهم ونحلهم — ليس المسلمون هم أصحاب الفكر الاسلامى ولكن كل من استظل براية الاسلام وانتمى الى الثقافة الاسلامية ولو كان غير مسلم » .

العصرية

من الكلمات التى تتردد كثيرا كلمات العصرية ، والحادثة ، وهما بمعنى واحد . وتتجه فى الغالب الى مجرى الدعوة القائلة بتطور كل شيء ، والذى تحاول أن تشق طريقها الى مجال الأديان وخاصة الاسلام غافلة عن أن الفكر الاسلامى يؤمن بالثبات والتطور معا : لا بالتطور المطلق ، الثبات للقيم الأساسية العقائدية والتشريعية والأخلاقية ثم التطور فى التفاصيل والمسائل الفرعية بما يتفق مع العصور والبيئات . وتحاول شبهات التغريب أن ترمى الاسلام وفكره بالتأخر نتيجة لهذا المفهوم بينما هو فى نظر العقل الراجح اسمى مايمكن التوصل اليه فى سبيل موازنة نوااميس الفكر والمجتمع والحياة .

وهناك اصوات تقول بالدعوة الى عصرنة الاسلام أى وضعه فى مجال التطور وهو مايستحيل على الفكر الاسلامى تقبله فى مجال القيم الثابتة .

فالعصرنة فكرة تغريبية خطيرة يراد بها لوى اعناق الأصول الاسلامية لتبرير الواقع الحضارى القائم بما فيه من مخالفات ومعارضات لمفهوم الاسلام او مفهوم الدين عامة ، وتجرى هذه المحاولة عن طريق ما يطلق عليه « التأويل » .

فالعصرنة هى محاولة فرض مبادئ وأهداف غربية تحاول احتواء الفكر الاسلامى وجعله خاضعا للواقع الغربى فى قيمه ومذاهبه وفلسفاته ،

فى تجاهل ما بين الفكرين الاسلامى والغربى من خلاف وتباين عميق فى قضايا كثيرة وانه لا سبيل للعصرنة الا بأن يخضع الفكر الاسلامى للفكر الغربى ويتقبل اطاره وقيمه وهو مالا يمكن أن يحدث ، ومن الاستحالة أن يقع « فالفكر الاسلامى بأصوله القائمة على التوحيد كان دائما قادرا على أن يتقبل من الفكر البشرى ويترك ، ولكنه لم يكن فى وقت من الأوقات — حتى فى أحلك فترات ضعفه — بحيث يمكن أن ينصهر أو يخضع أو يفقد مقوماته ، وقد استطاعت الفلسفة اليونانية أن تحتوى الديانة والفكر اليهودى ، ثم احتوت الديانة والفكر المسيحى ولكنها عجزت عن أن تحتوى الفكر الاسلامى ، الذى تأثر بها وأخذ منها ورفض ، واستطاع بعد صراع طويل أن يتحرر منها وأن يقيم منطقته ومقوماته مستمدا أصول ذلك كله من القرآن نفسه .

وإذا وقف الاسلام موقف « الثبات » أمام محاولة احتوائه أو صهره ، كان ذلك معناه فى نظر دعاة التغريب : الرجعية أو التعصب وهى عبارات لا يستطيع الخوف منها أن يذل الاسلام وفكره للسيطرة الغربية ، وقد أيد كثير من المفكرين الغربيين أن الاسلام والفكر الاسلامى والتاريخ الاسلامى واللغة العربية لا يمكن تفسيره فى ضوء المذاهب الغربية العلمانية والمادية .

أما اذا كانت العصرنة بمعنى دفع الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة العربية الى مواجهة الحياة العصرية والالتقاء بالحضارة وبالفكر البشرى الأخذا وعطاء ، فان ذلك أمر لم يتأخر عنه الفكر الاسلامى يوما فقد كان دائما فكرا مفتوحا قادرا على الأخذ والعطاء ، وأن له من جوانبه المتطورة ما يمكنه من الالتقاء بمختلف النظريات الحديثة البناء التقدمية . كما أنه قادر على أن يكشف لهذه النظريات جذورا فى أعماقه وفى قيمه الأساسية ، ولم يكن الفكر الاسلامى بقيم الثبات فيه بعاجز يوما عن التطور والحركة والتقدم ، بل ان هذه القيم الأساسية من عقيدة وشريعة وأخلاق ، كانت أقوى الحوافز لاعطاء الحضارة قيمة انسانية أعلى من مفهومها المادى اخالص . ولكن الاسلام ليس من شأنه أن يبرر انحراف الفكر الغربى أو الحضارة الغربية القائمة أو يقبل من مفاهيمها ما يختلف

مع جوهر التوحيد أو يتعارض مع أصوله القائمة على دحض الربا وإباحة
الإلحاد والوثنية .

لقد استطاع الفكر الإسلامى أن يتحرر من أعظم قيود الفكر الغربى
وهى قيود الوثنية والعبودية لغير الله وحده وبذلك أطلق مفاهيم الحرية
والعدالة والإخاء والمساواة التى عجزت الحضارة الغربية والفكر
الغربى المعاصر عن وضع حلول لها فباتت وهى معضلة العصر وأزمة
الإنسان ، هذا فضلا عن أن جمع الإسلام بين الروح والمادة ، والعقل
والقلب ، والدنيا والآخرة ، قد أعطاه قيما عقلية ونفسية وسعت مجال
إنسانيته وسماحته وقضت على كثير من الصراعات والأزمات وخاصة
أزمات القلق والضيق التى يعانى منها الفكر الغربى ، هذا فضلا عن
أن التراث الإسلامى العربى ليس تراثا منفصلا أو مجمدا أو متخفيا ، بل
هو ميراث ملئ بالحيوية لم يتوقف عن التفاعل فى المجتمع الإسلامى والفكر
الإسلامى خلال أربعة عشر قرنا كاملة دون انفصال أو توقف . وهو تراث
بناء تقدمى ، ماتزال مفاهيمه قادرة على إعطاء البشرية خير ماتحتاج اليه .

وليس فى مفهوم الفكر الإسلامى — استمدادا من قوماته وقوانينه
التي تعطيه القدرة على التجدد من الداخل — ليس فيه جمود أو وثنية
أو انحراف أو صراع وما تزال القيمة الأساسية للفكر الإسلامى حية متفاعلة
قادرة على العطاء .

العصور الوسطى

ماتزال كلمة العصور الوسطى فى إطلاقها تعنى الفترة ما بين القرن
الخامس الميلادى والقرن الخامس عشر الميلادى أيضا وهى الفترة التى
سقطت فيها الحضارة الرومانية خلال عشرة قرون كاملة الى أن بدأت
حركة النهضة الأوروبية (الرينسانس) وتحاول كتب الغرب أن تصف
هذه الفترة بالعصور المظلمة ، وهذا المفهوم صحيح وصادق بالنسبة
لأوروبا ولكنه كاذب ومضلل بالنسبة للعالم كله ولل فكر البشرى عامة .
ذلك أنه خلال هذه الفترة ظهر الإسلام فى القرن السادس الميلادى
وأشرقت شمسهُ فعمت العالم كله وامتدت من حدود الصين شرقا الى

حدود فرنسا وقدمت للإنسانية مجددا قيم التوحيد والعدل والاخاء كمقومات
لحضارة انسانية كانت بعيدة المدى والأثر فى الحضارة البشرية وفى
النهضة التى بزغت فى أوربا بعد ذلك .

لذلك فان اطلاق القول بأن فترة العصور الوسطى كانت فترة ظلام
دامس ، هو قول باطل ، وهى محاولة لتجاهل العصر الاسلامى الزاهر ،
وذلك وفق اتجاه الفكر الغربى الذى يحاول أن يربط بين الحضارة الرومانية
المنهارة وبين الحضارة الأوربية الجديدة كأنها ليس فى العالم الا أوربا
وحدها .

ولذلك فان اطلاق كلمة العصور الوسطى على العالم كله انما هو
اطلاق ظالم ، فالعصور الوسطى المظلمة انما كانت كذلك بالنسبة للغرب
وحده ، ولكنها كانت مضيئة مشرقة بالنسبة للعالم الاسلامى (الهند
وفارس والامة العربية والأندلس) .

وتعبر العصور الوسطى تعبير غربى ينطبق على أوربا وحدها فقد
سقطت هذه القارة فى الظلمات فترة ما بين سقوط الحضارة الرومانية
وعصر الرنيسانس (النهضة) أما فى العالم الاسلامى فان هذه الفترة
بالذات كانت الفترة الذهبية بالنسبة للإسلام وحضارته .

فاذا أراد دعاة التغريب اذاعة هذا المفهوم فانما يراد به انكار فضل
الحضارة الاسلامية على العالم .

عصر الانحطاط

حاول التغريب والفكر الاستعمارى الغربى أن يصف مرحلة القرون
الثلاثة السابقة للقرن العشرين بأنها عصر الانحطاط ، وهو تعبير قاسى
ظالم ، وكان يمكن أن يطلق عليه عصر الضعف والتخلف ، ولقد تجرئ
الشبهات باتخاذ انتاج هذه المرحلة اسلوبا لمحاكمة الاسلام به ، أو
اتخاذ سنداً لرمى الاسلام وفكره بالقصور والتخلف خاصة فيما يتعلق
بظاهرة « الجبرية » التى سادت مفهوم الصوفية وأثرت على مفاهيم الحياة
والارادة الانسانية . ومن الحق أن يقال أن هذه المرحلة لها وجوه ضعفها
ولها وجوه قوتها .

أما وجوه الضعف فهي تأثير الفكر الإسلامي بالفلسفات الهندية والفراسية والجوسية التي حملت مفاهيم معقدة مضطربة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من المذاهب التي لا تتفق مع جوهر التوحيد .

والمفروض أن يحاكم الفكر الإسلامي إلى أصوله الأولى وإلى انتاج أعماله الرواد ولا يحاكم إلى انتاج فترة الضعف والجمود التي توتف فيها الأبداع والتجديد والاجتهاد وغلب طابع التقليد .

فالفكر الإسلامي في جوهره الأصل مازال مضيئاً إيجابياً مؤثراً معطياً للأمم المختلفة والعصور المتعددة دعامات التقدم والبناء والحيوية .

أما وجوه القوة فهي تتمثل في عملية « التجميع » التي قام بها المفكرون حيث ظهرت في هذه الفترة المجموعات الالهية والفنية والعقائدية المختلفة التي جعلت الآمال المختلفة الموزعة ، وهي عملية رد فعل لما حدث نتيجة الغزو الصليبي والفرى من حرق وتدمير آثار الفكر العربي الإسلامي فقد عمد العلماء والادباء إلى عملية التجميع كوسيلة لمقاومة فناء الفكر الإسلامي وهو عمل نافع إيجابي يدل على القوة لا على الضعف ، وإن وجه الله النقد لكنه لم يحرق من وجهة التنسيق الفني أو التحقيق العلمي ولكن التقدير المنصف لأخطار هذه الفترة وظروفها من شأنه أن ينصف العاملين في هذه المرحلة ويقدر لهم هذا الجهد على إطلاقه .

علة تأخر المسلمين

تعمدت أبحاث المفكرين المسلمين في السنوات الأخيرة حول « علة » تأخر المسلمين وتعمدت آراؤهم في ذلك ، ولشكها أجمعت على شيء واحد ، ذلك هو أن المسلمين منهجاً فكرياً واجتماعياً استمهموا من القرآن الكريم وأن هذا المنهج هو سر نجاحهم وظهورهم واتساع ملكهم ، وفيه تكمن قوتهم الحقيقية .

ويدور هذا المنهج حول التوحيد ، والعدل ، والاعداد بالقوة يرهبون بها خصومهم ، وبالجهد يواجهون به من يعتدى عليهم . مع الاستمسك بالحق ، ودون الاعتماد على مشورة الغير ، والنهي عن اتخاذ بطانة من غيرهم ، ولقد مضى المسلمون على هذا النهج فانتصروا وعزوا ، فلما

انصرفوا عنه وتصوروا فيهم ذلوا وضعفوا وكلوا عادوا اليه عادت اليهم العزة والسيادة .

واليوم وهم يراجعون انفسهم في ظل تحديات الاستعمار والفتور السياسي والاجتماعي والثقافي ، يتقدم اليهم كثيرون من غيرهم ينصحونهم بالمطالبة ويكلمونهم عن قوتهم ويردونهم عن طريقهم ، بل ربما ذهب هؤلاء الخصوم الى اتهام الاسلام نفسه بأنه هو مصدر ضعف المسلمين .

وربما قام هذا الاتهام على النظر في واقع المسلمين اليوم وهو ليس من الاسلام في شيء ، وربما كان هذا الاتهام تعصبا وضعفا على العرب والمسلمين حتى لا يهودوا الى مصائر قوتهم ، وليس من شك ان الاسلام محجوب اليوم بالمسلمين ، وان ما يحياه المسلمون اليوم ليس هو الاسلام ولكنه التقليد والتابعة ، فالمطلوب مولغ دائما في الاقتداء بالغائب ، ولكن المسلمين لم يقلوا التبعة ، واكدوا رفضهم لها . فاما كان مصدرها وهم الآن على ابواب الرشد الفكري ، وقد جربوا هذا الضرب التي فرضها عليهم نفوذهم فلم يحقق لهم النصر او السيادة ، وهم لابد عائدون الى قيمهم ومفاهيمهم الأصلية يستمدون منها وسائلهم في مقاومة الغزاة واقامة الحق .

الغيبات

هناك عالمان : عالم الشهادة المكشوف الواضح الذي نراه بالعين وندرسه بالعقل والتجربة من خلال الأنبياء والمعايير العلمية وهو مايسمونه المحسوس . وهناك عالم الغيب الخفي الذي لا نعرفه بالعلم ولكن بالوحي والايمان والبصرة . وهدتنا اليه آيات السماء ، وقد جرت بعض الفلسفات منذ قديم الى انكار عالم الغيب والطعن في وجوده ، ومن ثم فهي تشك في الألوهية والنبوة والوحي والاديان والكتب ، ومن ثم تشك أيضا في البعث والجزاء .

وقد كان العلم يجرى مع الفلسفة في هذا الطريق الى أن تحطمت الذرة ، وتبين أن مفاهيم الذرة كلها تتصل بالضوء والنور ، وهما من عالم الغيب ، غاب العلم أو أوشك الى اليقين وبقيت الفلسفة المادية تثر

الشكوك والشبهات من أجل الثرار مفاهيم هدامة ترمى الى تدمير المجتمعات وبسيطرة نفوذ الاستعمار والصهيونية .

وإذا كان الإنسان روحاً ومادة ، فلا بد أن يكون جامعاً للغيب والشهادة في تركيبه وكيانه ، ولما كان الإنسان هو سيد الكائنات تحت حكم الله فقد أوتي العقل وعلى أساسه تقوم المسؤولية الفردية والتبعية الأخلاقية ، ومن ثم فإن الدنيا ليست هي الحياة ، والموت ليس هو نهاية الحياة ، ولما كانت للبيعة مسئولية تقع على كاهلها جزء من هذا بتركز الغيب والتبعية والجنة والنار .

إن النفس الإنسانية هي مطربتها تؤمن بالدين وتؤمن بالقوة العليا القائمة وراء الحياة الطبيعية ، هذه القوة الممثلة في الله الواحد الإله الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق .

ذلك هو الغيب الذي لا يختلف فيه العلم والذي تعارضه الفلسفة المادية ، لأنها تدعو الى هدف واضح خطير ، ولا تعتد على أسلوب المعرفة الحقبة القائم على العقل والوجدان .

الفلكلور

كانت الدعوة الى (الفلكلور) في السنوات الأخيرة تستمد وجودها من الإيمان بالتراث الشعبي ، تراث الأمم القديم الذي يعطى صورة نفسياتها ومزاجها وطوائفها الاجتماعية . غير أن الدعوة الى الفلكلور قد شابتها أهداف وغايات انحرفت بها عن هدفها النبيل وغايتها الحقبة . فقد اتخذت وسيلة لإذاعة العاميات وجمع الأجزاء والمواويل والأمثلة العامة على نحو أراد به دعاء للتغريب والغزو الثقافي أن يثبتوا أن العامية ليست لهجة ولكنها لغة ، واتخذوا من ذلك سلاحاً لمعارضة الفصحى واضعافها وتغليب العاميات عليها .

ولقد بدأت حركة الفلكلور على أيدي المشرين ودعاة التغريب الذين حملوا لواء الدعوة الى العامية واللغة المحكية في محاولة لاقتضاء الفصحى : لغة القرآن عن مكان الصدارة ، وتعزيز العامية في كل قطر وبلد . مستهدفين

تفكيرك وكجدة الأمة العربية وإبعادها عن مستوى بلاغة القرآن وآدابه .

كما عمدت دعوة الفلكور الى استحياء الماضي القديم الوثني البائدة من وراء عصر الإسلام ، فهي قد ارتبطت بالفرعونية في مصر ، وبالفينيقية في لبنان . وكانت تجادل بذلك احياء قيم ماتت وانتهت ، وتقاليد ومظاهر وإعباد عرفت بها الأمة العربية في وثنيها ثم تحررت مع ظهور الإسلام . ولم تعد مرة أخرى إليها ، وقد جاءها الإسلام بالتوحيد الخالص فغضى على هذه الوثنيات المقلبية البائدة التي تتعارض اليوم مع الثقافة والقيم جليعاء .

ولقد جرى الفلكور اليوم في مجارى ثلاث كلها بعيدة عن جوهر ذاتية الأمة ومزاجها النفسي ، إما باحياء الوثنيات الفرعونية أو العادات الجاهلية العربية أو الوثنيات الاغريقية . وهذا الثلاث لا تتصل إطلاقاً بحقيقة الأمة العربية التي تحررت منذ خمسة عشر قرناً من هذه الطلوس والوثنيات .

والواقع أن الدعوة الى احياء التراث الشعبي المسمى بالفلكور لم تستطع أن تحقق نتائج حقيقية الى جانب الأصالة وإنما يمكن استخدامها في أهداف التعريب والشموبية وقد تبين أنه احياء الفلكور لكي يكون عاملاً في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية حتى تنمو وترعرع وتتمكن من رد كل عدوان عليها لا يؤدي وإنما الذي يستطيع ذلك هو التاريخ الصحيح ، ذلك أن الفلكور يقوم على أوهام الشعوب وأهوائها وعلى أدنى قسدر من العواطف والمشاعر التي تتعلق بها النفوس الجاهلة الضعيفة المحدودة الانقي التي لم تصل الى قدر من الثقافة التي يقدمها الدين والتي تقوم على التحرر من الوثنيات والماديات . وفرق عميق بين التاريخ وبين الفلكور وبين التراث وبين الفلكور بل إن الفلكور نفسه إنما يستهدف احياء الاقليميات والوثنيات والتقاليد والعادات التي انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعه الانسان الضعيف في حالات الفرح والحزن وفي خلال مراحل الالتقاء الاجتماعي العام . وهي في مجموعها خارجة عن اصول الدين الحق الذي هدينا اليه ولذلك فإن احياء هذا النوع من التراث هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق .

ذلك ان تقرا كثيرا من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التي بناها الاسلام في نفوس اهله .

وبالنسبة للأغاني والمواويل غانها في مجموعها خواطر ساذجة لاتمثل من النفس الانسانية الا أدنى مراتبها وهي في مجموعها تقوم على الأهواء وينسى المفهوم الاسلامي الذي يرتقى في الحزن عن معارضة امر الله وفي الفرح عن الاتخاذ وراء مظاهر الأهواء .

الفكر أم العصر

في العصر الحديث علا صوت العناصر والأجناس والعروق والدماء، وجرت الدعوة الى القوميات ، وكانت أوروبا هي التي فتحت هذا الطريق حين خرجت من نفوذ الكنيسة الى القوميات المختلفة .

ولقد كانت الدعوة الى الوحدة العربية دعوة مختلفة عن ذلك تماما، متحررة من طابع الأقلية او التعصب للجنس او اقامة حواجز الخصومة والخلاف مع القوميات الأخرى على النحو الذي شهدته أوروبا في صراعها القومي .

ذلك أن الامم العربية والفارسية والتركية والهندية ، قد جمعتها الى أحقاب طويلة ، وحدة فكر ، أساسها الاسلام ومادتها القرآن وقوامها اللغة العربية التي حملت الفكر الاسلامي الى العالمين .

وقد كان هذا الفكر اسلاميا ولم يكن عنصريا ، استمد وجوده من واقع المسلمين ومن تلك البوتقة الروحية والنفسية التي انصهرت فيها الأجناس جميعا وتوحدت على تعاليم واحدة قوامها الاسلام والنبوة والعدل والتوحيد .

ومن هنا فان ذلك التساؤل الذي يثار في باب التشبهات بين حين وحين ، حين يقال : حضارة عربية أم حضارة اسلامية ، وفكر عربي أم فكر اسلامي ، أو ان الغزالي كان فارسيا والفارابي كان تركيا والكندي كان عربيا أو ابن خلدون كان مغربيا ، فالحقيقة أن هؤلاء جميعا لم يكونوا يصتدرون عن عقصر أو دم أو جنس حين كتبوا ذلك الفكر . وإنما كانوا

منصهرين في بوتقة الفكر الذي صنعه الإسلام وقام عليه القرآن والذي لم يكن به شبهة من شبهات العصبية أو العرق . وإنما كان استبدادا من مفهوم التوحيد والعدل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة .

القيم

تعبر حديث مشتق من قيم الشيء ، ومن القيمة ، وهو اصطلاح اقتصادي ولكنه عمم فأصبح يعنى الأسس التي يستند اليها في كل ما تصدر الأمم والأفراد من أقوال وأفعال ، وهو يستعمل بمعنى المعيار الذي يقاس به الجهد الأنساني في أى زمان ومكان ، تقاس به القيم الأساسية: روحية ومادية ، أو عقلية ونفسية ، أو أخلاقية وإباحية ، والقيم الآن هي مجال الصراع بين الحضارات والثقافات المختلفة ، فالحضارة الإسلامية والثقافة العربية تؤمن بالقيم الانسانية المتكاملة في مجال الروح والمادة بينما تحاول النظريات المستحدثة أن تقصر القيم على الجوانب المادية والعقلية في مجال الاطلاق والإباحة وذلك بدعوى أن العصر والحداثة كلها أصبحت تلقى ظلا على القيم الأخلاقية والروحية ومن الحق أن يقال انها تتبع الانسان نفسه فاذا كان الانسان روحا وعقلا ، ومادة ونفسا ، فان القيم تكون كذلك ، ومادام الانسان لا يمكن أن يكون مادة خالصة فكذلك القيم التي ترتبط بوجوده وكيانه .

ان مفهوم التقدم ومفهوم الحضارة من شأنه أن يصرف عن الانسان كل ما يحطم شخصيته ، أو يدمر كيانه ، وأن يحرره من رتبة الهرافات وسيطرة الجهل ، أما مفهوم المذاهب المدمرة التي أخذت تسيطر على الفكر الغربى في السنوات الأخيرة سواء في مجال علم النفس ، أو في مجال مفاهيم التربية أو في مجال الفلسفات فانها هي ثمرة المجتمع الغربى نفسه ولها امتداداتها للفلسفات اليونانية والوثنيات الاغريقية والقيم الهلينية التي تستهدف التحرر من قيود الأخلاق والانطلاق في عبادة الأجساد .

وهذه المفاهيم غريبة كل الغرابة على الفكر الإسلامى والثقافة

العربية ولذلك فإنها حين تحاول أن تغزو قيمنا تجد صعوبة بالغة في تقبلها لأنها تتعارض مع قيمنا الأساسية ومكونات شخصيتنا وجوهر روحنا ومزاجنا وطيبتنا .

وإذا كانت الثقافات الغربية قد عزلت الدين عن منهج حياتها وفكرها ومجتمعها بعد أن وجدته معوقا لها عن الجدية أو النهضة أو الحركة فإن الأمر يختلف بالنسبة لعالمنا وأمتنا ، حيث يعترف الاسلام بالتزعات البشرية وفي مقدمتها الجنس ويعالجها علاج المواجهة والصراحة ولا يقيمها قمعاً ، ولا يطلقها إطلاقاً .

وحيث يقع (الغرب : فكره ومجتمع) في صراع بين الفردية والجماعية يقف الفكر الاسلامي موقف اكامل والتوازن بين الفردية والجماعية جامعا بينهما .

فالدين في مفهوم الفكر الاسلامي ليس قيمة رجعية او متخلفة او جامدة ، ولكنها قيمة حية ذاتفاعلية وحاجز نفسي عظيم في مواجهة اخطار الحياة وتحديات الاباحة وفامل من عوامل التوازن النفسي والتكامل البشري ، وضوابطه الاخلاقية من اسباب الايجابية والقوة .

فالفكر الاسلامي والثقافة العربية لا ترى رأى الغرب في أن المادة وحدها هي معيار القيم ، وإنما تراها متصلة بالانسان ووجوده وكيانه ، فالانسان هو معيار القيم لا العلم ولا المادة ، والانسان مادة وروح ، ومن هنا فإنها تربط بينهما في توافق وتناسق وتوازن ايجابي بناء .

ومن حق الفكر الاسلامي أن يرى أن القيم المادية وحدها لا تحقق نمو الشخصية ولا اكتمالها وأن القيم المتكاملة هي العامل الأول في دفع الأمم الى النجاح والتقدم .

والقيم في مفهوم الفكر الاسلامي لا تتصل بالبيئة وحدها ، ولا تتغير بتغير الظروف والبيئات ، وإنما هي قيم ثابتة أساسية مع كل الظروف وقيم أخرى متغيرة مع الأحداث والظروف والبيئات أما القيم الثابتة فهي القيم المتصلة بالعقائد والأخلاق والشرائع وقوامها التوحيد والإخاء والحرية والحق والعدل ، أما ما عدا ذلك من القيم فإنها تخضع للبيئات والزمن

ضمورا واتساعا والقيم فى صميمها انسانية ودافعة الى العطاء والرحمة .
وقد اثيرت شبهات حول مفهوم الفكر الاسلامى للقيم حين وصف بأنه
مكر روى ومن الحق أن يقال انه مكر (روى ومادى) وأنه لم يغفل
من حسابه المادة بل على العكس اقر القيم الدنيوية وطالب الناس بالاقبال
عليها وبين اهمية بناء الحياة والعمران فأمر بالزواج والشراب والزينة
والطعام ولكنه طلب فى نفس الوقت بعدم الاسراف والنظر الى
المقدم على أنه ليس تقدما ماديا شاملا ، وبذلك فإن المادة لا تتقدم القيم
الروحية ولا تحجبها .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

بل ان الفكر الاسلامى يسمو بالقيم المادية ويحولها الى قيم انسانية
متجاوزا مع طبيعة الانسان التى تتكون من جسم وروح .

ولا شك أن التقسيم الغربى للقيم واعلاء المسليات منها إنما جاء
استعدادا من الفكر اليونانى الذى قسم الناس الى سادة وعبيد ، والسادة
لهم الحكم والرئاسة والعبيد للانتاج المادى ، وقد عرف الفرس نفس
هذا التقسيم حين دانوا بالهين أحدهما للخير والآخر للشر ، وكانت القيم
عندهم مرتبطة بالذات والاستجابة للشهوات .

وجاءت المسيحية الغربية معارضة تماما لليونانية والفارسية حين
دعت الى الزهد واحتقار المادة ، وانصراف الانسان عن المذات والمكوف
فى الاديرة والتكفير عما وصف بأنه خطيئة الانسان . ثم جاء الاسلام
فصحح المفاهيم وعدل الموازين حين دعا الى التوحيد والتقوى والكرامة
الانسانية ونادى بالحرية والعمل ودعا الى السلام والعدل وجمع بين
الدنيا والآخرة ، ووازن وجمع ونسق بين القوى المادية والقيم الروحية
فى وحدة تؤدى الى التوسط والاعتدال فى تحقيق مطالب الجسم ومطالب
الروح .

ومن أبرز قيم الاسلام الحرية فى الاختيار وما يتبعها من مسئولية
وحزاء ، بما يحقق للانسان الارادة المطلقة فى الترجيح بين الشر والخير
على النحو الذى يجعله مختارا مسئولا ، مسئولة حرة ، وهى من أعظم

القيم التي تعطى الانسان كرامة على الارادة والتحرر من اغلال الآخرين واستعبادهم له فحينئذ من تحرره من أسر الشهوات ومن سيطرة المال والجاه والناس بهما .

القديم

تجرى المصاولات الفيزيائية الى دعوتنا نحن وحدنا (العرب والمسلمين) الى ازدياء التعليم وكراهيته بل ويستلزم فيتم لها التشبهات التي تحمل طابع المخزية والاحتقار لهذا القديم ، ولكنه مع الاسف يتناقض مع نفسه فلا يفعل ذلك مع القديم الغربي ، بل على العكس من ذلك فهو يعطى من شأن القديم عنده * بل ويحاول أن يعطى من شأن هذا القديم الخاص به عندنا فهو يدعونا الى الالف الاغريقي ويحيط الدراسات الهلينية بهالة من الفخر ، ويحاول أن يربط بيننا وبين اليونانية والملايكية . وتقرر الابحاث والدراسات التاريخية أن الغرب لم يجدد نفسه ولم يدخل عصر النهضة الا من طريق البعث والاحياء للاغريقيات واللاتينيات . فلماذا اذن هذا التكرار لنا وقديما ، ونحن نؤمن أن أي أمة لا تستطيع أن تدخل عصر النهضة الا على أساس احياء قديمها والارتباط به ، ومن عجب أن الغرب قد احيا تراثا انفصل عنه الفسنة، والصهيونية احييت لغة انفصلت عنها الفى سنة ، ولكن الماييس تختلف اذا جاءت للحكم على قديمنا وتراثنا الذي لم ينفصل عن امتنا خلال اربعة عشر قرنا متوالية متصلة ، وللمصنف الى عالم غريبى هو كارل بيرسون يتحدث عن القديم .

« ان من أقوى المؤثرات التي تحفظ الثبات الاجتماعى وتحول دون تحلله تلك الصفة التي نبغضها : صفة الجمود على القديم ، لا بل نقول أن العداء الصارخ الذى تقابل به الجماعات الانسانية كل الفكرات الجديدة لمن اخص تلك المؤثرات ، وهذه الصفات بمثابة السكور المتلظية نيرانه ، والتي بدونه لا يستطيع أن تفصل بين المعدن الصحيح والفضلات الزائفة ، وهى قصى الجسم الاجتماعى من أن يترك معرضا لتغيرات تجريبية فجائية غير متيدة آنا ، او باللغة انصى الضرر آنا آخر .

ويؤكد الباحثون أن الأمم الناهضة توازن بين روح القديم وروح

للجديد وتبنى الجديد على أساس من القديم ، وتجدد من القديم ما هو صالح وإيجابى وترفض من الجديد ما هو غير صالح أو إيجابى أو يتفق مع كيانها ومزاجها وطابعها . وإن الدعوة إلى قطيعة القيم ، كالدعوة إلى تقبل كل جديد ، وكلاهما معارض لنا موسى الوجود وسنة الحياة التى تبنى الجديد من مادة القديم .

فالتوازن بين القديم والحديث هو طابع النهضة الأصيلة ، فإذا أهمل القديم ضاعت مقومات الأمة وتعرض كيانها للخطر ، واهتزت شخصيتها، وباتت معرضة لخطر الاحتلال ، وإن كل دعوة إلى إنكار القديم إنما هى دعوة العسو ، والمستعمر ، وكل طابع فى هدم هذه الأمة ، والعمل على إفناء وجودها ، ولو كانت الأمة العربية حرة لاستطاعت أن تقف موقف الإنصاف من تراثها ، وليكنها واقعة تحت عواصف شديدة من الغزو الثقافى ودعوات التغريب المنبعثة من داخل الأمة نفسها، ومصدرها معاهد الإرساليات التبشيرية التى تحاول أن تخدم أهداف المستعمر والتفوذ الأجنبى .

ونحن نحاول أن نجد مثل هذه الدعوة إلى تدمير القديم وسحقه والتشكيك فى آداب الأمم الغربية فلا نجد ، وإنما نجد عكس ذلك ، حرصاً شديداً واستماتة فى الربط بين القديم والجديد ، وبين تراث والواقعة والحى .

الكتب الصفراء

أطلقت عبارة (الكتب الصفراء) على كتب التراث العربى الإسلامى لأنها كانت مطبوعة فى العصور الأخيرة على الورق ذى اللون الأصفر ، بيد أن هذه التسمية إنما كانت محاولة للسخرية بهذا اللون من الكتب وتحقيراً له ، بينما تمثل الكتب الصفراء عملاً مجيداً بالغ الأهمية فى تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإنسانى .

ولقد كانت هذه الكتب الصفراء مصدر تنافس خطير بين الغربيين الذين نقلوها إلى بلادهم وكانت مصدراً للنهضة العلمية والفكرية المعاصرة، بل لقد بذل المستعمرون منذ وردوا العالم الإسلامى جهوداً ضخمة فى

الحصول على الوثائق المخطوطات والكتب المدفونة في المساجد القديمة ونقلوها حتى عمرت بها مكتبات باريس وبرلين ولندن .

ولقد جهل المسلمون والعرب قدر هذه الثروة الضخمة وتحاولوها فترة طويلة تحت ضغط الدعاوات المضللة التي كانت تدعوهم الى النظر اليها بعين الاحتقار ، ازاء المؤلفات الغربية الحديثة الباهرة المظهر ، ولكنهم عادوا من بعد الى ايمان عميق بتراثهم وانتقل كثير من اعلامهم الى خزائن الكتب الغربية يصورون هذه المؤلفات وينقلونها الى وطنها مرة اخرى .

ولقد حوت هذه الكتب الصفراء ندرا من العلم والفكر ، وخاصة كتب الفقهاء التي ضمت عشرات من حلول القضايا والمعضلات وكتب التاريخ التي جمعت مئات المواقف وتراجم الأبطال وكتب الكيمياء والطب والعلوم الطبيعية المختلفة التي قامت عليها نهضة أوربا الحديثة والتي كشفت للغربيين « أصول المنهج العلمي التجريبي الاسلامي » .

وما تزال هذه الكتب الصفراء مرجعا ثرا للمسلمين والعالم كله ، بها حوت من تراث ضخم حي ، لم يستطع المعاصرون استيعابه والانتفاع به .

كتب المحاضرات

في فترة من فترات التاريخ الاسلامي ، استشرت كتب المحاضرات التي جمعت ما تجمع لدى العرب والمسلمين من أساطير الأمم السابقة رواياتها وخرائفاتا وشعرها وحكمها وقد بدأ ذلك على انه تراث يكشف للمسلمين علامات فكرهم الاصيل المستمد من القرآن والتوحيد ، وبين الفوارق البعيدة بين التوحيد والوثنية ، وبين العلم القائم على العقل ، وبين الخرافات والأوهام .

غير انه في خلال مراحل الضعف التي مرت بتاريخ المسلمين ومع ضغط قوى الغزو الاجنبية من مجوسية وباطنية ودعاة الفلسفة اليونانية ، قللت جمعت هذه الأساطير والخرافات وشكلت تيارا ليس من الفكر الاسلامي الاصيل ولكنه من الدخائل واضافات التقليد والابتداع .

ولقد حرص كثير من الباحثين المنصفين على الإشارة الى هذه الآثار

والكشف عن أخطائها وسمومها ، وحذروا من اعتبارها مراجع أصيلة ،
أو مصادر سليمة ، غير أنه في خلال يقظة الفكر العربي الحديث ، لم
يلبث دعاة الغزو الثقافي والتغريب أن عملوا على إحياء هذه الكتب وإعادة
إداعتها من جديد ووضعها أمام الباحثين على أنها مصادر يرجع إليها .
ومن ذلك ألف ليلة والاعاني وكليلة ودمثة ورسائل الخواء الصفا وغيرها ،
ولقد اعتد الفكتور طه حسين في كثير من مؤلفاته على هذه الكتب وكان
من العاملين على إعادة طبعها ونشرها والتعريف بها .

كما عمل على إحياء كثير من الأساطير التي أحاطت بالسيرة النبوية
وحياة المسلمين في العصر الأول وضمنها كتابه (على هامش السيرة) ،
هذا بالإضافة الى دعواه المبجلة في القول بأن القرن الثاني كان عصر شك
ومجون اعتادا على نصوص استخرجها من كتاب الاغاني الذي لم يكن
مؤلفا ليكون مرجعا تاريخيا او علميا ولكنه كان من اعمال الترف والتسلية
في جمع شعر الاغاني وسير شعرائه .

ولا شك أن الباحث الثبت لا يتخذ من مثل هذه الكتب مراجع
اساسية له .

اللاتينية

جرت محاولات كثيرة في مطلع هذا القرن وفي ظل النفوذ الأجنبي
الى اعلاء شأن اللغة اللاتينية وفرضها للتدريس بجوار اللغة العربية
واللغات الحديثة وكذلك الى توجيه الاهتمام بالأدب اللاتيني القديم .
والمعروف أن اللغة اللاتينية قد هجرها أصحابها منذ وقت بعيد وانها
قد ماتت ، ونشأت على انقاضها اللغات الفرنسية والاطالية والانجليزية
الحديثة التي لا يزيد عمرها على أربعمائة عام .

ولقد حاول كثير من دعاة التغريب عقد المقارنة بين اللغة العربية
واللغة اللاتينية . والعجب من بقاء العربية بينما انتهت اللاتينية وانطوت
صفحتها ، ولقد جرت المحاولات لاعلاء شأن اللهجات العامية في العالم
العربي كمحاولة للقضاء على اللغة العربية الفصحى « لغة القرآن »
وأحلال هذه العاميات مكانها ، غير ان هذه المحاولات كلها باءت بالفشل

فهيست اللغة اللاتينية كاللغة العربية ، وإذا كانت اللغة اللاتينية لغة أمة فقد انتقلت بانتهاؤها ، أما العربية فهي لغة أمة ولغة فكر ، وقد ارتبطت بالقرآن الكريم فأصبحت إلى جانب أنها لغة العرب الذين يبلغون مائة مليون فإنها لغة المسلمين الذين يبلغون سبعمائة مليون ، فهي لغتهم وفكرهم ولغة دينهم ولغة هذا التراث الإلهامي العربي المضحى ، الذي لا سبيل للعرب والمسلمين إلى الاستغناء عنه .

أما اللغة اللاتينية فإنها لغة تاريخية تدرس اليوم من أجل أحياء نصوص الأدب اللاتيني القديم ، وربما كانت لها أهمية خلفية في دراسات الجامعات الغربية ولكن أهميتها في دراسة الجامعات العربية قليلة ، ذلك أن الآداب اليونانية واللاتينية تختلف اختلافا واضحا مع الآداب العربية والإسلامية في مقاصدها ومقولاتها ، ولقد رفض المسلمون في القديم ترجمة الآداب اللاتينية بينما ترجموا العلوم ، ذلك لأن لكل أمة أدبها المستند من ذاتها والقائم على أساس مزاجها النفسي والاجتماعي . ولقد ترجمت كثير من آثار اللاتينية إلى العربية وحرص هؤلاء المترجمون على إزاحتها بكل وسيلة ولكن الذاتية العربية رفضتها وأحست بالفارق العميق بين طابع النفس العربية القائم على الفطرة والإيمان بالله وبين طابع النفس اللاتينية الوثني .

اللاهوت

أطلقت كلمة اللاهوت في الاصطلاح المستعمل في الكتابة العربية على مفهوم الدين الغربي ، أي فيما تمثل العلاقة بين الله والناس ، أو ما يطلق عليه في مصطلحات الإسلام : العبادات .

ولما كان مفهوم الدين في الفكر الغربي قائما على هذا الجانب وحده ، فقد وصف بأنه لاهوت ، ومن هنا تبدو التفرقة الواضحة بين مفهوم الفكر الإسلامي ومفهوم الفكر الغربي فالإسلام ليس ديناً فحسب ، ولكنه دين ونظام مجتمع .

ذلك أن الإسلام لم يفصل بين علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالناس والمجتمع بل هما عنصران متكاملان لا ينفصلان .

مسيحية لها حتى الغرباء ففقد تلقى الأوربيون الذين المسيحية في ظروف كانت الأمم قسدهم أظلمت منها هجها الإطعماعية على أساس الفلسفة اليونانية الوثنية ، والقانون الروماني ومن هنا فقد تقبلت أوروبا دين المسيحية كإطار جامع بين وصايا المتخية وبين هذين التراثين ، ومن هنا بقي مفهوم الدين حتى نظر المفكرين الغربيين قائما في أساسه على العلاقة بين الله والإنسان ، أما فيما يتعلق بالمجتمع فقد أقر الغربيون مناهج اليونان والرومان التي كانت سائدة فعلا .

أما في العالم الإسلامي فقد بدأ الإسلام ببناء جماعة صاغها على مبادئه وظلت هذه الجماعة تنمو حتى شكلت المجتمع الإسلامي من خلاله متابعيه وهيبة ، ومن هنا فقد تكاملت في مجتمعه عناصر الإسلام عن عقيدة وشريعة وأخلاق ، ومن هنا اختلف مفهوم الغرب عن مفهوم الإسلام في هذا الأمر ، وكان لهذا الخلاف أثره البعيد في فهم الغربيين للإسلام أو في محاولة التفريريين تحويل المسلمين عن هذا المفهوم ، ودعوتهم إلى قصر الإسلام نفسه أو تركيب العقل العربي الإسلامي منذ خمسة عشر قرنا .

المنهج العلمي التجريبي

جاء الإسلام دينا ومنهجيا اجتماعيا ولقد كانت دعوته إلى العلم أبرز مناهجه ، فقد حث المسلمين على النظر في الكون ، والسعى في آفاق الأرض ، واستخراج ثمرها ودعا إلى العلم ونادى بالبرهان والدليل ، وأقام الإنسان سيدا على الأرض تحت حكم الله . فكان هذا هو منطلق المسلمين إلى النظر والبحث والعمل .

ومن هنا نشأ منهج المعرفة الإسلامي ذي الجناحين القائم على أساس العقل والبصيرة معا ، دون فصل أحدهما عن الآخر أو إعلانه ، ومن هنا أخذ المسلمون علوم السابقين جميعا فنظروا فيها ثم صححوا ملاحظ فيها من أخطاء وأعادوا صياغة مناهجها بما يتفق مع روح الإسلام وطبيعة المجتمع الإسلامي التي تختلف عن روح اليونان والإغريق الوثنية وعن مجتمع الرومان العبودي ومن ثم أنشأ المسلمون منهجهم العلمي التجريبي

الذى تخطى المنهج الاغريقي النظري ، وتقسم فى مجال الطب والفلك والعلوم الطبيعية والكيمائية على نحو يحقق كثيرا من نتائج الطبيعة .

ثم كان أن تتلمذ الغربيون على هذه المناهج فى جامعات قرطبة واشبيلية ونقلوها الى انحاء اوربا ثم سيطر الأوروبيون على الاندلس وأخرجوا المسلمين والعرب من اوربا جميعا ، واستولوا على هذه المناهج والأبحاث ، ثم امتدت أيديهم حتى حققت ثمرات العلم والحضارة العصرية .

غير أن الغربيين أنكروا فضل العرب والمسلمين على هذا العمل فترة طويلة ، وظلوا أكثر من أربعمئة عام يؤكدون أن المسلمين كانوا يعيشون القرون الوسطى ، وأنهم لم يكونوا الا نقلة للفكر اليونانى ، غير أن اصوات مفسفة لم تلبث أن ظهرت فى السنوات الأخيرة كمنصفين للحقائق واعترفت بفضل العرب والمسلمين ، ليس فى مجال العلم والطب والمنهج التجريبي وحده بل فى مختلف مجالات الفكر العالمى من تاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد .

المرأة وتحرير المرأة

كانت الدعوة الى تحرير المرأة أساسا ثمرة من ثمار الدعوة الاسلامية ، فقد أعطى الاسلام للمرأة حقوقا فى مجال المجتمع والاقتصاد والعلم لم تكن تعرفها أوربا اذ ذاك ، حيث كانت تعقد المؤتمرات فى الغرب للنظر فيها إذا كانت المرأة مخلوقا انسانيا أم لا ، فى هذه الفترة بالذات كان محمد بن عبد الله ينادى فى قلب الجزيرة العربية بحرية المرأة ومكانتها ويعلن حقوقها الاجتماعية والاقتصادية التى منحها الاسلام .

وقد كتبت المرأة المسلمة فى ظل الاسلام صفحة ناصعة فى مختلف المجالات غير أن مرحلة الضعف والتخلف قد ألقت ظلها على المرأة وعلى المجتمع كله ، فانزوت المرأة ، ثم فرض عليها الجهل والحجاب ، فلما جاء الغرب جعل من بين أهدافه الاستعمارية تدمير الأسرة وإخراج المرأة الى الحياة وخلق أجواء من الحب والغرام والاثم ومحاولة تحرير المجتمع من قيم الفرية والعرض والكرامة التى قدمها الاسلام للمرأة .

غير أن الاستعمار لم يكن يستطيع أن ينفذ برامجه إلا على مراحل طويلة ، ليتمكن من أبرز ماعمله لإذاعته : « القصص الغريبة الإباحية » فأغرى كثيرا من الكتاب الشوام بترجمة القصص فذاعت ذيوغا شديدا ودخلت كل بيت والفت الى العذارى تلك النشوة الخيالية في صور من الإباحة والوهم ، فاثارت في النفوس نائرة الغريزة والهبت في المشاعر عواطف الجنس وأغرقت البلاد بالأممية الليلية والراقصات ، والخمر والساليب الدعارة وأباححت البغاء وجعلت له أحياء خاصة ودافعت عن وجوده .

ولقد حوص الفهرون على كشف مفاهيم الاسلام في تحرير المرأة ، هذا التهم القائم على تعليم المرأة واشتغالها بالأعمال التي تناسب طبيعتها بعد دعم شخصيتها بتربية سليمة قوامها القدوة الصالحة ، وبتعليم متخصص يدرس لها ما تحتاج اليه ولا يشغلها بما يشغل به الصبيان . غير أن الاستعمار حال دون ذلك بإفساد التعليم وبإفساد الأسرة نفسها ، ومن هنا فقد استغلت صيحة تحرير المرأة التي نادى بها بعض الكتاب ، في سبيل تحقيق أهداف الاستعمار نفسه ، ولقد ركز البشرون في تقاريرهم على تعليم المرأة في مدارس الإرساليات الخاصة الداخلية واهتموا بتعليم أبناء السراة والأمراء والقادة . وقالت إحدى كبريات المبشرات أن هذا التعليم هو أقرب طريق لهدم الأسرة المسلمة .

المحافظة

وصفت « المحافظة » في الأدب العربي الحديث بأنها تقف في مقابل (التجديد) ، وكان هذا خطأ مقصودا ومغالطة تغريبية خالصة ، ذلك أن المحافظة ليست جمودا ولا تأخرا . ولا رجعية الى التقليد ، ولكنها محاولة لإيجاد الترابط الصحيح بين الخطوط المختلفة لشخصية المجتمع والفكر جميعا .

فإن الدعوة الى التجديد وحدها إنما تستهدف إخراج الفكر والمجتمع من مقوماتها الأصيلة بينما الجمود وحده هو دعوة الى التوقف عن النمو وكلاهما ليسا من الخير الذي تترقبه المجتمعات إبان النهضة .

وإنما تقوم النهضة على عوامل مختلفة قوامها المحافظة على القيم

الأساسية الثابتة التي بنيت عليها الأمة أساساً ثم تفتح الباب للجديد فتتطرق فيه في وعى ورشد ، فتأخذ منه ماتراه صالحة لتنموها وتجديد حياتها .

ولقد كانت تجارب الأمم جميعاً من هذا النوع ، ولم تر أمة أصيلة التاريخ عميقة الجذور ذابت في فكر أمة أخرى أو مناهجها وانتقلت كلية إلى الجديد الوافد .

ذلك أن هذا الجديد الوافد إنما يجيء عادة تسراً وفي ظل ظروف التهور والاحتلال ، ولئن هذا الجديد قد يكون خاصاً بأمة وأهله ، من نتائج فكرهم وفي مواجهة معضلاتهم ، وتحديات مجتمعاتهم ، ولذلك فإن أي تجربة من تجارب النهوض في الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد في أي أمة ، لا تكون صالحة للنقل أو الاقتباس من أمة أخرى ، شأنها شأن البذور التي قد تنمو في تربة ولا تنمو في تربة أخرى .

ولقد كانت الدعوة إلى التجديد واتهام المحافظة ، من التحديلات التي ولجتها مجتمعاتنا في ظل النفوذ الأجنبي الذي كان حريصاً على أن يخرج هذه الأمة عن مقوماتها وأغراءاتها بالرائي الجديد الوافد الذي يختلف مع طبيعتها وعقائدها وذاتيتها ، حتى لقد دعا أحدهم إلى أن نأخذ الحضارة الغربية شرها وخيرها وما يحمد منها وما يعاب ، فإذا تصدى أحد لهؤلاء الغزاة وأعلن أن لهذه الأمة مقوماتها وصف بالمحافظة أو الجمود أو الرجعية ، ثم تحرر الفكر العربي من هذه الدعوة الضالة حيث تحول بعض هؤلاء الدعاة إلى المحافظة والاعتدال وعرفوا أن قيم الأمم عميقة الجذور يستحيل أن تقصف أو تقتل تحت أي تهديد أو اغراء .

المعرفة والعقيدة

كان من أخطر ما واجه الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي : تضبيب المصطلحات وتنويه المفاهيم ووضع الأغشية في وجه الفوارق بين القيم حتى يظل السذج البسطاء على فهم مضلل ، ودون أن يعرفوا الفرق بين كلمة حق واضحة عميقة وكلمة باطل موهمة لها بريق وخداع .

ومن أخطر هذه المصطلحات محاولة إخلال كلمة « المعرفة » بدلا من كلمة « العقيدة » ، فالمعرفة : هي الثقافة المسالمة والعالمية المشاعة

للناس جميعا ، والتي تمثل التعريف بأنواع المعارف المنثورة فى الثقافات المتعددة وهذه تختلف اختلافا واضحا عن العقائد التى تتصل بأمة بذاتها والتى تتشكل من خلال تراث وقيم وتاريخ ودين ، وهى تختلف اختلافا واضحا فى كل أمة عن الأمة الأخرى ، وتختلف بين أمم الشرق والغرب ، وتختلف بين المسلمين وبين غير المسلمين ، وبين العرب والغرب .

ولقد تشكلت الأمم منذ قديم من خلال عقائدها وقيمتها ولغتها ومفاهيمها على نحو جعل لكل منها طابعها المختلف ، فإذا صنفنا هذه الخلافات وصلنا الى ثلاثة جذور هى :

✽ الأمم الشرقية ذات التراث الروحى الخالص التى تستند مفاهيمها من آراء بوذا وكونفوشيوس والبرهمية وغيرها من العقائد التى تعلى شأن الوجدان والقلب والبصيرة .

✽ الأمم الغربية ذات التراث اليونانى الإغريقى الرومانى الهلنى الوثنى من آراء سقراط وأرسطو وأفلاطون وغيرها من العقائد التى تعلى من شأن عبادة القوة وعبادة الجسد وتاليه العقل .

✽ الأمة الإسلامية ومنها العرب ذات التراث التوحيدي الخالص القائم على منهج متكامل من العقل والبصيرة ، الرابط بين الروح والمادة والدنيا والآخرة ، والعلم والدين .

ومن هنا فقد كان من الضرورى لأمتنا وهى مفتوحة للنوافذ للمعارف المختلفة والعقائد المختلفة أن تكون على وعى بالفوارق بين المعارف والعقائد .

المثل الأعلى

يختلف المثل الأعلى فى كل دين وعقيدة وفلسفة ، وقد صورت المسيحية المثل الأعلى فى القديس المتبذل الزاهد الواعد ، وبصور نيتشه « المثل الأعلى » فى السوبرمان الطاغية الأنانى المتفطرس المتجبر ، أما فى الإسلام فلا نجد المثل الأعلى فى الانسنان بل نجده ممثلا فى الله سبحانه وتعالى ، وفيه تعالى تجتمع من الكمالات المطلقة أقصى ما يستطيع

عقل بشرى أن يتصوره ، ويحد المسلمون في الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى في صفاته وأسمائه الحسنى « ولله المثل الأعلى » « وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ويرى الدكتور توفيق الطويل : أنه إذا كانت الرحمة في المسيحية هي رأس الكمالات والقوة عند نيتشه هي قمة الفضائل ، فقد جمع الله تعالى بين الرحمة والقوة في تعادل وتوازن فهو قادر منتقم وهو غفور رحيم وصفات القوة والجبروت عنده لا تطفئ على صفات الرحمة ، ويقول : أن الله هو المثل الأعلى لكل من آمن بالاسلام فمن اعتدى بهدى الاسلام حق عليه الاقتداء بالله ، ومحاولة الاقتداء بصفاته الحسنى ، أو كما يقول الصوفية من المسلمين : « تحقيق الكمالات الالهية على قدر الطائفة البشرية » وينجلي المثل الأعلى الاسلامى في مفهوم السلم والحرب باجلى صورة فالله سبحانه وتعالى حرم البدء بالعدوان (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وليكنه اكد رد الطوائف (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .

وهو سبحانه الذى دعا الى المصابرة والمرابطة : يا أيها الذين آمنوا اصبروا (أى غالبوا الأعداء بالصبر على المسكاره في الحرب) ورابطوا (أى اجتمعوا في الثغور مترصدين للعدو متهيئين للغزو) ويقول (ولعنوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) أى قلاع وهصون .

أما في الغرب فقد انكر الفلاسفة مفهوم المسيحية للمثل الأعلى ، ودعا نيتشه الى صورة أخرى للمثل الأعلى تتمثل في الإنسان الأعلى : وفي صورة الطاغية المستبد الأنانى الجبار الذى يعتصم بالظلم والقسوة والجبروت ويحتقر الصبر والحلم والدعة ، يطالب بالقضاء على المرضى والمحتاجين ، ويرد الدكتور توفيق الطويل المثل الأعلى الذى رسمه نيتشه الى نظرية التطور التى تأثر بها ، وأصر على تطبيق قانونها على الأخلاق ، ودعا الى ترك المبادئ الخلقية والانصراف عنها ، حتى ينقرض الضعيف ويبقى الأقوى ، وكانت نتيجة التطبيق مروعة ، اذ سرعان ماتحولت به فضائل المسيحية من اجسان وتضحية ، وأصبحت القسوة والظلم والبغى والعدوان ونحوها فضائل تتجلى فيمن أسماه (السوبرمان) وقد قسم

نيتشه الأخلاق إلى أخلاق سادة وأخلاق عبيد ، ووصف المسيحية بأنها أخلاق عبيد ، أما أخلاق السادة فتمثل في إرادة القوة واحترام الظلم والقسوة والمغامرة .

ويرى الدكتور الطويل أن مرد فلسفة نيتشه إلى رجل مصاب في جسمه وفي عقله وقد أمضى غفرا من حياته يمانى آلام مرض وراثي في جسمه ، وفي مناعب صرغ أصابته في عقله مما دعاه إلى التماس مثله الأعلى في دنيا المغامرة واقتحام الأخطار .

ولكن نيتشه انتهى ، ومثله الأعلى لم ينته ، بل يكاد يكون المثل الأعلى للفكر الغربي في العصر الحديث وبه يتمثل الاستعمار والنفوذ الأجنبي والصهيونية .

ويتصل المثل الأعلى الغربي بآراء ميكافيلي ، ومذهبه في السياسة الذي اعتنقه أوروبا حيث يرى أن السيادة لا ترتبط بالضمير ولا بالأخلاق .

منطق أرسطو

سبقت الفلسفة اليونانية الأديان الكبرى الثلاثة ثم كلن لها تأثيرها الواضح على الديانة الموسوية ، ثم انتقل إلى الديانة المسيحية . فلما ظهر الإسلام وتمت رسالته واكتمل منهجه ، وكانت دعوته إلى التوحيد امتدادا لمفهوم الأديان المنزلة من عند الله قبل انجرافها ، بدا هذا التوحيد غريبا بالنسبة لمفاهيم الأديان التي كانت قد اختلطت فيها الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية مع الأديان القديمة كالبوذية والمجوسية وغيرها ، ومن هنا بدت مفاهيم هذه الأديان متقاربة متشابهة ، وبدا الإسلام منذ ذلك الوقت وإلى اليوم وكأنه يحمل مفاهيم مستقلة تختلف كل الاختلاف في جوهرها عما وصلت إليه الأديان من تضارب وتحريف .

ولسكن الفلسفة اليونانية لم تلبث أن اقتحمت مجال الفكر الإسلامي وأثرت فيه ، لقد استعان الإسلام بمنطق أرسطو في فترة من أدق الفترات وهي مواهبة مهاجمتك الأديان وضيالها ومساجلاتها . ومنه انطلق علم الكلام للرد على شبهات خصوم الإسلام بنفس منطقهم .

غير أن الفكر الإسلامى لم يلبث أن تحرر من منطق أرسطو ، وكشف
أعلام هذا الفكر عن منطق للقرآن وكان لابن حزم والغزالى وابن تيمية
آراء واضحة فى هذا المجال ، ومما ذكره الغزالى أن منهج الكلام مثل
الدواء وهو مما يحتاجه الإنسان فى فترة المرض .

أما منهج القرآن فهو مثل الماء والغذاء مما يحتاجه الإنسان فى مختلف
عقرات حياته ، ثم جاء ابن تيمية فألف كتابه (الرد على المنطقيين) فأشار
الى أن للقرآن منطقاً خاصاً يختلف عن منطق أرسطو . وقد كشف ابن
تيمية فى منطق أرسطو عن خصائص العقلية اليونانية التى تبين الفكر
الإسلامى وتختلف عنه فالعقلية اليونانية تقع تحت الطابع النظرى فى
التفكير وتعلو من شأن العلوم النظرية وتراها أثرف من العلوم العملية
وتهتم بالجانب الصورى من المنطق دون المادى وتجعل القياس أكثر أنواع
الاستدلالات يقيناً ، بينما يقرر الإسلام أوضاع الحياة العلمية ويعتمد
على التجربة . ويقول الدكتور النشار : ان العلوم الإسلامية نشأت تبعا
لحاجات الحياة بل ان اهتمام الفكر الإسلامى بالحاجات الإنسانية قد دعا
الفقهاء فى الأحكام الى العدول عن قياس الغائب على الشاهد الى
الاستحسان .

ويقول العز بن عبد السلام أن الله شرع لعباده السعى فى تحصيل
مصالح عاجلة وآجلة تجمع كل قاعدة منها علة واحدة ثم استثنى منها ما
ملاساته مشقة شديدة او مفسدة تربو على تلك المصالح ، ويعبر عن ذلك
بما يخالف القياس وذلك جائز فى العبادات والمعاملات وسائر التصرفات .

ومن هنا فقد ناصر ابن تيمية المنطق المادى وانتقد المنطق الصورى ،
وهاجم أفكار الماهيات والكميات وسائر التصورات التى لم تستند الى
وجود غيبى وبذلك يعد ابن تيمية رائدا لكل الاتجاهات الحديثة فى نقد
منطق أرسطو من أرجانون فرنسيس باكون الى المنطقية الوضعية لدى
سنتينج وكارناب وغيرهما كما ترك بصمات واضحة فى المنطق المادى لدى
بيكون وميل المنطق السيكولوجى لدى كوزان وقد هاجم ابن تيمية
الفلاسفة الذين تشيعوا لمنطق أرسطو أمثال الغزالى وابن سينا وابن رشد .

وكان منهجه الواضح هو الكشف عن أن هناك مبانة واضحة بين الفكر الاسلامي والفكر اليوناني في أعماق أعماله وفي قضاياها الرئيسية .

ويرى ابن تيمية أن التسليم بمنطق اليونان يقوض أساس الحضارة الاسلامية اذ سينتج عن ذلك أحكام عامة تهدم ما تبناه المسلمون من أحكام ولا سيما في نطاق الالهيات . « فكانت طريقة ابن تيمية لا في نقد المنطق الارسطالينسي وانما في استخلاص منطق بعيد عن خصائص العقلية الاسلامية ويحمل طابع الحضارة فيها » .

المسرح والفكر الاسلامي

يتردد القول كثيرا حول المسرح والقصة في الفكر الاسلامي والاديب العربي .

لماذا لم يظهر المسرح في الفكر الاسلامي ، والواقع أن ذلك يتفق تماما مع خاصية النفس العربية الاسلامية بطبيعة تركيبها ومن خلال مزاجها النفسي الذي اتصل بمفهوم الاسلام والقائم على التوحيد فقد تشكلت هذه النفس مطبوعة على الصراحة والوضوح ، وقد فرض عليها ذلك ايمانها بالله ، وجوها الصحراوي الواضح الذي يمتلئ بالضوء منذ الصباح الباكر فاذا اشرفت الشمس عم الكون كله ضياء ونور .

فالنفس العربية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل الصراحة ، لا تحتاج الى الرموز ولا الى الالبيات ولا تجد هناك ما يحول دون أن تقول الكلمة ، وقد أعطاها فكرها الاسلامي هذه القوة وهذا الوضوح ، فضلا عن بساطة العقيدة الاسلامية التي لا تحتاج الى مسرحية طويلة لتشرحها أو تجلى في نفوس الناس وعقولهم فلسفتها .

وبالاضافة الى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة العربية فاتمامها على الوضوح والايجاز ، حتى عد أبلغ الكلام هو السهل الممتنع . وقال النبي عن نفسه . ان الحكمة قد اختصرت له اختصارا . وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : ان النبي لم يكن يسرد كسر دكم هذا ولكنها كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر فى انتفاء الملاحم والأساطير والمسرح عن الأدب العربى والفكر الإسلامى ، فقد كانت هذه الملاحم والأساطير والمسرح نتيجة لطبيعة الأمم التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للافصاح عن فكرها حيث عاشت فى بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام والغيوم والسحب ، وعرفت بالجبال العالية والبحار العميقة ، وما يتصل بذلك من مخاوف كانت تملأ قلوب سكان تلك البلاد . ومن هنا نشأت الأساطير والقصص الخرافية ، وكانت الفلسفة الوثنية تحتاج الى تفسير وإيضاح ، ومن هنا كان الرمز فى التعبير وكان المسرح للتوضيح فكيف يوجد هذا فى بيئة تختلف كل الاختلاف ، ولا تحتاج الى مثل هذه الوسائل لإيضاح فكرها أو تبليغ كلمتها .

ولقد رأى العرب الشعر اليونانى والقصة اليونانية إبان حركة الترجمة التلقائية فأعرضوا عنها لأنها كانت مليئة بالوثنيات والأساطير . وكانت متعارضة مع ذاتيتهم وعقائدهم ، أما ترجمتها اليوم فإن ذلك لم يكن بارادة الفكر الإسلامى ، ولكن مما فرض عليه . ومع ذلك لم يسفها ولم يتقبلها .

القرآن والأدب

جرت محاولات فى دراسات الأدب العربى خلال الثلاثينات ، كانت تستهدف وضع القرآن الكريم موضع النقد وتعتبره أثرا أدبيا يمكن أن يجرى عليه مايجرى على أى قصيدة شعرية أو قطعة بلاغية .

ولقد أخطأت هذه الدعوة طريقتها ، لأنها اعتبرت القرآن كتابا موضوعا ، كتبه محمد ، بينما القرآن ليس كذلك ، فهو من آى الله المنزلة من السماء وليس من صياغة البشر ، ولذلك فإن وضعه موضع النقد ليس بالأمر الصحيح علميا حيث تناقش آثار الأدباء والكتاب .

ولقد أجرى الغربيون نفس المراجعات على التوراة والكتب الدينية، غير أنهم اكدوا بطريقة حاسمة قبل أن يقوموا بهذا العمل أن هذه الكتب ليست سماوية ولا منزلة ، وإنما محررة بأقلام بشر ، وقد بلغوا فى ذلك مبلغا بعيدا من التحقيق فذكروا أسماء الكتاب الذين شاركوا فى

كتابة هذه الكتب ، ومن ثم فقد اعتبروها تراثا أدبيا قابلا للمراجعة والنظر وأخضعوها لقواعد النقد الأدبي .

ولكن الذين حاولوا مثل هذه المصولة في الأدب العربي كانوا يعرفون أن القرآن نص سماوى موثق ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه ، وأنه ظل محفوظا دون أن يطرا عليه ما طرا على الكتب الدينية الأخرى ولذلك فقد كانت محاولتهم إخضاع القرآن لمثل ما أخضعت له الكتب الأخرى في الغرب ، كان جراءة ومجازفة وخروجا على مناهج البحث العلمى نفسه .

غير أن النظر في الدوافع والخلفيات يكشف عن أن هذه المحاولة لم تكن خالصة لوجه البحث العلمى ولكنها كانت ضمن مخطط تفريبي يرمى الى اخراج شباب المسلمين الذين يتعلمون في الجامعات من قدسية النص القرآنى ، وخلق احساس بالاستهانة به والنظر اليه على أنه كتاب أدبي خالص ، وقد جاء ذلك في غيبة التربية الإسلامية الصحيحة التى كان الاستعمار قد رفعها من مناهج التعليم حتى لا يبقى في نفوس الشباب أى قدر من الاحساس بأصالة القرآن وسلامته وأنه منزل من عند الله .

هزيمة المعتزلة

يردد كثير من الباحثين الغربيين ومن تابعهم من كتاب يكتبون باللغة العربية هذه العبارة « هزيمة المعتزلة » يريدون بها القول بأن هذه الهزيمة انما كانت عاملا من عوامل الضعف الذى حل بالمجتمع الإسلامى .

وهؤلاء الباحثون هم اما معرضون يعرفون الحقيقة ويتجاهلونها في سبيل تمويه الأمور وغش القراء وتضليلهم عن حقيقة تاريخ الإسلام وفكره .

واما هم مع الأسف لم يستوعبوا حقائق الإسلام ولم يفهموه فهمها صحيحا ، وربما فهموه من داخل دائرة الفكر الغربى الذى كان دائما سيئ الرأى في الإسلام وفي الأديان عامة .

والحقيقة ان هزيمة المعتزلة كانت نتيجة طبيعية لاختلاف هذه الدعوة مع جوهر الإسلام ومع طبيعة الفكر الإسلامى ومنهج المعرفة فيه ، هذا

المنهج الذى يقوم على جماع العقل والوجدان ، لقد كان الاعتزال أساسا محاولة أصيلة لمواجهة المذاهب الفلسفية التى كانت تحتمى وراءها الأديان المعارضة للإسلام وقد أدى دوره فى هذا المجال على أحسن وجه ، وواجه علماء الكلام فى الأديان والفلسفات الأخرى فى قوة وإفلال منهم وحقق كثيرا من النتائج وأدخل مئات من الوثنيين فى الإسلام .

غير أن المعتزلة لم يلبثوا أن بلغوا درجة من الغلو فى تأكيد موقفهم وفكرتهم ، وبذلك أعلوا شأن العقل وبلغوا به مبلغا خطيرا ، ولما كان المسلمون يؤمنون بالغيب والشهادة ، ويؤمنون بالوحي والعقل ، ويتكامل إيمانهم هذا ويتشكل فى وحدة واحدة فإن إعلاء شأن العقل وحده كان خروجا على مفهوم الإسلام ، وهو خروج عرض المعتزلة للهزيمة وعرض فكرهم للانحياز تحت أضواء الإسلام الصحيح ، ومن هنا جاءت تعديلات وتصحيحات قام بها الإمام الأشعري ومدرسة الإمام أحمد بن حنبل إذ كان لابد أن يعود الإسلام الى أصوله ، وأن يتحرر مما أصابه من طريق الفلسفة اليونانية من انحراف .

ولذلك كانت هزيمة المعتزلة نصرا لأصالة الإسلام وتعديلا لمسار فكره وربما كان حزن بعض الغربيين على هزيمة المعتزلة راجعا الى ما حاولوا أن يلصقوه بها من أنها كانت منطلق الفكر اليونانى الإغريقى وأنها لو حققت نجاحا مطردا لقضى ذلك على وسطية الإسلام وتكامله بل وربما قضى على أرفع مفاهيم الإسلام وأصلها الأصيل « التوحيد » ولذلك فهم يتمسحون بالمعتزلة ويعطون من شأنهم .

المعتزلة مالهم وما عليهم

أنكر عليهم علماء أهل السنة مافى مذهبهم من الأخطاء بالبيان والحجج . إلا أن غلوهم فى التمسك بالعقليات فى الأمور التى لا مجال للعقل فيها من المغيبات ذلك الغلو جعلهم يسيئون التصرف فأغروا الخلفاء بحمل الناس بالقوة عن اعتناق مذهبهم والتبرؤ من كل اعتقاد يخالف مايقولون به وقد شغل السلطات الحاكمة بالقبض على العلماء المخالفين وإيداعهم السجون وأبعادهم عن بلادهم وأهلهم وضربهم بالسياط حتى اضطرروا كثيرا

منهم تحت التهديد والإكراه أن ينطق بخلاف ما يعتقد وثبت الإمام أحمد رحمه الله على قوله فأصلبه من ذلك بلاء عظيم وقهر وبقي تحت العذاب طيلة أواخر عصر المأمون حتى عهد المعتصم والوائق الى أن أطلقه المتوكل الذي انتصر لله ومنع التعرض له بالعودة لذهب أهل السنة ورفع الأصار عنه وفشل أهل الابتداع فى القضاء على المذهب السنى .

ولم يزل عامة الناس ينظرون بنوع من الاستنكار والاستنكاف الى مذهب الاعتزال وتجن أهل العلم لما وقع فيه رؤساؤه من الاساءة ولما تضمنه المذهب نفسه من الاعتقادات المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله .

وكان الحسن الأشعري من المعتزلة وخرج عليهم ورد على كثير مما ذهبوا اليه بالحجة والبرهان ولم يزل علماء السنة بعد ذلك يردون عليهم ويقرّبون ما أخطأوا فيه .

ومن أشهر من رد عليهم ابن تيمية فى كتابه المشهور « منهاج السنة النبوية » وهو الذى اختصره الذهبى فى كتابه المنتقى من منهاج الاعتدال .

وحدة الوجود

وحدة الوجود مذهب دخیل على الفكر الإسلامى والثقافة العربية ، وهو من المذاهب القديمة المرتبطة بالوثنية والمجوسية وفلسفات الأغريق والهنود والفرس التى تحرر منها الإسلام بالتوحيد وفصل بينه وبينها .

وتمنى وحدة الوجود تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله ، وقد أثارت هذه الدعوة موجة من الصراع الفكرى العنيف وشجبتها الفكر الإسلامى على لسان كثير من علماء الكلام والمحدثين والمفسرين والفقهاء والصوفيين السنيين ، على اعتبار أنها دعوى تتناقض مع جوهر العقيدة الإسلامية تناقضا مطلقا بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين عقيدة التوحيد بأى وجه من الوجوه .

وقد سُمى آسین بلاسیوس فى كتابه (ابن عربى) دعاة هذه الفكرة بالاسلام المتنصر Elletam eristianiza وقال انها جاءت من المذاهب الباطنية .

وهذا هو سر اهتمام المستشرقين والمبشرين بالدعاة الى هذه الفكرة كابن عربى والحلاج ، وترويج كتاباتهم رغبة فى احداث شبّهات عميقة تبليّل عقيدة البسطاء .

ومفهوم الاسلام فى مواجهة وحدة الوجود هو أن الوجود اثنان : واجب الوجود ، وممكن الوجود .

وممكن الوجود هو هذه الكائنات التى ندركها بحواسنا الخمس مباشرة وواجب الوجود هو صانعها الواحد الفرد الصمد .

كما انكر الاسلام عقيدة الاتحاد : أى حلول خالق فى المخلوق ، أو استغراق المخلوق فى الخالق ، وهو أى الاسلام يميز طبيعة كل منهما ولذا انكر الاسلام فكرة الحلول .

والاسلام لا يقبل وحدة الوجود لأن فيها انتقالا من عقيدته الأصلية (لا اله الا الله) الى مايقوله بعض الصوفية (لا موجود فى الحقيقة الا الله) وسياق كل منهما ينتهى الى نتائج مختلفة أشد الاختلاف لنتائج الأخرى .

والتصوف السنى فى منهجه يجب أن يبدأ من القرآن وينتهى اليه .

وحدة الحضارة

هناك دعوات ارتبطت بالاستعمار والنفوذ الأجنبى اطلقت عليها عبارة وحدة الحضارة ، وحدة الثقافة العالمية ، والحكومة العالمية .

وعبارة وحدة الثقافة العالمية : عبارة خلاصة المظهر براقى الصورة ولكنها تخفى فى أعماقتها التعصب والاحتقار للثقافات الانسانية ومعناها فى الواقع سيادة الثقافة الغربية وحضارتها وتشييدها على ثقافات الأمم وحضاراتها ولا سيما الثقافة العربية والفكر الإسلامى ، هذه التى سادت إفريقيا ، وآسيا ، والتى هى طابع هذه المنطقة التى ماتزال مجال النفوذ الاستعمارى للغرب وهى تسمى هذه الدعوة : دعوة التمدن والتحضير للأمم المتخلفة ، رسالة الرجل الأبيض الى العالم الملون ، والهدف الكامن

فى أعماق هذه الدعوة البارعة الملمس والمظهر ، وهو سوق الناس جميعا الى الولاء والعبودية للسيادة الغربية فى الفكر الغربى واحلال قيم الفكر الغربى ومفاهيمه محل القيم الفكرية الثقافية التى يدين بها الشرق والعالم الاسلامى والعرب وأفريقيا ، وهى قيم ومفاهيم تختلف فى جوهرها عن قيم الفكر الغربى ومفاهيمه .

ومن الحق ان يقال ان هناك دعوات متعددة للحكومة العالمية او الوحدة العالمية . فالماركسية تدعو الى وحدة قوامها الفكر الماركسى ، والامبريالية الغربية تدعو الى وحدة تقوم على قيمها ومفاهيمها ، وتحمل الصهيونية لواء دعوة الى وحدة تخضع العالم كله للفكر الصهيونى ، وكل من هذه الوحدات تتصارع وتحاول ان تفرض ايدىولوجيتها وتعمل كل منها لتضع العالم تحت سلطانها ، والحضارة الاسلامية العربية لها دعوة عريضة الى الوحدة الانسانية ، تحمل انقى المثل واتبل المبادئ ولا تتطلع من وراء هذه الوحدة الى السيادة او النفوذ الاستراتيجى ، ويرى الدكتور غوليلمو قرير والسكراتى الايطالى فى كتابه (وحدة العالم) : ان الوحدة لا تحقق بتغلب امة على امة او جنس على جنس ، ولا يمكن ان يكون فرد واحد سيد العالم . وكذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات فهذا غير ممكن .

ويتساءل هنريك رالف فى كتابه (الانسانية والوطنية)

Hamante et Patria

هل يحذر بالأمم الضعيفة المهدومة الحقوق ان تأخذ بالنزعة الانسانية وتضحى بالنزعة الوطنية ، وهل تفكر فى سعادة الانسانية قبل ان تفكر فى سعادتها .

ويرى هنريك رالف ان النزعة الانسانية يجب الا تحققها الا الأمم القوية ، أما الأمم الضعيفة فان لم تتمسك بوطنيتها اعتدت عليها الأمم القوية . ويمتد هنريك رالف ان انصار السياسة الانسانية هم طائفة

المنافقين يروجون لها دفاعاً عن مصالحهم الخالصة ورغبة في الاستمرار على بسط نفوذهم وسيادتهم على الأمم المهضومة الحقوق .

ويرى كثير من الباحثين : أن محاولة الغرب في توحيد البشر إنما جُمِعَ صبغتها بالصبغة الأوروبية وطبعهم بطابعها . وما دام الغرب يؤمن أن ليس الإنسان في مجموعه سيد الخليقة وإنما الإنسان الأبيض وحده ، هذا الإنسان الأبيض الذي ندب لتطهير الأرض وحماية الحضارة ، فإنه لا يسبيل إلى هذه الوحدة ، كذلك دعوة الصهيونية إلى امتياز شعب الله المختار وما يرددونه من رسالة انتدبوا لها ، كل هذا من شأنه أن يحول دون وحدة الإنسانية التي لاتتجمع الا وفق مفهوم الاسلام وحده : « لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » ، وإن الأمم شعوبها وقبائلها تستطيع أن تعارف وتلتقى على الأخوة والمحبة والمساواة .

الوسطية

مفهوم الوسطية يرتبط إلى حد كبير بالفكر الاسلامي اذا تصور ان الفكر الشرقي (البوذية الكنفشوسية والهندوكية) بما يوصف بالروحانية الصرفة والفكر الغربي (المادية والماركسية والوجودية) بما يوصف بالمادية الصرفة ، في هذا يوصف الفكر الاسلامي بالوسطية الجامعة بين الروح والمادة .

وقد تنبه الى هذا المعنى كثير من الباحثين الذين يرون أن الخلاف بين ايدولوجية الفكر الغربي والفكر الماركسي لا يحلها الا الفكر الاسلامي فحيث الماركسية تؤله المجتمع والغربية تؤله الفرد، يؤكد الاسلام الرابطة الجامعة المتوازنة بين المجتمع والفرد ، وحيث يقف الغرب عند نزع الحرية وتقف الماركسية عند نزع العدل يجمع الاسلام بينهما في مزيج يعطى زيهما، ومن هنا يبدو ما يسمى وسيطية الاسلام بين الروح والمادة من ناحية وبين الفردية والجماعية من ناحية أخرى ، ويرى العلامة السلاجوقي : أن اليهودية انحرفت الى الفردية الطاغية ، واكدت المسيحية على الروحية

الصرفة ثم جاء الاسلام وسطا جعل الفرد متفاعلا مع المجتمع ، وجعل المجتمع متفاعلا مع الفرد على قاعدة التوازن . وتبرز وسطية الاسلام ليس فقط في تقريب الفرد من المجتمع وليست في تقريب المجتمع من الفرد وانما في هذا السلوك الخلقى لان الوسط بين التفریط والإفراط هو فضيلة وهو خلق .

ويقول المستر جب : اخذ المسلمون يسلكون سبيلا وسطا فيأخذون خير ما في الشرق وخير ما في الغرب ، ويتأدوا هذه الى ظهور المثل العليا الجديدة للثقافة العربية .

الباب الخامس

الدعوات والمذاهب

| | |
|-----------------------------|-----------|
| الفرعونية | البهائية |
| القومية | التبشير |
| المادية | الصهيونية |
| الماسونية | الطائفية |
| الهدامة (المذاهب الهدامة) | العلمانية |
| الوثنية | العامية |
| توحيد الأديان | العنصرية |
| فرقة النصرية | الفينيقية |

THE HISTORY OF

THE UNITED STATES OF AMERICA

1. The first part of the history of the United States is the period from the discovery of the continent by Christopher Columbus in 1492 to the establishment of the first permanent settlements in 1607.

2. The second part of the history of the United States is the period from the establishment of the first permanent settlements in 1607 to the American Revolution in 1776.

البهائية

خدع كثير من الباحثين الغربيين وربما قصد بعضهم الى اعتبار البهائية دعوة من دعوات الإصلاح والتجديد الاسلامى توضع فى مجال التقدير والاعتبار فى موازنة دعوة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وقد تلعبهم بعض الباهتئين المسلمين فى هذا الرأى ، بينما تجمع المصادر المختلفة على أن البهائية حركة مضللة للفكر الاسلامى ومحاولة تعريبية للقضاء على مفاهيم الإصلاح على النحو المستمد من الفكر الاسلامى وقوامه التوحيد ، وإحلال مفاهيم أخرى مستمدة من الدعوات الباطنية والجوسية القديمة . وآية ذلك اهتمام الاستعمار بها وتشجيعها ورعاية المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب بها فى نفس الوقت الذى تقاوم فيه هذه المؤسسات جميعها كل دعوة اصلاحية حقيقية وتخفقها فى المهد أو تجهضها قبل أن تولد .

وتبعوا دعوة البهائية واضحة فى أنها محاولة لخلق جو من التضارب الدائم بين الأمم وذلك بإلغاء الأديان القائمة وإحلال دين جديد يوحد بين الأمم وترك العصبية المذهبية والجنسية والسياسية .

وقصد الحط النفوذ الاستعمارى هذه الدعوة بالتشجيع والتقدير والتمسحت لها الصحف واهتم بها الكتاب وركزت عليها الأضواء فى نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تحاول أن تسيطر فى فلسطين وغزوات التبشير تجتاح العالم الاسلامى ومصر على الخصوص ، وقد تردد أن هذه الدعوة إنما قصد بها الى تركيز النفوذ الاستعمارى فى البلاد التى ظهرت فيها (ايران) وأنها حاولت أن تستمد مفاهيمها من موروثة قديمة باطنية ومجوسية ولكن براعة النفوذ الاستعمارى كانت قادرة على الاعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى لإثارة الشكوك فى النفوس وكسب مزيد من الذين ترعزت عقائدهم .

وكانول كتاب مضر عن التعشيرات والثلاثينات الدعوة لها والقول بأنها تقوم على أساس وحدة الأديان وأنها جماع المسيحية واليهودية والاسلام ،

وانها تستهدف توحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبية
واتحاد الشرق والغرب ، وذلك بزوال الأديان ، ولم تفلح كل وسائل الدعاية
فى أكبر الصحف — اذ ذاك — وبأكبر الأقالام فى كسب واحد من المسلمين
لهذه الدعوة بل ماتت الدعوة فى مهدها والكشفت معارضتها للذوق والضمير
والروح الاسلامى .

وقد اولت بريطانيا داعية البهائية اهتمامها ومنحته الحكومة البريطانية
لقب سير واحتفل به هربرت صمويل المندوب السامى البريطانى اليهودى
الأصل فى القدس ثم كشفت الأيام من بعد تلك الرابطة الأكيدة بين
البهائية والصهيوتية عندما عقد المؤتمر العالمى للبهاية فى اسرائيل عام
١٩٦٨ بعد وفاة زعيمها عباس البهاء بخمسين عاما وتكشفت تلك العلاقة
فى أن دعوة البهائية الى ازالة جميع الأديان اليهودية والمسيحية والاسلام
لم تكن تهدف فى الحق الا الى ازالة الاسلام .

وقد حاول البهائيون التشكيك فى آيات القرآن وتأويلها بما يؤيد
دعواهم وأنكروا عالمية اللغة العربية وكونها اللغة المشتركة — لغة
الصلاة والعلوم الاسلامية فى العالم الاسلامى — ودعوا الى ايجاد لغة
أخرى تكون لغة الأمم وذلك بالاضافة الى انكلر اعجاز القرآن والمعجزات
المحمدية .

ويجمع الباحثون المنصفون على أن البهائية بعثت جديدا للباطنية التى
وضعت تعاليمها الأولى على أساس محو الاسلام وازالة سلطانه ، وهم
يعدون مؤسس البهائية رسول الله الأعظم ولهم كتاب يسمى الأقدس يرتل
بطريقة القرآن .

ولم تتوقف الدعوة البهائية منذ ذلك الوقت بل ظلت تتجدد سنوات
بعد سنوات وفى كل مرة تجد من المسلمين من يكشف عن زيفها . يقول
فريد وجدى : أن دعوة البهائية الى اتحاد الأديان قد سبق اليها الاسلام
واسسه على اقوى الأصول فقرر أن اصل الأديان واحد ، فوحدة الدين
هى الأساس الذى يقوم عليه الاسلام وأن طموح البهائيين لأن يكون ديننا
عاما يقضى بالعجب لأنها ليست بدين سماوى وليس فيها من الأصول
والمبادئ ما يلفت العقول اليها بعد أن بلغت فى عرض نفسها على الأمم

وإن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام الذي استكمل شرائط الدين العام ، وأين هي من الإسلام الذي تبني أمما قوية ، ومهنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة ، ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برنارد شو أن مبادئ الإسلام توشك أن تهم العالم أجمع ، ويقوم الإسلام على أصلين ضمنيت لهما التعميم والخلود . موافقته للفطرة واعتماده على العقل واعتماده على العقل والعلم فأمين البهائية من هذا الموقف العلمي الحق ، وهي تقوم على أصلين أحدهما عقيد غامض قال به أفراد من محبي السبع في الخيالات وهي تصوير ذات الله بصور المخلوقين ، وثانيهما وهو صرف الالتفات عن ظواهرها وهو مجال فسيح للظنون والأوهام والخيال .

التبشير

للاستعمار مؤسسات أساسية ضخمة تقوم بالعمل على تثبيت وجوده وتأكيد بقائه : أهمها التبشير والاستشراق ، وهذه المؤسسات تحمل دعوات مختلفة إلى التغريب والشعوبية ولكنها لا تظهرها بأسمائها وإنما تخفيها وراء أسماء كبيرة برائة أغلبها يحتجب تحت أسماء ثقافية أو حضارية .

وأقوى القوى العاملة هي « المدرسة » الأجنبية في مجال التعليم والتربية وتكوين النشء والأجيال الجديدة والصحيفة في مجال الثقافة والقراءة . وقد أكتت تقارير المبشرين المختلفة على الدور الفظير الذي قامت به المدرسة والصحيفة وما تزال تقوم به في سبيل تحقيق غاية أساسية :

(أولا) تمزيق وحدة العرب والمسلمين والحيولة دون التناهما .

(ثانيا) تدمير القيم الأساسية العربية والإسلامية الفكرية والحيولة دون سيطرتها ومحاولة فرض مفاهيم أخرى « غربية » المصدر على الثقافة والتربية العربية والفكر الإسلامي رغبة في القضاء على :

١ — الرابطة بين الدين والمجتمع .

٢ — أخلاقية التعليم والتربية والمجتمع والسياسة .

٢ - اذاعة أسلوب من التحرير في مجال الفكر يصل الى الالحاد
والشكوك من التحرر في مجال الحياة يصل الى الإبادة .

والتبشير دور هام في تحقيق هذا الهدف الاساسي من اهداف
الاستعمار وهو اخراج المسلمين والعرب من القيم التي تدفعهم الى الحرية
ومقاومة النفوذ الاجنبي وعدم الانصيهار في الاممية او العالمية واقبله
مجتمعهم الخالص المستمد من قيمهم وتاريخهم ولغتهم واديانهم . فاذا
استطاع الاستعمار اذاعة المسلمين والعرب في بوتقة العالمية وصهرهم في
الثقافة العامة واخراجهم من ثقافتهم وقيمهم لم يعد هناك مجال لتشككهم
بصورة خاصة ، بصورة الذات والشخصية الخاصة ، عندئذ تصبح الحضارة
الغربية وقد حققت اكبر انتصاراتها بان احالت المسلمين والعرب الى عبيد
في القطيع الذي يسود فيه الجنس الأبيض الغربي صانع الحضارة .

وقد اجمعت خطط المبشرين ودراساتهم وابحاث مؤتمراتهم على ان
الهدف من التبشير هو : انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الاسلامي
وابعاد العناصر التي تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه ، فاذا لم تنجح دعوة
التبشير في ادخال المسلمين في دين حديد فلا أقل من أن تكون قد أخرجه
من الاسلام .

وقد كانت خطة التبشير شاملة وموحدة وذات مراحل وحلقات وقد
اشرف عليها رجال ذوو خبرة وثقافة واتصال كامل بمخططات الاستعمار
وهي تضم وزارات المستعمرات والخارجية في الدول المستعمرة للعالم
الاسلامي ، ومؤسسات التبشير الكبرى بفروعها المختلفة وارسالياتها
ومعاهدها في العالم الاسلامي بالاضافة الى جماعة المستشرقين المنشين في
مختلف الجامعات الأوروبية والمتاحف والمكتبات العلمية والمعاهد المعنية
بالدراسات الشرقية والغربية ، وقد تأكد مدى التناسق بين هذه الهيئات
من التقارير التي نشرتها هذه الهيئات والتي تكشف عن أن وزارات
المستعمرات تستخدم المبشرين في العمل داخل البلاد العربية والاسلامية ،
وتؤكد اهمية عملها وخطورة دورهم في أن يكونوا عنوانا لها وأداة لتحويل
الافكار على النحو الذي تريد ، ويتبدو هذه الاهمية في اشراف النخبة
السكبار على مؤتمرات المبشرين أمثال لورد بلفور الذي أعلن اهمية
مؤسسات التبشير في خدمة اهداف السياسة وذلك في قوله : « والمبشرون

هم في نظر الاستعمار عيونه التي تقوم باطلاع الدول الغربية بالنواحي التي يهتمهم معرفتها من عقائد المسلمين وآدابهم والثقافات التي يتأثرون بها » ويتجلى ذلك حين نرى أن مؤتمر التبشير في أدنبرج سنة ١٩١٠ يعني بدراسة قرار حول اليه من المؤتمر الاستعماري المنعقد في برلين في نفس العام : يقول هذا القرار : « إن ارتقاء المسلمين يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم لذلك فإن المؤتمر الاستعماري ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على ادوار هذه الحركة ويطلب المؤتمر الاستعماري من هي ايديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وازالة العراقيل عن طريق انتشار التبشير » .

وتتمثل خطة التبشير التي رسمها (شاتليه ، زويمر ، ماسنيون وغيرهم) في أن يكون عمل التبشير مبنيا على قواعد التربية العقلية و « التأثير على عقول المسلمين وقلوبهم » فإن مجزت ارساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية في نفوس معتنقيها فانها تستطيع أن تحقق هدفها من هدم الفكرة الاسلامية بيث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية ، وذلك عن طريق نشر اللغات الانجليزية والالمانية والهولندية والفرنسية مما يمهّد الى ادخال الافكار الغربية الهادمة للفكر الاسلامي عن طريق هذه اللغات ، ومن هنا تسقط الاوضاع والخصائص الاجتماعية الاسلامية وتحل بدلا منها الخصائص الغربية .

ويرى زويمر شيخ المبشرين « أن القضاء على الاسلام في مدارس المسلمين هو اكبر واسطة للتبشير ، وأن المسلم لا يكون مسيحيا مطلقا ولكن الغاية هي اخراج المسلم من الاسلام فقط ليكون اما ملحدًا او مضطربا في دينه ، وعندها لا يكون مسلما وهذه أسماى الفاسيات الاستعمارية » .

ومن مناهج التبشير وأنظمته تلك القاعدة التي تقول ان جميع الوسائل تستغل في سبيل التبشير حتي أعمال البر ، وأن التطبيب والتعليم من وسائل المبشرين ويقول مؤلف كتاب (طرق العمل التبشيري في المسلمين) : « لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون في الدرجة الأولى بأننا نخلصهم ، فنكون قد تعلمنا أن نصل الى قلوبهم ، وعلى المبشر أن يحترم في الظاهر

جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث إرادته بين من يصفى إليها . كما تشمل هذه الأساليب دراسة اللهجات العامية واصطلاحاتها نظرياً وعملياً ، ومخاطبة عوام المسلمين على قدر عقولهم ، وأن تلقى الخطب بأصوات رخيصة وبفصاحة ، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن يكون هيناً بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية ، وأن يكسب ثقة الشباب بالحديث في موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية ومنها يستطرد إلى مباحث الدين ، وعلى المبشر أن يحاول كسب القلوب بتظاهره بالميل إلى مطامح المسلمين من الاستقلال السياسي والاجتماعي .

ثم يرمى التخطيط إلى مرحلة أكثر أهمية حين يدعو إلى أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ، وأنه يتحنن على طيب الإرسالية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء وطبيب بعد ذلك ، وعليه استغلال فرص المرض والسيطرة على المرضى وانتهاز فرصة الضعف والحاجة وعدم القدرة على التفهم والاعتناء والدس للعقل الباطن بالإحاء .

وفي طريق العمل استطاع التبشير أن يكون في العالم الإسلامي دعاء « من أنفسهم » ركز الاستثمار على أسمائهم وأكسبها شهرة ولما نال ودفع بها في خضم الثقافة والصحافة وأزرها حتى تصدرت وأصبحت قوة لها وزنها حيث تولت كبريات المناصب في الجامعات والأعمال الرسمية .

ويقوم عمل التبشير في مجال التعليم على فرض ثقافة الغرب وتاريخه وبطولاته ولفته واتصاء لغة العرب والمسلمين وتاريخهم وإثارة الشبهات حولها وانتقاصها وفي مجال الثقافة يعمد إلى إثارة الغموزات والانتقاصات إلى الشريعة الإسلامية واللغة العربية والحديث النبوي ، على نحو يفتح باب الشكوك والانتقاصات وهو يجري في ذلك على مخطط مدروس وأسلوب دقيق فهو لا يلبث أن يثير قضية جزئية ، حتى يتوقف ، ليبدأ في إثارة قضية جزئية أخرى ، بحيث لا يشعر القارئ أو الباحث إلى أن هناك ترابطاً بين هذه الإشارات وبعضها ، اعتماداً على أنه على المدى

الطويل يستطيع أن يكسب من وراء ذلك خصما للفكر الاسلامي وصديقا للتبشير والفكر الغربي يكون عوناً على ابناء وطنه ودينه وتاريخه .

الصهيونية

الصهيونية حركة سياسية يقوم بها اليهود من اجل السيطرة على مقدرات الأمم والشعوب ، وقد ظهرت في صور شتى وكتابات ودعوات متعددة منذ سقطت الاندلس في ايدي الفرنجة الذين اخرجوا منها العرب والمسلمين ، وكان اليهود قد عاشوا في حى الأمة الاسلامية في امن ورخاء فلما تشتتوا وتوزعوا في انحاء اوربا والعالم كله واجهوا الاضطهاد العنيف مما دفع بعض حاخاماتهم الى حمل لواء الدعوة الى التجمع والسيطرة على الحكومات والدول وذلك بالسيطرة على الذهب والبنوك والثقافة والاعلام والعلوم الكيميائية ، وقد بدأت الحركة بالجماعة السرية (الماسونية) ثم استعلنت عام ١٨٩٧ بالحركة التي حمل لواءها تيودور هرتزل في الدعوة الى « الدولة اليهودية » والتي اتخذت من بعض نصوص التوراة المحرفة سنداً الى السيطرة على فلسطين ، ومن ثم كان السعى الى تحقيق هذا الهدف بكل وسائل الخداع والاكراه والظلم والافساد ، وذلك بعد أن قطع اليهود شوطاً طويلاً بالسيطرة على الحكومات الأوروبية بعد أن تجمعت الماسونية في اشغال الثورات المختلفة وفي مقدمتها الثورة الفرنسية التي كان هدفها الاساسى اعطاء حق المساواة لمختلف العناصر ، واتاحة الفرصة لليهود للسيطرة على السياسة والحكومات بعد أن كانوا معزولين عن ذلك تماماً .

وقد وجدت الصهيونية في محاولتها للسيطرة على فلسطين اعتراضاً قوياً ورفضاً قاطعاً من السلطان عبدالحميد خلال مدة حكمه للدولة العثمانية فقد رفض كل العروض والمغريات والتهديدات في هذا الصدد ووقف موقفاً مشرفاً كان من نتيجته أن اشتد التأمر عليه حيث اسقطته المنظمات الماسونية التي سيطرت على حزب تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) وكانت حركة اسقاطه ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ حلقة من نفس مخطط الثورة الفرنسية فقد فتح لها الاتحاديون الطريق الى فلسطين والى السيطرة على مختلف الحكومات والزعماء مما هباً لوعده بلفور ١٩١٨ الذي أعطى

الصهيونية جواز الإقامة والاحتلال لفلسطين وقد تمت هذه الخطوات كلها عن طريق نسائس اليهود ، ومؤامرات الصهيونية ، ومخططات الماسونية في جميع أنحاء العالم بما حقق قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ .

وقد خفيت هذه الحقائق على المسلمين والعرب زمنا طويلا وخدع كثير منهم بهذه المنظمات ، ولكن الحقائق أخفت تظهر في السنوات الأخيرة وبدأ المسلمون والعرب يحسون بالخطر الجارف الذي يهددهم وخاصة بعد سقوط القدس في أيديهم عام ١٩٦٧ وقد عرفوا الدور الخطير الذي قام به بعض الكتائب والصحفيين في التماطف مع مخططات الصهيونية التي تمثل الآن طليعة دور جديد للاستعمار الغربي لإقامة الامبراطورية الصهيونية .

الطائفية

اصطلاح جديد ظهر مع الاستعمار الغربي والنفوذ الأجنبي ، حين ركز الاستعمار على الأقليات الموجودة في العالم الإسلامي واحتضنها واتخذ منها سلاحا للحيلولة دون تحرر الأقطار أو وحدة الشعوب . ولذلك فقد عمد الاستعمار الى تنمية الطائفية وتعميق خلافاتها مع الأكثرية (راجع باب أقليات) وكانت الطائفية من أخطر العوامل التي استعمل بها النفوذ الأجنبي لتحطيم الامبراطورية العثمانية تمهيدا ليسط نفوذه على العالم الإسلامي وكان لدور الطوائف الأرمنية واليهودية كالدونة في تركيا أبعد الأثر في تأريث المخططات الأجنبية في السيطرة .

ولم تكن الطائفية يوما قضية في وجود الدولة الإسلامية ، بل كانت مختلف الطوائف تجد حريتها وانطلاقها في المجتمع ، وقد وضعت الشريعة الإسلامية لها حمايتها وأنظمتها وكرمت الأديان وحمت الكنائس والمعابد ، وقد وصل أبناء الطوائف المختلفة الى أرقى المناصب في عصر الإزدهار ، وكان لهم دورهم في الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ولم يقع بينهم وبين غيرهم أي خلاف أو صراع الا تحت نفوذ الاستعمار الذي أعلن أنه إنما جاء ليحمي هذه الطوائف من المسلمين ، وقد ورد صراحة في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نص خاص بحماية الأقليات ، وكان لهذه السياسة أثرها في اندلاع ثورة ١٨٦٠ في لبنان التي قصدت بها الدول الأوروبية الوتيفة بين

المسلمون والدروز توطئة لوضعها في نظام خاص يمكن المنهزم الأجنبي من التغلغل في لبنان وبناء مؤسساته الإرسالية والتبشيرية والإمداد منها إلى العالم الإسلامي كله ، وقد تنبه لهذا كثير من المفكرين والزعماء فكثفوا عن التقارب بين المسلمين والتتصاريو الشيعة والسنة وكيف أن الدم العربي يجمع بين هذه الطوائف جميعا ، كما أن الإسلام قد وضع قواعد أمينة للعلاقة بين الجميع ، ولا شك أن الدم العربي يجمع بين مسلمي العرب ونصرانيهم في الشام ومصر والعراق ، وأن كل أنواع الخلاف إنما كانت نتيجة مواقف خاصة ودسائس أجنبية وقد ارث المستعمر هذه الخلافات القديمة واستغلها .

العلمانية

العلمانية في كلمة هي فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الإنسان والله وهو ما يعرف باللاهوت وبعض الأديان هي كذلك ، ولكن الإسلام يختلف ، فهو دين عبادة ودين شريعة وأخلاق في نفس الوقت . وفكرة العلمانية ظهرت في أوروبا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة والكشوف العلمية ، ومنها هدف اليهود في القضاء على سلطان المسيحية في المجتمع ، وبذلك يفتح لهم السيطرة السياسية والنفوذ العسكري . ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين في فلسفات عديد من الفلاسفة ، أمثال نيتشه وماركس وفرويد .

وقد تأثر العالم الإسلامي والفكر الإسلامي بظلال هذه النظرية ، وهذه الدعوة وكان للبعثات التبشيرية والإرساليات وسيطرة النفوذ الاستعماري على مناهج التربية والتعليم أثره في إعلاء هذا الاتجاه وتعميقه ، بعد عزل الأسلوب العلمي الديني الذي يتمثل في المدارس والجامعات الإسلامية القديمة .

ومن حق الغربيين أن يقفوا موقفا ما أزاء دينهم وعقائدهم التي وقفت ضد نهضتهم وضد كشوف العلم وفرضت محاكم التفتيش وغيرها من أساليب السيطرة أما بالنسبة للمسلمين والعرب فإن الموقف يختلف اختلافا كبيرا فإن الإسلام كان مصدر العلم والحرية والمساواة وداعية الأخاء .

فضلا عن ذلك فإن الصلة المحكمة التى تربط الدين بالمجتمع هى إحدى خصائص التاريخ الإسلامى فليس فى التاريخ الإسلامى دولة ثيوقراطية (دينية) ولم يقع يوما أن رجال الدين فى الإسلام — أمسكوا فى أيديهم أئمة السلطة السياسية العليا ، ذلك بسبب بسيط هو أنه لا وجود فى الإسلام للكهنة ولا لطبقة ممتازة تدعى رجال الدين ، ولهذا يستحيل أن يوجد فى الإسلام مؤسسة تشبه الكنيسة المسيحية التى تختص بأسرار الدين وطقوسه .

العامية

الدعوة العامية ، هى دعوة تغريبية خالصة ، تهدف الى الوحدة الفكرية والوحدة القومية ، وقطع الصلات بين اجزاء العالم الإسلامى والأمة العربية ، وترمى أساسا الى مقاومة لغة القرآن ، والقضاء عليها وهى فى مختلف صورها ، التى تقول بنطين اللغة العربية المستعصية ، أو خلق لغة وسطى بين العامية والفصحى ، انما تهدف الى فصم عرى الصلات القائمة بين المسلمين والعرب من ناحية وبين المسلمين والعرب وبين القرآن ومستواه البلاغى من ناحية أخرى .

ولا شك أن اللغة العربية هى رابطة الوجود العربى وصيame الأصل ، فإذا انحلت تبدد هذا الكيان ، وكل المحاولات التى تهدف الى اعلاء العامية ووصفها بالقدره على الأداء انما هى محاولات استعمارية ضخمة ، تهاجم الإسلام والوجود العربى أيضا .

وقد نفذت مخططات استعمارية وتغريبية خطيرة بهدف القضاء على اللغة العربية واعلاء العاميات فى العالم العربى ، وحملت هذه المخططات عناوين براقة خدعت البسطاء مثل القول : بأن اللغة ملك للأمة التى لها الحق فى أن تيسرها وذلك قول قد يصدق على كل اللغات ولكنه يخفق اخفاقا ذريعا بالنسبة للعربية ، ذلك أن العربية انما هى لغة أمة وهى فى نفس الوقت لغة فكر ، فهى لغة الأمة العربية التى تتمثل فى حوالى مائة مليون ولا شك أن فى القضاء عليها قضاء على وحدة هذه الأمة التى تمثل الآن أكثر من أربعة عشر دولة وحكومة لا يجمعها جامع الى الوحدة العربية أقوى من اللغة الفصحى ولا سبيل الى تفاهم المغربى

مع المصرى مع العراقى الا عن طريق الفصحى ، وهى فى نفس الوقت لفئة فئكر جامع يجمع الف مليون من المسلمين تقوم ثقافتهم وفكرهم وقرائهم ودينهم وعبادتهم على أساس « اللغة العربية » التى هى المصدر الاساسى للقرآن الكريم . قانون هذه الأمة الاسلامية ودستورها ونظامها الكامل فى الاجتماع والسياسة والاخلاق والتربية والاقتصاد .

وفى العصر الحديث بدأت نزعة الاحتفال بالشعر العامى ولا ريب ان الاحتفال بالشعر العامى ، هو محاربة واضحة للكلمة البليغة والمعنى الرفيع ، فان هذا الحيز الذى يفرد لها انما ينقص من مكانة الشعر الاصيل وما كان الشعر العالى — والكتابة العامة بحمله — الا مثلاً متدنياً للأفكار العلمية والثقافة .

ان دعوة الشعر العامى كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربى ودعاتها يبطنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل اهواء التغريب والشعوبية وهذا مالم يكن يقصد اليه بيرم التونسى او بديع خيرى وان كان ابراز هذا اللون من شأنه ان يعارض الفصحى ، وقد ارتبط الشعر العامى بالكاريكاتير وبالاثارة وخلق تياراً من التعبير والحوار والاداء صرف الناس عن كثير من القيم العالية والمعانى الرفيعة .

العنصرية

التفرقة العنصرية والدعوة الى تفاضل الأجناس هى احدى مبتدعات الفكر الغربى مستمداً من مفهوم رومانى قديم أطلق عليه « روما سادة وما حولها عبيد » وقد تجدد هذا المفهوم فى ظل استشرأء النفوذ الاجنبى والاستعمار الغربى كمبرر له بحجة القول ان هناك شعوباً متخلفة تحكم وشعوباً ممتازة تحكم ، وجرى القول بالتفرقة بين العنصر السامى خلفاً والعنصر الآرى تقدماً ، وحاول السكاتب الفرنسى جوبنيو أن يقول ان بعض العناصر خلق للسيادة وبعضها خلق للخضوع ، واستغلت دوائر الاستعمار هذه المعانى فى مجال البلاد المحتلة ، وجرت محاولة اقتناع المسلمين والعرب ان يستسلموا تحت لواء هذه النظرية للغزو والاحتلال ، ولكن العلم الصحيح نفسه اثبت كذب هذه الآراء وخداعها وضلالها وكشف عن أنها استغلت استقلالاً غير برىء ، وتكشف فيما بعد أنها لم تكن ذات

أصول علمية أو تؤيدها براهين حاسمة ، وقد قاوم الفكر العبري الاسلامى هذه النظرية بقوة نظريته الاصلية القائلة بأنه لاتفرقة ولاتناضل بين اسود وابيض ولا بين عربى واعجمى الا بالعمل ، وتكشف أن عقلية الرجل الأبيض مسممة بالتعصب العنصرى ، وأن الحضارة الغربية حين ارتبطت بمقومات الوثنية وعقلية الاغريق اعلت من شأن للعنصرية وكانت الكنيسة فى اوربا — على حد تعبير الأستاذ سامى داود — هى التى تحمى الحق المقدس للملوك والاشراف فاثرت بذلك التفرقة العنصرية واعترفت بشرع السبى والاستعباد واغلاق السجون والمطابق على العبيد والمستضعفين .

وقد ردد هذه الآراء رينان وجوبينو وغيرهم ثم اثبت العلماء أمهرين ان الخلاف بين الآرية والسامية هو خلاف فى اللغة وليس فى العنصر أو الدم ، وأن اختلاف الملامح والمعادات لا علاقة له بالفطرة والجنس ، وإنه لا اختلاف فى اصل الطبيعة بين العقل البشرى فى الآرى أو النستامى أو الأبيض والأسود .

وقد سبق كثير من العلماء وعلى رأسهم هرير وجينى وبوماليس القائلين بالتفرقة بين الأجناس البيضاء والصغراء والسوداء . ولا ريب أن اصدق نظرة الى الشعوب هى نظرة الاسلام « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » والمعروف أن اثر الشعوب لا ينكر فى فترة من فترات التاريخ ولكن هذا الاثر يجب الا يتخذ لاعلاء شأن العصبية فهناك شعوب أخرى نهضت فى فترات أخرى من التاريخ وأغلب الشعوب ان لم نقل كلها مرت فى فترتين: فترة النهوض وفترة السبات ، ان اختلاف الشعوب يجب أن يكون للتعارف لا للتنازع .

الفينيقية

دعوة من الدعوات التى اثارها النفوذ الاستعماري وحركات النفزو الثقافى والتغريب ، لاثارة التاريخ القديم فى سبيل القضاء على الواقع التاريخى للحى ، ولاثارة دعوة الاقليمية والتفرقة العنصرية على أسس من أصول الأمم الشرقية القديمة قبل أن يصورها الاسلام فى بوتقة

الإسلام والعروبة . وقد حملت الدعوة الفينيقيّة الى لبنان الدعائم الاستعمارية لعزل اللبنانيين عن العروبة ، وللقول بأن اللبنانيين هم أحفاد الفينيقيين القدماء الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتي العرب وانهم تاريخيا ليسوا عربا وانما هم خليط من أبناء الفينيقيين وأبناء الإمارات الصليبية وأن مصلحتهم الاقتصادية والحضارية تحتم عليهم أن ينشؤا كيانا خاصا غير عربى وأن يمارسوا دورهم الخاص محايدين ، الفينيقيّة واحدة من تلك الدعوات الفرعونية والآشورية والبربرية التى أذاعها النفوذ الاستعماري في العالم العربى وغذاها وجند لها نفرا من المفكرين والمثقفين الذين تخرجوا أساسا من جامعات الرسائل ومعاهد التبشير . وقد حمل لواءها الحزب القومى السورى الاجتماعى حين دعا الى (سوريا الطبيعية) والأمة السورية ، وسوريا للسوريين والسوريون أمة تامة ذات حدود طبيعية وقد ردد الكتاب الفرنسيون هذه المعانى محاولين إثارة الشبهات بأن اللبنانيين ليسوا عربا وانهم والسوريين فنيقيون ومن لم يكن منهم فنيقيا فهو من أحفاد الصليبيين الذين همدوا الى سوريا ولبنان من مختلف أقطار أوربا ولا سيما فرنسا (١) .

وقد أشار احد الباحثين العرب مصححا لهذه التيارات فقال : ان الفينيقيّة دعوة الى الاستعمار الفرنسى في لبنان تكون فيها حركات النشر عن طريق المدارس والمعاهد والصحف أوسع نفوذا ، مما أنشأ في لبنان اليوم تيارا يدعو الى عزلة لبنان من العالم العربى وكان أغلب دعاة هذه الدعوة متعاونين مع الاستعمار الغربى ، وهى التى حملت لواء الحجة بالعلمية اللبنانية والدعوة الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وتغليب اللهجات .

الفرعونية

الفرعونية إحدى دعوات الإقليمية وتمزيق الوجود العربى قومية والابلاى فبكرا ، ولقد جرت الدعوة الى الفرعونية وبلغت أمدا بعيدا وخلفت مدرسة عاشت فترة ولكنها فشلت فى أبسط بسائط الدعوت ،

(١) عبد الرحمن البزاز : بدوثة فى القومية العربية .

فشلت في أن تجد أرضية تنبعث منها ، حيث لم تجد تراثا فلكوريا أو قيميا دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو عملا أدبيا مكتوبا ، أما حضارتها فقد تحجرت في الأهرامات والتماثيل والمعابد وقد عبر الزمن بالمصريين أربعة عشر قرنا في مجال التوجيه على النحو الذي أصبح معه ينظر الى الوثنية نظرة كريمة ، ولا يرى في هذه الأحجار المنحوتة الا تاريخا يفخر به من ناحية القوة والصبر والصمود وسبق العالم كله والأم ذات النفوذ السياسي في العصر الحديث بقرون الى مجال المدنية .

لقد كان هدف دعاة الفرعونية ادخال مفاهيم الوثنية الفرعونية المرتبطة بالوثنية اليونانية وغيرها وتجديد عبادة البشر والإبطال بعد أن صرف عنها المسلمون القرآن الذي أعلى من شأن الله وحده ، وكرم البطولة في معانيها وقيمها وليس في أفرادها ودعاتها .

وقد كشف كثير من الباحثين وخاصة مؤلف (قناع الفرعونية) مخاطر الدعوة الفرعونية وقال ان أول ما تبادر الى الذهن أن تمرعون هنا ليس الا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة ، فالفرعونية إذن هي نوع من النظم التي تنهض على الحكم الاستبدادي الجائر ، وتساؤل : هل يستطيع المصري المتشوق للحياة الصحيحة أن يجد في شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجده المسلم في كلمة الاسلام . وخلص الى القول بأن الفرعونية لم تكن نظاما اجتماعيا ولا قوة دافعة الى الحرية والمساواة ، وأن المصري المتشوق للحياة الصحيحة لا يجد في شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجده المسلم في كلمة الاسلام . فإذا لم تكن الفرعونية نظاما اجتماعيا ولا قوة دفع الى الحرية والمساواة فكيف تكون في النهاية ، انه مع انفتاح كل قيد جديد تبدو مريثات ذلك الكابوس الفرعوني الخائف والتي تتحرك معها ذكريات عصور واحتباب تصور الظلم الاجتماعي والتخلف العقلي .

كما كشف المؤلف عن مفهوم التوحيد المزعوم عند الفراعنة (١) .

(١) قناع الفرعونية للأستاذ أحمد صبرى .

وقد تحررت الثقافة العربية فى سرعة عجيبة من اخطاء الدعوة الفرعونية وسقطت كلمات طه حسين الذى حمل لواء هذه الدعوة حين قال : ان الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، ولا يطلب منها ان تتخلى عن فرعونيتها ثم كذبت له الأحداث والوقائع حين قال : مصر لن تدخل وحدة عربية .

هذا وتميل أحدث النظريات وأقواها الى ان الفراعنة موجة من موجات الجزيرة العربية التى هاجرت وانه توجد روابط سلالية بين العرب والفراعنة ترجع الى مايربو من خمسة آلاف سنة مضت . يقول سليم حسن : لقد دلت البحوث الأثرية الحديثة على قيام بعض هجرات نزحت من شبه جزيرة بلاد العرب وحطت رحالها فى أماكن مختلفة فى بلاد الشرق الأوسط وتدل الآثار على ان أول هجرة كانت قد وفدت على وادى النيل حوالى ٣٥٠٠ ق.م فحط أهلها رحالهم فى أرض الكثانة واختلطوا بالشعب المصرى وكونوا شعبا واحدا يجرى فى عروقه الدم السامى والدم الحامى معا .

ويقول : والواقع ان لدينا آثارا باقية حتى يومنا هذا تدل على ان مصر كانت متصلة ببلاد العرب الجنوبية وكانت تتجر معها بواسطة البحر الأحمر وذلك منذ عهد الملك (كورع) أحد ملوك الأسرة الخامسة المصرية (٢٥٠٠) ق.م .

القوميـات

فكرة القومية انما قدمت الى المسلمين من الخارج من أوروبا ، أول من نادى بها نابليون فى مصر فى محاولة لإبعاد مصر والشام عن الدولة العثمانية واشعار العرب بأنهم مختلفون عن الأتراك وجاء محمد على وإبراهيم رافعين نفس الشعار ثم تسلم الدعوة بعد ذلك الشباب العربى المسيحى ابتغاء تقويض الخلافة تحت شعارات مكره وكان للمدارس التبشيرية أكبر الأثر .

« القومية » تيار غريب ظهر فى القرن الماضى فى أوروبا فى ظل تحديات مختلفة واجهت الغرب من خلال مراحل النهضة والتطور والحضارة

والاستعمار ، خروجاً من قيود الكنيسة وسلطان نفوذ أمراء الاقطاع ،
وعظمة مبدأ الدولة وظهور مفهوم الأمة وفى محاولات للترابط بين الأجزاء
فى محاولة قوميتين هما القومية الإيطالية والقومية الجرمانية .

وقد قامت القومية الغربية على مفاهيم حددتها تلك الظروف
والتحديات ، وفى العالى العربى ، عندما سقطت الوحدة العثمانية العربية ،
برزت الدعوة الى « العربية » ، وحاولت ان تستكشف مفاهيمها المستمدة
من أوضاعها وتحدياتها الخاصة ، غير ان الاستعمار حاول ان يستفيد من
الدعوة وان يوجهها لخدمة أهدافه ، وان يحتويها ، أو يحرف مفاهيمها
ويفرض عليها مفاهيمه الغربية رغبة فى اخراجها عن المضمون الأصل
المستمد من جوهر قيم الأمة العربية ومفاهيمها وتراثها .

وكانت المحاولة الأولى التى حاولها النفوذ الاستعماري هى ان تكون
القوميات «أصيلة» ، وان تنحصر فى مفهوم الوطنية لا تتعداه ، وفى
هذه المرحلة طرح التغريب دعوات القومية المصرية والقومية السورية ،
وحاول ان يجعل هذه القوميات فلسفة فائز الفرعونية والآشورية والبابلية
والفينيقية والبربرية ، وحاول عن طريق آخر ان يحطم كل وحدة أكبر ،
فأثار الخلاف بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة ، وبين
الدروز والموارنة ، وبين العرب والبربر وبين العرب والاكراد وهكذا .

فلما فشلت كل هذه المحاولة ، وبرز مفهوم الوحدة العربية جامعا
تويا فى مواجهة النفوذ الأجنبى ، عمدت حركة التغريب الى تفريغ هذا
المفهوم من قيمه ومقوماته فظهرت الدعوة الى (قومية منفصلة عن التراث
والثقافة) بحجة ان هذا التراث وهذه الثقافة إسلامية أصلاً ، وبرزت
الدعوة الى قومية علمانية ، غير ان هذه الدعوى وان استمرت فإنها لم
تحقق أى نجاح ، ذلك لان الأمة العربية لا تستطيع ان تنفصل فى حركتها
العنصرية والاجتماعية عن قيمها الأساسية .

وان الإسلام الذى هو منطلق مزاجها النفسى والعقلى ليس ديناً
بمفهوم الدين الذى عارضته القوميات الأوروبية ولكنه دين وثقافة
وحضارة ومنهج حياة وأن أكبر عوامل القومية وهى اللغة والتاريخ

لاستطيع في الثقافة العربية أن ينفصل عن مفهوم الإسلام الأوسع ، كمصدر أساسي للفكر ومنهج للمجتمع .

وقد اعترف كتاب الغرب بهذه الحقيقة ولم يجدوا مفرًا من تسجيلها ، يقول ولفرد كانتول سميت أنه لم تقيم حركة وطنية في العالم العربي إلا وكانت الروح الإسلامية أساسها ، وأن تاريخ الشرق الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء ، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه لن تثمر الوحدة .

وقال هابلتون حب : أن العرب متمسكون بلغتهم وأديبهم ومعنيون بهجد لإسلام ، كما أكد كثيرون « أن العرب لا يفكرون بإبدال صرغهم بالحروف اللاتينية ، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن التي تربطهم بالعالم الإسلامي كافة » « وأن الروح الإسلامية ستبقى تسود بلادهم وتتقدم أبدا بلا كل ولن يطرا عليها أي ضعف أو وهن » .

وقد تأكد أن الصلة بين الفكر الإسلامي وحركة المقاومة الوطنية قوية ثابتة ، وأن كل ثورات المقاومة للاستعمار نشأت من أحضان المساجد ، وأن ثورة ١٩١٩ في مصر بدأت في ساحة الأزهر الذي كان مصورها وقودها ، وأن الذين حملوا لواء التحرر الاجتماعي نفسه كانوا من المفكرين الإسلاميين .

وقد كشفت ثورة الجزائر عن مدى أهمية هذا اللون من النضال وعمقه في سبيل تحرير أرض المسلمين ومقاومة أي غزو أجنبي .

ويقرر كثير من المراقبين المنصفين أن أزمة القومية العربية إنما تتمثل في ذلك الجفاء المصطنع بينها وبين الفكر الإسلامي ، وقد حمل بعض الدعاة لواء قومية علمانية على الطراز الأوربي وفق مفهوم الدعوة الطورانية وما حمل لواءه الاتحاديون في تركيا ، وهو ما لا يجد في الأمة العربية تقبلا ولا تقديرا .

ويقول الأستاذ جبريلي في كتابه (اليقظة العربية) في هذا المعنى : كان الإسلام ثورة عظيمة في تاريخ العرب فمنه استمد العرب قوة وهو الذي حفظ لهم لغتهم والعرب لا يستطيعون فهم تراثهم القديم الذي هو

جزء من حاضرهم إلا إذا فهموا الإسلام ، والمفسكون القوميون يزعمون أن الإسلام يمد العرب بخصائص خلقة » .

ولقد حاول الكثيرون التصدي لدى العلاقة بين الدين والقومية ، فالعلاقة بين الإسلام والعروبة لا القومية في الثقافة العربية والفكر الإسلامي هو مفهوم حضاري جامع ، يقوم على أساس تعاقدي روحي واجتماعي عميق ، دون أن يحمل معه أي معنى من معاني الاستعلاء بالجنس ، أو العداوة للأجناس الأخرى ، بل على العكس من ذلك يؤمن بالانفتاح والالتقاء مع القوميات الأخرى ، التي يجيها معها وحدة فكر وأصول ثابتة ، لا سبيل إلى تجاهلها أو نكرانها . ومن هنا فقد عجزت كل المحاولات في أن تجعل العروبة مناقضة للإسلام أو مصادمة للأمم الإسلامية غير العربية .

ومع أن الإسلام ليس ديناً فحسب ، حتى يقول دعاة النظرية الغربية بأنه لا يشترك في مقومات العروبة ، فإن النظرة السريعة إلى القوميات الأوربية تكشف عن أنها لم تنفصل عن دينها ، فالبروتستانتية جزء لا يتجزأ من القوميات الهولندية والانكليزية ، بينما الأرثوذكسية جزء أصلي من القوميات اليونانية والبطغارية والإسلام كان ولا يزال جزءاً أساسياً من القوميات التركية والإيرانية والأفغانية والعربية والباكستانية والأندونيسية .

ولا مجال للعروبة كدعوة قومية (علمانية القومية) من غير العرب الذين تعلموا في معاهد الإرساليات والتبشير ، أما الذين عرفوا أصالة الثقافة العربية فقد ربطوا بين العروبة والثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامي وهناك عشرات منهم لهم كتاباتهم ومقائدهم التي تؤمن بأرضية الإسلام الحضاري والثقافي للوحدة العربية ، بل أن البعض قد وصل إلى حد القول بأنه ليس من العروبة التنكر للإسلام ، أو التفتيش عن بعث عربي بغير دين العرب .

ويقفزة الفكر العربي تؤمن بأنها لا تستورد المفاهيم ولكنها تصنعها من واقع أمنا ووجودنا بل أنها تؤمن بأكثر من ذلك ، وهو النظر بعين

المراجعة والحذر الى كل ما يصلنا من تفسيرات خشية أن يكون مصدرها محاولة التغريب والغزو الفكرى لصهرنا فى ثقافة الاستعمار ومفاهيمه .

المادية

يقوم المذهب المادى على أساس الحسوس وحده ، منكرًا لمساواة من عالم الغيب (الميتافيزيقا) انكارًا تامًا ، وتقوم النظرية المادية على اعتبار الكون موجودًا بنفسه ، وتديبا وغير منتسه ، (وهو ما يخالف حقائق الأديان المنزلة) والمذهب المادى ليس علما خالصا ولكنه فلسفة تقوم على الافتراض ، ذلك لأنها تتصل بالجانب غير الحسوس ، وهو جانب يتحاشاه العلم لأن أنابيقه لا يستطيع أن تضعه فى مجال التجربة ، ومن هنا فإن التعارض بين المذهب المادى والواقع ليس خلافا بين الدين والعلم ولكنه خلاف بين الدين والفلسفة .

وحيث نفترض الفلسفة المادية انكار وجود الله والأنبياء والبعث والجنة والنار وغيرها إنما تختلف مع العلم الذى قد حدد عمله فى دائرة الحسوسات ولم يدخل فى الخلاف مع الأديان ، ومن هنا فإن النظرية المادية لا تجد سندا لها من علم أو تجربة ، أو برهان أو قياس ، ولكنها تجدد نظرية قديمة عرفها الإغريق القدماء .

أما العلماء فانهم بعد أن تحطمت الذرة قد أصبحوا يقررون أن هناك وراء هذا الكون المادى الحسوس عالما آخر ، ويقررون أن هناك حقيقة كاملة وراء المظاهر ، وأن الكون ليس حقيقة فى ذاته وليس هو المظهر الوحيد للتعبير عن الحقيقة وأن هذه المفاهيم كلها قد وصلت الى القول بأن ليس من شك فى أن قوة مدبرة مفكرة هى التى أبدعت الكون . وقال أرنست رارز فورد ، ان نظرية المادة قد هدمت وأن الذى هدمها هو ما ثبت من أن الفرة تتكون من الكبرونات (كهارب) تدور حول (بروتونات) على نظام يحاكى النظام الشمسى ، وأن المادة لم تعد ثابتة لقد أصبحت تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة .

ويقول الدكتور محمد خليل عبيد الخالق : ان الأساس الذى قامت عليه المذاهب العلمية فى القرن ١٩ قد انهار وأصبح العلماء الآن يتكلمون

عن الكون وعن الإنسان وعن الحياة ، والآن يكشف العلم عن مبادئ جديدة تبحث عن الأرواح وأصل المادة وغاية الوجود ، ان مذهب دارون فرض وليس حقيقة وهو قابل للنقض .

وعندنا ان الخطأ هو في التوسع في إطلاق لفظ العلم على آراء الفلاسفة وفروض علماء الطبيعة ومن الحق ان يقال ان نظرية داروين قد استغلت استغلالا يشعا لتدمير قيم الأديان ومفاهيم الروحية ، وإثارة الشبهات حول حقيقة وجود الله والوحي والنبوة وغيرها ، وكان الهدف من استغلال النظرية اشاعة روح الإلحاد والاباحية والتأثير في مفاهيم الأخلاق والاجتماع .

وقد استغل هؤلاء الفلاسفة نظرية التطور وأخرجوها الى مجال هذه العلوم في محاولة القول بأنه لا يوجد شيء ثابت وان كل شيء يستحيل ويتطور ويتحول من حال الى حال ، وأن من فلك للدين والأخلاق . وهي نظرية خطيرة تعزى الى دعوة الصهيونية المتقدمة الى تدمير القيم والحضارات في طريقها الى السيطرة العالمية .

ويقف الفكر الاسلامي من المادية موقفا واضحا فهو يقرر ان الانسان مركب من بدن ونفس وجسم وروح ، وأن البدن من عالم المادة لأنه يستاز بالخصائص المعروفة للأجسام اما النفس أو الروح فانها من عالم آخر يختلف في خصائصه عن المادة . والاسلام في جوهره ثنائي يقر بوجود الله ووجود العالم وبوجود الدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والنفس والبدن، وهو يدعو الى الاقبال على الدنيا وتنمية الحضارات وبناء الأعمال المادية ولكنه يجعل هدفها انساني ولا يجعل مفهومها المادي هو كل غايتها .

وقد ذهب غلاة المادية الى القول بأن المادة هي كل شيء ، وهي أصل العقل والشعور ، آمنوا بأن المادة لا تنقسم ، وهو ما سموه الجوهر الفرد، غير أن مفاهيم العلم تطورت وقلبت مفاهيمهم وحطمت نظريتهم حيث أثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة ، وان المادة تصبح طاقة ، والطاقة تصبح مادة ، وأصبحت المادة والطاقة مظهرين لشيء واحد .

وكذلك واجهت نظرية المادية التاريخية والمادية والجفلية نقدا يشكك في فرضيتها ويبدل من غلواتها .

وقد كان التحدي امام فلاسفة المادية جميعا هو نظرتهم الى الدين والكنيسة وما يتصل بها من واقع وتاريخ ، ومن هنا جاء هجومهم على الدين ككل اما بالنسبة للإسلام فان الموقف يختلف تماما ، ويكفي أن الإسلام هو منشأ المذهب العلمي التجريبي الحديث .

الماسونية

الماسونية جمعية سرية اقامها اليهود للقضاء على كل القوى المناهضة لهم وفي مقدمتها الكنيسة الكاثوليكية وقد اخفوا هدفها الاساسي الذي يقوم على اساس اعادة بناء هيكل سليمان ومن هنا سميت الماسونية باسم (البنائين الأحرار) وقد خفيت هذه الغاية على المخدوعين الذين دخلوا اليها ظانين انها دعوة الى الحرية وانصاف المظلومين ، وقد شاعت دعواها في العالم الإسلامي مع مخططات الاستعمار الأخرى كالتبشير وغيره ، ولم يكتشف العرب أمرها الا بعد سقوط السلطان عبد الحميد الذي كان يعرف انظماؤها منذ اتصلت محافظها القائمة في سالونيك مع جماعة تركيا الفتاة وعملت الى السيطرة عليها واحتوائها وتوجيهها الى غاياتها الاساسية في إسقاط عبد الحميد الذي وقف عثرة ضد مطامع لليهود في فلسطين ، وكللتهم جمعية تركيا الفتاة بالحكمة خلال (١٩٠٩ - ١٩١٨) هي التي حققت هدف الصهيونية على أوسع نطاق كما حققت هدف الاستعمار بايجاد مذابح دموية للعرب بواسطة الاتحاديين حتى لا تثلم وحدة العنصرين المسلمين الى وقت طويل .

وقد كشفت الدراسات التي قلم بها الكثيرون مدى أخطار الماسونية التي استطاعت أن تقضي على كثير من الحكومات والملوك والحكام الذين حافظوا على مقومات بلادهم وحالوا دون نفاذ اليهود فيها ، وكان في مقدمة الذين كشفوا هذه المخططات السيد رشيد رضا في مصر والاب لويس شيخو في الشام ، ثم كان لظهور وثائق مؤتمر بازل الذي عقده هرتزل وحضره ثلاثمائة من الحاضرات مؤكدا الرابطة الوثيقة بين الماسونية

وبين الصهيونية كاداة سرية لها ، فقد جمعت هذه البروتوكولات كل ما عرف عن الماسونية من مخططات وأعمال ولذلك فقد عمدت الصهيونية الى تكذيب هذه البروتوكولات واتهامها بأنها من أعمال خصومها ، بل لقد قام بعض العرب بمسائرتهم في ذلك ، ولكن النظرة الصحيحة تكشف عن أن الماسونية جهاز من أجهزة الصهيونية الطامعة في السيطرة على العالم واقامة امبراطورية تكون القدس عاصمتها واعادة بناء هيكل سليمان والسيطرة على العالم كله وورثة الاستعمار الغربي .

الهدامة : المذاهب الهدامة

تعددت المذاهب الهدامة والدعوات الهدامة ، وقد حاول الاستعمار افراس العرب والمسلمين بها وكان للصهيونية دور كبير في حماية هذه المؤسسات ورعايتها ومن ابرز هذه المذاهب الدعوات : الى الاتحاد والاباحة والنكسف وقصص الجنس وانكار الاديان والوحى والجزاء واليوم الآخر . وقد كانت البهائية من ابرز هذه الدعوات التى ثبت اخيرا انها فتاج صهيونى تحمل وسائل العمل له ، وكذلك الجمعيات السرية الماسونية التى انتشرت في العالم الاسلامى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية والتي كان لها دورها في اسقاط السلطان عبد الحميد على اثر موقفه المشرف في معارضة اهداف الصهيونية في الاقامة في فلسطين ، ومن هذه الدعوات الهدامة : مذهب الروحية الحديثة التى تحاول خداع المؤمنين بالله بعد أن استوعبت الدعوات المادية غير المؤمنين وذلك حتى تتم السيطرة على المسلمين والعرب ، وقد كشف الباحثون عن اخطار دعوة الروحية الحديثة وما وراءها من خلفيات صهيونية ومادية .

ومن الدعوات الهدامة تلك الدعوات التى تحمل لواء العروبة المنفصلة عن جذور الفكر الاسلامى ، وكذلك الدعوات التى تحمل لواء الاقليمية الضيقة ، أو العنصرية ، أو محاولة جعل الوحدة العربية دعوة عدوانية منعزلة عن العالم الاسلامى ، منفصلة عن جيرانها من الترك والفرس والهنود .

وقد جاءت هذه النظرات من تقليد خاطيء لنظرية القومية الغربية التى قامت على أساس القضاء على نفوذ الكنيسة واعلاء العنصر

والجنس والدم مع العدوان والخصومة للأجناس الأخرى على النحو الذى عرفته النزعات النازية والصهيونية .

ولقد كان الفكر الإسلامى قادراً على نبذ هذه الدعوات الهدامة ودمغها بالخطأ ، ومعارضة الذاتية العربية الإسلامية والمزاج النفسى والإحساس العربى لهذه الدعوات التى تتعارض مع جذور هذه الأمة التى أقامت فكرها على أساس التوحيد والعمل والجرية ذات الضوابط البناءة للمجتمع والفرد .

الوثنية

تطلق كلمة الوثنية على مختلف العقائد التى لاتفرد الله سبحانه بالتوحيد من تعدد وتنسب الوثنية إلى الوثن أى عبادة الأحجار والأصنام ، وقد وصف اليونان القدماء (الاغريق) بالوثنية ، كما وصف بها أهل الجزيرة العربية على اختلاف فى المدى والفهم ، فقد كانت وثنية العرب سلخة تقليدية بينما كانت الوثنية الاغريقية تقوم على فلسفة غريضة ، لها فلاسفة أمثال افلاطون وارسطو وشعراء أمثال اسخطيوس وسوفوكليس ، والعقائد الوثنية متعددة منها تاليه الطبيعة (أو جزء من أجزائها كالشمس أو القمر أو بعض أنواع الحيوان) أو تاليه البشر (فرداً أو أسرة أو جماعة) وذلك كعبادة الملوك والأسر الحاكمة عند بعض الأمم القديمة كالمصريين القدماء أو الحديثة كاليابان والهنود ، وعبادة الأنبياء والأبطال والقديسين والأولياء ، ولذلك فقد حرص الإسلام على عدم اسباغ أى نوع من أنواع التكريم المبالغ فيه للأبطال أو الصالحين حتى لا يتحول مع الزمن إلى مثل هذا النوع من العبادة . وكان الاغريق يقولون بتعدد الآلهة ، فكان كل اله يمثل قوة طبيعية خاصة يديرها ويتولى أمرها ، ومن ذلك : زيوس : اله الرعد والبرق وهو كبير الآلهة وديمتر اله الأرض والخصوبة ، وأمروديت آلهة الجمال وأبولو آله الشمس ، ونيتون اله البحر وهكذا . ولا يفرق اليونان بين طبيعة الآلهة وطبيعة البشر ، إذ يجوز عليها مايجوز على البشر من بغض وحقن وقسوة وشرة وطمع وجبن وحب للانتقام . وكانت آلهتهم لا ترى بأساً من اغتصاب زوجات الآلهة الأخرى وتشتصف بالأخلاق الشريرة .

ومن المعتقد الوثنية الاعتقاد بالوهمية بعض الكائنات الخفية وعبادتها كالملائكة والجن والشیطان والأرواح . لهاو ثالثة جزء من الإنسان كالعقل ، وهناك المعتقد السلبية والاحادية القائمة على انكار الله ووجوده ، وانكار الحياة الآخرة .

ويقول الدكتور محمد البهى ان الوثنية التى يحاربها الاسلام ليست هى وثنية العرب التى كانت قائمة على تكديس الأصنام وبعض الكواكب محسب ، بل هى وثنية الإنسان على العموم وهى تقدیس الشخص دون رعاية للبدا أو المثال ، وعنده أن الإنسان دائما فى حاجة الى معونة الدين فى مكافحة الوثنية .

وقد هلكم الإسلام الوثنية وتكلم تعدد الآلهة ودعا الى عبادة اله واحد لا يعرف شخصه ولا تحد محيطه لأنه فوق الطبيعة وفوق ما بها من اشخاص .

وهناك اجماع على أن الوثنية وتعدد المعبود متلازمان ، كما أن الوثنية وتشخيص المعبود متلازمان .

وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية فى انها لم تكن وثنية قائمة بذاتها ، وإنما كانت انحرافا عن دين التوحيد الذى دعا اليه «ابراهيم» فقد اعتنق معظم العرب دين ابراهيم ولكنهم مع تقدم الزمن ومع تفرقهم فى الأمطار كانوا يخلطون معهم بعض حجارة الكعبة يتركبون بها ثم حولوا هذه الأحجار الى أصنام وأوثان ، ومن هنا اختفى التوحيد وبرزت عبادة التماثيل والأصنام وقدمت لها القرابين ، ومن وثنية العرب عبادة النجوم . وقد عجزت المسيحية بما فيها من تقاليد وما يتصل بها من عقيدة التثليث ودعوى صلب المسيح أن تحتجب انتباه العرب ، أما التثليث فقد كان معروفا عند الفراعنة القدماء ، والهنود ، واليونان ، وكان الفرس يعبدون الها مثلث الأتانيم مثل الهنود هو (أو رمزا ومترات واهرمان) ويقول (راون) فى كتابه خرافات التوراة (Biblemyths) أن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة فبيحة سداء عن الخطيئة قديمة العهد جدا عند الهنود الوثنيين ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية.

ويقول رتشارد في كتابه (خرافات المصريين الوثنيين) انه لا تخطو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي أو اللاهوت الثلاثي وكان الهند يعبدون (تي مورتى) أي الأتانيث الثلاثة (الرب والمخلص وسيفا) والصينيون يعبدون بوذا ويسموئه (فو) ويقولون انه ذو ثلاثة أتناميم والمصريون القدماء يعبدون (أيزيس . اوزيريس . حورس) .

فالتثليث جاء الى المسيحية من الفلسفة الاغريقية، وهكذا يبدو تقارب واضح بين الوثنية والاعرقية والمسيحية الغربية (وهي غير المسيحية السحاء المزلّة) والفرعونية ، مع تشابه واضح في كثير من الطقوس والنظريات، ويقف الاسلام وحده متميزا عن هذه الأديان جميعا بطابع التوحيد الجذري الأساسي، وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونيوا ربانيين » ومن هنا تأتي معارضة الاسلام للوثنية والشرك وللتحريف في سبيل القضاء على الوثنية .

توحيد الأديان

ترتفع بين آن وآخر صيحة تدعو الى توحيد الأديان ، أو على الأقل الى توحيد الاسلام والمسيحية ، في عام ١٨٨٣ كان القس اسحق ايلور يقوم بالدعاية لتوحيد الاسلام والنصرانية على أساس قاعدة التوحيد الموجودة في الاسلام والموجودة عند الكنيسة الانجيلية وقد اتصل من طريق صديق فارسي هو (ميرزا بكو) بالاستاذ محمد عبده وهو في مفاه في دمشق ، وقد تجدد هذا الموقف مرات ومرات وكان هناك من يدعى خريستفو جياره الذي كان يحمل لواء هذه الدعوة في مصر وقد هاجمه رجال الكنيسة وقال القمص سرجيوس انه أراد أن يجعل المسيحيين مسلمين ينكرون لاهوت المسيح الذي هو أساس دينهم والذي تتركز فيه كل عقائدهم ، كما انه أراد أن يجعل المسلمين مسيحيين يعترفون بصحة الانجيل الأمر الذي اذا سلم به المسلمون لوجب الا يقبلوا كتابا آخر غير الانجيل وأن يعترفوا بلاهوت المسيح ، كما انه أراد أن يجعل اليهود مسيحيين لأنه طلب اليهم أن يعترفوا بأن المسيح قد جاء الى العالم

ولو اعترف اليهود بمجيء المسيح لهجروا طقوسهم اليهودية وعاداتها وصاروا مسيحيين ، لأن المسيح هو محور نبوءاتهم . ومعنى هذا استحالة هذا التوحيد بين الأديان .

وهناك محاولة أخرى موضع الشك والريبة هي محاولة البهائية التي تتظاهر بتوحيد الأديان وتهدف إلى هدم الأديان لتحل محلها الدين البهائي .

ومعنى هذا غير المحاولات المختلفة أن من ورائها هدفا سياسيا استعماريًا أو صهيونيًا من أهداف تلك الدعوات العامة على تقويض المجتمعات الإنسانية . وليس في مفهوم الاسلام نفسه توحيد الأديان وإنما فيه تساندها على مقاومة الإلحاد والاباحة وكشف الاعتقاد بوحدة الله والفتاء الإنسانية على الخير والأخاء .

فرقة النصيرية

سأل الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرسى الشافعي شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله عن النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا ويأتى الصلوات الخمس عبارة عن ذكر خمسة أسماء (على وفاطمة وحسن وحسين ومحسن) وأن الصيام عبارة عن أسماء ثلاثين رجلا وامراة يعدونهم في كتبهم ويأتى اللهم على بن أبى طالب فهو عندهم الامام في الأرض والامام في السماء فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم وان يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه .

يقولون : محمد هو الاسم وعلى هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان الى وقتنا فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم ان عليا هو الرب وان محمدا هو الحجاب وان سلمان الفارسي هو الباب .

ويقولون ان ابليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويليهِ في رتبة الانليسية ابو بكر رضى الله عنه ثم عثمان .

افنى شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالة مستقلة بأن هذه الطائفة الملعونة اكفر من اليهود والنصارى والمشركين وان قتالهم اوجب من قتال هؤلاء وانهم فرع من القرامطة والمجوسية الملعونة لا يختلفون الا فى الاسم فقط وهم ينتسبون الى ابي شعيب محمد بن نصر . وكذلك ذكر شيخ الاسلام فى كثير من كتبه ان الاسماعيلية على مثل نحلة النصرية والقرامطة يقولون بالتاسخ وتأليه على ومن بعده من ائمتهم . والاسماعيلية اليوم كثير فى الهند وزعيمهم المدعو اغا خان وكذلك الدرزية الذين يسكنون جبل الدروز من ارض الشام وهم الذين يؤلهون الحاكم العبيدى وكل ذلك من ذبول الدولة الملحدة الملعونة العبيدية التى قامت بالمغرب ثم كان من قضاء الله ان تمكنت مصر وغيرها من البلاد الاسلامية وأعلنت فيها الكفر والزندقة وسب الصحابة (ذكر ذلك ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة وابن كثير فى البداية والنهاية ، الف فى تكفيرهم وبيان شنيع مذاهبهم الامام ابنى بكر الباقلانى كتاب (كشف الاسرار وهتك الاستار) وذكر عنهم الحافظ من كثير وغيره انهم قوم يظهرون الرضى ويبطنون الكفر المحض .

الباب السادس

التاريخ

| | |
|--------------------|------------------|
| محاكم التفتيش | أخوان الصفا |
| الكشف | الاسرائيليات |
| ما قبل الاسلام | الاغريق واليونان |
| معركة سانت بارتلمى | البطولة |
| مكتبة الاسكندرية | تفسير التاريخ |
| مصر للمصريين | الحملة الفرنسية |
| ارساليات لبنان | الخلافة |
| | فتنة ١٨٦٠ |

1875

1876

| | |
|------|------|
| 1877 | 1878 |
| 1879 | 1880 |
| 1881 | 1882 |
| 1883 | 1884 |
| 1885 | 1886 |
| 1887 | 1888 |
| 1889 | 1890 |
| 1891 | 1892 |
| 1893 | 1894 |
| 1895 | 1896 |
| 1897 | 1898 |
| 1899 | 1900 |

أخوان الصفا

ليس الاهتمام بنشر رسائل أخوان الصفا وإعادة إصدارها عيباً في ذاته بما أسديت للقارئ الحقيقة كاملة ، ودون أن تشوه هذه الحقيقة بإضفاء صفات غير صادقة على هذه الجماعة الغامضة التي عجز أصحابها أن يبرزوا أسماءهم أو يكشفوا عن أنفسهم أو يقفوا في صفوف العلماء أو الصالحين أو الفلاسفة أو حتى دعاة المذاهب من أمثال ابن الراوندي والحلاج والسهروردي وغيرهم . ولكي يقرأ القارئ رسائل أخوان الصفا عليه أن يعرف من كتبها أولاً فإذا وثق به وعلم أنه من أهل العلم الخالص البعيد عن الضلال أو الانحراف كان له أن يقرأ ماكتب فإن لم يتحقق له هذه الثقة فعليه أن يقرأ في حذر على ضوء ماعرف من أمر الكائنات وأهوائه ، والإجماع بين الذين قدموا لأخوان الصفا منذ كشف أحمد زكي باشا عن هذه الرسائل إلى اليوم ، وقد تناولها الكثيرون بالبحث كالـدكتور طه حسين وجبور عبد النور وعمر الدسوقي ودور النشر اللبنانية . أتول أن الإجماع منعقد على أن أخوان الصفا جماعة مشبوهة ليست من العلماء ولكنها من دعاة الباطنية والجوسية والزندقة الحاقدة على الإسلام واللغة العربية والدولة الإسلامية ولهم صلات واضحة وأكيدة بالحركات المريية التي كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامي ، وقد أضفى هؤلاء الدعاة للجماعة السرية على هدفهم السياسي طابعاً علمياً وفلسفياً ، بيد أن هذا الطابع لم يخف حقيقتهم ولم يحل دون بروز مقاصدهم من خلال عرضهم للنظريات المختلفة التي تكشف عن معارضة أكيدة لمضامين الإسلام وقيمه الأساسية وفي مقدمتها « التوحيد » : لب لباب الإسلام وفكره وقرآنه ودعوته .

وتؤكد مختلف المصادر التاريخية أن « أخوان الصفا » تكونت على هيئة جماعة سرية (٣٣٤ — ٣٧٣ هـ) في البصرة لبث آرائهم بواسطة رسائل علمية ولها صلة أكيدة بالباطنية والاسماعيلية . ويمكن القول بجملة أن المنهج الفكري الذي قدمه أخوان الصفا في رسائلهم الجامعة ورسائلهم

الاثنين والخمسين يكشف عن مجافاة أصيلة للإسلام وتلفيق كامل لكل الفلسفات الوثنية بمختلف أنواعها وفنونها : من افلاطونية حديثة الى فيثاغورية الى نظريات افلاطون وأرسطو وأفلوطين وفيثاغورس والمجوسية والمزدكية والمناوية والزرادشتية خبيثا مخلوطة في سلك واحد في محاولة لخلطها بمفاهيم غامضة من الشريعة الإسلامية لتلقى بها معقائد الباطنية.

وقد وصفهم (أبو حيان التوحيدي) في كتابه الامتاع والمؤانسة بأنهم « عصابة » وضعت منهجا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى النور برضوان الله ، وأنهم قالوا : ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكم الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل السكمال .. »

وقد وجهت الى مضامين هذه الرسائل نقادات صريحة تكشف عن مخالفتها الجوهرية لقيم الفكر الاسلامي ووصفت بأنها تكشف عن اغراق في الخيال واعتماد على الافكار اليونانية من غير فحص ولا انتقاد لمقومات ، وبحث في كل علم من غير اثبات واقناع ، وأبرز ما يكشف عن شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام فكرة أنهم يؤمنون بكل الأديان والمذاهب ، وإذا أرادوا تأييد رأيهم وبث دعوتهم تمثلوا أنبياء الله المرسلين (موسى وعيسى ومحمد) وأضافوا اليهم اليزدان وغازييون وأرسطو وأفلاطون ، وهم يخلطون الأديان بالفلسفات في محاولة لبناء مذهب يلغى الأديان ويعيد الوحدة — الى المسلم والنصراني والمجوسي واليهودي والأفلاطوني والمشائي والفيثاغورسي — على حد تعبير الدكتور جبور عبد النور — ويجمع الذين درسوا رسائلهم أن غايتهم هي الباطنية وأنهم من الفرق الضالة الغالية التي تعمل دائما على الاحتماء كذبا بأهل البيت ، وأن أكبر مصدر لادانتهم أسلوبهم الرمزي واخفاء اسمائهم ، والتحرز من ذكر الأعلام الذين يصدر عن آرائهم وفكرهم تحفظا من أن يكشف مذهبهم أو هواهم السياسي ، وفي كتاباتهم اشارات غامضة يستشف منها ميلا خفيا الى المجوسية المعدلة بالوثنية الاغريقية ، وهم يرون أن عليا هو الى طيقة الأنبياء أقرب ويفرغون بينه وبين الصحابة ويحاولون وصفه بالتفوق على الخلفاء الراشدين . كما اتسمت هذه

الرسائل بالنقمة على الدولة الاسلاجية والسعى الى تحطيمها وتبرز في كتاباتهم مفاهيم الباطنية والاسماعيلية والفيثاغورية والاملاطونية والجوسية . وتخلط بين آرائهم على غير وثاق ، وفي نصوصهم فقرات كثيرة وليكنها مموهة تشير الى ان في قرارة نفوسهم ميلا الى الوثنية ، والوثنية اغريقية وبابلية واشورية ، وهم حين يوازنون بين الاديان السماوية والارضية يفضلون الاخيرة ويسرفون في تمجيد مفاهيمها .

ولهم آراء في السكوك تخالف مفهوم الاسلام فهم يعتقدون انها السبب المباشر في التكون الطبيعي وظهور الملوحة ، وسبب ما يصيب الاجسام فوق سطح الارض من علل وامراض وقد لاحظ التوحيدى انهم ينكرون البعث بالاجساد (ج ٣ ص ٧٨ و ج ٤ ص ٤٠) ويفسرون الجنة والنار خلافا لما تواتر عنده المسلمين وينكرون الشياطين على الصورة التي يفهمها معظم المسلمين ويفسرون الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً فلسفياً ، وتشتمل رسائلهم على كثير من الآراء الخيالية وبعضها معتق من اليونان وبعضها وليد الأذهان وبعضها تراث الكهان كسرار الاعداد والتنجيم والقال والرجز ، والسحر والعزائم والإيمان بطوابع النجوم وتأثيرها ، وموسيقى الأفلاك ونغماتها والحائنا ، ويشمل كذلك عقيدة الوحي والامام المستور والفقية ، وفيها اعداد النفوس والعقول لدولة جديدة وهي في مجموعها شرائع من الحكمة والديانة والشعوذة والكهانة والسياسة ، تقوم على اساس الفلسفة اليونانية الطبيعية الالهية وقد كانت هذه الرسائل محاولة لوضع نظام جديد يحل محل الشريعة الاسلامية التي يعتقد اخوان الصفا انها أصبحت عتيقة لا تؤدي رسالتها وقد اخفقت محاولة اخوان الصفا وفشلت ، فلم تنجح في اقامة نظام علمي او تشييء مجتمعا يقوم على اساسها لانها خالفت جوهر الاسلام وسعدت عن الملاج العربي الاسلامي وملامح الذاتية التي اقامها الفكر الاسلامي في الامة التي نشرت بين اهلها واكتت ان كل محاولة لدمج الفكر الاسلامي القائم على التوحيد بأي فلسفة وثنية ، كاليونانية او الهندية او الجوسية فانه عمل لا يحقق شيئاً ، ولا يمكن ان يحقق الايمان والانصهار مطلقا بين الفكر الاسلامي القائم على التوحيد ومختلف هذه الديانات والمذاهب والفلسفات القائمة اساساً على الوثنية والتعدد والاحاد والانتكار ، وقد

فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التي سبقتها والتي تلتها في خلط الاسلام بغيره او اضافة اجزاء منه الى مذاهب وفلسفات اخرى ، وكشف الاسلام في هذه اللقاءات عن ذاتية واضحة صريحة قادرة مستحيلة على الانصهار او الذوبان في غيرها محتفظة بطابعها وذاتيتها وجوهرها ومزاجها حتى في اشد الفترات ضعفا وتخلفا .

وجملة القول ان محاولة اخوان الصفا والباطنية في خلط الاسلام بأهرمين والبرذآن وأفلاطون وأرسطو وغزاليون ، او خلط الفكر الاسلامي بالهيات اليونان او كتب الأدبان الأخرى او كتب الطبيعة والكواكب أمر غير متحقق فجوهر الاسلام مستحيل على الانصهار او الخلط .

الاسرائيليات

من أخطر التحديات التي واجهت الاسلام والفكر الاسلامي والثقافة العربية ظاهرة « الاسرائيليات » وهي اضافات خطيرة ونظريات مستمدة من نصوص قديمة ، وثنية ومجوسية من خارج مفهوم الاسلام وذاتيته المختلفة عن الأديان والفلسفات ، تسربت مع الزمن وقصد الى اضافتها خصوم الاسلام واعدائه رغبة في عزله عن جوهره الاصيل وقد شكلت مع الزمن قشرة صلبة او حاجزا خطيرا عازلا عن مفهوم الاسلام في سيطرته ووضوحه وبسره وابعازه ، و اضافت تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض أساسا مع مفهوم الاسلام القائم على التوحيد ، والمتصل الواضح الصريح للغيب والايمان بقواعد القرآن ونهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور السابقة وغير المنظورة وخاصة ما يتعلق بعالم الغيب وما وراء العالم المحسوس ، وفيما يتعلق بالعالم الآخر والتاريخ القديم السابق على الاسلام وتاريخ الأمم السابقة والمجتمعات وأحداثها .

وقد لُصِف الى الاسرائيليات مع تطور الفكر الاسلامي اضافات أخرى تسربت من الفلسفات اليونانية والهندية والديانات الفارسية وغيرها مما كون حصيلة ضخمة استعملها الشعوبيون واعداء الاسلام والعرب في القديم سلاحا لتحويل الأنظار عن مفهوم الاسلام وجوهره واخراجهم عن مضامينه واتاحة الفرصة لمفاهيم الوثنية والثنائية والتثليث لغزوه .

وقد واجه المفكرون المسلمون هذه الدخائل الإسرائيلية الباطنية والمجوسية وغيرها وفتنوها وكشفوا عنها ، وفي مقدمة من تولى ذلك : الجاحظ (البيان والتبيين) القياضي بن العربي (العواصم من القواصم) وابن الجوزي (تلخيص ابليس) كما واجه هذه القضايا ابن حزم والفزالي وابن خلدون وعرضوا الآراء الباطنية والمجوسية والمزدكية والمتوية وغيرهم ويطلق علماء المسلمين كلمة اسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ، ولا سيما تلك العقائد والاساطير التي دسها اليهود والنصارى في مفاهيم الاسلام ، وفي مقدمة هذه الاسرائيليات تلك الاضافات للنصوص النابتة أو التفسيرات للآيات القرآنية والتوسع في اوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر ويوم القيامة وتصويرها تصويرا حسيا .

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته فصلين لدراسة هذا الموضوع ، وأدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ في تاريخ الاسلام ، وكان في مقدمة من نعى عليه وشهر ببطالته .

وهذه التنبؤات هي التي اضافتها الاسرائيليات مما يتعلق بالمهدي المنتظر أو رجعة المسيح أو ظهور المسيح الدجال بأكمل هذه الأمور وغيرها مما لا سند لها من القرآن أو الحديث الصحيح .

وقد بدأ تكون هذه الحصلة عندما حاول المفسرون المسلمون سؤال أخبار اليهود عما يوجد في كتبهم من إشارات إلى بعض المسائل التي أوردتها القرآن ثم نقلوا ما كانوا يسمعون على أنه استرشاد أو توضيح ثم لم يلبث أن تحول إلى ما يشبه القضايا المسلم بها .

وفي عصر الضعف ومرحلة التخلف وفترة التجميع ظهرت كتب كثيرة لم يكتبها علماء محققون ، جمعت أحاديث منحولة وأكاذيب ومفتريات مدسوسة على الدين ، وفي مقدمة هذه المؤلفات بدائع الزهور والعرائس في القصص والأخبار .

وقد ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى غريزة هذه الكتب حرصا على مقاومة الخطر الذي تنفثه في جمهور العوام وانصاف المتعلمين .

وكان لدائرة المعارف الإسلامية وللمستشرقين اهتمام بالغ بأعمال

كتب الأخبار ووهب بن ميثم وعبد الله بن سلام وهم الذين استمعوا
الاسرائيليات في صدر الاسلام ، وكان علماء المسلمين يسألونهم بوصفهم
من أهل الكتاب عما عندهم من مثل فضائل بدء الخليقة وسان الإلياء والأمم
القديمة ، ولم يكن هذا إلا من باب التعرف الى الشبهات والتحرر من الوقوع
فيها ، غير أن بعض الرواة يجمع مثل هذه الآراء أمثال الحنفي والكشفي
والتطيني والظنوني وسجلوها في مؤلفاتهم ، فالتصفت بتفسير
القرآن الكريم ، وقد عارض المفكرون المسلمون هذا الاتجاه وشجبوا
وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون ، غير أن دائرة المعارف الإسلامية وكتابها
جميعا من خصوم الاسلام تمثلت هذه الآراء وبوبتها وعدتها مضائق صحيحة
وجاء جولدزيهر وهو من خصوم الاسلام مدافع عن كتب الأخبار وزملائه .

وقد شرب الى بعض كتب التفسير كثير من الاسرائيليات فشوهت
صفحتها الوضوء . كذلك تدفق فيض من الأساطير على كتب الملاحم
والمغازي فالتبس فيها الحق بالباطل والواقع بالخرافات .

يقول الامام احمد بن حنبل : ثلاثة لا اصل لهما في التفسير والملاحم
والغازي أي أنها ليست لها أسانيد صحيحة متصلة .

وقد ثبت في كتب ثقات المؤرخين أن كتب الأخبار ووهب بن ميثم
وزياد بن أبيه كانوا من المأمرين على الاسلام من طريق بث متون الروايات
الاسرائيلية التي شوهت جمال معاني القرآن الكريم في كتب التفسير
ومثل ذلك تفسير الرعد والبرق والجسد الذي القي على كرسی سليمان
وما جاء في عصا موسى . ويقال ان كتب الأخبار ووهب بن ميثم دخلا الى
الاسلام ظاهرا ليكيدوا له كيدا ، وشهد نقل كثيرا منه ابن جرير الطبري
ونقده ابن كثير .

الأغريق واليونان

كلمات متعددة تمثل طقسا فكريا معيناً وتوحي الى منبأ ثقافي له
طابعه ومفاهيمه وتكسفر عن عالم له قيمه ومقوماته : هي الأغريق واليونان
ومنها اشتق اسم المذهب الفكري « الهلينية » التي هي بمثابة النمط الثقافي
الذي يعطى في اللغة اليونانية أو اقتباس اللغة والفكر اليوناني والقرآن

المثل اليونانية العليا . وترجع أهمية الدراسات المتصلة بالآغريق واليونان والهلينية إلى ارتباط الحضارة الغربية الحديثة بالجزور اليونانية والآغريقية واعتبارها من مصادرها الأساسية ، فقد سقطت اليونان تحت حكم الرومان ١٤٦ ق.م وقد تبنى الرومان حضارة اليونان حتى سقطت الدولة الرومانية في القرن الرابع المسيحي ، ودخلت أوروبا في فترة القرون الوسطى المظلمة التي كانت كذلك بالنسبة لأوروبا وحدها ، حيث ظهرت أضواء الإسلام في القرن السادس المسيحي ، ولم تلبث أن عمت العالم كله ووصلت إلى أوروبا واستقرت في الأناضول وجنوبي فرنسا وإيطاليا ، وكانت هي الشرارة التي أوقدت عصر النهضة ، ومن جذور المذهب العلمي التجريبي الإسلامي تتكون الحضارة الحديثة ، هذه الحضارة التي حاولت أن تنقى عن نفسها مؤثرات الفكر الإسلامي في نفس الوقت الذي انقطعت فيه بالآغريقية القديمة واعتبرتها مع المسيحية الوافدة من الشرق — بعد أن تحولت إلى طابع غربي وأطار للحضارة الغربية مصدرا لها .

وقد ركز الفكر الغربي على التراث الآغريقي وابتعته مجددا ، واعتبره مصدرا أساسيا له ، ومن هنا فقد عني المتصلون بالفكر الغربي عناية تكبري بالآثار اللاتينية والآغريقية والهلينية واحتضنوا نظرية لم تتأكد تاريخيا ولا علميا بأن للآغريق واللاتينية أثرا كبيرا في الفكر الإسلامي ، وهي نظرية طالما ردها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب في محاولاتهم لتصور عربي إسلامي بأن القيم الإسلامية لها ركائز من الفكر الهليني .

ومن الحق أن يقال أن الفكر الإسلامي قد تكاملت قيمه ومقوماته في حياة الرسول ومع آخر آية من آيات القرن الكريم وأنه لم تجر إضافة أي شيء إليه من بعد وإلى اليوم ، وإن كان هذا الفكر بطابعه في الانفتاح على الثقافات المختلفة قد أخذ وأعطى ورفض في مجال المناهج والأساليب واستطاع أن يهضم كثيرا ما وجده في ثقافات وفلسفات الأمم المختلفة بعد أن ساغه وصهره في بوتقته . شأنه بالنسبة للفكر الهليني وشأنه بالنسبة للفلسفات الفارسية والهندية والمسيحية وغيرها .

أما موقف الفكر الإسلامي من الفلسفات اليونانية والتراث اليوناني فقد كان واضحا ، إذا ترجم العلماء المسلمون الفلسفات العلمية والطبيعية وعلوم الفلك والحساب والطب وغيرها وأعرضوا عن الآداب والشعر ،

ولما تزجعت الفلسفة الإلهية وهى علم الأصنام عند الاغريق والوثنيات وقف منها المكرون المسلمون موثقاً صريحاً فى المعارضة والرفض ، وكان شأنهم فى كل ما نقلوه أمرين أولهما أنهم أداروه فى إطار التوحيد والنبوة ورفضوا الثنائيات وعبادة الآلهة والأصنام والوثنيات جميعاً وثانيهما أنهم أساغوه وصهروه فى بوتقتهم ، وأحالوه الى جوهر فكرهم كون أن تغير شيئاً من قيمهم أو مفاهيمهم .

ولكن الغزو الفكرى وحركة التغريب حاولت محاولات ضخمة أن تفرض على النوق العربى الإسلامى والمزاج العربى الإسلامى تصورات اغريقية ويونانية لها طوايعها الخاصة المستمدة من بيئاتها . وقد فشلت هذه المحاولة فى أن تغير من جوهر القيم الأساسية للفكر الإسلامى القائمة أساساً على التوحيد ، ذلك أن الفلسفات اليونانية الاغريقية قد تتلاقى مع الفكر العربى الحديث ومع المسيحية ومع اليهودية والتوراة ، ومع الفرعونية والجوسية الفارسية بحكم قاسم مشترك أعظم بينها ، يكاد يوجد عنصر اللقاء والتقارب والتشابه وخاصة فى مجال الأساطير حتى بين نظرية ايزيس وأوزوريس وجورس وبين نظرية التثليث ، يقول العلامة توينبى أن شخصيتى ايزيس وسيبيل تظهران فى المسيحية مرة أخرى فى تجلى السيدة مريم فى شخصية أم الله الكبرى ، كما تشاهد تقاطيع اله الشمس فى الصورة ذات الطابع الحربى الذى يبدو فيها المسيح فى بعض الأحيان .

ويمكن القول بأن المثل الأعلى فى الإسلام يختلف اختلافاً جذرياً عن المثل الأعلى اليونانى الذى ارتبط الى حد كبير بالفلسفات الفرعونية والمسيحية . وبرز هذا الخلاف يتمثل فى التوحيد الإسلامى (لا اله الا الله واحداً احداً هو رب كل شيء) والانسان سيد الكون تحت حكمه وإرادته ، بينما فى المفهوم الاغريقى يوجد عشرات الآلهة ، التى تتصارع وتتقاتل وحيث يبدو الانسان هو سيد العالم وحيث يعبد جماله الجسدى ويؤلهه وحيث يصارع الانسان الآلهة وينتصر عليها وحيث تفعل الآلهة الشر . يقول أنيس قريجه « أن الهتك لا تتميز عن البشر الا بقوتها والا بخلودها وعدم فنائها مع الزمن وهى فيها عدا ذلك ككلمة الناس تماماً تحسد ونغار ، وقد وزع اليونان السلطات بين هذه الآلهة ، ووجهوا عنايتهم الى تجديد ودراسة الجسم الانسانى فأعطوا الآلهة شكله ومثلوها به . ويرتكز المثل

الأعلى اليونانى على أن الانسان هو مقياس كل شيء فى هذا العالم » .

ويعتقد اليونان أن نصيبهم أوفى من نصيب غيرهم من حيث جمال الأجسام ومن هنا نشأ طابع الحضارة الاغريقية والثقافة الهلينية وهو تمجيد وتأليه الجمال الجسمى ، ويصف أنيس فريجة هذه الآلهة بأنها تصرح وتمرح على جبل أولبوس وتتصرف تصرف البشر ، فقد كانوا يحبون ويكرهون ويقتلون ويسرقون ويخطفون نساء بعضهم بعضا ، وبعبارة أخرى كانت آلهة اليونان أناسا ولكنهم جبابرة ذوو بأس يتصفون بكل ما هو جميل وبكل ما هو بشع ذميم ، كانوا أناسا يقتدى بفضائلهم ويهزأ برذائلهم ، ولذلك لم يشعر اليونانى أمام ربه أنه عبد ذليل بحاجة الى الرحمة والشفقة ، بل ظل سيد نفسه متيقن أنه سيد الأرض وأن الحياة نهب له ولعبقريته ولم ير فى الكون قوة تسحقه » .

وهذه العبارات من مكاتب معجب بحضارة الاغريق وبأسلوب مهذب كثيرا فى تصوير مدى هذه العلاقة بين الآلهة والبشر لتكشف عن فهم مختلف كل الاختلاف وبعيد كل البعد ، عن مفهوم المسلمين والعرب فى علاقتهم بالله تبارك وتعالى هذا الخلاف الجذرى بين الفكر اللاتينى والفكر الإسلامى ينسحب ويمتد من هذه النقطة الى كل القيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والدينية ويشكل خلافا واضحا بين مفهوم الإسلام ومفهوم الفكر الهلينى ، ومن هنا فانه من العسير على الدعاة الى افراغ الفكر الإسلامى أو الأدب العربى فى قوالب الفكر الغربى أو الفلسفة الهلينية أن يحققوا شيئا ، وهذا العسر الذى يواجه دعاة التفريب اليوم ، انما هو صدى للموقف الذى وقفه المفكرون المسلمون من الفكر الهلينى عندما ترجم الى اللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى وأحدث سجالا عنيفا وصراعا ضخما ، فى محاولة الفلاسفة المسلمين : الكندى والفارابى وابن سينا لتأصيله أو لإسلامه ، وهى المحاولة التى حاولها الفلاسفة الثلاثة لصهر الفلسفة اليونانية فى بوتقة الفكر الإسلامى واطار التوحيد ، وقد كانت محاولة جد فاشلة فقد استصفى الفكر الإسلامى من ذلك التراث القديم ما وافق مقوماته ورد الباقي وجاء الاعلام العمالقة : ابن حزم وابن تيمية والغزالى فكتشفوا عن مناهج الفكر الإسلامى القادرة على أن تؤدى ماحاول الفلاسفة التماسه من الفكر الهلينى وانتهت دورة ضخمة من دورات الفكر الإسلامى

الى التماس مفاهيم الاسلام والتحرر من الآثار التي حاول أن يفرضها الفكر اليونانى الوثنى ، وقد رفض الفكر الإسلامى مبدأ التبعية للفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وعدل انحراف المعتزلة وأهل الكلام كما عدل مذاهب الفلاسفة المتصوفة الذين انحلوا مذاهب وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكلها مذاهب لها صلة بالفكر الهلنى .

وبالجملة فقد ظل كفاح المفكرين المسلمين مستمرا أكثر من ثلاثه قرون فى سبيل تحرير الفكر الإسلامى بين هيمنة الفلسفة الهلننية والهندية والفارسية القديمة .

وبالجملة فقد رفضت العقلية الإسلامية الفلسفة اليونانية الالهية ، أما فى مجال الطبيعات والعلوم الرياضية فقد صححت أخطاءها وحولتها الى منهج أصيل مستمد من جوهر القرآن ومفهوم الاسلام للعلم كما حررت علم النجوم من النظرة الغيبية ، كما صححت أضخم النظريات اليونانية فى مجال العلم كاتليدس والطب .

ولعل أبرز مقاومه الفكر الإسلامى من الهلننية هو نظرة الأحاد والثنائية والوثنية والإباحة ، وهى المظاهر التى ورثها الفكر الغربى والحضارة الغربية ، والتى يحاول دعاة التغريب فرضها من جديد على الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى باعادة ابتعاث المسرحيات اليونانية والأدب الإغريقى على النحو الذى جرى عليه طه حسين وتلاميذ التبشير والتغريب بحسبانه سلاحا يراد به القضاء على جوهر الفكر الإسلامى ومفهومه الأساسى (التوحيد) .

والقول الحق فى هذا المجال أنه ليس من شأن الفكر الإسلامى وهو فكر له أصلاته وتاريخه وحضارته أن يلتمس مقاييس الفكر الغربى أو الإغريقى فى تحليل الكون أو فهم الحياة ، ذلك أن الفلسفة اليونانية ومفاهيم الوثنية إنما تتنافى مع التوحيد والنبوة وتعارضها على خط مستقيم ، وتحمل طابع السخرية بالدين والوحى وأبرز مفاهيم اليونان التفرقة بين السادة والعبيد فى المجتمع : واستخدام الرقيق ليقوم بالعمل بينما ينعم السادة بثمار الجهود وهو المفهوم الذى قامت عليه الحضارة الغربية وتوسعت من بعد من خلال الفردية والجنس الأبيض ومفهوم النخبة والصفوة .

البطولة

البطولة قيمة من قيم الفكر والمجتمعات الإنسانية ولكنها كمختلف القيم الأساسية لها في كل فكر ومجتمع مفهوم ، فلتعرب مفهومه للبطولة السني يختلف عن مفهوم الاسلام والفكر الاسلامي . وفي الغرب اليوم مفهومان للبطولة : مفهوم الفرنية ومفهوم الجماعة او مفهوم الديمقراطية ومفهوم الماركسية . فالمفهوم الاول يستمد أسسه من تقدير الفرد واعلائه وتخليده على النحو الذي يذهب به الى اعلى درجات التقدير ، ومنها اقامة التماثيل وتاليف الكتب والاحتفالات السنوية بمناسبات المولد والوفاة ، وهذا المفهوم يؤمن بأن البطل يصنع التاريخ ويعبر عن روح العصر ، وليس ثمرة الأحوال الاجتماعية او المادية وأن كل عصر يظفر بالبطل الجدير به . ومن ثم فإن الرجل العظيم يوجد في ابان الحاجة اليه كما يرى هيجل ويرى كارليل أن التاريخ العام في اعتقاده هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء فهم القادة والأئمة وهم المبدعون لكل ماوفق اليه اهل الدنيا . والبطل عنده لا تصنعه الحوادث ولا تخلقه الأوهام .

وهناك للنظرية الاجتماعية في البطولة وتري أن الرجل العظيم قبل أن يصنع المجتمع فإن المجتمع هو الذي يكونه ويصنعه ، وأن البيئة تصنع العظيم قبل أن يعيد العظيم صنعها . وأن الرجل العظيم نتيجة لمؤثرات طويلة متشابكة قد عملت على ايجاد الشعب الذي نبغ فيه .

ويقف الفكر الاسلامي جامعا بين المفهومين رابطا في دقة ويسر بين الأمرين فالبطل يأتي نتيجة لحاجة المجتمع ثم هو يصنع التاريخ والمجتمع .

والبطولة في الاسلام تتمثل في النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهو قد اخرجته الجزيرة العربية ثم هو اخرج الجزيرة العربية وغيرها من الظلمات الى النور وغير العالم كله ، غير قيمها وغير مفاهيم القيم كما كان يفهمها الناس قبل الاسلام وجاء برسالة تحمل مفهوما جديدا للبطولة . فقد كانت البطولة العربية قبل الاسلام بطولة الكرم والشجاعة والنجدة ، فاحتفظ لها بهذه القيم وغير مفاهيمها حيث كان الكرم من أجل الفخر ، والشجاعة والنجدة من أجل المباهاة فوجه هدف الكرم والشجاعة والنجدة جميعا الى التماس مرضاة الله ، ونقاها من زيف الفخر والمباهاة ، ومن هنا فان تكريم الأبطال في

الاسلام يختلف عن تكريمهم في الأمم المختلفة ، وهو تكريم للبطولة لا للبطل والعمل لا للفرد ، ولا يحمل ضروب الوثنية أو التجسيم أو إعلاء البطل عن إنسانيته أو الفخر ، وقد آمن المسلمون بأن البطولة للفكرة لا للفرد ، فعزل عمر بن الخطاب خالد من قيادة الجيش في أوج البطولة وهو من لم يهزم في معركة ، وقال كلمته التي تمثل مفهوم البطولة في الاسلام : « خشييت أن يفتن الناس به فأردت أن يعلموا أن الله هو الصانع » .

وهكذا كرم الاسلام العمل ولم يكرم الفرد لذاته ، بينما كرمت الأمم الأخرى الأفراد لذاتهم وغالوا في تكريمهم وبالغوا في ذلك حتى بلغوا به درجة التقديس ، وكذلك فعل اليونان والفراعنة فأضافوا الى الناس طبيعة الالهة وحنطوهم ليظلوا ماثلين الوف السنين واتخذوا التماثيل استبقاء لوجودهم المحسوس . أما في الفكر الاسلامي فلا يخلد البطل لحمة ودمه ، أو صناعته من الاحجار والجرانيت وإنما يخلد ذكره وعمله . وكذلك فهم المسلمون أن البطولة ليست في الفرد ولكن في عمله ، فإذا اختار الرسول الرفيق الأعلى فعلى الرسالة أن تبقى وتستمر ، وكذلك فهم المسلمون الأمور « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » والبطولة ليست في خالد وليكن في عمل خالد ، فإذا عزل خالد فإن العمل يجب أن يستمر ، وكذلك اتصل الأمر بتقدير البطولة في الاسلام في مفهوم الامام والقائد والحاكم فهو بالولاية مادام على الحق فإذا انحرف فلا طاعة له على الناس ، ولا يكرم الرجل أو يعظم الا من خلال عمله الصالح ، ومن هنا حارب الاسلام الخضوع للامراء والاعنياء لجرد غناهم ، وعد هذا نوعاً من الشرك ، ودعا الى تكريم الفضائل والقيم في ذاتها أينما كانت ، ومن هنا غلب العنصر المعنوي الخالد على العنصر المادي الفاني ، وقد اتصل هذا بمفهوم القصة في الأدب العربي ، فهي الى الحقيقة أقرب منها الى الأساطير في الأدب اليوناني ، والاسلام يكرم العمل ، ويجعل الكلمة مكان الطقوس والاستعراضات ، فعن طريق الكلمة الحق والعمل الإيجابي تحققت البطولة التي تتمثل في تحرير البشر من الوثنية والظلم ، وفتح آفاق اكتشاف الكون والرحلة واختراق البلدان والقارات في البحر والبر ، وتحققت في ميادين العلم والفكر وفي آفاق النفس . وتتجلى البطولة في مفهوم الاسلام في أن المسال وسيلة وليس

غاية ، وأن تقدير الإنسان إنما يقوم بعمله لا بنفسه ولا شخصه ولا مظهره ، وهكذا تمثلت البطولة الإسلامية في القيم الخالدة كالإيمان بالله والإيمان بالجزاء والمسئولية وإقامة العدل والمساواة وحماية الضعيف وتحريره والمروءة والشرف والوفاء والكرم والنجدة والشجاعة ، وقد ظلت البطولة في تاريخ المسلمين وإلى اليوم تستمد مفهومها من هذا المعنى الأصيل في الإسلام ، كما تمثل هذا المعنى في القرآن الكريم الذي عرض شخصيات الأنبياء والقادة في هذا الضوء واعتد بطولتهم من خلال هذا المفهوم ، وما زال المسلمون يرون في شخصية رسول الله « المثل الأعلى للبطولة » على النحو الذي أقره الإسلام وطبقه الرسول .

فالبطل المسلم يلتمس بعمله الله ، ولا ينسب لنفسه شيئا من الفخر .

وقصة « صاحب النقب » معروفة ، هذا البطل الذي حقق للمسلمين بعد أكثر من شهرين اقتحام سور دمشق وقد عجزوا عنه ، وكان مما أولاه بالفخر بأنه بعد أكثر من ستين فارسا تقدموا ورجعوا أمام السهام ، ما كان أولاه بأن يعلن اسمه ولكنه أصر على التخفي فلما اضطره القائد إلى الإعلان عن نفسه تقدم بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يسأله أحد عن اسمه فكان عمل البطل المحارب الذي يقدم نفسه للموت في كل لحظة موجها إلى الله ، لا يقصد به كسب مغنم مادية ، أو شهرة شخصية ، ومن هنا فقد كانوا يستقبلون الموت في غبطة وكانوا يضيقون به إذا ماتوا عنهم ، والبطولة الإسلامية كانت دوماً مسئولية وليست غنما ، عمر بن الخطاب كان لا يعطى أهله إلا أقل عطاء ويعاقبهم إذا خالفوا عقابا مضاعفا ، وعمر بن عبدالعزيز ترك كل ثورته وماله والتمس الخشونة . والبطولة الإسلامية كانت عفوا عند القدرة ، فقد سمح صلاح الدين لأهل القدس من الصليبيين أن يخرجوا ثرواتهم وأموالهم وغنائهم ، ورفض أن يفعل بهم وهو المنتصر ما فعلوا بالمسلمين يوم استلأهم على القدس من قبل إذا قتلوا ٧٠ ألفا من المسلمين .

ولا شك أن هذه المفاهيم للبطولة تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم البطولة الغربية الذي يقوم على أسس أخرى ، فبطولة نابليون أو الاسكندر أو قيصر أو غيرهم تختلف اختلافا جوهريا في دوافعها وغاياتها عن بطولة خالد وسعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب .

ومع تقدير المسلمين للمثل الأعلى للبطولة في شخصية الرسول فانهم لم يتخلّسوا يوم مولده أو يوم وفاته عيدا يحتفلون به أو مناسبة لاقامة المهرجانات ولمكنهم ايهاا بمفهوم البطولة القائم على العمل لا على ذات البطلى جعلوا يوم الهجرة : اعظم حدث في التاريخ هو مناسبة تكريم بطولة الرسول .

ومن هنا فان شبابنا الذى يحاول أن يلتبس مفهوم البطولة من الفكر الغربى لن يصل الى مفهوم الشخصية الاسلامية ولا الى المعنى الاسلامى وسوف لا تجد الذات العربية أو المزاج العربى الذى صنفته وكونته قيم اساسية لها مفاهيمها وجوهرها المختلف .

تفسير التاريخ

هناك عدد من مذاهب تفسير التاريخ بعضها يعتمد على العوامل التاريخية أو الجغرافية أو الأجناس وكل تفسير من هذه التفسير يعطى قيمة معينة ويجعلها أساسا ومصدرا ويخفف من العوامل والقيم الأخرى ، وأشهر هذه المذاهب : التفسير المادى للتاريخ الذى يعتبر أن تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام . والذى يرى أنه لا توجد قيم أصيلة أساسها الدين أو الأخلاق أو التقاليد ، وعيب هذا المذهب أنه يتجاهل جانب المعنويات الحقيقية والقوى الذاتية للشعوب . أما تفسير الأجناس فيرد كل العوامل الى الدماء والرسوس (الاعراق) وتفاعلها ، وللملاحة وللفرد كانتول سميت نظرة جديرة بالاعتبار فى التفريق بين النظرة المادية والنظرة الروحية والنظرة الاسلامية فى فهم التاريخ .

وعنده أن النظرة الروحية كالمسيحية مثلا يعيش المسيح فيها بشخصية مزدوجة أو عالين منفصلين لا يربط بينهما رباط . والمثل الأعلى عنده غير قابل للتطبيق ، والواقع البشرى المطبق فى واقع الأرض منقطع عن المثل الأعلى المنشود ، ويسير هذان الخطان فى نفسه متجاورين أو متباعدين ولكن بغير اتصال والتاريخ فى نظره هو نقطة ضعف البشر وهبوطه وانحرافه .

وفى مفهوم الهندوكية (وهى نظرة روحية ايضا) يقول ان للرجل الهندى لا اىابة للتاريخ ولا يعنى بوجوده لان التاريخ هو ما سجله البشر من امثل فى عالم المادة وعالم النفس ، والهندى مشغول دائما بعالم الروح ، عالم اللاهوتية ومن ثم فكل شئ فى عالم الفناء المحدود لا قيمة له عنده ولا وزن والتاريخ بالنسبة له شئ يسقط من الحساب .

اما فى المذاهب المادية كالماركسية مثلا ، فهو الايمان بحتمية التاريخ بمعنى ان كل خطوة تؤدي الى الخطوة التالية بطريقة حتمية ، ولكن لا يؤمن الا بهذا العالم المحسوس بل لا يؤمن فى هذا العالم الا بالمذهب الماركسى وهذه وكل شئ عداه باطل . والماركسى يتبع عجلة التاريخ ولكن لا يوجهها . ولا يتوصها بأية مقاييس خارجة عنها .

اما فى الفكر الاسلامى فمضى « ولفرد كالتول سيث » (وهو صديق فى هذا الراى) : ان المسلم يحس بالتاريخ احساسا جادا ، انه يؤمن بان الله قد وضع نظاما عمليا واقميا ، يسير البشر فى الأرض على مقتضاه ، يحاولون دائما ان يصوغوا واقع الأرض فى اطاره ، ومن ثم فهو يعيش كل عمل فردى او جماعى وكل شعور فردى او جماعى بمقدار قربه او بعده من واقع الأرض لانه قابل للتحقيق .

والتاريخ فى نظر المسلم هو سجل المحاولة البشرية الدائمة لتحقيق ملكوت الله فى الأرض ومن ثم فكل عمل وكل شعور فردى كان او جماعيا هو اهمية بالغة ، لان الحاضر نتيجة الماضى ، والمستقبل متوقف على الحاضر ، فالمفهوم الاسلامى واضح الايجابية ، فبينما غير المسلم يضحى بنفسه لانه لا يريد ان يهرع عجلة التاريخ الخاطئة وهو حى وسلمح لها بالمرور ، فهو يقف فى طريقها حتى تدوسه وتقتله ، ويكون ذلك اعلى قربان يتقدم به الى الله ، فان المسلم حين يضحى بنفسه ، وفى حسه ان هناك نظاما الهيا يراد ان يطبق فى واقع الأرض ، وفى حسه وهو يضحى انه يدفع عجلة هذا النظام خطوة الى الامام . ا.هـ

ومن الحق ان يقال ان الفكر الاسلامى له تفسير للتاريخ يختلف عن التفسير الغربى المادى والشرقى الروحى على السواء . وان التفسير الغربى لا يصلح لفهم التاريخ الاسلامى .

فالتاريخ الاسلامى لا يمكن فهمه أو تفسيره الا على ضوء النظرة الاسلامية للحيلة الانسانية ، وكل تفسير يقوم على غير هذا الأساس ضرب من الخطأ العلمى لا يجوز أن يرتكبه باحث جاد أو مؤرخ يبنى وجه الحق وحده . ولذلك فإن كل مؤرخ عربى يفسر التاريخ الاسلامى وفق منهجه الغربى يقع فى الخطأ الذى يتمثل فى ظاهرة واحدة فذهذه المظاهرة هى وحدة المناهج الاسلامية والفكر الاسلامى فى مختلف فروعها وتكاملها . بينما يؤمن الفكر الغربى بتجزئة هذه المفاهيم والفصل بين الله والطبيعة والعلم والدين . (راجع الخبائى — الأتلام : مارس) .

أما روح الفكر الاسلامى وحضارته وتاريخه فتقوم أساسا على وحدة الكون وانسجام قوى الطبيعة واقسامها ، وذلك بحسبان أن الاسلام هو النظام الوحيد الذى يحقق هذا الانسجام لانه يجمع بين الروح والجسد فى نظام الدين ، والعباء والأرض فى نظام الكون ، ويملكها فى طريق واحد هو الطريق الى الله . وان الاسلام — والاتلام وحده — هو الذى يجمع بين العلم والدين فى وحدة تامة غير متنافسة ، ومن هنا فان تطبيق منهج التجزئة الغربى يحول بين الباحث وبين الوصول الى الحقيقة ويجعل الأمور امامه مضطربة غامضة .

هذا من ناحية الفكر الغربى . أما المفهوم المادى فىرى مايرى الدكتور تريتون فى كتابه (الاسلام : عقيدته ومبادئه) « اذا صح فى القول أن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحا فى تحليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان اسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادى يفتل مشلا فريعا حين يرغب فى أن يعزل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق أمام المؤرخين الا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية ، فراءوا انها تقع تقع فى هذا الشيء الجديد ، الا وهو الاسلام » .

ويقول (البيان وأيد غراى) أن نظرة المسلمين الى التاريخ نظرة بناءة فهم يرون أن البشرية اذا اعتقدت تعاليم الوحى (القرآن) فإن ارادتها حينئذ تتطابق مع ارادة الله .

الحملة الفرنسية

هناك محاولة دائية من جانب دعاة التغيب للقول بأن الشرق الاسلامى لم يعرف « اليقظة » قبل الحملة الفرنسية ، وهى دعوى باطلة بواقع التاريخ نفسه ، وهذه الدعوى انما تستهدف القول بأن العالم الاسلامى لم يتنهض الا بفضل الغرب ونفوذه ، واهم لم يستيقظوا حتى ايقظهم الغرب ، وهو خطأ صريح حيث لاسند تاريخى او علمى له . فان العالم الاسلامى والامة العربية قد استيقظت قبل الحملة الفرنسية بأمد طويل ، هذه اليقظة بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر او حوالى ١٧٤٠ م على التحديد حين انبثقت صيحة الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية بدعوة التوحيد ، وما كان لها من اصداء واسعة فى العالم الاسلامى كله .

وهذا الواقع يسبق وصول الحملة الفرنسية بأكثر من نصف قرن ، ويسبق وصول الارساليات التبشيرية بمائة عام على الأقل ، ومن قبل وصول الحملة الفرنسية كانت حركة العلماء فى الأزهر قد وضعت أول وثيقة لحقوق الانسان حينما اخذت العهد المكتوب على الامراء المالك بالا يظلموا الرعية ولا يفرضوا عليها أى ضرائب او قيود ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان القول باعلاء شعلن الحملة الفرنسية ليس الا من دعاوى المستعربين والمستعمرين ، التى ملأت الكتب المدرسية بفضل نفوذهم وجميع المراجع الصحيحة تجمع على ان الحملة الفرنسية لم تكن مصدر نهضة بقدر ملكوت عامل تعويق للنهضة الاصلية . والامم لا تتجسد من خارجها ، وانما تتجسد من مصادر فكرها ومن أعماق روحها . ويقول شكلى فيصل فى هذا الصدد « ليس فى تاريخ الشعوب شئ هو اكراه على التقدم ، لأن كل تمدن بالقوة غانما معناه تمدن الاشكال دون الجوهر ، وهو تجديد يتناول مظاهر الأشياء دون أن يغوص فى حقائقها ، ويصل الى القول بأن تأثير الحملة الفرنسية كان سلبيا بالغا ، وقد ولدت الحملة الفرنسية فى مصر ولدت المعاهد التبشيرية فى سواحل الشام وبيروت ، ولدت حفرا من المدنية التى مظهرها للناس مقاربة مع تقاليدهم وولدت الحذر قلعا ، وامتد القلق والحذر بتأثير بعض التصرفات السيئة فأصبح تعصبا وكرها ، ويقول : من المستحيل عقلا أن نتصور أن الشرق العربى كان

سيظل نائبا ، لأن لهذا الشعب تاريخا في الحضارة وقديما في التمدن
وجذورا عريقة ، لقد نهضت الشعوب التي اقل عراقة كالصين والهند
والسلبان .

وعنده انه لولا الحملة الفرنسية لاستطاع الشرق العربي ان ينهض
نهضة حقيقية ، والشرق له تقبل ذاتي للحضارة ، ليس مفروضا عليه من
الخارج ، ولم يعرف المسلمون الموت بل الانحطاط فقط ، وقد مرت بهم كما
مرت بغيرهم ادوار الخمول .

ويقول ساطع الحصري ان الحملة الفرنسية لم يكن لها اي فلاح في
 النهضة المصرية ، وانما هي مزاعم واكاذيب نشرتها الصحف والكتب
الفرنسية محاولة بها تدعيم مركزها الثقافي في مصر ، واقتضى بها كبر
من كتاب العالم العربي . ثم يقول : وانا لا استغرب ابدا ان يتوهم بعض
الكتاب من انشاء فرنسا ان الحملة الفرنسية خدمت النهضة المصرية .
ولا استغرب كذلك ان يتباهى هؤلاء بهذه الخدمة الموهوبة ، على ان استغرب
استغرابا شديدا كيف يظهر بين كتاب الادب من يشارك في ذلك (آراء
واحاديث في التاريخ والاجتماع) .

الفلاحة

كانت الخلافة الاسلامية هندا من اخطر اهداف الاستعمار
والصهيونية ، فقد استطاع السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية في
اشد مراحل الضعف وهي ترمى من الدول الأوروبية بللؤامرات من اجل
تمزيقها والقضاء على دولة الرجل المريض ، استطاع ان يهمل لواء الوحدة
الاسلامية للأمم الهندية والفارسية وجميع المسلمين من خارج الدول
العثمانية لاقامة حاجز يخيم في وجه الزحف الاستعماري الغربي . وقد
نهجت دعوته تجلح قويا أكد وحدة المسلمين الروحية والفكرية والسياسية ،
وقد كاد ان يحول ذلك دون مخطط الاستعمار المنفذ الى السيطرة
والصهيونية العالمية الطامعة في السيطرة على فلسطين . ومن هنا كانت
تلك الحملة الضخمة التي انشأتها هذه القوى على السلطان عبد الحميد
ورميه ياتيهات متعددة اقلها الاستبداد . وقد جرى الباحثون وراء ذلك لكون

تبين لحقيقة ما صاغه النفوذ الاستعماري من صور وهمية مستهدفا القضاء على السلطان عبد الحميد عن طريق الجمعيات السرية الماسونية التي سيطرت في سالونيك على جمعية الاتحاد والترقي وساقتها الى اهدافها بعد اسقاط عبد الحميد من حيث حققت اهدافها في تخليها عن طرابلس الغربية وسقوطها في برائن ايطاليا ، ومن حيث تسليم فلسطين لليهود والسماح لهم بالإقامة فيها ، ومن حيث دخول الحرب العالمية الأولى في صف المانيا وايقاع الخصومة بين العرب والترك وتعليق الاتحاديين لزعماء العرب على المشاتي وما جرى بعد ذلك من اقتتال العرب والترك المسلمين لحساب الدول الغربية التي سيطرت على الشام (سوريا ولبنان) وفلسطين ، ثم تسليم فلسطين للصهيونية العالمية .

ثم كانت الخطوة الثانية في سبيل اسقاط الخلافة : (علامة الوحدة الاسلامية ودعائها) . وذلك عندما سيطر مصطفى كمال أتاتورك على تركيا ، وتابع بصورة أشد قوة وعنف مخططات الاتحاديين والماسونية العالمية ، وكانت خطوته النهائية هي اسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ مما فك عروة الوحدة بين المسلمين واسلمهم للنفوذ الاستعماري ، ثم وقوف بريطانيا في وجه أي دعوة للخلافة ووقوف الغرب كله امام أي دعوة للجامعة الاسلامية .

وقد دعا أحد الماسون من علماء الأزهر الى وضع كتاب مسح فيه مفهوم الخلافة ، وأخرج نظام الحكم في الاسلام كلية من مفهوم الاسلام ، وحاول أن يقر خطأ كبيرا مفترى هو أن الاسلام دين عبادة جريا وراعفاهيم الاستعمار والغرب وخدمة للماسونية واعداء الاسلام .

فتنة ١٨٦٠

تحاول كتب التاريخ وبحوث القوميات وغيرها أن تذكر فتنة ١٨٦٠ على أنها مؤامرة وقعت بين المسلمين والمارون ، اضطرت الدول الأوربية الى التدخل لاقامة نظام خاص في لبنان ، ومن الحق أن يقال أن هذا التصور خاطيء من أساسه فلم يكن قبل بواكر النفوذ الأجنبي هناك أي خلاف من شأنه أن يوقع بين عناصر الأمة ، فقد كان المسلمون يرعون مختلف الطوائف والأقليات ويتيحون لها حماية كافية لاداء طقوسهم ورعاية مصالحهم . ولكن الحقيقة الأكيدة في فتنة ١٨٦٠ أنها مؤامرة دبرتها الدول

الكبرى لعزل لبنان عن الدولة العثمانية واعدادها كمطلق لاتمام عزل العالم الاسلامي والبلاد العربية واستقاط الدولة العثمانية ، وقد اكد هذا المعنى كثير من المؤرخين المنصفين فقد احتقت فرنسا بالموارثة وثبتت بريطانيا الدروز ، ووقفت كل دولة وراء واحدة من هذه القوى وأمدتها بالأسلحة واغرتها بالطائفة الأخرى ، واثارت بينها الخلافات التي أجبت فتنة ١٨٦٠ فلما وقعت الواقعة بين الموارنة والدروز ، وقتل من قتل ، تدخلت فرنسا وبريطانيا باسم وقف المذايح وأرسلت بريطانيا وحدة مكونة من ١٢ ألف جندي ، فسارعت فرنسا وأرسلت حملة قوامها سبعة آلاف جندي ، وفرض على الدولة العثمانية اقامة نظام خاص للبنان يمنح الاستقلال الذاتي تحت رئاسة حاكم مسيحي تختار الدول الأوروبية ويصدق عليه السلطان . وقد ثبت ذلك كله في تقرير السير ريتشارد وود متصل انجلترا الى ناظر الخارجية التي نشرته الدولة الانجليزية في الكتاب الأزرق ١٨٧٨ قال : والذي يبحث بحثا دقيقا في أسباب الفتنة التي سفكت فيها الدماء في المشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو منبع السياسة الأجنبية التي تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوى الاحقاد ولو لم يكن أولئك المفسرون يحسبون أن هذه الفتنة تجر الى القتل والفظائع ، ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة وواقعة الصقالبة والبغاريين وقد تبين ان الاعتداء انما كان يبتدىء من جانب النصارى .

ولم تلبث البعثات التبشيرية أن هرعته الى بيروت واقامت معاهدها وارسالياتها في محاولة لفرض نفوذ ثقافي غربي على أبناء المارون ، وقد بدأت الارساليات الفرنسية هذا العمل ولحققت بها البعثات الأمريكية ، ولم تلبث بعد قليل أن أصبحت مصدرا خطيرا لتصدير صحفيين وكتاب الى مصر ومختلف أنحاء العالم العربي ، ومما يذكر أن سركيس وصروف ونهر ومكاريوس وزيدان وفرح أنطون وشبلي شميل هم الدفعة الأولى من خريجى هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية في مصر ، وكانوا اصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبدالحميد وهم الذين مهدوا للنفوذ الاستعماري والصهيونية ولفصل العرب عن الترك وتقسيم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وانجلترا .

الكشف

أطلق تعبير الاستكشاف (Exploration) على الحملات الاستعمارية والتبشيرية التي قام بها الغرب في قلب القارة الأفريقية بدعوى أنها كانت منساقط مجهولة ، وأن أمثال ولفنجستون وصمويل بيكر وغيرهم كانوا مكتشفين روادا بينما تؤكد الحقائق أن المؤرخين العرب قد جاسوا خلال هذه المناطق وكتبوا عنها في مؤلفاتهم . فقد وصل ابن بطوطة الى أعالي نهر النيجر والى نيميكو وسكوتو قبل أن يصل اليها الرواد الأوروبيون ، وأول من أشار اليها وذلك بنحو ثلاثة قرون .

ويحاول الاستعماريون أن يرددوا هذه الشبهة وأن يفرضوها على كتب المدارس في البلاد المستعمرة ، مدعين أنهم اكتشفوا الهند مثلا ، بينما كانت الهند معروفة في القارة الأوربية في العصور القديمة ، وذلك قبل وصول ماركبولو (١٢٥٤ - ١٣٢٤) الذي وصل الى فارس وأفغانستان ويكين والتبت ، أو فاسكو دي جاما الذي أبحر حول أفريقيا عام ١٤٩٧ ومنها الى الهند .

يضاف الى هذا ذلك الادعاء الذي رددته الاستعمار من أن (صمويل بيكر) هو الذي اكتشف منابع النيل الأبيض مع أن هذه المنابع لم تكن مجهولة في وقت ما ، وكانت حقيقة تفرض أن يقال أنه أول من وصف هذه الأصقاع ، أما الذين قادوه اليها فهم رجال الحملة المصرية .

والواقع أن ما وصف بأنه رحلات الكشف هذه لم تكن الا خطة الاستعمار التي فرضتها الدول الأوربية وفي مقدمتها (أسبانيا والبرتغال) بعد تحررها من النفوذ العربي الاسلامي في الأندلس في محاولة لتطويق عالم الاسلام .

وقد أشار ولفنستون في إحدى كتاباته الى هذا المعنى حين قال « ان نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري » فان الارسلالات التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرحالة ، الذين كانوا في الأصل دعاة ومبشرين .

وليس هذا استنتاجا وانما هو نص من مصادر تاريخية مدعومة بالأسانيد حيث يقول رولاند أوليفر في كتابه : (العامل التبشيري في شرق أفريقيا) ما يأتي بالنص :

ولقد أعد ولفنجستون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل على جمعية التبشير اللندنية للاطلاع بمشاعل التبشير الخاصة بأفريقية الاستوائية ، وبالعامل بين شعوب فطرية في بلاد لم يكن قد سمعها الأوربيون ، وفي عام ١٨٤٩ كان ولفنجستون لا يزال يفكر بطبيعة الحال ، في التجارة أكثر من الاستعمار ، وبما أنه كان أولا وقبل كل شيء مبشرا مسيحيا ، فلقد اختار كعضو في هذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تخر فيه الى داخل البلاد . لقد أراد ولفنجستون أن يستكشف طرقا في أفريقيا للمبشرين لا للندنية ، كان ولفنجستون مبشرا قبل أن يكون رحالة ولم تكن رحلته المشهورة الا تمهيدا للبعثات التبشيرية »

أما فاسكو دي جاما فقد لقي من كتبنا المدرسية اهتماما كبيرا وصور بصورة البطولة . بينما تكشف الحقيقة عن صورة بشعة لأعمال فاسكو دي جاما وغيره من طلائع الفتح والاستعمار وما قاموا به من ظلم وبطش ، وتصف الكتب التاريخية الموثوق بها (دي جاما) بأنه من أقسى خصوم المسلمين ، ففي رحلاته الى آسيا ضرب بهدافعه الثقيلة المراكب الغزلاء التي تنقل حجاج الى مكة فأجرتها بعد أن نقل أموالهم وأمتعتهم الى اسطوله وبعد أن حظر على رجاله انقاذ الغرقى ومنهم النساء والرجال حتى هلكوا جميعا الا عشرين طفلا بعث بهم (دي جاما) الى البرتغال حيث حلوا على اعتناق النصرانية .

هذه واحدة مما فعله دي جاما الذي تحاول أن تصوره كتب التاريخ في العالم العربي كله على أنه مكتشف عظيم بينما أن (دي جاما) لم يكتشف شيئا وهو لم يصل في حياته الى كالكوئا ولم يستقبله الحاكم الهندي لأن البرتغالي (بارتلمى دياز) كان قد بلغ رأس الرجاء صالح قبل فاسكو دي جاما بعشر سنين فضلا عن أن عبور المحيط الهندي من سواحل افريقية الشرقية الى آسيا كان معروفا من التجار العرب والهنود منذ قرون عن بحث للدكتور بدر الدين القاسم (مجلة المعلم العربي) .

أما هنرى الملاح البرتغالي (١٣٩٤ - ١٤٦٠) فان حقه على العرب والمسلمين واضح وصريح ، فقد حمل فى ريعان شبابه على مدينة سبتة التى انطلق منها طارق بن زياد الى الأندلس ثم تصدى لمدينة طنجة المسلمة فرد على أعقابها ، وأسس مدرسة بحرية ضمت رجالا حملوا كواء تجديد الحروب الصليبية وخوله البابا نيقولا الخامس حق الفتح والاستيلاء على جميع البلاد حتى الهند ، أما الرحالة البوكرك فقد كتب الى ملكه بنخر بأنه ذبح جميع مسلمي مدينة جوا وجعلهم أكادسا فى المساجد ثم أحرقها ، وأنه أشعل النار فى سفن المسلمين ، ومع ذلك فان هذا السفاح يذكر فى كتب التاريخ العربية بأنه فاتح منقصر .

محاكم التفتيش

كانت محاكم التفتيش من أسود صفحات الغرب الأوربي خلال العصور الوسطى بالإضافة الى الحروب الصليبية وغزو الفرنجة للدولة الاسلامية فى الأندلس .

وقد شكلت محاكم التفتيش بطلب الرهبان توركماندا وقامت بأعمالها ثمانية عشر عاما (١٤٨١ - ١٤٩٩) وقد حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يجرقوا أحياء فأحرقوا وعلى ٦٠٦٨ بالشنق بعد التشنج فشهروا وشنقوا وعلى ٩٧٠٢٣ بمعقوبات مختلفة فنفذت وكلن ذنبهم أنهم يطلبون علوم المسلمين والعرب من حكمة وفلك ورياضة .

وقد قاومت محاكم التفتيش دعوات حرية الفكر وقامت فى مواجهة البروتستانتية التى ادالت من السكاثوليكية ، ثم عملت محاكم التفتيش فى خبيل اخراج بقايا المسلمين فى الأندلس من الإسلام وتحويلهم الى المسيحية .

وقد كان القديس أوغسطين وتوما الاكوينى كلاهما يبرر الاضطهاد والتعذيب مادامت الاغلبية ترى فى ذلك الطريق الى الله . (اقرا كتاب محاكم التفتيش لعلی مظهر) .

ما قبل الاسلام

كان من أحرص ماعمدت اليه دعوات التغريب اثاره تاريخ ما قبل الاسلام والاذاعة به وتوسيع البحث فيه وذلك عن طريق البعثات الأثرية، وابتعثت الدعوات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والبربرية، وذلك من أجل إعادة المسلمين والعرب إلى ماضيهم الوثني قبل الاسلام، واعلاء هذا الماضي وتزيينه. وكان للكشوف الأثرية التي حرص النفوذ الاستعماري على استغلالها أبعاد الأثر، ففي مصر كان كشف قبر توت عنخ أمون في العقد الثاني من هذا القرن وما وجد فيه من آثار عجيبة منطلقا للدعوة إلى الفرعونية في مواجهة الدعوات العربية والإسلامية، وقد جرى المصريون شوطا في هذا المجال، من حيث بناء القبور والقصور على الأنماط الفرعونية والدعوة إلى لغة وأدب وتراث فرعونى، غير أن حملة هذه الدعوة لم يلبثوا أن فشلوا وعجزوا عن تحقيق وجود مثل هذا التراث، ووجدوا أن الصلة قد انقطعت بين المصريين وبين الفرعونية خلال أربعة عشر قرنا كاملا، وذلك بالاسلام الذي غير النفسية والعقلية والمزاج المصرى والعربى مغايرة كاملة بعد أن أخرجهم الوثنية ودمعه إلى التوحيد وإلى منهج ربانى قوامه الفطرة، تقبله المصريون تقبلا ضخما وتصدروا به العالم الإسلامى كله.

وما تزال هذه المحاولات تجرى في بيروت ومي غيرها، وللبنايين العذر في التعلق بالدعوة الفينيقية نظرا لارتباط غير المسلمين بها، وما لهم من نفوذ محرى وإجتماعى يغذيه النفوذ الاستعماري الطلمع في تهزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون اجتماعها على فكر موحد يدفعها إلى الأمام بقوة.

ولقد كان الاستعمار والتغريب والصهيونية والماسونية والتبشير على اهتمام موحد بالدعوات القديمة التي كانت قبل الاسلام وهى كثيرة: منها الدعوات الفرعونية والبابلية وغيرها ومنها التراث اليونانى الاغريقى الوثنى بما يحبل من أساطير وملاحم وفلسفة الهية مسرفة في التعارض مع التوحيد، فضلا من الجاهلية العربية التي قامت على عبادة الأوثان والأصنام، ومن هنا اتخذت الصهيونية العالمية والاستعمار ودعوات

التفريب والتبشير من هذا التراث القديم كله بما يتصل بالفلسفات الهندية القديمة القائمة على وحدة الوجود والخلود والاتحاد والفلسفات المجوسية الفارسية القديمة وغيرها مما يطلق عليه (الغنوصية) بالإضافة الى الاغريقية الوثنية ، اتخذت من كل ذلك تراثا تصدر عنه القصص والمسرحيات والمترجمات والكتب ليكون عملا من عوامل تدمير القيم العربية الاسلامية ، ويحاول أن يؤد للمسلمين عن التوحيد والنسوة والذين الحق عامة .

معركة سانت بارتلمى

من أبرز الفوارق بين الشرق والغرب ، وبين النزاع الدينى فى أوربا ، وما ليس له مثيل فى العالم الاسلامى ، هذا النزاع الذى قام بين الكاثوليك والبروتستانت وكانت معركة (سانت بارتلمى) اقصى صوره ، فقد قتل فيها نحو مائة الف بسبب التعصب المذهبى ، وقد عرف الاسلام بعض صور الاختلاف المذهبى بين الحنابلة والشافعية ، أو بين السنة والشيعة ولكن ما من خلاف بين هذه المذاهب زاد عن الممارك الكلامية . اما فى أوربا فالصورة مختلفة .

وقد وقعت معركة سانت بارتلمى فى القرن السادس عشر وتمى عام ١٥٧٢ على التحقيق وفقدت فرنسا بها زهرة رجالها من اهل العقل والفتنة والحرية والعلم والصناعة .

ويعزى المؤرخون سبب هذه الهزرة الى الحقد الدينى فى اقصى اشكاله ، وذلك انه لما ظهر المذهب البروتستانتي فى المانيا فى اوائل القرن السادس عشر وامقد منها الى سائر ممالك أوربا اصاب فرنسا منه جانباً هاماً ، فقد انحاز الى البروتستانتية كل من كان ناقماً على سلوك الكنيسة الكاثوليكية اذ ذاك .

وكانت البروتستانتية فى الواقع ثمرة العلم الاسلامى الذى تدافع الى أوربا ، وانشأ جواً من حرية الضمير وحرية البحث .

لم يرق فى عين الملكة كاترين دوق يبنى أم ملك فرنسا شارل التاسع

أن تنتشر البروتستانتية فعمزت على أحداث مقللة عامة تكون سببا في إقناء البروتستانتان الفرنسيين. وتقطع دابرهم أجمعين، وكانت يد الكنيسة الكاثوليكية في تفجير هذه المسكيدة العظيمة في ٢٤ أغسطس ١٥٧١، فلما دقت الكنائس أجراسها كان ذلك إشارة للجنود والمتطوعين بالبدء في الفتك بالبروتستانتان فدهسوا بيوتهم وفي أيديهم المشاعل تضيء لهم الطريق في الليل الدامس، وأخذوا يفتكون بأولئك الأبرياء مرتكبين من القسوة والوحشية ما يندر مثله في تاريخ البشر، حيث بقروا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنة ثم القوها للكلاب والخنازير، وكانوا يسلمون الأطفال الذين في الهد الصغار الذين في سن العنصر سنين من أولاد الكاثوليك ويأمرونهم بقتلهم حزا من أعناقهم في أسواق باريس، ولم يزلوا كذلك حتى سالت حشوارع المدينة بالكماء وعجت الأصوات إلى السماء.

وتكرر حدوث مثل هذا في كثير من مدائن فرنسا.

ومن أعجب ما وقع أن الكنائس دقت مرة أخرى في اليوم التالي فظن اتباع الحقد الديني بأن ذلك أمرا مجددا باستئناف القتال فأنحوا على إخوانهم قتلا ونهباً وتميلاً بأشد مما فعلوا بالأمس، واستمرت الجزرة إلى اليوم الثالث وبعده ثم استحالت إلى مذابح فرجية طوال شهرى سبتمبر وأكتوبر في باريس وغيرها.

مكتبة الاسكندرية

جرت محاولة التعريب على الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بالمسلمين، وجارى المستشرقين في هذه الدعوى نفر من الكتاب في مقدمتهم جرجى زيدان وطه حسين، بينما دافع عن العرب بعض كتاب الغرب وفي مقدمتهم العلامة جيبون في كتابه سقوط الدولة الرومانية حيث قال: أن هذه الفرية لفتها على المسلمين « أبو الفرج العبري » في كتابه مختصر الدول، وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية فتلقتها أهل الغرض من الفرنجية فأذاعوها، فأشار جيبون إلى براءة عمر بن الخطاب وعمر بن العاص من التآمر على حريق مكتبة الاسكندرية، واثبت أن الذى أحرقتها إنما هم الرومان بمراكبهم الحربية في حصارها لجيوش كليوباترة بقيادة يوليوس قيصر.

قال جيبون : تأكدت أنها أحرقت قبل الإسلام بمائتي عام ، وإن ليو
الفرج ابن المبرى لفق الفرية بعد الإسلام بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض
قبل أبي الفرج مؤرخ واحد لذلك ، حتى أن بطريك الاسكندرية (أنتيكوس)
مع توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على شفر مصر لم يذكر كلمة
واحدة عن حريق عمرو بن العاص لهذه الخزانة .

وكان الرحالة البغدادى قد زار مصر في عهد الملك الكامل فنقل هذه
التهمة وقد طبعت رحلته في اكسفورد سنة ١٨٠٠ وهى محشوة بالخرافات
والأكاذيب . وقال لطفي جمعه انه كان أناتيا (Enentu Rier) نظمه
ينتمى الى حلب ويسمونه (القيس الملتقى) وقد نقض هذه الرواية
واثنطون أرفنج وقلية وغيرهم كما نقضها أرست رينان الذى قال فى
خطاب له فى المجتمع العلمى الفرنسى : انه لا يعتقد أن عمرو هو السدي
أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمن طويل .

مصر للمصريين

هذه كلمة حق أريد بها باطل كما يقولون : فان مصر للمصريين دعوة
صحيحة اذا أريد بها الوقوف في وجه الاستعمار البريطانى الذى سيطر
على مصر عام ١٨٨٢ ، أما والاستعمار البريطانى هو الذى رفع هذا
الشعار فانه أبلغ العجب ، فقد أراد به اخراج المصريين من أمرين (١) من
الأمة العربية المجاورة لهم والتي تربطهم بها اللغة والتاريخ والجوار
والمصالح الاقتصادية والاجتماعية (٢) ومن العالم الإسلامى الذى هو
الامتداد الطبيعى للأمة العربية فكرا ودينا وثقافة (٣) ومن الإسلام نفسه
وهو المنهج الفكرى والاجتماعى للمصريين وللعرب والمسلمين جميعا .

ولذلك فقد جاءت كلمة (مصر للمصريين) مضادة لكل دعوة وطنية
عربية اسلامية تريد أن تضع مصر فى مكانها الصحيح من الأمة العربية
ومن العالم الإسلامى ومن الإسلام نفسه ، ولكن الاستعمار قدما عن طريق
بعض الفلاسفة القادرين على التويه والتضليل فبعت براءة لأمة ، بينما
كان المصريون يدعون أساسا الى التحرر من نفوذ الاستعمار البريطانى
والغربى ، أما الصلة التى كانت قائمة بين المصريين والدولة العثمانية فلم
تكن استعمارا بأى معنى من معانى الاستعمار ، بل كان ترابطا بين جنسين

يجمعهما فكر واحد ، ولقد جاء العثمانيون الى العالم العربى : الشام ومصر والمغرب بدعوة من اهله وحماية له ، وتوسيعا لجهة المقاومة مع النفوذ الأوربى الاستعمارى الصليبي ، الذى حاول معاودة غزوه لمصر والشام كره أخرى بعد أن انسحق نفوذه فى الكروب الصليبية ، فكانت تلك الوحدة الاسلامية : العثمانية العربية عاملا من عوامل القوة خلال أكثر من أربعمئة سنة (١٥١٧ — ١٩١٧) اضطر النفوذ الاستعمارى خلالها الى تطويق العالم الاسلامى دون أن يتمكن من السيطرة على البحر الأبيض نتيجة هذه الوحدة .

ومن هنا فقد كان لطفى السيد وجماعة الجريدة وحزب الأمة غير صادقين فى الدعوة الى مصر للمصريين فقد كانوا باعترافهم على ولاء مع النفوذ البريطانى فى مصر وكانوا حيث سببهم كرومر : (الذين التقوا بالانجليز فى منتصف الطريق) وهم بدائل الاستعمار وخلفائه (لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى) وغيرهم هم تلاميذ مدرسة كرومر التى قامت على اساس فلسفته التى رسمها فى تقاريره السنوية .

ارساليات لبنان

تردبت كلمات كثيرة تحاول أن تعطى هورا من البطولة للارساليات التبشيرية اللبنانية التى وردت الى العالم العربى فى منتصف القرن الماضى واقامت عددا من المعاهد والمدارس يحاول بعض الداعين الى تزيف الوقائع التاريخية بأن ينسبوا النهضة العلمية والأدبية والتعليمية فى العالم العربى الى هذه الارساليات وإلى خريجيها الذين وردوا الى مصر فأنشأوا الصحف من أمثال فارس ونهر وصروف وسركيس ومن تابعهم من أمثال جرجى زيدان وفرج انطون وأديب اسحق وسليم عنجورى .

ومن الحق أن يقال أن اليقظة العربية الاسلامية بدأت بانبعاث صوت الامام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وبالدعوة التى ضدع بها العلماء فى الأزهر ، وما قامت به النهضة المصرية أيام محمد على من ترجمة وتآليف وكل هذه سبقت تلك الدعاوى التى يحاول بعض المبشرين واتباعهم أن يصورها منطلقا للنهضة الفكرية والأدبية والاجتماعية فى العالم العربى .

بل ان الصيحة التى انطلقت من منابر هذه الارساليات والتى كانت تحمل الدعوة الى العروبة لم تكن خالصة ولا صادقة وانما كانت فى أساسها دعوة الى اخراج لبنان من الرابطة العثمانية العربية على النحو الذى اراده النفوذ الاستعمارى بأحداث ١٨٦٠ والتى انتهت بسيطرة النفوذ الفرنسى والبريطانى على لبنان لتكون منطلقا للارساليات ولتمزيق الجامعة التركية العربية التى كانت تقف فى وجه النفوذ الاستعمارى .

اما الدعوة الى الوحدة العربية كحركة أصيلة فهى التى قام بها العرب فى مواجهة حركة الدعوة الطورانية التى قام بها فى الدولة العثمانية (جماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى) وكانت هويتهم مع النفوذ الغربى للقضاء على الروابط العربية التركية .

1. The first part of the report discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions. It emphasizes that proper record-keeping is essential for the company's financial health and for providing reliable information to stakeholders.

2. The second part of the report details the various methods used to collect and analyze data. It describes the use of both primary and secondary data sources, as well as the statistical techniques employed to interpret the results.

3. The third part of the report presents the findings of the study. It shows that there is a significant correlation between the variables being studied, and it discusses the implications of these findings for the company's operations.

4. The final part of the report provides recommendations for future research and for the implementation of the findings. It suggests that further studies should be conducted to explore the relationship between the variables in more detail, and it offers practical advice on how to improve the company's performance based on the research results.

الباب السابع

السياسة

| | |
|-------------------------|------------------|
| الجامعة الاسلامية | الاستعمار |
| الجنس | الاستعمار التركي |
| العالمية | الأقليات |
| الوطنية | الأقلية |
| الاتحاديون وليس السلطان | الرجل الأبيض |

الاستعمار

كلمة من أسماء الأضداد فهي اشتقاق من التعمير ، بينما هي تحمل في مفهومها معنى السيطرة والغزو والفتح ، وهي شبيهة بكلمة الاستكشاف الذى كان مقدمة للغزو والاستعمار ، وهي متصلة أيضا بكلمة « امبريالية » التى تعنى التوسع الاستعماري . ولها امتدادان جديدان هما الاستعمار الجديد والاستعمار الثقافى ، ومن الحق أن يقال إن الاستعمار بهذه الصورة يختلف اختلافا بينا عن الاستعمار القديم المتمثل فى الدول الفارسية والرومانية والبيزنطية . ذلك لأن الاستعمار الحديث قد ارتبط بالحضارة من ناحية وبدأ كأنها هو ثمرة لها أو وسيلة من وسائل نموها حصولا على الخامات وتصريفا للمنتجات ، ولكن أظهر مظهره أنه حمل معه أساليبه وفكره وقيمه فحاول فرضها على الدول التى استعمرها ، وحاول أن يقيم سيطرة كاملة على الأرض والإنسان والحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . ومن هنا فقد اختلف اختلافا ضخما عن صورة الاستعمار القديم . وقد بدأ الاستعمار من قارة أوربا وجعل مجاله الحيوى عبر قارتى أفريقيا وآسيا ، واتخذ لذلك أساليب بعيدة كل البعد عن التعامل الأخلاقى ، بل فرض أسلوبا من السيطرة والاذلال والقمع والتفكك على نحو بعيد كل البعد عن أساليب المدنية أو قيم الحضارة ، وقد كان الاستعمار فى خطوته يحمل هدفين أحدهما ظاهر والآخر خفى ، أما الظاهر فهو السيطرة على مقدرات الشعوب ، وفرض نفوذ كامل يحمل طابع الاستعلاء ويحمل فى نفس الوقت طابع الاستثمار فأوربا صاحبة الحضارة ليس لها موارد الا ما تستطيع أن تحصل عليه من مستعمراتها، وهى تحصل عليه على أنه حق ، ولا تنظر الى أصحابه الا على أنهم عبيد تابعون يجب أن يظلوا خاضعين مكتفين بالحصول على أقل قدر ممكن من الأجر فى مقابل حصول الاستعمار على مقدراتهم وثرواتهم الضخمة التى لا حصر لها . أما الوجه الخفى للاستعمار فانما يتمثل فى ذلك المخطط الذى يهدف الى استمرار الاستعمار واتصاله على مدى الأزمنة وهو أمر لا يمكن

أن يتحقق إلا إذا احتوت الحضارة الاستعمارية هذه الشعوب والأمم في وجودها ومفاهيمها وحضارتها وثقافتها والقضاء على كل الطوائع التي تحملها هذه الأمم ، وتدمير القيم الأساسية لها وصهرها في بوتقة الثقافة والحضارة الغربية على أساس أنها حضارة الإنسان الأبيض للسيد المدين الذي وكلت إليه العناية الإلهية بمدن المتأخرين والسود والملونين ، ومن هنا فقد نظم الاستعمار فلسفة كاملة لهدفه هذا جعل لها طابعا علميا ومظهرا وضاء وأخفى في داخلها أغراضه الخفية وهي ادماج شعوب أفريقيا وآسيا ادماجا كاملا في الحضارة الغربية وفكرها والتخلص الكامل من قيم هذه الشعوب وذانيقتهم ، ولما كانت هذه الشعوب الأفريقية والآسيوية شعوبا عريقة ولها حضارات باذخة وتاريخ طويل وماض غريز فقد قاومت مقاومة جسورة جبارة ، وكانت الحضارة الإسلامية أشدها مقاومة بحسبانها أحدث هذه الحضارات وأكثرها اتساعا وأكثرها ارتباطا بالحياة ، فان أغلب تلك الحضارات كانت قد ماتت أو انطوت ، أما الحضارة الإسلامية العربية فانها كانت لاتزال نابضة متفاعلة مع الحياة ، وإن اعترتها مرحلة من مراحل الضعف ، وهي إحدى سنن الأمم والحضارات بعد دورة بلغت ألف عام ويزيد ، ولقد كان الاستعمار يعرف مدى خطر هذه الحضارات على وجوده ومدى خطر مفاهيمها على بقائه ، ومدى قدرتها على المقاومة والمواجهة والصمود ، ولذلك فقد كان ضغطه عليها أشد وكان حربه لأهلها وتدميره لثوراتها وقضاؤه على قادة فكرها أشد وأعنف .

وقد بدأت جولة الاستعمار الحديث منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادي مما أطلق عليه تطويق العالم الإسلامي ، وانتهت فأطبقت عليه منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٠ إلى أن تمت السيطرة عليه في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ على نحو تمثل في استعمار مباشر واحتلال وانتداب ، ثم في صك باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد شهد العالم في خلال هذه الفترة حركة واسعة النطاق للاستيلاء على الأجزاء والوحدات المختلفة في أفريقيا وآسيا ولا سيما القارة الأفريقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر حيث كان الصراع عنيفا بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكا والبرتغال . ثم كانت حركة تمزيق الدولة

العثمانية والمقصاء عليها وتوزيع الأجزاء العربية بين إيطاليا وإنجلترا وفرنسا وأسبانيا . وكانت الخطوات الأولى أن رجع الاستعمار عن أساليبها وغير من خططه وإن لم يتراجع عن هدفه الأساسي فأجلت الدول المستعمرة أغلب جيوشها وانكفت بالاتفاقيات والمعاهدات والنفوذ الاقتصادي وربطت الأقطار بتقديدها واقتصادها ، وظلت تمارس على السيطرة على الموارد والثروات والخامات وأطلق على هذا النوع من النفوذ « الاستعمار الجديد » .

والاستعمار الجديد هو فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية ، على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسياستها ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية وأهمها الاحتلال العسكري ، ويطلق على هذا الأسلوب الاستعماري اسم (الامبريالية الجديدة) يستخدم الاستعمار الجديد في تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحايل المعارضة الشعبية الوطنية ، ومن ذلك الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة وتكبير الدول النامية بشروط تحرمها من حرية التصرف والضغط عليها ، تتمثل في صورة معونات وقروض ، وقائمة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات ووضعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الأقليات البيضاء التي تتمتع بامتياز اقتصادي وثقافي بارتقاء السلطة وممارسة سياسة التمييز العنصري فضلاً عن استخدام المنظمات الدولية التي تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسي في الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها .

ويتصل بهذا الاستعمار الجديد : الاستعمار الثقافي وهو أشد خطراً وأخفى أثراً ، ويتمثل في الغزو الفكري للدولة المسيطرة عن طريق مؤلفاتها وأخلاقيها وكتاباتاتها ومذاهبها ودعواتها والترويج لها في الشعوب الضعيفة الواقعة تحت نفوذها السياسي والاقتصادي ، ويتمثل هذا النوع في الرسائل التبشيرية والمدارس الأجنبية والصحف والمؤلفات والأفلام ، وتقوم هذه المؤسسات بدور كبير في مجال الثقافة والصحافة والتعليم ، وتعمل على تغيير القيم الأساسية للأمم وفرض مفاهيم مختلفة عن مفاهيمها التي تتمثل فيها روحها وطلسمها وقوتها ، ويصعب الاستعمار الثقافي إخطاره على اللغة والتاريخ والدين والمعتقد ، فينشر حولها جواً من التشكيك

والسخرية ويفتح الطريق للالحاد والاباحية والتحلل والدعوات الوجودية
المادية والوثنية .

الاستعمار التركي

تتردد على السنة الكتاب كلمة الاحتلال التركي والاحتلال الغربى ،
وتوصف الأمة العربية بأنها وقعت تحت سيطرة استعماريين واحتلالين .
وايراد العبارات على هذا النحو أمر مقصود له هدف بقيد : هو تصوير
العلاقة التى كانت بين العرب والأتراك على أنها علاقة استعمار أو احتلال
وهذا مناقض للتاريخ والواقع معا ، فالرابطة التى قامت منذ ١٥١٧م
حتى ١٩١٨ م بين العرب والترك داخل نطاق الدولة العثمانية لم تكن فى
الحقيقة احتلالا ولا شبيهه .

وانما كانت محاولة من محاولات الوحدة والالتقاء بين أقطار العالم
الاسلامى فى مواجهة الاخطار ، وقد جاءت هذه الوحدة على اثر ضعف
قوى السلاجقة والماليك من بعدهم وتعرض البلاد العربية وخاصة مصر
والشام لتجدد اخطار الغزو الصليبي الغربى والتحركات التى بدأها
الأوربيون مرة أخرى لاستئناف الحروب الصليبية . والمعروف ان العرب
قد رحبوا بالوحدة الاسلامية العثمانية بعد ان ضعفت قوى المالك فى
مصر وقوى البربر فى المغرب واصبحوا هدفنا لمحاولات صليبية جديدة ،
وقد وجدوا فى العثمانيين اخوتهم فى العقيدة منتعشا جديدا للاسلام وقوة
شابة بدوية مقاتلة ، رفعت راية الاسلام عالية خفاقة واعادت ذكرى الأبطال
فى سبيل اعزاز الاسلام ونشره .

كما رحب العرب فى مصر والشام بالوحدة الاسلامية العثمانية بعد
ان نعموا على دولة المالك اهمالها شأنهم فى المرحلة الأخيرة فحاربوا
فى صفوف العثمانيين والواقع انه لم يكن فى هذه المرحلة خلاف جدى بين
العرب والترك ، فقد كان الطابع الاسلامى هو مظهر الوحدة الاساسية بين
العناصر المختلفة والوحدات المنضمة تحت لواء الوحدة الاسلامية .

ومن حق ان يقال ان العثمانيين قد قاموا فى هذه المرحلة الاولى
بتمثيل مفهوم الاسلام فى نطاق الحكم وتحركوا من خلال اطلاله . ويشهد

المؤرخون، بأن العثمانيين قد اقتفوا أثر المظنن الأولين في العدل والصلاح وتمثلوا أعمالهم واتخذوهم قدوة، وعملوا على جمع القلوب اليهم بتقدير العلماء الأتقياء، ولتشاء الجولجول والمدارس، فبدأت الحياة تتجدد، ومن هنا فإن القول بأن هذه الرابطة بين العرب والترك كانت استعمارا لهما هو من النظريات الخبثية والتجارات المدخولة التي يحاول الغزو الهكوى والتبشير والتفريب إذا تعطلوا فراقوا في الأذهان.

أما ما كان من الخلاف بين الترك والعرب بعد تنجى السلطان عبد الحميد وفي ظل حكم الاتحاديين دعاة الطورانية فذلك هو الخلاف الحقيقي الذي يموه عليه خصوم المسلمين والعرب ويصفونه بأنه خلاف بين الترك والعرب وهو في الحقيقة خلاف بين الاتحاديين أتباع الممسونية وأعوان الصهيونية وبين العرب الذين تصدروا للزعامة في هذه الفترة.

الأقليات

قضية الأقليات نتاج استعماري أصيل، فهي الأداة التي حاول الاستعمار استغلالها لتحقيق مآياته وتركيز وجوده. وهي من الوسائل التي اتخذتها الدول الأجنبية سبيلا لتخطيم الإمبراطورية العثمانية وبسط نفوذها على بلاد الشرق فقد لجأت هذه الدول إلى استغلال هذه الأقليات الطائفية (كالأقلية اليهودية والأرمنية) وغيرها للثورة على العثمانيين ثم جاء الوقت الذي أعلنت فيه كل دولة كبرى حمايتها لطائفة من الأقليات والطوائف، وأثارت عن طريق هذه الحماية وهذا الولاء صراعا وخلافا بلغ في بعض مراحله أحد أثاره الفتن والقتال (راجع مادة حقنة عام ١٨٦٥) ولم تكن هذه الطوائف في أعين الأنظمة السياسية التي عرّجها العالم الإسلامي، تجد عنا ولا أرهاقا، بل تجد محمية وتقديرا بحكم نصوص القرآن والنظم التي رسمها الرسول والخلفاء تطبيقا للقرآن، ولنا نحن الذين ندافع عن هذا المفهوم ولكن لنذع واحدا من الفريقين المنصفين هو كابتن غوردون كانتج يقول: أن الأقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في البلدان الإسلامية إلى أن تأتي دولة أوربية وتستخدم تلك الأقليات لقلب الحالة كما حدث في مسألة الأرمن والأتراك، إن زعماء العرب في هذا العصر وفي العصور السابقة كانوا دائما يعملون

على تلافى هذا التناحر والصلاخ خلفت الدين ، فإذا كان التصعب قد أخذ مجراه في زمن من الأئمة فمجرد كل المسلمين في مقعب الحكم ينحلمهم من الاضطهاد ما ينال المسلمين ، وأن الواجب أن تتخذ مبادئ (تجربان) كالمثل الأعلى للزعيم المسلم : « ان دم الذمى كدم المسلمين » .

وقول بيرلوتشو : لقد كان في توسع الاسلام خل مشكلة النصارى في الشرق بالقضاء عليهم دفعة واحدة ، ولكنه لم يفعل لأن دعوته لم تقم على الفتح في الأساس ولم يكن ثمة اكراه في الدين ، لهذا لم يتعرض الاسلام للنصارى واليهود ولم يغيرهم بين ثلاث أو اعتناق الدين الجديد بل تركهم يمارسون طقوسهم فون أن يضمنهم بتربية . ومن هنا فانه اضحا للحق والتاريخ قول ان مسئلة الاقليات لم تكن موجودة قبل دخول الفهود للاستعمارى للعالم الاسلامى ، ولقد ركز الثوثة الاستعمارى على الطوائف الطائفة والموطنة فاستخلصت تربية في البلاد العربية : الارمن الاشوريين والمهاجرين من اليهود والروس واليونان والافرنج ليقاوم بهم العرب وخلق من هذه الطوائف قوى يحركها بالثورة على اهل البلاد متى تشاء ، وقد اسكنت بريطانيا الاشوريين في شمال العراق وارادت به ما ارادت من اسكان اليهود في فلسطين ، وليا لم تستطيع انكلترا ان تخلق بالاشوريين قلائل ذات أهمية في العراق اعارتهم للفرنسيين الذين نقلوهم الى سورية ولبنان ليكونوا مصدر قلق لسيوريا كما كانوا للعراق .

وقد أزعج المستعمر حين تم الالتقاء بين الاقليات المسلمة والاقليات غير المسلمة وأبدى قلقا لا حد له .

وهكذا كانت محاولة المستعمر الدائمة لاستغلال الاقليات في مكل وطن وهو الذى يكون في هذه الاقليات ، فلك الاجنبيين الذى يصطبر على بعضها من انها لا تأمن على قوى خارج نطاق بلادها ، وان كان هذا المعنى قد زال قواما في بعض البلاد التى بلغ فيها الوعى القومى والوطنى درجة كبيرة . وسيؤهل تدريجيا في المناطق المتضررة بالقتل على عوامله الاقلياتية والقبلية والطائفية .

ويتصل بمسألة الاقليات ذلك البور الذى قام به الصحفيون الشاميون في مصر أو طائفة السوريين المتعاونين مع الاستعمار . فقد كان كل الدعاة

الى الآراء الهدامة المادية والالحاد واليهودية والتغريب من اولياء النفوذ الاستعماري وخاصة البريطانى من امثال فرح أنطون ولويس صابونجى وفارس نهر والدكتور شيلح شميل وجرجى زيدان .

وقد وصف اللورد كرومر هذا الفريق فى مذكراته بأنهم منحة من السماء وأنهم خيرة البلاد ، ووصل بعضهم الى أعلى المراكز الادارية وفى فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ : « الفكرة العربية فى مصر » يتحدث عن الأقليات فليرجع اليه من يشاء ومما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مرابين . فمنهم من أنشأ صحفا وأشهرها صحيفتا المقطم والمقطف اللتان أصدرهما فارس نمر ويعقوب صروف واسكندر مكاريوس ، وكانت الصحيفتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية فأيدتا ذلك الاحتلال وقاومتا الحركات الوطنية بكل ما فى لفظتى تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الانجليز بمصر ويصفون حسنات الاستعمار ويمجدون أبطاله ويطالبون باستمراره ويدعون أهل مصر الى الازعان اليه لأنه يحبيهم من داء الوطنية ولم تمر بمصر حادثة واحدة الا ومقوا فيها موقفا معارضا لأمانى الشعب ، فطلبوا سجن الأحرار وعارضوا توظيف الوطنيين ، بل أنهم رحبوا باعدام الأبرياء اثر حادثة دنشواى ، وباعلان الأحكام العرفية واحتلال السويس وسلخ السودان عن مصر وغير ذلك من مساوئ الاحتلال .

ويرى الدكتور أنيس صايغ ان الأقليات فى كثير من فقرات القاريخ الحديث كانت تتحالف مع الاستعمار وتنكر لحق المشاركة القومية (راجع ص ٩٨ — ١٠١) .

وقد اتصل هذا الخط ببعض الدعوات كالفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية ، وكان لعلماء الآثار والكشوف الأثرية الحديثة أثرهم فى اعطاء مزيد من الوقود لهذه الحركات التى كانت تعتمد أكثر ما تعتمد على ربط الحاضر بالماضى البعيد للأمم متخفية أكثر من ثلاثة عشر قرنا من تاريخ الاسلام . وقد فشلت هذه الدعوات جميعا واكدت خطيها ، بل لقد تبين بمراجعة التاريخ الصحيح أن الفراعنة والفينيقيين والبربر وغيرهم انما هم موجات قدمت من الجزيرة العربية اصلا .

الاقليمية

نستطيع ان نفهم اصطلاحات الوحدة الاقليمية اذا نظرنا الى الخلفية الأساسية التي يحركها الاستعمار والتي تستهدف التمزيق والتفرقة واعتبارها من عوامل سيادة النفوذ الاجنبى ، هذا المعنى يبدو واضحا خلف كل قضايا الوحدة القومية والدعوة الطورانية والدعوات الاقليمية واصطلاحات القومية والوطنية وكلمات الكيان الخاص والفرعونية والفينيقية والبربرية .

والمعروف ان العالم الاسلامى والامة العربية لم تكن تعرف من قبل هذه المصطلحات المتعددة وان كانت تعتبر ان وحدة الفكر هى أساس الوحدة الاسلامية وكانت جامعة الفكر القائمة على المفاهيم المستمدة من الاسلام هى مصدر التلاقى والوحدة ، غير ان النفوذ الاستعماري لم يكن يستطيع ان يقيم قواعد نفوذه الا على تقسيم الجماعات الوحدة الى عناصر يتبع بعضها الجنس والعرق او يتبع اللغة او يتبع الدين ، وكان دوما قادرا على اثاره الخلافات المذهبية بين ابناء الدين الواحد ، والخلافات بين اصحاب الأديان المختلفة ، واثارة الخلافات بين الأفريقيين والآسيويين أو بين ابناء المدن المختلفة في القطر الواحد .

وكلما وجد النفوذ الاستعماري ان امة بدأت تحقق وحدتها الوطنية لتلتقى في وحدة الأمة مع جاراتها التي تربطها بها اللغة والتاريخ استعمل مخططاته في سبيل القضاء على هذه المحاولة وبث الالفاسم من جديد لاثارة الفرقة والخلاف . بل لقد بلغ الاستعمار الى ابعد من ذلك في محاولاته للحيلولة دون الوحدة التي تقوم على رابطة الأمة وعودة الأجزاء ، والمثل الذي يضرب في هذا ان فرنسا حكمت المغرب العربي باقطاره الثلاثة المتجاورة المتلاصقة التي تجمعها جبال الاطلس وهى تونس والجزائر ومراكش ، ومع ذلك فقد أقامت في كل قطر نظاما مختلفا في عناصره الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، وذلك حتى لا تتلاقى هذه الأقطار ، وحتى يتم تعميق الخلاف والاقليمية بينها وكذلك قفل بين مصر والسودان ، وبين سوريا ولبنان ، ومن الحق أن يقال ان

الأمة العربية كانت دائما ساعية الى الوحدة ولكن النفوذ الاستعماري كان دائما يحطم هذه المحاولات واحدة بعد أخرى وقد جرت محاولة لتقديس الحدود والأعلام والعمل والنظم ، بحيث يصبح من العسير انصهارها وتلاقيها . وإذا كانت محاولات الوحدة بين أجزاء الأمة الواحدة عسيرة الى هذا الحد بفعل النفوذ الاستعماري فان محاولة الترابط بين أجزاء العالم الاسلامي تلقى مزيداً من العسر والمقاومة .

ويجمع المؤرخون على ان أوروبا منذ أخذت في مواجهة الدولة العثمانية والضغط عليها اثارت مسألة المسيحيين والأقليات ودورهم ومسئوليتهم وحقوقهم ثم توسعت في هذا الشأن في العالم العربي أيضا .

وقد كان بعض الأقليات أصحاب دور في التركيز على تمزيق الدولة العثمانية وخاصة بعض السوريين الذين قدموا الى مصر وعطوا في مجال الرأي والصحافة .

ثم جعل الاستعمار مسألة الأقليات في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ورقة رابحة يلعب بها ويكتب بها كثيرا من التطلعات والمشاغل والأعمال النافعة باسم الخوف من اثاره الأقليات وكان أخطر ما قام به النفوذ الأجنبي في مصر لاثارة الخلاف بين الأقليات وغيرهم في مصر أن نصب من الاقلية رئيسا للوزارة فحدثت صداما استفاد منه الاستعمار تركيزا لقواعده .

الرجل الأبيض

من النظريات التي يذيعها الاستعمار والتغريب ويحاول أن يؤكد لها في نظر الأمم الواقعة تحت نفوذه وسلطانه ، القول بأن الرجل الأبيض — لا الانسان عامة — هو تاج الخليقة ، وأن الغلبة في كل صراع ينشب على وجه الأرض سواء كان بينه وبين غيره من الأجناس الملونة أو بينه وبين مظاهر الطبيعة كالجبال والغابات والبحار أو بينه وبين الوحوش ، ويردنون عبارة الكاتب الأمريكي ستانبيك (الرجل الأبيض لا يغلب) وهم عندما يكتبون تاريخهم يبدأونه بشعب أبيض ، هو شعب اليونان وينقلون زعامة البشر بعده بين أجناس بيضاء من رومان وطيان وجرمان . فاذا ظهر شعب ملون وارتفع الى مستواهم نظروا اليه بعين الذي يعتقد انه

الصعود الذى لابد أن ينهار يوما لأن أصحابه ليسوا من الجنس الأبيض ،
وقد كان ذلك موقفهم من الهابلن .

ونظرية الجنس الأبيض لم تكن فى الحقيقة الا أسلوبا من أسلوب
السيطرة عن طريق اخضاع بعض الافكار الاستعمارية لمظهر علمى يخفى
وراءه اهواء الاستعمار ويحاول أن يصورها بصورة الواقع المفروض ،
ويظل من أهمية هذه النظرية تاريخيا أن الدولة الرومانية سقطت فى
القرن الرابع الميلادى وظلت أوروبا أكثر من ألف عام تعيش ظلمات القرون
الوسطى بينما كانت أجناس أخرى ليست بيضاء تتولى مقاليد الحضارة
الانسانية وتذيعها فى كل مكان وتقيم مجتمعات من حدود الصين الى حدود
فرنسا وإيطاليا فى قلب أوروبا . وقد استطاعت هذه الحضارة أن تقدم
للشريعة المنهج العلمى التجريبي والجذور الأساسية لمختلف العلوم الطبية
والطبيعية والكيميائية والفلكية التى نراها الغرب فيما بعد وأقام بها حضارته
الحديثة ومن هنا فإن فكرة الجنس الأبيض نفسها لم تكن هى مصدر
الحضارة .

هذا فضلا عن أن هذا الاستعلاء باللون لم يكن يوما من الأيام مصدرا
من مصادر التقدم أو الامتياز ، فإن الجنس الآرى الذى يوصف بأنه الانسان
الأبيض قد وصل الى أوروبا قديما من قلب آسيا من فارس والهند . ومع
ذلك فإن شأنه فى هذا يختلف عن شأنه هناك . وذلك لأن عوامل كثيرة
ومختلفة هى التى اعطت الأوربيين قيادة الحضارة فى هذه المرحلة حين
بلغ العرب والمسلمون مرحلة الضعف ، والرجل الأبيض الذى « ورث »
تراث العلم والحضارة العربية الاسلامى قد استعلى فى غطرسة وغرور
عن أن يعترف بالفضل وأنكر دور العرب والمسلمين وحاول إطلاق كلمة
العصور الوسطى المظلمة على العالم كله ، وما زال ينظر الى التاريخ
من حيث بدأ فى أوروبا وينتهى بها . وتلك نظرة ظالمة بعيدة عن الانصاف
تذكر حضارات الأمم والشعوب المختلفة التى سبقت وأثرت فى مسار
الحضارة البشرية التى ليست هى نتاج الرجل الأبيض وحده ، الا أن
يكون الرجل الأبيض هو وريثها والمتصرف فيها .

وقد كان الرجل الأبيض يدعى أنه ممدن البشرية ، وأن سلطانه

ونفوذه ليس الا عملا انسانيًا يستهدف تحضير الشعوب وتعميرها (واشتق اسم الاستعمار من التعمير) ولكن الشعوب رأت كيف كان الرجل الأبيض قاسيًا وظالمًا وعنيفًا ، وأنه لم يكن ممدنا بقدر ما كان مستعمرا جشعا يحرص على أن يمتلك كل شيء ، وأن يسيطر على مختلف الخامات والثروات وينقلها الى بلاده ، دون أن يترك لأصحابها الا الفتات القليل ، وأنه كان حريصا أن لا يقدم لهذه الشعوب من حضارته الا الجوانب السلبية والبراقة، التي تحمل جرائم قتل الكيان والشخصية وتذويب القيم وتحطيم المعنويات. وذلك بقصد استدامة السيطرة وإبقاء النفوذ وإطالة أجل الاستعمار . وقد كشفت الأبحاث العلمية المنصفة خطأ نظرية الرجل الأبيض وتميزه عقليا أو جسيميا ، وتأكد أن ما حصل عليه من التقدم العلمى إنما هو تطور البشرية الطبيعى والجهد المشترك الذى ساهمت فيه مختلف العقول والقوى ، وأن هذا التميز العلمى وحده ليس هو كل شيء فى الحضارة وأنها الحضارة قوى روحية ومادية ، وأن العمل المادى الصرف منفصلا عن الأخلاق والدين لم يحقق الا أزمة العصر ، أزمة العالم الذى كبر عقله وتوقف قلبه عن النمو فباعد ما بين قوتيهِ الصانعتين لحياته .

وقد اتخذ الرجل الأبيض مفهوم روما القديم وطبقه فى العصر الحديث ، فأهل روما سادة وما وراءها عبيد واستعمل قوته المادية وقدرته العلمية فى غرور وتيه ، على الانسان الملون فأوجد التفرقة العنصرية، وحاول أن يقول بالحرية والمساواة والاخاء فجعلها قاضرة على الأوربي والأبيض وحدهما، وأنكر حق الأجناس الملونة فيها ، وبذلك أعطى البشرية ذلك الأسلوب المضطرب الذى أشقاه بالحضارة ، وحول العلم الى مجال الفتك والتدمير والصراع الذرى النووى الرهيب . ولم يوجهه الى منح الانسانية الأمن بعد الشدة أو الغنى بعد الفقر ، وكان مصدر هذا الاضطراب جميعا هو ذلك المفهم القائم على الغرور والاستعلاء ، المفهم الذى يفرق بين الرجل الأبيض والرجل الملون حيث تكشف حقائق التاريخ والعلم والاجتماع أن لا فروق عقلية أو جسمانية تميز جنسا عن جنس ولا لونا عن لون .

الجامعة الإسلامية

كانت صيحة الجامعة الإسلامية عندما استعانت انما تعنى بجمع المسلمين فى العالم الاسلامى تحت لواء الخلافة العثمانية فى وجه النفوذ الاستعمارى الزاحف الذى كان يخطط من أجل تمزيق الدولة العثمانية وابقاع الخلاف بين العرب والترك كعنصرين تجمعهما وحدة سياسية وفكرية واجتماعية واسقاط الخلافة الإسلامية كقوة جامعة للمسلمين .

ولقد كانت دعوة الجامعة الإسلامية قسما بين السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغانى . أما السلطان عبد الحميد فقد حمل لواءها منذ تولى الحكم كمحاولة لتجميع مسلمى العالم كله مع الدولة العثمانية فى وجه النفوذ الغربى الذى كان قد بدأ يسيطر على كثير من أجزاء البلاد الإسلامية .

أما جمال الدين الأفغانى فقد كان يطمح فى تحرير قطر من الأتطار العربية ليكون منطلقا للوحدة الإسلامية وكان يركز على مصر بالذات فى هذا المجال ، فلما سقطت مصر فى قبضة النفوذ الاستعمارى البريطانى عام ١٨٨٢ رأى أن يدعم دعوة عبد الحميد الى الوحدة الإسلامية الجامعة، وانتقل الى استانبول من أجل هذا الغرض غير أن حوائل كثيرة حالت دون تحقيق هدفه^١، أهمها ، مزاجه النفسى وطابعه الفكرى كداعية ومفكر وما شاب حركة السلطان عبد الحميد من معوقات وضغوط .

غير أن النفوذ الاستعمارى ومن ورائه الصهيونية العالمية كانا يعملان فى اصرار وعنف على اسقاط السلطان عبد الحميد كوسيلة لاسقاط دعوته، وقد تمكنا من ذلك عام ١٩٠٩ حيث تولى أمر الدولة العثمانية أولياءالماسونية والنفوذ الاستعمارى من زعماء الاتحاد والترقى الذين أعدوا الدولة للسقوط والتمزق الكامل بتسليمهم طرابلس الغرب لابطاليا ، والسماح لليهود بالاقامة فى فلسطين . ودخول حرب العالمية الأولى مع الألمان مما مهد لقيام حركة مصطفى كمال التى كانت المرحلة النهائية فى القضاء على الطابع الاسلامى فى الدولة العثمانية بالغناء للخلافة والتحول الى دولة علمانية غربية .

الجنس

تستعمل كلمة « جنس » في الفكر العربي بمفهومين: مفهوم (الجنس) من الدم والقبيلة و (الجنس) من الصلة القائمة بين الرجل والمرأة ، أما الجنس بمعنى القومية فهو من خصائص الأمم ، والفكر الاسلامي يقبئه ، بمفهوم له مخالف لمفهوم الغرب، فهو لا يعطى من شأنه اعلاء شأن العنصرية الغالية المصارعة بل يراه وسيلة لتلاقى الأمم على حد قول القرآن (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وقد استعلى نداء الجنس بوصفه العرق والعنصر استعلاء شديدا وتحرك في دوائر مختلفة اولها استعلاء الجنس الابيض بوصفه صاحب الحضارة وقد حاول الاستعمار ان يبرر سيطرته على الاقطار الاسلامية والافريقية والاسوية بانه جنس متفوق وتلك اجناس متخلفة ، وان اليه وحده امانة الحضارة وتمدين الأمم ، وقد كذبت الوقائع هذا الادعاء فقد كشف الاوربيون والغربيون عن دخيلتهم التي تقوم على ازدياد عجيب للشعوب الملونة وخاصة اذ ساموها سوء العذاب وعملوا على الابتاء على جهلها وضعفها واستنزاف مواردها .

ثم ظهرت نزعات استعلاء الجنس في صيحة الجنس الآري والجنس السامي ومحاولة المفاضلة بينهما وهي صيحة مرتبطة بالدعوة الاولى ، ثم كانت دعوة الجرمان الى سيادة الدم الالمانى وغيرها من الدعوات ، وفي السنوات الاخيرة علت دعوة اليهود الى ما أسماه « شعب الله المختار » ، وقد كانت حرب الاجناس هي صيحة الاستعمار أساسا حين حاول اخراج الأمم من ائوائها الفكرية والروحية والنفسية القديمة التي كانت تقوم على وحدة الفكر ، فأثار دعوة العرق والعنصر فظهرت دعوة القومية المضيقية والاقليمية والكيان الخاص ، وكلها دعوات ائناد منها الاستعمار والنفوذ الاجنبى حيث استطاع السيطرة على الشعوب والأمم وحال بينها وبين الالتقاء في وحدات شاملة توسع دائرة المقاومة والتجمع ، وقد أكد علماء الاجناس ان اجناس البشر على اختلاف الوانها متساوية في قدراتها

الفعلية والفكرية واستقطوا مختلف نظريات التفرقة بين الأجناس التي حاول بها الاستعمار والنفوذ الأجنبي فرض سيادته .

أما مفهوم الجنس بوصفه الصلة بين الرجل والمرأة ، فإن الإسلام ينظر إليه بغير تعقيد ولا يثير حوله الأزمات خلافاً لنظرة الفكر الغربي إليه ، لأنه يجعله من المباح في حدود الشريعة ، ويفسح له المجال في العمل . ويضع له الضوابط التي تكفل له سلامة الاتصال وبعده عن التفسخ والاضطراب والأزمات . ويقول الإمام ابن قيم الجوزية :

(ان الاتصال الجنسي تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس وتحصل به مقاصده التي وضع لأجلها) .

ولا ينظر الإسلام للجنس نظرة بعض الديانات الأخرى من أنه ثمرة خطيئة ولا ينظر إليه نظرة بعض الفلسفات من إطلاقه بغير ضوابط ونظم ، فالإسلام يأمر بالعفة إذا عجز الشاب عن الزواج . وبذلك يكون الزواج هو الطريق المفتوح أمام الجنس الطبيعي السليم ، وذلك في مواجهة خطأ الفلسفات التي تدعو إلى حصر الزواج في أضيق نطاق وتمنعه على بعض الزعماء الروحيين وتمنع زواج الأرملة والمطلقة .

وقد رفع الإسلام من شأن المرأة وتنزيه لها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل (١) وذلك لأن الرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة دون أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادها اسمه إنما يخفي احتقاراً للمرأة . فتحرير الزنا يعني تحرير احتقار المرأة — واكتمال الحرية الشخصية للرجل والمرأة إنما يكون بحق الزواج ثم بحق الطلاق لا بالتفريط ولا بالإباحة الجنسية غليست الإباحة مرادفة للحرية . وكما عبرت عقوبة الزنا عن احترام عميق للمرأة وتقدير للجنس فإن الطلاق يعني حرية تصحيح الخطأ والبعد من جديد وانتقاد الأسرة بدلاً من أن تسحق تحت حقد الفشل والكرهية .

(١) محمد جلال كشك : (دراسة في فكر منحل) .

ولقد ظهرت في الفكر العربي الحديث نظريات ودعوات تعلى من شأن الجنس وفق مفهوم الإبادة والكشف على أعين من الطغمة الحالية والمخطرة المدمرة التي تبثها الماسونية والتي تحمل طابع العلم ووضوئه .

وكان أقوى من حمل لواء هذه الدعوة فرهود في درأسيات النفس ولورنس في الأدب وسارتر في مذاهب الفلسفة . ولما كانت هذه الدعوة لها خلفية تتصل بأهداف الصهيونية العالمية التي وردت في بروتوكولات صهيون التي تدعو الى تدمير الجنس البشرى وتحطيم معنوياته فقد وجدت سبيلها الى الفكر العربي الاسلامي والثقافة العربية عن طريق غزوات التغريب والنفوذ الأجنبي والاستعمار الفكري . وقد وجدت هذه الدعوات مجالا خصبا في الأدب الأوربي والقصة ، ولتأخذ مذهب فرويد أسلمت للقصة ، والأدب المعاصر ومنه امتدت خيوط الى الأدب العربي والثقافات الاسلامية .

وتحمل نظريات الجنس دعوة مدمرة خطيرة الى التخلل والانطلاق والقضاء على مختلف الضوابط والقيم في مجال علاقات المرأة بالرجل ، ويستهدف النفوذ الاستعماري والغزو الثقافي من هذا التركيز على هذه المعاني في المحيط العربي الاسلامي نتيجة أساسية وهي : أن تدمير الجنس في أمة من الأمم يضمن دمارها وانحلالها وزوالها . والمعروف أن انحلال الحضارات المختلفة في التاريخ كله قد ارتبط بالانحلال الاجتماعي والأخلاقي . وأن الانحلال الجنسي الموجود الآن في قلب الحضارة الغربية إنما هو علامة خطيرة من العلامات التي تشير الى نهاية هذه الحضارة .

العالمية

الدعوة الى العالمية لها مفهوم انساني يهر النفس ويعجب العقل . ولكن لكل مفاهيمه وموازينه ، والدعوة الى العالمية في هذه المرحلة التي يمر بها العالم الاسلامي والأمة العربية إنما تستهدف خطارا كبيرة على الأمم في حالات الضعف أو حالات وقوعها تحت نفوذ الاستعمار أو قبل أن تتكامل قواها ، وأن الدعوة الى الاممية او العالمية في هذه المرحلة بالذات إنما هي محاولة لتذويب الأمم ذات الحضارات والثقافات المتميزة في

حضارة الغالب وثقلته والقضاء على قدرتها فى المقاومة لو التميز بكيانها الذاتى وشخصيتها الخاصة . فالعالمية مذهب فلسفى ينكر حقيقة الاوطان ويرى أن انقسام العالم الى أمم متعدية او متناحرة مضاد للمدالة والأخوة الانسانية ، ومن شأن الفوارق الطبيعية والأخلاقية والاجتماعية والروحية والجغرافية والتاريخية واللغوية — وهى عميقة الجذور بعيدة الأصول فى البشر الى درجة كبيرة — من شأنها أن تجعل قيام وحدة فكر انسانية شاملة أمرا بعيدا بل مستحيلا « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » .

ومن الانفصاف أن يقال أن هناك جوانب تلتقى فيها الأمم . وأن هناك جوانب أخرى من العسير التقاؤها حولها . واهم هذه الجوانب العسيرة الاخلاق والعادات والآداب والتقاليد والانواق والروح . فليس فى الامكان القول بأن هناك خلقا وذوقا عالميا بل ليس هناك خلق وذوق أوربى . ولكن هناك خلقا وأدبا وذوقا انجليزية ومثلها فرنسية ومثلها روسية وللعرب والمسلمين خلق وتقاليد وآداب وذوق مختلف ، هذه الأمور هى من مقومات كل أمة ومنبع الهامها ويرجع هذا التباين الى عوامل كثيرة ذاتية من الدم الى الجنس الى البيئة الى الدين الى اللغة الى التاريخ الى السجايا والمآخر مما يجعل من الاستحالة التقاء الأمم فى العالمية .

ولا شك أن من وراء الدعوة الى العالمية أهدافا يحمل لواءها الطامعون والأنصواء . فهناك الدعوة العالمية تحت لواء الحضارة الرأسمالية . وهناك الدعوة الأممية التى تحمل لواءها الماركسية وهناك دعوة العالمية التى تطمح الصهيونية فى تحقيقها . وذلك بالسيادة على البشر جميعها تحت لواء زعامة شعب الله المختار .

الوطنية

برزت فى العصر الحديث فكرة (الوطنية) كما برزت فكرة (القومية)، وظل الباحثون يضطربون فى التفرقة بينهما وتحديد مفهوم كل منهما بحيث لا يتداخلان ، وقد استقر الرأى على أن الوطنية تتصل بالأرض كما أن القومية تتصل بالعرق والدم والأمة ، فالمصريون حين يتحدثون عن مصر

أرضها وسمائها وكيان وجودهم فيها فهي وطنية ، وحين يتحدثون عن أمتهم وأرومتهم وأعراسهم فهي قومية ، الأولى تتصل بأرض مصر والأخرى تتصل بالأمة العربية ، ولقد حاول النفوذ الاستعماري والتغريب والغزو الثقافي بلبلة الثقافة العربية بهذه المصطلحات والقاء التعارض والمضادة بينها ، واعلاء شأن الوطنية الضيقة ، ومحاولة جعلها قومية حتى تفصل المصريين عن العرب ، وكذلك فعل الاستعمار في سوريا وفي المغرب وفي لبنان ، للحيلولة دون قيام فكر موحد قومي يجمع الأمة العربية في كيان واحد ، واثارة خلافات قديمة بائدة ، والتركيز على ملامح طبيعية يختلف فيها كل قطر عن الآخر لخلق روح الاقليمية مرتبطة بتحويل الوطنية الى قومية ، غير أن هذه المحاولات عجزت عن أن تحقق هدفها ثم برزت نظرة شاملة من وراء انحراف دعوات الوطنية بالمفهوم الضيق ، أو القومية بالمفهوم الغربي ، تقوم على الترابط بين حلقات ثلاث :

في الوطن الواحد : الوطنية بمعنى الأرض وهي تتعلق بالأرض في كل قطر والقومية بمعنى الأمة وهي تمثل الوحدة العربية .

ووحدة الفكر في مجال الثقافة التي ترتبط باللغة والتاريخ والتراث في المصر الواحد ، فالمصري يرتبط بوحدة الأرض الوطنية وبوحدة الأمة العربية ووحدة الفكرة الإسلامية .

وكذلك العراقي والسوري والمغربي وهكذا .

ولا سبيل الى الفصل بين الحلقات الثلاث ، ولا سبيل لأن يقبل العربي انفصاله عن مصادر ثقافته ووحدته الفكرية ، ولا سبيل الى قبوله الوطنية المجردة من روح العروبة وما يزال الاسلام عاملا أساسيا في أرضية الوحدة الثقافية والقومية . وقد استحال أن تقبل الثقافة العربية مفهوما للوطنية أو القومية مستوردا من تجربة الغرب . فذلك تجريقه الخاصة التي صاغها وفق ظروفه وعصره ومقومات فكره وتراثه ، وليست هي بالتالي قابلة لفرضها على أمة أخرى له فكرها وله مقومات

شخصيتها وكيانها وفوقها ومزاجها وتراثها الخالص الذي كونته أعصر طويلة خلال أربعة عشر قرناً ، وقد عجزت قوى التغريب عن صهر الثقافة العربية والأمة العربية في قوالبها التي أرادت بها أن تصورها في بوتقة الثقافة العالمية : أي ثقافة الاستعمار المسيطر نفسه .

الاتحاديون وأبى السلطان عبد الحميد

هناك خطأ ذائع وشائع ، هو أن الدولة العثمانية هي التي أساعت إلى العرب وعلقتهم على المشاقق وأوجدت الفرقة والخلاف ، وكانت سبباً فيما ترتب على ذلك من سيطرة فرنسا وإنجلترا على الشام بأجزائه الأربعة (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) وكذلك العراق وذلك بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وبعد أن اتفق العرب مع بريطانيا على إقامة دولة عربية نظير تأييدهم لها .

والحق أن الدولة العثمانية كلمة مبهمة عامة ، والحقيقة أن (حزب تركيا الفتاة المسمى الاتحاد والترقي) الذي تولى السلطة من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٨ هو الذي دمر العلاقات بين العرب والترك بدعوته إلى الطورانية ومحاولته بتريك العرب والقضاء على لغتهم وتعليق زعمائهم على المشائق عام ١٩١٦ .

والاتحاديون جماعة سرية كانت بإيعاز من النفوذ الاستعماري والمنظمات الماسونية العاملة لحساب الصهيونية العالمية ، تعمل على إسقاط السلطان عبد الحميد حامل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وتعد العدة لتمزيق الدولة العثمانية وتسليم الأجزاء العربية وغير العربية منها إلى الدولة الأوربية على النحو الذي وقع مقبلاً وذلك باعلاء طابع القومية التركية والعنصرية الطورانية .

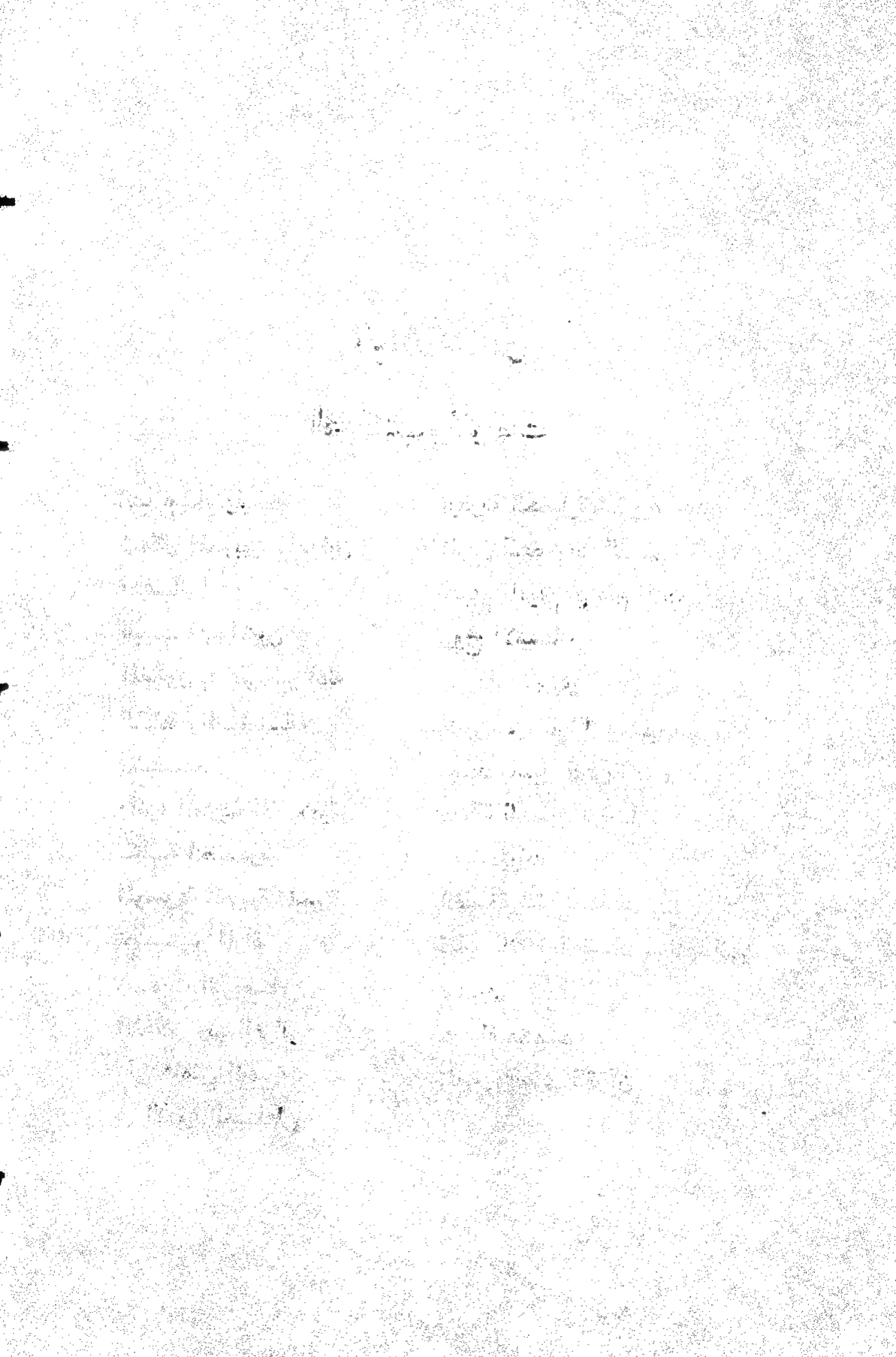
لما السلطان عبد الحميد فقد كان يدعو إلى توسيع جبهة المقاومة على النفوذ الأجنبي وذلك بربط مسلمي آسيا وأفريقيا بالدولة العثمانية

وكان موقفه من العرب مشرفا وكانت اجابته فى مواجهة تحديات الصهيونية لدخول فلسطين من اشرف ماقاله رؤساء الدول وزعماء الامم عندما رفض رفضا باتا اغراء هرتزل بالملايين من الذهب وقال (تقطع يدى ولا أفرط فى فلسطين ، ان فلسطين ليست ملكا لبلادى ولكنها ملك العرب) ولكن أمثال ساطع الحصرى وغيره من الباحثين المتأثرين بأغراض خاصة يطوون هذه الصفحة ويوهونها على النحو الذى لا تبدو فيه تلك الفوارق بين الدولة العثمانية وبين الاتحاديين واضحة كما يطمسون الفوارق الدقيقة بين موقف السلطان عبد الحميد الذى دافع عن فلسطين ودفع ثمن ذلك عرشه وحياته، وبين موقف الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشائى فقطعوا كل صلة بين العثمانيين والعرب .

الباب الثامن

الكتب والمؤلفات

| | |
|------------------------------------|--------------------------|
| عبقريّة الحضارة العربيّة | ألف ليلة وليلة |
| تاريخ الحضارات العام | شمائل المصريين المحدثين |
| الجام العوام في علم الكلام | الأغاني |
| روح الإسلام | البيان والتبيين |
| بندلي جوزي | المختون به على غير أهله |
| الدين بين السائل والمجيب | الامامة والسياسة |
| محمد رسول الحرية | المنجد |
| مسألة الحسين شهيدا | دائرة المعارف الاسلامية |
| العبقريات | يقظة العرب |
| الفلسفة القرآنية | الموسوعة العربية الميسرة |
| كتاب الله (العقاد - مصطفى محمود) | تحرير المرأة |
| حياة محمد | حديث الأربعاء |
| تفسير عصري للقرآن | الأخلاق عند الفزالي |
| | على هامش السيرة |
| | في الأدب الجاهلي |



الف ليلة وليلة

من أخطر شبهات التغريب محاولة اعتبار كتاب (ألف ليلة وليلة) مصدرا تاريخيا ممثلا لحياة العالم الاسلامي ، فقد جرت محاولات متعددة لاعتبار القصص الذي تضمه ألف ليلة ممثلا لحياة العرب والمسلمين بصفة عامة بينما تكشف اقل مراجعة لمصادر ألف ليلة عن انه تراث ايراني وهندي سابق للإسلام ، وانه لا يمثل بحال صورة المجتمع الاسلامي العربي ، أو مفاهيم الفكر العربي ، وقد حكي المؤرخ الكبير المسعودي المتوفى ٩٥٦م (القرن الثالث الهجري) في كتابه (مروج الذهب) عن وجود كتاب تديم بالفارسية أو بالفهلوية يحكي عن ملك وعن بنت وزيره (شهر زاد) وخادمتها دين زاد وقد أشار اليه ابن النديم مؤلف الفهرست المتوفى ٩٠٥هـ مجملًا . وقال انه كتاب الحماسة والسيئلت، كما أشار اليه المؤرخ القرطبي، وقد كانت كل اشارات المؤرخين المسلمين اليه اشارات تحمل طابع الرفض والامتنان والنص على انه مصدر ساقط في انظار العلماء والباحثين على حد عبارة الدكتور سفيثي كمارجرجي في مجلة ثقافة الهند (يناير ١٩٦٢) .

ومعنى هذا : ان لكتاب الف ليلة أصلا كان سابقا للإسلام وان مصدريه أساطير هندية وفارسية ، وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل الترف ويضيفون اليه حكايات جديدة ، كما أضيفت اليه في العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك ومسامرات أهل بغداد والقاهرة .

ومن هنا نرى خطر الاستعانة به كمصدر لدراسة حياة المجتمع الاسلامي بل على حد اتجاه بعض المستشرقين ودعاة التغريب من اعتباره مصدرا وحيدا في رسم صورة زائفة .

ومما يذكر أن أول من أبدى اهتماما ازاء الف ليلة وليلة هو جاسوس انجليزى مغامر (ريتشارد بيرتون) عام ١٨٨٣ وهو واحد من أولئك الذين

كانوا يتخفون في زيارتهم للبلاد العربية ويلبسون العباءة العربية امثال لورنس وفيلبي وكان يطلق على نفسه في دمشق الحاج عبد الله والمعروف انه تصرف في النقل على النحو الذي يخدم اهدافه .

ومن الحق ان يقال انه مهما تكن صورة الحياة التي ترسمها الفيلبة فهي ليست قطعاً صورة المرأة العربية او المسلمة ، فقد غير الاسلام نظرة المرأة الى الحياة كما غير واقعها تماماً فلم تكن في مفهومه ولا في مجتمعه الاصيل أداة جنس او مصدر غايات حسية ، كما كانت في مفهوم المجتمع الوثني او الجاهلي ، وحتى بعد ان اضطربت الحياة في المجتمع الاسلامي فقد ظل هناك فارق واضح وحاجز كبير بين ماكانوا يسمونها (الفانية) وبين ذات الصون والعفاف .

وقد حوى الفيلبة صورة مشوهة عن المجتمع العربي الاسلامي يزيد في زيفها ان قصصه تمثل امما مختلفة وعصوراً متباعدة وان الجانب الاكبر منه كان موجوداً قبل الاسلام : وقد اضيف المترجمون الغربيون — بالقصد العميد — القائم على التعصب والخصومة ، اضافوا التي بشاعة الصورة التي يحملها التكتل اضافات زائدة فساداً ، فقد اشار (فالان) المستشرق الفرنسي الذي ترجم الف ليلة لأول مرة عام ١٧٠٤ م بانه «فرنج» الكتاب ليلائم ذوق قارئه وانه ركز على صور الرفاهية والترف وانه عمد الى رسم ما سماه : صورة الشرق الحيواني .

وكان ان استقى من هذه الترجمة باحث آخر هو المستشرق (ابن) ارضية كتابه (وكذلك الف كثيرون) عن المجتمع الاسلامي اعتماداً على هذه الصورة . وقال ريتشارد بيرتون (الانجليزي) في مقدمة ترجمته لآل ليلة انه انما اراد منها ان يتعرف مواطنوه ما فيه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم واخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية لحكم المسلمين الواقعيين ضمن امبراطوريتهم .

وقد اخطأ هذا المستشرق في تقديم هذه الصورة للمستعمرين لأنها لاتمثل المسلمين والعرب من قريب او بعيد ، كذلك فقد اخطأ المستعمرون في الاعتماد عليها كأساس لمعرفة اخلاق المجتمع الاسلامي المختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً .

شمائل المصريين المحدثين

يمثل نظرة رجل غريب عن مصر والشرق رسم صورة لمجتمع مصر في العهد الذى أعقب الحملة الفرنسية وأهتم برصد الناحية الاجتماعية والعادات والتقاليد بهدف مبيت أثار اليه فى المقدمة حين قال انه أراد أن يجعل مواطنيه الانجليز أحسن معرفة للطبقات المختلفة فى أمة من أهم أمم العالم وهو من أسوأ الكتب التى وضعت للطعن فى قدر المصريين والعرب والمسلمين ومن قدر حضارتهم ومجتمعاتهم ومهمتهم الأساسية . هذا الكتاب الذى ألفه المستشرق (ادوارد وليم لين) وقصد فيه الى التقاط كل ما يتعلق بالعادات والخرافات والأساطير ومحاولة تليفيها فى صورة زائفة يراد بها تقديم صورة للمجتمع المصرى ، وهى صورة ليس فيها شيء من الحق أو الإنصاف وليس فيها أى قدر للصديق أو التحقيق العلمى . وكان ادوارد لين قد قدم الى مصر عام ١٨٢٥ لدراسة آثار المصريين القدماء ، واتخذ له منزلا فى بعض الأحياء الشعبية وادعى الاسلام وأطلق على نفسه اسم منصور افندى وليس ملايس الأتراك ، وبذلك أحاط نفسه بجو من الثقة مكنه من خداع الوطنيين وتحقيق هدفه فى تجميع خيوط وهمية نسبها الى الاسلام فقد أخذ يتصل بالطرق الصوفية وموالد الأولياء ويجمع ما يردده العلامة من أحاديث الخوارق والخرافات والبدع ، ثم صنع من هذا كله دراسة فى جزأين كبيرين كانت كسبا ضخما لدوائر الاستشراق فى أوربا اذ بلغ الاهتمام بها قدرا كبيرا وتناقلتها اللغات المختلفة واعتبرت لدى المبشرين والمستشرقين مرجعا يعتمدون عليه ، وقد عنيت دائرة المعارف الاسلامية التى أنشأها متعصبو الاستشراق بهذا الكتاب واعتبرته مرجعا مهمى تنقل منه هذه الخرافات على انها حقائق . وقد جرى هذا المجرى من بعد (أحمد أمين) حين لبى نداء هؤلاء العتاة فى انشاء قاموس للعادات والتقاليد الشعبية ونقل كثيرا مما كتبه (لين) وجرى مجراه فكان ذلك من الأمور الخطيرة البعيدة عن التحقيق العلمى .

هذا وقد حرف المترجم الفصل الذى تحدث فيه المؤلف عن الدين الاسلامى وأحكامه ولم يحتفظ بأمانة النقل .

الأغاني

(الأغاني) كتاب أدبي فى بضعة وعشرين مجلدا وضعه أبو الفرج الأصفهاني ليساهر به الأمراء والفارغين من المترفين فى أسفار الليل ، ولم يقصد به الى العلم او التاريخ . وكان الأصفهاني فى نفسه انسانا رافضا لمجتمع المسلمين والعرب وله ولاء بالمولد وبالفكر جميعا الى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم ، ولم يكن عمله هذا الا نوعا من الحرب العنيفة التى شنتها الشعوبية على الاسلام والمسلمين والعرب رغبة فى هدم فكرهم كوسيلة الى هدم مجتمعهم .

ولقد حرص التغريب واصحاب نظرية النقد الأدبي الغربى الوافدة على القاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب واحيائه واعتباره مرجعا فى الدراسات الأدبية ، ومصدرا لتصوير المجتمع الاسلامى ، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله أبرز من دعوا الى ذلك والخوا عليه فقد عمد الى الأغاني نقىها فاستصدر اعتمادا على قصصها احكاما زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم اراد بهما المساهمة فى عملية التغريب الضخمة التى كانت تجرى فى الثلاثينات من هذا القرن .

غير أن اقل مراجعة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين ، وقد عرف بالتحايل والاغراق ، وثبتت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخا .

واكدوا ان كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ ، وانما هو جماع لقصص وجدها فى الكتب والأسواق واراد بها ان يسجل للأغاني والمغنين وهو جانب واحد من حياة المجتمع الاسلامى الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية ، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ البوسقى بدمغه بشهادة فى نظر العلماء كمصدر موثوق به اذ قال « ان ابا الفرج اكتب الناس لانه كان يدخل سوق الوراقين وهى عدة من الدكاكين ملووءة بالكتب قيضتري منها شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها » وفكر عنه صاحب معجم الأديباء (ج ٥ ص ١٥٣) قوله :

(كان شأنه فى معاقرة النخمر وحب الغلمان ووصف النساء شأن الشعراء والإهواء الذين كانوا فى عصره أو قبله ، حيث يقدم دهاتين الخمارين وجلهم من النصراني واليهود والصابئين والمجوس ، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له غناية بتنظيف جسمه وثيابه) .

وقال عنه الصابى فى كتابه الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى (وكان أبو الفرج الأصفهاني وسخا قذرا لم يغسل له ثوبا منذ فصله الى أن قطعه وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصدون عن مجالسته ومعاشرته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخا فى نفسه وثوبه ونعله) .

وحكى المقاضى أبو على المحسنى التنوخى فى كتابه نشوار المحاضرة: « ان أبا الفرج كان أكولا نهما وكان اذا أطل الطعام وثقل على معدته تناول خمسة دراهم غلغلا محقوتا ولا يؤذيه ولا تنمع له عيناه وبعد ساعة أو ساعتين يفمصد » .

ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعا فى نظر الباحثين، أو يمكن أن يؤتمن على رأى أو قول ، ولقد عودتنا مناسج الفكر العربى الإسلامى أن ننظر الى الكتاب قبل أن ننظر الى كتابه فان وجدناه أمينا كريما موضع تقدير الناس بالصدق والحق قبلنا منه والا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقا فى بعضه — وقد أشار الدكتور زكى مبارك فى كتابه (النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى) الى مكانة الأصفهاني وكتابته الأغاني فى بحث مطول نجتزئ منه قوله : (وشهرة الأصفهاني وكتابته مستفيضة وانما أريد هنا ان أنص على ناحيتين فى الأصفهاني وكتابته لم أجد من تنبه لهما من الباحثين . ولهايتين الناحيتين أهمية عظيمة فى فهم الحياة الأدبية وسيكون لهما أثر عظيم فى دفعة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الأغاني يلتمسون الشواهد فى الأدب والتاريخ (الناحية الاولى) خاصة بالأصفهاني ، تلك الناحية هى خلقه الشخصى فقد كان الأصفهاني مسرفا أشنع الاسراف فى اللذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب فى تكوينه الخلقى أثر ظاهر فى كتابه ، فان كتاب الأغاني

أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسررد الجوانب الضعيفة في أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية أهمالاً ظاهراً ، يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال ، وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه . ونظرة فيما كتبه جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه الدكتور طه حسين في حديث الأربعماء تكفي للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جر هذين الباحثين إلى الخط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية وحملها على التحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون .

« ولا شك أن أكثر الأصفهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم والغواية وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالنزق والطيش .

(أما الناحية الثانية) فهي خاصة بكتاب الأغاني : تلك الناحية هي نظم ذلك الكتاب ، ففي مقدمته عبارات صريحة في الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على امتاع النفوس والقلوب والأنواق ، فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ ، وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره 'كبر مجموعة تغذى بها الأنثى ومجامع السمر مواطن اللهو' ، وأنه ليحدثنا في المقدمة بأنه أتى في كل فصل من كتابه بفقرة إذا تأملها قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة إلى مثلاً ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل . وأخبرنا بعد ذلك بأنه أهتم بالفتساء الذي عرف له قصة تستناد وحديثاً يستحسن وعمل ذلك بقوله « إذ ليعم لكل الأغاني خبر نعرمه » .

وقال زكي مبارك : والخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن روايات الأغاني قيمة تاريخية وإن يبنوا على أساسها ما يشيرون من حقائق التاريخ ولا سيما وأن صاحب الأغاني يصارحنا بأن « في طباع البشر الانتقال من شيء إلى شيء والاستراحة من معهود إلى مستجد » .

وهكذا تبدو صورة كتاب الأغاني على حقيقتها أمام الباحثين .

البيان والتبيين

واجه كتاب البيان والتبيين للجاحظ حملة عاصفة من النقد والتجريح من كاتبين شهيرين هما سلامة موسى وطه حسين بينما حظى بعض كتب الجاحظ بتقدير هذين الكاتبين . وهذا موضع الغرابة التي تكشف عنها عناصر هذا الكتاب .

« فنقطة الانطلاق في هذا الكتاب هي مواجهة دعاة الشعوبية وتوضيح ما للعرب من مزايا في لغتهم وبياناتهم وبيدهيتهم وسرعة خاطرهم وذلك أن المفاضلة بين العرب وسواهم في هذا الباب كانت من المسائل التي عنى بها الشعوبيون وخصومهم وخاصة في مجال الخطابة » فقد دافع الجاحظ عن العرب وبياناتهم وتكلم عن الخطابة عندهم والكتابة وعن شعرهم ولهجاتهم ونواذرهم ومناظراتهم ورويتهم وبيدهيتهم ، وذكر عددا من شعرائهم وخطبائهم وكتابهم وأشار بما جبل عليه العرب من بلاغة وقوة عارضة في بواديهم وحواضرهم ، ويتمثل هذا الجزء الذي ازعج دعاة التغريب (وهو الجزء الثالث) الذي أطلق عليه : الشعوبية ومن يتحلى باسم السنوية وقد وصفهم بذلك لأن ظاهر دعوتهم كانت المطالبة بالتسوية بين العنصر العربي والعناصر الأخرى بعد أن بين آراء الشعوبية ومزاعمهم ورد عليها فبين أولا أن اليونانيين إنما كانوا أصحاب فلسفة ومنطق لا أصحاب خطابه وأن الهندود كانوا أصحاب حكمة وأدب ، وأنه لم يشتهر بالخطابة حقا إلا العرب والفرس ثم فرق بين خطابة الفرس وخطابة العرب .

وقال إن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم إنما هو عن حول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وكل شيء للعرب إنما هو بديهية وارتجال وكأنه ألهم وليست هناك معاناة » .

المضنون به على غير أهله

نسب إلى الإمام الغزالي كتاب يطلق عليه اسم « المضنون به على غير أهله » وقد كتبت المصادر المختلفة هذه النسبة وفي مقدمتها ما ذكره السيد المرتضى الزبيدي في شرح الأحياء قال : اعلم أنه عزى إلى الشيخ كتب منها (المضنون به على غير أهله) ، قال ابن السبكي : ذكر ابن

الصالح انه منسوب اليه ، وقال معاذ الله ان يكون له . وبين سبب كونه مختلفا عليه والأمر كما قال وقد اشتمل الكتاب المكذوب على الغزالي على التصريح بقدم العالم ونفى علم القديم بالجزئيات وفي (السامرة) لمحيي الدين عربي : ان هذا الكتاب من تأليف علي بن خليل السبيتي ، وكذا صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه .

الامامة والسياسة

تردد أن كتاب الامامة والسياسة هو من تأليف ابن قتيبة وهو من الاخطاء الشائعة ، التي نقلها الوراقون حين طبعوا مثل هذا الكتاب ويؤكد خطاهم عدد من النقاد المحققين ويقول السيد محب الدين الخطيب رحمه الله :

« كتاب الامامة والسياسة : لقيط مجهول النسب ، وابن قتيبة برىء منه ولم يذكر له مترجموه كتابا بهذا الاسم . واسلوب القول فيه يخالف اسلوب ابن قتيبة في كتاب (المعارف) وفي سائر كتبه ، والكتاب يشعر بأن مؤلفه كان بدمشق وابن قتيبة لم يخرج من بغداد الا الى الدينور ، والمؤلف يروي عن أبي ليلى ، وأبو ليلى كان قاضيا بالكوفة قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة ، ويذكر فتح موسى بن نصير لمراكش وهذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين بعد ابن قتيبة بمائة سنة . فكتاب الامامة والسياسة لا يجوز لمؤلف أن يجعله من مصادره » .

المنجد

قاموس المنجد : يشتمل على قاموسين : قاموس للألفاظ اللغوية ، وهذا ليس موضع المناقشة الآن ، وقاموس اطلق عليه (معجم الآداب) اعداد فردنيان توتل وهو القاموس الحافل بالأخطاء والشبهات ، والذي عرض له عديد من الباحثين ، وكشفوا عن أخطائه وفي مقدمتهم العلامة عبد الله كنون الذي نشر في مجلة دعوة الحق المغربية أكثر من عشرة فصول عنه تضم أكثر من أربعمئة خطأ شائع : تاريخي وعلمي ، وقد قرأت اولى تخطيطه لمنجد في مجلة الفتح عام ١٩٢٦ و١٩٢٧ وقد احصى عبد الستار فراج في مجلة العربي للمنجد مائة خطأ تاريخي ولغوي وجغرافي

من الأخطاء الصارخة (مما يجب أن يحذف أو يصحح أو يصاغ بطريقة تبرئه من الشك والابهام) .

وأشار الى أن المؤلف قد اعتمد على دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها كبار المستشرقين ، وعلى كتاب التمسدن الإسلامى لجرجى زيدان وعلى كتاب بروكلمان وكلها مثقوضة .

وأسوأ مافى القاموس مادة « محمد » وهى فى عبارتها تنضح بالتعصب والحقد وفساد المنهج والبيد عن العلمية والإنصاف .

يقول : « محمد نبي المسلمين من بنى هاشم تزوج من خديجة ورزق منها فاطمة ، دعا الأعراب الى الإسلام وانتصر على الكيين فى بدر ولكنهم غلبوه فى أحد فحاربهم فى حنين ودخل مكة ظافرا » .

ولا شك أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التى فى كل الأيدى والمحملة بالأخطاء وخاصة فيما تحاول أن تدخله الى اللفاظ العربية من مصطلحات كنسية ووطنية ولاهوتية ، وهى الفاظ ليست عربية أصلا فضلا عن أنه يفسرها تفسيرا لا يتفق مع مفاهيم الإسلام .

دائرة المعارف الإسلامية

وضعت دائرة المعارف باللفات الأوربية فى دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير بهدف أساسى هو أن تكون مادة فى أيدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار الى عالم الإسلام والعروبة ، ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب وقد كتبها جهازة التبشير والاستشراق وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم .

وقد لفت الباحثون المنصفون النظر الى أخطاء دائرة المعارف عندما ترجمها نفر من الكتاب فى الثلاثينات فقد تصدى لهم أكثر من باحث منصف يعارض خطتهم وبطلانهم بتصحيح تلك الأخطاء فى صلب البحث ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه الشبهات فى الهوامش ففوتوا كثيرا من الحقائق على القارئ المتعجل الذى لا يعنى بالرجوع الى الهامش . وقد أشار

العلامة غريد وجدى الى ظاهرة خطيرة فى هذه الموسوعة وهى (سيطرة البدع الدخيلة فى الدين الاسلامى على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة ، حتى ليظن الباحث انها من اصول الاسلام) وقد اضمن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررّة ، وبينما تسيطر هذه البدع على انها من المعارف الاسلامية فان الاسلام يبرأ منها وما جاء الا لمحاربتها . واشار العلامة وجدى الى « القصد المتعمد فى الجمع بين اساطير البدع وحقائق الشريعة » وقال ان اكبر كتاب الدائرة قسمين يمشزون بههم ان يتحيفوا الاسلام لا ان ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتقلب على عناصر التعصب وليس كتاب الدائرة وحدهم من نفس النمط بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية فى الغرب لا يتجاوزون صناعة التشهير ومنهم « توماس باترك هيوز » صاحب قاموس الاسلام . وهو مرجع متبادل لا تكاد تخلو منه مكتبة اوربية ، وقد قضى القس المؤلف فى وظيفته التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهميين والبوذيين اكثر من عشرين سنة ، وجمع ونشر معجمله هداية للموظفين الانجليز الذين يتولون الحكم ببلاد الهند فى اواخر القرن الماضى ومساعدة للبشرين بالمسيحية ممن يحاولون علماء الاسلام وللباحثين فى الأديان المقارنة .

ومن المصادر التى اعتمدتها دائرة المعارف (كتاب شمائل المصريين) الذى كتبه المستشرق ادورد وليم لين عام ١٨٢٥ عن المصريين وقد أصبح هذا الكتاب احد المراجع الهامة لمؤلفى دائرة المعارف ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق . وقال أحمد أمين : ان نظرة المستشرقين فى دائرة المعارف هى نظرة خاصة يختلف عن النظرة التى ينظرها المسلمون وبعضهم كان متعصبا يمزج تعصبه ببحت كما فعل الأب لامنس فى بعض ماكتب .

وقال العلامة تقى الدين الهلالى : ان فى دائرة المعارف الاسلامية اخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الاوربى ، وفى بروكلمان مثل ذلك واقتبح ، وقد وجه دكتور محمد يوسف زايد النقد الى دائرة معارف البستانى فقال : ان الدائرة بشكلها الحاضر لم تحقق ماهدف اليه ناشرها وماينتظره منها القارئ العادى الذى لا يستطيع ان يطمئن الى دقة معلوماتها كما انه لا يجد فى كثير من موادها الترابط بين الأجزاء البذى يسبغ على المادة

وحدثها كما انه أيضا لا يجد المراجع الضرورية لبحثه فضلا عن المتخصص الذى لا تروى مواد الدائرة غلته بطبيعة الحال .

يقظة العرب

يقظة العرب لجورج انطونيوس من الكتب الخطيرة التى يجب الحذر الشديد فى الاعتماد عليها فى كتابة تاريخ العرب والاسلام الحديث ، وقد اشار بعض المستشرقين ودعاة التغريب بالاعتماد عليه فافسدت كثيرا من أبحاث الباحثين ، وأن المراجع لوقائع حياة جورج انطونيوس لا يدهش من أن يكون كتابه خدمة للتيارات التغريبية وتركيزا على الوقائع المشبوهة فهو من مواليد دير القمر بלבنا ومن خريجى كلية فكتوريا بالاسكندرية ومن رواد جامعة كمبردج ، وكان ملتحقا بدائرة المعارف فى حكومة الاحتلال البريطانى فى فلسطين ، شأنه فى هذا شأن نجيب عازورى ، الذى يركزون على كتابه (يقظة الأمة العربية) .

وقد غالى انطونيوس فى تصوير الدور الذى لعبته الجمعية العلمية السورية التى أنشأها النفوذ الاستعمارى داخل الكلية السورية الانجليزية والذى عده عاملا أساسيا فى نشوء القومية العربية بينما كان الانصاف يقتضيه أن يعتبر هذه الجمعية السرية هى اول عامل محرك لدفع اللبنانيين الى الانتفاض على الدولة العثمانية والمطالبة بحكم خاص تحت نفوذ الدول الأجنبية وخاصة فرنسا ، وأن رفع لواء العرب فى هذا الوقت لم يكن من أجل وحدة العرب به من أجل الانفصال عن دولة الخلافة .

وأبرز أخطائه الناشئة عن التعصب موفقة من السلطان عبد الحميد واتهامه بما هو منه براء ، والتكرار لموقفه من الصهيونية ومن هرتزل وهو من أشرف المواقف ومن العسير أن يطلب من مثل جورج انطونيوس فى ثقافته وعقائده الدينية والفكرية أن ينصف الدولة العثمانية أو السلطان عبد الحميد ، ولقد كشفت الوثائق الكثيرة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة من الحقائق ما يجعل الكثير مما ذهب اليه انطونيوس زائفا وخاطئا وأبرز أخطائه أن اعتبر ناصف اليارجى وبطرس البستاني مبدأ يقظة العربية فضلا عن اساعته الى عبد الرحمن الكواكبي ، من أجل هذا كله أصبح كتاب يقظة العرب من الكتب التى تقرأ بحذر ولا تؤخذ على أنها من المصادر العلمية .

الموسوعة العربية الميسرة

وجهت الى الموسوعة العربية الميسرة نقداً شتى وجملة ما قيل عنها انها دائرة معارف اجنبية (هي في الواقع دائرة معارف كولومبيا) قد ترجمت الى اللغة العربية دون تقدير للتأريخ العربي الاسلامي وحقائقه ودون تقدير حاجة الباحث العربي ، فهي لا تحمل مطلقاً أى وجهة نظر عربية لسا تناولته من موضوعات ، وهي تتنكر اساساً للسنة الهجرية والتاريخ الهجرى في كل ماوردته من مواد وخاصة فيما يتعلق بعصر النبي والخلفاء .

فاذا عرضنا للمواد الاسلامية وجدناها ضعيفة جداً وفاترة ومدرسية الى ابعد حد وليس بها من السعة والعمق مانجده من المواد التي لا حاجة للباحث العربي بها ، هذا بالإضافة الى غلبة طابع السيطرة الصهيونية على المواد وخاصة فيما يتعلق بفلسطين وتاريخ الأديان .

ومن المقارنة بين مادة مسجد ومادة مسرح تجد ان المسجد قد كتب عنه خمسة عشر سطراً بينما كتب عن المسرح ١٧٠ سطراً .

وتصويرها لمادة شريعة ، ومادة صلاة ، ومادة صوم هو تصوير بدائي وساذج .

وتضم الموسوعة بعض المواد التي اعتمد فيها على الاسرائيليات والروايات التي تضمها الكتب غير العلمية كمادة اسرائيل . واسوا ما في الموسوعة انها تحمل وجهة نظر اليهودية في مختلف المسائل ، فهي تحاول ان تفرض على الباحث العربي مفهوماً خطيراً بالنسبة لفلسطين لا يتفق مع حقائق التاريخ .

ومن عجب أن باب الأديان والمعتقدات قد حرر تحت اشراف ابراهيم مذكور واحمد مؤاد الأهواني وغيرهم . وأن ثمة من الكتاب المسلمين والعرب فكرت أسبائهم في المقدمة كمحررين لفصول الموسوعة .

في كتابه تاريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

تحرير المرأة

كان الكتاب تحرير المرأة الذي كتبه قاسم أمين ولا يزال له دوى كبير وشهرة عالمية في مختلف دوائر الفكر والسياسة ، وقد اعتبره الكثيرين نقطة بدء لنهضة المرأة المصرية الحديثة غير أنه لفهم مضامين هذا الكتاب يجب معرفة البواعث والظروف التي أحاطت بإصداره وفي كتاب الدوق داركور الذي كتبه عن مصر ورد عليه قاسم أمين ومما يمكن الاستدلال من خلال مسالون الأميرة نازلي هانم فاضل الذي كان يناقش معه عبد الله وسعد زغلول تحت رعاية اللورد كرومر وفي ظل مخططات النفوذ الاستعماري . وقد روى فارس نوري صاحب جريدة القطر عام ١٩٠٥ في هذا الصدد قائلًا : « بواعث تأليف كتاب تحرير المرأة وكيف كان قاسم أمين يشير في رده على الكاتب الفرنسي داركور مهاجما الحركة النسائية التي تنزع عنها هذه الأميرة وكيف كلف فارس نوري أن ينتقد مكتبه قاسم خاصا بالمرأة ، ثم اقترح الشيخ محمد عبده أن يترجم كتابه في صالون نازلي للاعتذار عن الطعن الذي أورده في كتابه وما رآه في معارضة السفور على النحو الذي كانت تدعو إليه الأميرة محمد علي ، وكان أن اتفق على أن يكتب قاسم كتابا يرضي الأميرة ، وكان الكتاب في هذا الرأي مخدما المولى وسعد زغلول ومحمد عبده ، وقد أشارت مصادر كثيرة إلى أن الشيخ عبده كتب بعض مواد هذا الكتاب ، وقد أرادوا بذلك ترضية الأميرة وكسبها حوصلا على أبحاثها لهم في ظل النفوذ البريطاني ، ومن هنا يرى أن قاسم أمين لم يكن في الحقيقة يملك من هادف صحيح ، هذا فضلا عما أحدثه الوثائق من إلهام ولوحظ على أغلب آرائه في أيامه الأخيرة وقال أنه أخطأ وتسرعت في الدعوة إلى السفور في مجتمع لم يستكمل بعد عوامل النضوج .

نأه نيسابا دار هاشم في مصر في سنة ١٢٩٠ هـ في كتابه تاريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

في كتابه تاريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

كان كتاب (حديث الأربعاء) واحدا من كتب الدكتور طه حسين التي استهدفت غرضاً معيناً في مجال إثارة الشبهات والتشكيك في التاريخ والأدب القريين . وكانت فصول حديث الأربعاء تنشر في جريدة السياسة الأسبوعية في يوم الأربعاء من كل أسبوع بينما ينشر الدكتور قصصاً غرضية الخبيثة مترجمة في يوم الاثنين . وقد أثار هذا بعض المراجعات حتى قال

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني : لفتنى الدكتور فى كتابيه (حديث الأربعاء) وهو مما وضع وقصص تمثيلية (وهى ملخصة) ان له ولما بتعقب الزناة والعشاق والعجز والزنادقة ، وقد يفكر القارئ انه أدخل القصص التمثيلية فى هذا الحساب ويقول انها ليست له وان كل ما له فيها انه سياق خلاصة وجيزة لها .

وهذا الاعتراض مدفوع لان الاختيار يدل على عقل المرء ويشى بهواه ، كالابتكار سواء بسواء ، وانما يختار المرء ما يوافقه ويرضاه ويحمله عليه اتجاه فكرة حتى لا يسعه ان يتخطاه .

وها هو ذا حديث الأربعاء ماذا فيه ، كلام طويل عن العصر العباسي ، وللعصر العباسي وجوه شتى وفى وسعك ان تكتب عنه من عدة جهات وان تتناول فلسفته او علمه او شعره وجده وهزله .

ولكن الدكتور طه يدع كل جانب سوى الهزل والمجون ويروح يزعم انه عصر مجون ودعارة وابطاحة متغلغة الى كل فرع من فروع الحياة ، فلماذا ؟ لاية غلة يغضى عن الجوانب الاخرى لذلك العهد . بل قل لماذا لا يرى غير الماجنين والخليعين صورة منه ، ولست افترى عليه فانه القائل فى الصفحة السابعة والعشرين من كتابه :

« درست هذا العصر درسا جيدا واقرأ بتوع خاص شعر الشعراء ، وما كان يجرى فى مجامعهم من حديث تدهشك ظاهرة غريبة ، هى ظاهرة الاباحة والاسراف فى حرية الفكر وكثرة الازدراء لكل قديم سواء اكان هذا التقديم دينيا ام خلقا ام سياسة ام ادبا » .

ولم يكف الدكتور ان يعمد الى طائفة معينة من شعراء العباسيين وان يرسم من سيرتهم صورة يزعمها صورة العصر بل هو ينكر ان غير هؤلاء من العلماء او الشعراء يمثل العصر العباسي ، ثم يمضى ويورد سيرة ابو نواس ومن اليه مثل الوليد بن يزيد ومطيع اناس وحماد عجرد والحسين ابن الضحاك ، ووالبة بن الحباب ، وابن ، ومروان بن حفصة ويقول فى بيان الحكمة من ذلك انه لا يريد ان يكتفى بالقول بان القرن الثانى للهجرة على كثرة من عاش قبله من الفقهاء والزهاد واصحاب الشك والمشفوفين

بالخير انما كان عصر شك ومجون وعصر افتتان والحاد عن الأخلاق المألوفة
والعادات الموروثة والصين ايضا، وانما أريد أن أشخص حياة هؤلاء الشاكين
المسرفين في المجون ، وان سخط عليهم نفر قليل من الفقهاء وأصحاب الزهد
فقد كان الناس جميعا على اختلاف طبقاتهم وأهوائهم ومنازعهم يحبونهم .

اقول . اذا كان الأمر على هذا النحو فليس عندي شك في أن هذا
العصر الذي عاش فيه هؤلاء الشعراء وهؤلاء الناس الذين كانوا يعجبون
بهم ، لم يكن عصر إيمان ويقين في جملته وانما كان عصر شك واستخفاف
وعصر مجون واستهتار بالذات (ص ١٨٤)

يقول المازني :

« وحسبنا هذه المقتطفات ، ونكتفي بملاحظة واحدة هي انه ما من
عصر يمكن أن يكون له جانب واحد كما يريد أن يصور لنا العصر العباسي ،
وانه لم يخل زمن قديم أو حديث من مثل ما يضيف الدكتور ، ولو أن كاتبنا
تناول عصرنا الحاضر ألفي الكلام ذا سعة على نحو ما فعل الدكتور ، ولكنه
لا يكون صادقا ولا دقيقا . اذا ذهب يزعم أن حياتنا الحاضرة قائمة على
الفسق والفجور والدعارة والاباحة والزندقة والحاد ، من أجل أن الشعراء
والكتاب — وأنا منهم ولا فخر — فكروا الخمر وتغزلوا وتشبهوا وأن الناس
يتفكهون في مجالسهم ويرفهون عن نفوسهم بالطهى والمجانة أحيانا وأن
ذلك يعجب الفارغين ويروثهم » .

وقد واجه ما جاء في كتاب حديث الأربعة كتاب كثيرون وحضروا
زيف الرأي الذي وصل إليه الدكتور باتهام العصر كله ، ومما قاله أنطون
كرم في بحثه عن الأصباغ العربية في آكار الباحثين قوله « وكان من جرأته
(أي الدكتور طه) أن حلت الاستنتاجات العامة محل اللطائف المستدقة
والقوانين الشاملة في موضع الخصائص الفردية وخالف عرض الحقائق لون
من التحدي الخطابي في الإثبات وقال : احتفظ المؤلف لنفسه أن يجمع بين
الأنماط الثلاثة في دراسة هذا الشعر : التاريخي والذاتي والفني ، وأنه
يحاول الجمع بين أسلوب (سيات بوف) و (جول لومتر) و (تين)
فيجري فيها جميعا على غير استيفاء ، يتحى الملاحح ولا يتسلل إلى الدقائق

فإذا به يخطئ طريق المؤرخ الحق في جلاء الشك وتجري الحق الأخير
ويخطئ طريق الذاتيين في تفكيك الذات المسددة حين يقتصر منها على
جوانب « . . . »

كما تناول محمد غلاب وزكى مبارك هذا الاتجاه بالنقد والرد عليه .

الأخلاق عند الغزالي

بدأت الحملة على أعلام الفكر الاسلامي مبكرة من خلال اطروحات
اوائل خريجي الجامعة المصرية ، وكان زكى مبارك قد تولى نقد فكر الاسلم
الغزالي معتمدا على كل ما أورده خصوم الفكر الاسلامي عنه من شبهات
وتخرصات فجمعها في رسالته التي كانت موضعا للنقد والمراجعة بعد
مناقشتها علنيا ، على اعمدة الصحف والمجلات ، وكان ذلك عام ١٩٢٤ وما
تزال الحملة على الامام الغزالي قائمة ومستمرة حتى هذه الأيام ، لا تتوقف
ولا يحاول دعاة التقريب وقف الهجوم على هذا الرجل الذي تحض قوائم
الفلسفة اليونانية الالهية وحطها وكشف عن زيفها واوقف قيارها في الفكر
الاسلامي حتى جاء ابن تيمية فانام مطلق القسرا ن بدلا من مطلق ارسطو
واكمل عملية تحرير الفكر الاسلامي من محاولة كسبه تخت برائن هذه
الفلسفة الوثنية التي سيطرت على كثير من الاديان والمعتقد .

وكانت اكبر الاتهامات التي ساقها زكى مبارك للغزالي انه لم يشر في
مؤلفاته صراحة كلها الى موقف واحد في مواجهة الحملة الصليبية التي
كانت قد استقرت في الشام في هذه الفترة ، ولكن المراجع لفكر الغزالي
كله ولعمله الضخم (احياء علوم الدين) يعلم في وضوح ان تحدى الحروب
الصليبية هو الذي دفعه الى اعادة صياغة الفكر الاسلامي من جديد في
فهم متكامل وان استهبطاته للحدث الضخم كان مصدر اروع معطياته واعماله

ولقد شاء الدكتور زكى مبارك أن يراجع نفسه من بعيد ، وكانت
قرصته لدراسة التصوف الاسلامي بعد أكثر من عشرين عاما من أطروحاته
عاملا هاما في أن يكتب مقالته المعروف الخطير في مجلة الرسالة عام ١٩٤٤

« اليك أعتذر أيها الغزالي » .

حيث أشار الى مدى الخطأ الذى وقع فيه وما وصفه بالاندفاع دون التحقق فى موقفه مع الامام الغزالى وأعلن عودته عن رايه فيه وقد كان ضروريا وقد أعيد طبع كتاب الأخلاق عند الغزالى فى السنوات الأخيرة أن يشار إلى هذه الواقعة فى المقدمة أقرارا للحق وتأصيلا لمنطلقات وتطورات الكتاب بعد الأعمال الأولى المبكرة فى حياتهم الأدبية .

على هامش السيرة

فاجأ الدكتور طه حسين قراءة عام ١٩٣٣ بظهور مجلة الرسالة بنشر عضول جديدة تحت هذا العنوان شكلت من بعد كتابا ضخما فى أجزاء ثلاثة أقل عليه القراء فى شغف بالغ فقد أغراهم أسلوب طه حسين الموسيقى وحملهم حملا على متابعته ، وكانت صيحات الإعجاب تختلط بصيحات الدهشة بعد أن أشيع أن الدكتور طه حسين رجل قد هاجم بعض القيم الإسلامية فى كتابه الشعر الجاهلى .

وبذلك تحقق الهدف الذى قصد اليه الكاتب ونجح نجاحا كبيرا فى استعادة مكانته لدى العامة ، وفرح لذلك أيضا الذين خططوا للعمل نفسه ، من حيث أصبح فى مقدور الدكتور طه حسين العودة الى التأثير فى مناهج التعليم والجامعة والثقافة جميعا على النحو الذى جرى عليه من قبل .

غير أنه بالرغم من العمل البارع الذى استطاع به طه حسين أن يستعيد مكانته فى نظر الجماهير بالكتابة عن الرسول ، وما حققه ذلك له من ثقة فى مجالات العمل الذى قصد اليه أساسا فإن كتابه على هامش السيرة كان عملا خطيرا وبعيد الأثر فى إثارة الشبهات حول سيرة الرسول الكريم فقد عمد طه حسين الى عشرات من الأساطير الزائفة التى أبعدا المحققون عن سيرة الرسول وعملوا على تنقية هذه السيرة الكريمة منها حتى تظل موثقة صحيحة ، فأعادها مرة أخرى الى السيرة على نحو أشد خطرا مما كان ، فقد توسع طه حسين فى هذه الأساطير وأضاف إليها وحذف منها واعترف نفسه صراحة بهذا العمل حين قال :

« أحب أن يعلم الناس أنى وسعت على نفسى فى القصص ، ومنحتها

من الحرية فى رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا الا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبى أو بنحو من الدين » .

ولقد هاجم الدكتور محمد حسين هيكى صاحب حياة محمد صديقه طه حسين على درب الحركة الأدبية بضعة عشر عاما هذا الاتجاه فيكتب مفسلا فى ملحق السياسة (١) قال فيه :

« ان أدب الأسطورة هذا أخصب ألوان الأدب ، ان الكاتب والقارىء يعرفان جميعا ان المادة التى يعالجان هى من نوع الأسطورة لاجناح عليهم اذا اطلقوا للخيال فيها العنان فابتدعوا من خيالهم ما يزيد هذه الاساطير رقة وعذوبة ، لا تحول بينهم وبين الأخذ بقول بعضهم « أعذب الأدب أكذبه » أى حائل .

ولذلك فأنى استميج طه العذر ان خالفته فى اتخاذ النبى وعصره مادة لأدب الأسطورة .

وأشار الى ما اتصل بسيرة النبى ساعة مولده ، وما يروى عما حدث له من اسرائيليات روجت بعد النبى ، ثم قال : لهذا وما اليه يجب فى رأى الا يتخذ مادة لأدب الأسطورة فانما يتخذ من التاريخ واقاصيصه مادة لهذا الأدب ما اندثر ، أو ما هو فى حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه فى حياة النفوس والعقائد أثرا ما .

« والنبى وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل هى فلذة من هذه الحياة ومن أعزأ غلذاتها عليها وأكبرها أثرا فى توجيهها ، وطه يعلم أكثر مما أعلم ان هذه الاسرائيليات انما أريد بها اقامة أساطير ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه وقد كانت هذه غاية الاساطير التى وضعت فى الأديان الأخرى . ومن أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام » .

(١) ملحق السياسة الأسبوعية (ديسمبر ١٩٣٣) .

و هكذا انكشفت حقيقة خطيرة من وراء هامش السيرة اشد خطرا من الحقائق التي تكشفت من وراء (حديث الأربعاء) و (الشعر الجاهلى) .

فى الأدب الجاهلى

اثار صدور كتاب الشعر الجاهلى عام ١٩٢٦ ضجة كبرى ، اتصلت بالمشاعر الدينية من ناحية وبالصراع الحزبى من ناحية ، وكانت نقطة الخطر أن ما جاء فيه من آراء غير محققة مما القى على طلبية كلية الآداب واقد قامت معركة ادبية كبرى حول الشعر الجاهلى واتهم الدكتور طه بالزيغ والاتحاد ولما صودر الكتاب سارع الدكتور باصدار كتاب بديل عنه تحت اسم (فى الأدب الجاهلى) حذف منه بعض الفصول التى اثارث الثورة عليه وأضاف فصولا جديدة غير أن كتابه الجديد لم يكن أقل خطرا من سابقه فيما حاول أن يعرض له من شبهات وما تزال هذه الشبهات قائمة بقيام الكتاب واعادة طبعه ونشره .

وقد أجمعت لجنة من الغبراوى والعوامرى ومحمد بن عبدالمطلب وأعلنت أن الكتاب أضاع على العرب والمسلمين (١)الوحدة القومية والعاطفة الدينية (٢) والايمان بتواتر القرآن وقراءاته وأنه وحى من عند الله (٣) كرامة السلف من أئمة الدين واللغة (٤) كرامة الثقة بسيرة النبى فى كل ماكتب (٥) اعتقاد صدق القرآن ونهيه عن الكذب (٦) أضاع الوحدة الاسلامية (٧) أضاع حرمة الصحابة والتابعين (٨)أضاع تنزيه القرآن عن التهكم والازدراء (٩) أضاع تنزيه النبى وأسرته عن مواطن التهكم والاستخفاف (١٠) أضاع صدق القرآن والنبى فيما أخبر به عن ملة ابراهيم (١١) أضاع براءة القرآن مما رماه به المستشرقون من أعدائه (١٢) أضاع الأدب المسالم مع الله ورسوله .

وقال الدكتور عبد الحميد سعيد ان تغيير العنوان (من الشعر الجاهلى الى الأدب الجاهلى) لم يغير شيئا من روحه اللادينية فان السموم التى اراد الدكتور أن ينفثها فى كتابه لاتزال ماثلة فى كثير من فصوله ومباحثه .

وقد صدرت كتب كثيرة في الرد على طه حسين وكتابه أهمها ماكتبه
فريد وجدي (نقد كتاب الشعر الجاهلي) .

ولطفي جمعة (الشهاب الراسد على الشعر الجاهلي) ومصطفى
صديق الرافعي (تحت راية القرآن) .

غير أن الدكتور محمد أحمد الغمراوي أخرج كتابه في الرد على كتاب
(في الأدب الجاهلي) فقال أن صاحب الكتاب لم ينتفع بنقد الناقدين على
تعدد نقدهم وصوابه ، وقال أن عملية تنقية الكتاب بالحذف لم تقو على
تخليصه من كل ما يجافي الدين وأن خلصته مما يظهر من كل ما يؤخذ عليه
القانون ، خلصته من الواضح الصريح الذي يمكن أن يمتد القلم اليه
بالحذف ، أما المثبت في ثناياه من التهم الخفى فذلك مالا يمكن أن يتناول
بالحذف إلا أن يحذف أكثر الكتاب .

فالكتاب وإن خلص من مثل (للتوراة أن تحدثنا أن إبراهيم وإسماعيل
وللقرآن أن يحدثنا ومن قوله : ولأمر ما شعروا بالحاجة إلى اثبات أن
القرآن كتاب عربي مطابق في الفاظه للغة العرب) فإنه لم تخلص من مثل
قوله : (وفي القرآن سورة تسمى سورة الجن أنبأت أن الجن استمعوا
للنبي) ومن مثل قوله « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون من
صفوة بني هاشم » كشرط هذه القطعة التي وصفتها النيباية بسوء الأدب
في حق النبي ، وكان ينبغي أن تحذف .

وأبرز ما في كتاب الأدب الجاهلي في رأينا ليس هو مناقشة هذا
الشعر والبحث عن حقيقة أمره ولكن اتخاذه « ستارا » لاذاعة هذه
الآراء الجريئة الخطيرة في الإسلام ورسوله وكتابه ومحاولة طرح هذا
المنهج الخطير من مناهج البحث الذي يقول بفصل الأدب عن الفكر الإسلامي ،
ونسيان القومية والدين كشرط من شروط البحث العلمي . وقد رد الكثيرون
(كما رده فريد وجدي وغيره على هذه النقطة وكشفوا عن زيفها) ويقول
الدكتور الغمراوي في هذا الصدد :

انه ذهب الى أن نسيان القومية والدين شرط أساسي من شروط البحث
العلمي فإن كان أراد بذلك أن على الباحث ألا يخفى بعض حق أو يترأخي

فى استيفاء الدليل العلمى محابة لقوميته أو ارضاء لعاطفته هذه فقد أصاب،
أما اذا كان أراد أن الانسان لا يستطيع أن يكون ذا عاطفة قومية أو
دينية من غير أن يحابى أو يداجى فى العلم فقد أخطأ ولم يصب، أن الانسان
يستطيع أن يراعى الدقة العلمية القائمة فى البحث وهو متذكر دينه كل
التذكر ومعتقد صحته كل الاعتقاد ، غير مجوز على قرآنه خطأ أو على
توراته . بل أن التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص أن أمكن حرصا على
الحق واستمسكا به اذا وصل اليه . أن الباحث المتدين بين محبتين فى
الحق مرة لدينه ومرة لعلومه ، ويبغض الباطل مرتين كذلك ولا خوف عليه
مطلقا أن يخفى بعض الحق أو يدلس فى البحث محابة لدينه إذ ليس الحق
يخاف على دينه ولكنه الباطل وهو يعلم أن دينه حق . يعلم ذلك
علم مستيقن ويعلم أن العلم قائم على قاعدة استحالة التنافى بين أجزاء
الحق ، فهو لا يخشى أبدا أن يكشف البحث الصحيح عن حقيقة تنافى دينه
ولذلك يمضى فى أبحاثه آمنا مطمئنا متبعا أقوم الطرق فى البحث والتفكير .

فالتدين الصحيح والعلم الصحيح يمكن اجتماعهما اذن وكثيرا ما اجتماعهما،
كما أن العاطفة العلمية القومية والعاطفة الدينية القوية لا يتعارضان
بل يتضامران فى خدمة العلم .

عبرية الحضارة العربية

هذا كتاب أغلب من شاركوا فيه من غير المسلمين ، وقد صدر فى
طبعة فاخرة غير أنه لم يخلص لكلمة الحق ، يقول الأستاذ عبد المعز
عبد الستار أنه يورد حقائق ويسوق أمجادا ثم يكر عليها فوراً بما ينسبها
ويسلبها وينسبها لغير أصحابها العرب المسلمين بطريقة خبيثة مأكرة
تعرفها فى لحن القول ولا يتنبه إليها إلا من خير أسلوب المستشرقين ومكرهم
وكيدهم للمسلمين . وتلك عادة المستشرقين فانهم كلما أثبتوا فضلا نقوه،
وكلما غزلوا غزلا نقضوه من حيث يدرون أو لا يدرون .

ومن الأخطاء الواضحة :

(١) الإلحاح على تسمية الدولة الإسلامية : الامبراطورية العربية

ولا ريب أن الدولة الإسلامية شيء غير الإمبراطورية في مفهومها الاصطلاحي حتى في أيام ضعف الخلافة ، فهي لا تقوم على قانون الطبقة والاستغلال .

(٢) تسمية الاسلام بأنه اسلام عربى .

ومن ذلك القول بأن الاسلام قد استوعب كثيرا من عناصر الفلسفة الأفلاطونية والمنطق اليونانى والتشريع الرومانى .

والواقع أن هذا زيف كبير فأى عنصر من عناصر التشريع الرومانى استوعبه الاسلام . وهو قد أنزل تشريعه بوحى من عند الله فى أرض لم تطأها أقدام الرومان ، وتناوله الصحابة والتابعون والفقهاء ودونوه ورتبوه من قبل أن يعرفوا ما الرومان أو اليونان .

(٣) ليس صحيحا أن الاسلام تعبير عن نظرة العرب الى الحياة والايان ذلك أن الاسلام هو الذى غير نظرة العرب للحياة والايان وعبادة الأوثان .

(٤) يرددون القول بأن العرب على الاسلام وهو قول باطل فأى اثر تركه العرب على الاسلام ، انما كان الاثر هو اثر الاسلام على العرب اذ اخرجهم من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق العيش الى سعة الحياة ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

(٥) خطأ القول بأن للعرب اثرا على الاسلام باقيا لا يزول والحقيقة أن اثر الاسلام على العرب هو الباقي الذى لا يزول .

(٦) خطأ القول بأن الشريعة الاسلامية لم تبلغ تمامها الا بعد أن انتقل معتنقو الاسلام واهل الذمة الى قلب المجتمع الاسلامى ، وكيف يكون لأهل الذمة مع غيرهم اثر فى صياغة أحكام الشريعة .

(٧) خطأ القول بأن دور العرب كان فى علم الكلام بجوار فلسفة الفرس وطب اليهود والنصارى ورياضيات الهنود .

والواقع أن القرآن والسنة والفقهاء واللغة والعقيدة والتاريخ والأخلاق وسائر مقومات الأمة القرآنية انما جاءت من القرآن .

أما الطب والرياضة وسائر علوم المادة فهي علوم عامة يتعلمها الناس بكل لفظة فلم يكن دورهم في علم الكلام فحسب ، بل هم الذين تقدموا للبشرية المنهج الرباني .

(٨) قولهم أن الفاتحين العرب قد بنوا إمبراطوريتهم بفضل قوة عسكرية هائلة والحقيقة أن ذلك كذب على التاريخ ويهون من قيمتهم وقوتهم الذاتية التي منحهم إياها الإسلام قوة المبدأ والروح ، فالعرب لم يكونوا في يوم ما ولا في معركة من المعارك التي انتصروا فيها على عدوهم أكثر منهم عددا أو عدة أو قوة عسكرية هائلة . وإنما كانوا أقوى منهم نفسا فكانوا أعظم بأسا بفضل إيمانهم بربهم ورسالتهم .

(٢)

كتاب تاريخ الحضارات العام

(الجزء الثالث : القرون الوسطى والحضارة العربية)

صدر هذا الكتاب عن إحدى الهيئات الأجنبية ومؤلفه أجنبي وقد راجعه الأستاذ محيى الدين صبحى وأشار إلى وجوه النقد والخطأ والاتحاف فيه قال :

كان الدين الإسلامى هو المرشد الإيدلوجى للمفكرين السياسيين فى الحضارة العربية فإذا أراد مؤرخ أن يفهم التيارات السياسية فى الحضارة العربية فعليه أن يكون عيق الاطلاع على مفهومات الإمامة والإجماع والشورى وأهل الحل والعقد ، وصلات المسلمين بغيرهم وموارد الدولة من الزكاة والنفى والخيرية والصدقات والغنائم ومكانة القضاء والجهاد والدعوة إلى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ودورها فى المجتمع العربى الإسلامى .

ومن هنا فإن الحقيقة لا يكشفها سوى مسلم ولا يجمعها سوى مسلم خبير بأسرار اللغة متبحر بأسرار الشريعة .

وتتأكد هذه الحقيقة فى قراءة الموسوعات الأجنبية التى يكتبها الغربيون والمستشرقون — مهما كانوا منصفين عن الحضارة الإسلامية التى

يسمونها الحضارة العربية . انهم لا يستطيعون التفرقة بين العصور الوسطى المظلمة فى أوربا والعصور المضيئة فى عالم الاسلام . انهم لا يستطيعون معرفة مصدر وحدة الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والفينيقية والآرامية التى تشترك مع الحضارة الاسلامية فى اصل واحد ، ولا ما يسمى بالهجرات السامية التى خرجت من اليمن وجنوب الجزيرة العربية لأنها لا تعرف النقطة الاولى : الحنيئية الابراهيمية ، لانهم لا يكشف لهم عن حقيقة الأثر الذى أحدثه الاسلام فى أنه علامة على دخول البشرية عصر الرشد من ناحية ولأنها كانت علامة اليقظة فى عالم الغرب نفسه ، وتحرير الانسان من الوثنية وتحرير البشرية من عبودية الكهان والملوك والأكاسرة .

ومن الأخطاء التى وردت فى هذا البحث :

ان سقوط بغداد عام ١٢٥٨ ليس نهاية لسقوط الحكم العربى فان الامبراطورية الاسلامية بين الصين وفرنسا استمرت من ٦٢٤م الى ١٤٥٣م من فتح سوريا على يد العرب المسلمين وسقوط القسطنطينية بيد الأتراك العثمانيين وقد جاء بعد سقوط بغداد المماليك والأتراك العثمانيون . هذا ولم تسقط غرناطة فى يد الكاثوليك الا عام ١٤٩٢ م

ثانيا : الألف سنة التى تمثل العصور الوسطى الأوربية وازدهار حضارة الاسلام يقترح المؤلف كلود كوهين حذفها من تاريخ العالم . هى عصر السيطرة الاسلامية حيث تفتحت حضارة العرب وأنطوت مخازى البربرية الرومانية العرقية والعسكرية والدينية الى غير رجعة .

وقد قدمت الحضارة الاسلامية نظرة الى الكون تقسم بالتوازن من الانسان والطبيعة تحت مشيئة الله . وموقف العدل والشورى بين الناس على اختلاف عروقهم وطبقاتهم ودياناتهم على أساس أن الحضارة الرومانية بنيت على أساس تفوق العرق الرومانى وسخرت شعوب الامبراطورية كلها لاطعام اهل روما المقدسة .

ثالثا : هاجمت كتابات الغربيين الدولة العثمانية ولم يعد يذكر عن هذه الامبراطورية العظيمة سوى الرجل المريض والانتكشارية ومذابح الأرمن

واليونان . نعم لقد تفككت الدولة سياسيا ولحق القاتون العربى ظل
امرا قائما هائما قام بانتم الاسلام ، وقد تعاون العرب مع الاتراك دون النظر
الى السياسة .

كذلك فان الاتراك لم يقيموا وحدتهم مع العرب الا بعد ان طلب العرب
منهم ذلك ، وان الانحطاط لم يحدث الا فى القرن السادس عشر بعد انقضاء
خمسائة عام على قيام دولتهم .

ولكن كتاب الغرب يتعسفون فى التركيز على الاقليات العرقية
والدينية مع ان العرب يفخرون بتسامحهم الذى اتاح لاختلف الطوائف حرية
الاعتقاد والعبادة .

(٣)

كتاب الفزالى : الجام العوام فى علم الكلام

كتبه الامام ابو حامد الفزالى فى آخر ايامه وملأته عبارة الندم عما
وقع منه وتكررت فيه الاتجة الصريحة وقد تحول به عن التصوف الى مذهب
السلف يدعو فيه الكتاب الى الكف عن علم الكلام ويقول :

اما الآن فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف وفى
اقامة البرهان على ان الحق هو مذهب السلف برهانان : عقلى وسمعى .

اما العقلى فاثنتان كللى وتفصيلى . اما البرهان الكلى على ان الحق
مذهب السلف فيكشف بتسليم اربعة اصول هى مسلمة عند كل عاقل .

اعلم ان الحق الصريح الذى لا مرأى فيه عند اهل البصائر هو مذهب
السلف ، اعنى مذهب الصحابة والتابعين وهانذا اورد بيانه وبيان برهانه
فأقول :

حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا . ان كل من بلغه حديث من
هذه الأحاديث من عوام النطق يجب عليه فيه سبعة أمور هى التقديس ثم
التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم
لاهل المعرفة . اما التقديس فاعنى به تنزيه الله تبارك وتعالى عن

الجسمية وتوابعها والنبي صلى الله عليه وسلم أفاض الى الخلق ما أوحى اليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم ، وأنه ماكم شيئاً من الوحي وأخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الا لذلك ولذلك كان رحمة للعالمين .

روح الاسلام

وجه بعض المفكرين النقد الى هذا الكتاب من وجهة نظر مفهوم اهل السنة والجماعة فأشار الأستاذ محمد ذيب مرزا الى أنه يحتوى على عبارات تتضمن سموماً وأباطيل ومغالطات وأخطاء لا يمكن أن تصدر عن يريد الدفاع عن الاسلام . فالمؤلف يحاول أن يوحى الى الذهن أن القرآن الكريم ماهو الا نتاج عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم المتأثرة بظروف البيئة المحيطة به . يقول ص ٤٠ (ويكل ماقى الخيال الشرقى من ابداع كان محمد يرسم لأصحابه الجزاء العظيم الذى ينتظرهم) ويقول (بل موسيقى روحية لا تصدر الا عن صفاء ضمير محمد حين يتصل بربه فيجود عليه بتلك المعجزات والذين يستعملون مثل هذا التعبير يقصدون الى أن صفاء الضمير يجعل الانسان يتخيل أنه يتصل بربه .

وفى ص ٢٢٥ يكرر نفس الفكرة مع اضافة زعم جديد بأن المعتقدات التى جاء بها الاسلام انما هى مستعارة من الأمم السابقة وهى نفس الفكرة التى تتكرر فى كتابات المستشرقين : يقول (فان الأوصاف للجنة والنار عند محمد والمستعارة من الخيالات الطائفية عن الزرادشتى والصائنى واليهودى والتلمودى يسترعى الانتباه كصورة جانبية فقط .

الملاحظة الثانية : عدم التزامه بالنصوص التاريخية ونصوص بعض الأحاديث بدقة ويعتذر المترجم عن ذلك بأن هدف الكاتب كان توجيه كلامه الى المثقفين الأوربيين ، وهذا يعنى أنه حور وعيدل فى النصوص لتكون ملائمة لأفهامهم .

والحقيقة أن الذين ينظرون الى العقلية الغربية التى ترفض الايمان بغير الأشياء المادية المحسوسة نظرة التمجيد والتعظيم يتملقون هذه العقلية عادة فى كتاباتهم .

ومثال على ذلك أذكر فيلم الرسالة الذي قيل أنه صور لشرح الاسلام
فالفيلم كان ناجحا في تحريك عدد ضخم من الأشخاص ، ولكنه كان
فاشلا في توضيح الأساس الروحي والايمان العميق الذي حرك الأحداث
والأشخاص في ذلك الزمان . ولتقريب الاسلام من مدارك الغربيين كما
يدعى تحدث المؤلف عن نوع من الماسونية في الاسلام ص ١٩٨ وربما يدل
ذلك على أنه ماسوني . أما عبارة كاثوليكية الاسلام في ص ٢٠٢ فلم أفهم
لها معنى بالاضافة الى أنه أنكر وجود الملائكة لأن عقل الانسان حسب
زعمه عن سبر غور هذه القصة .

(ثالثا) حاول كفيhre من اعداء الاسلام ان يدعى أنه لا مانع من ايجاد
تغيير وتبديل وتطوير في احكامه لتصبح ملائمة للعصر الحاضر ، وان الاسلام
نفسه لا يمنع من ذلك ، وهذا يمكن في زعمه بعد تخليصه من التفسير
الحرفي للنصوص والفتاوى التي اصدرها الفقهاء واهل العلم لانهم حاولوا
حسب اقترائه أن يشوهوا مجد دينهم (الصفحات ٢٠٦/٢١٣/٢١٤) .

(رابعا) : الأخطاء التاريخية التي وقع فيها ولم ترد في كتب السيرة

— زعمه أن الكل كان يطلقون على النبي لقباً ثانياً (ص ٧٦) .

— خلطه بين أحداث معركة بدر والخندق (ص ٧٧) .

— زعمه أن عمار بن ياسر قتل تحت التعذيب (ص ٤١) .

— ادعاؤه أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان عضواً بارزاً في
حلف الفضول .

— زعمه أن جيش المسلمين قد سبى حليمة السعدية مرضعة
الرسول (ص ١٨) .

— زعمه أن الرسول قد أعدم ستة من الخائفين وربما بعض
المنافقين (ص ٧٦) .

— ادعاؤه أن الامويين كانوا وثنيين في قرارة نفوسهم (ص ٣٠١)

الحركات الفكرية في الاسلام : بندلى جوزى

هذا الكتاب يحمل تفسيراً مادياً للتاريخ الإسلامى ويحمل وجهة نظر متعصبة للإسلام ، ويرى الأستاذ محمد عبد الله عنان أن موضوع الكتاب الحقيقى هو الشيوعية فى الإسلام ، وأن الفكرة التى يحاول أن يعرضها المؤلف ويعمل على إثباتها بكل وسع الجدل والاستشهاد هى أن مبادئ الإسلام تركز إلى أسس شيوعية وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان بطلاً من أبطال الفكرة الشيوعية فهما فى القرن السابع كما فهمها ماركس وانجلز فى القرن التاسع عشر ، وكما طبقها لينين فى روسيا البلشفية مع أن البلاشفة لم يلقوا من الفشل فى اذاعة الدعوة البلشفية قدر ما لقوا فى الأمم الإسلامية (القوقاز وأذربيجان والتركستان وقازان) فاتهم لم يفلحوا فى بث مبادئهم فى هاته الجماعات الإسلامية التى يسيطرون عليها ومازأوا يلقون مصاعباً فاحشة فى ضبطها وحكمها طبقاً للنظم الجديدة ، ولقد كانت غايتهم تحطيم النظم الاجتماعية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى وهو شطر من الغاية أو الثورة الهدامة أو الثورة العالمية التى يعمل لتحقيقها زعماء البلاشفة ووجهها الثانى مناوأة الاستعمار البريطانى الذى تخضع لصولته هذه الأمم ، ولكن البلاشفة يصدمون فى كل مجتمع إسلامى بمبادئ الإسلام وتعاليمه ولا يرون منفذاً إلى بث الدعوة الشيوعية بين أبناء دين قامت أنسبه الاقتصادية على احترام الملكية الفردية واحاطتها بكل ضروب الحماية .

يقول بندلى جوزى : أنه قد أصبح من المقرر أن الإسلام مسألة اقتصادية واجتماعية أكثر منها دينية وأن الأمير كاتيانى الإيطالى يقول أن الإسلام لم يكن حركة دينية إذ لم يكن فيه دين الا الظاهر أما الجوهر فكان سياسياً واقتصادياً ، وهذا ولا شك انحراف فى الفهم وتجهيل للألفاظ غير ما تحمل .

كذلك فإن بندلى جوزى يحاول تصوير المجتمع العربى عند ظهور النبى مجتمعاً يصطدم بالنزعة الشيوعية ، ويقوم على طبقة المهرجن وأصحاب البنوك وسدنة الكعبة وأصحاب السلطة ، وطبقة الأرستقراطية وطبقة الصغار والكهنة وهو يمهّد بهذا إلى القول بأن النبى كان بطلاً للفكرة الشيوعية

وهو لا يجرؤ على التصريح بهذه النتيجة في عبارات صريحة بل تراهم يحاول أن يلقي عليها حجاباً بقوله :

(معاذ الله أن نحشر المصلح المكي بين الاشتراكية والشيوعية) .

(وهذا هو نفس اتجاه طه حسين في الفتنة الكبرى بأسلوب آخر)

وكذلك يحاول المؤلف أن يجعل من بعض الحركات التي قام بها بعض الفرق حركات شيوعية محضة فيزعم أن حركة بابك الخزمي وأتباعه في شمال أذربيجان إنما كانت ثورة شيوعية محضة وعلى هذا النحو يريد أن يصور قيام الإسماعيلية والقرامطة مع أن القرامطة كانوا ثواراً على الإسلام والمجتمع الإسلامي ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن مزاعم هذه الفرق كانت في عصر من العصور أسساً مقررّة للإسلام أو المجتمع الإسلامي .

الدين بين السائل والمجيب

كتاب ميرزا الحائري

تتركز شبهة المؤلف في ادعائه أن هناك مصحفاً آخر غير القرآن يدعى مصحف فاطمة وهو بهتان باطل ، فعلماء السنة مجمعون على أن المصحف الشريف الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي بين أيدي المسلمين الآن : آية آية وحرفاً وحرفاً ويجمعون على كفسر من زعم بأن هناك مصحفاً آخر .

وكتب أهل السنة (وتفاسير الطبري والبيضاوي والرازي وابن كثير والالوسي) كلها تجمع على تنزيه القرآن عن الزيادة والنقصان . حتى ذكر الإمام ابن حزم الأندلسي كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) أن : القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل أن فقيه الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) ينفي ما اخترعه الذين اغتر (ميرزا الحائري) بكلامهم فقال :

أما الكلام في زيادة ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه

مجمع على بطلانها والنقصان منه ، فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه وهو الاثني بالصحیح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى ، وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة والأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعننا على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه ورواياتنا متناصرة بالبحث على قراءته والتمسك بما فيه .

(البيان : المطبعة العلمية بالنجف ١٣٧٦ هـ)

فالقارئ يرى صراحة في هذا النص أن الطوسي لم يؤسس القول في ذلك بل تبع ما قاله السيد الشريف المرتضى ، وعلى تفسير الطوسي في المكانة عند الشيعة : تفسير الشيخ أبي علي الطبرسي المسمى بمجمع البيان وفيه يؤكد نزاهة القرآن من النقص : فيقول : أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه وأما النقصان فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغيرا ونقصانا والصحیح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع : أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية . وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغفرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضغط الشديد .

وقال المرتضى قدس الله روحه :

ان العلم بتفصيل القرآن وإبغاضه في صحة نقله كالعلم بجمليته وجري ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جمليتها ، حتى لو أن مدخلا أدخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب . ومعلوم أن العناية

ينقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء .

وذكر المرتضى : ان القرآن كان على عهد رسول الله مجموع مؤلف على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن عدة ختمات ، وكل ذلك يدل بآدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتباً غير مبتور ولا مبثور ، وذكر أن من خالف ذلك من الإمامية والحنوية لا يعتد بخلافهم (مجمع البيان ج ١ ص ٣١) .

واستمر هذا التنزيه للقرآن عند مفسرى الشيعة حتى الأزمان الأخيرة حيث أخذهم عنهم محمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشانى أحد كبار علماء الإمامية فصرح في تفسيره (الصافى في تفسير القرآن) عند تعقيبه على الآية الكريمة (انا نحن نزلنا الذكر) بمثل ذلك وقال (وانا له لحافظون من التحريف والتغيير والزيادة والقصان ، ونقل عن محمد بن على بن بابويه القمى قوله : اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله هو ما بين الفيتين وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك)

محمد رسول الحرية

لبعد الرحمن الشرقاوى

قال الأستاذ محمد أبو زهرة : ان الكتاب كان له اتجاه غير دينى في دراسته فهو مادرس محمدا صلى الله عليه وسلم على أنه رسول يوحى اليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرّها الكاتب على ما يريد . وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ويهونون من أمره وهى في نشرها بين المسلمين مصدر توهين للعقيدة الإسلامية وباعث على الفتنة وهى غير صادقة ومنفرة للقلوب ومضعفة للايمان .

أولا : الكاتب يقطع النبي صلى الله عليه وسلم عن الوحى ، فكل ما كان من النبي من مبادئ وجهاد في سبيلها ، إنما هى من عنده لا يوحى

من الله تعالى ، وهي به بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته والعنوان (انما انا بشر مثلكم) يعلن أن ما وصل اليه النبي صلى الله عليه وسلم من مبادئ جاهد من أجلها بما هو صادر عن بشرية كاملة لا عن نبوة ..

وقد اقتطع هذه الجملة مما قبلها وما بعدها ، ونصها الصحيح (اقبل انما انا بشر مثلكم يوحي الى انما الهكم اله واحد) وهو بهذا الاقتطاع ينفي الوحي عن الحياة المحمدية .

ثانيا : ينفي الكتاب الخطاب السماوي للرسول ولا يذكر أن جبريل خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في العيان وتصويره للوحي بأنه حلم في النوم يخالف ما اجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بالعيان لا في المنام : الأمر الذي تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله الى الذين يصطفاهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الالهية لاهل الأرض .

ثالثا : انه يقطع الرسالة عن الرسول ويقطع الوحي عنه وينتج الى القرآن فيذكر عباراته احيانا منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم على أنها من تفكيره ومن قوله لا أنها قرآن موحى بها وقائله هو الله سبحانه وان ذلك ماثوث في الكتاب بكثرة .

وهو ينسب بعض آي القرآن الى النبي . وكذلك ينسب ابطال التنبى الى النبي ولا ينسبه الى الله تبارك وتعالى . وكذلك ينسب تحريم الخمر الى النبي .

رابعا : يذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارب النبي صلى الله عليه وسلم .

وما كانت قصص النبي الا من القرآن وما كانت له رحلات في بلاد العرب بل انه لم يخرج من الحجاز الا مرتين احدهما في الثانية عشرة والثانية وهو في الخامسة والعشرين .

خامسا : يرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن ويأبى محمد بالرسالة

بل ان ذكر الله تبارك وتعالى يندر في الكتاب ، بل لا تجد له ذكرا قط ولم يذكر القرآن الا نادرا بل لا تجد له ذكرا قط . واذا ذكر آية ذكر انها مهمة نفس النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو لا يذكر كلمة القرآن على انه منسوب لله في مقام يومي بالتشكيك في صدقه ويوهم بأن به تحريفا وتسييلا ومحاولة التقاط واحد من كانوا يشركون مع الممشرات في كتابة الوحي لاثارة هذه الشبهة .

سادسا : انه ليوهن شأن النصوص سواء اكانت قرآنا ام احاديث عندما يقرر ان الحكم في الاسلام بالقرآن او السنة او الراى على انها متساوية والمسلم مخير بينها .

سابعا : موقفه من النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث من عند الله خاطيء فان الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على اسس صادقة بل على ماينافي كل الحقائق التاريخية تماما .

١ - ادعى ان النبي يلقب الى اليوم مع عمه وهذا ما لم يذكر في الصحاح عن تاريخ النبي وذكره المستشرقون من غير سند تاريخي .

٢ - يسترسل ويدعى ان محمد كان رحالة معنيا بما عند الرومان والفرس ، وغير صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم جاب البلاد العربية شمالا وجنوبا ، وانه كان معنيا بمعرفة ما عند الرومان والفرس وان كل ذلك لا يوجد مايدل عليه في التاريخ الاسلامي والمصادر الصحيحة .

٣ - يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الكتابة من ملاحظته للحروف وان هذا تزهد في الروايات .

٤ - يذكر ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد سحر وهذه دعوى باطلة ، وقد ورد ذكر السحر في بعض الروايات ولكن الثقات والمحققين من العلماء ردوها وثبت بالدليل القاطع بطلانها . وان المستشرقين يطيلون من ذكرها توهينا لشان الدعوة الاسلامية .

مسرحة الحسين شهيدا

ان محاولة كتابة حياة الصحابة علي هيئة مسرحيات بأقلام كتّاب ماركسيين أو شعوبيين من شأنه ان يقلل من اقدار هؤلاء الرجال الأعزّاء ويفتح الطريق أمام الجرافة عليهم بالنقد والتعرض لهم كأنهم شخصيات سياسية وتاريخية اعتادوا نقدها أو الولوغ في عرضها دون تقدير للخطر البالغ الذي يترقب على هذا العمل مما يتصل بالاسلام نفسه . ومن عجب ان هؤلاء الكتّاب الذين تعرضوا لهذه الدراسات لم يكونوا مؤرخين أصلا يحملون امانة العمل ويقدرّون مسؤوليته وانما كانوا من الأدباء والشعراء الذين اطلقت لهم حرية التعبير دون ان تحاط بسيّاح من الكفاية العلمية أو التقدير الكامل للظروف والقيارات والعوامل المختلفة التي تكثف تاريخ الاسلام كله ، فمنهج كتابة التاريخ له أصوله وقواعده التي تجعل من العسير على النواة من الأدباء والشعراء ان يحققوا فيه عملا ايجابيا صالحا ، ولما كان لتاريخ الفترة الأولى من حياة الاسلام خطر بعيد الأهمية في تقدير أصول الاسلام نفسه فإن التصدي لكتابة مسرحية أو قصة فيها هو عمل غير يسير الا على من استطاع ان يحيط به ، ومن كانت له من ذاتيته المؤمنة بالاسلام المقدرة لرجاله ومواقفه ما يمكنها من تجنب الخوض في أمور تعددت فيها الروايات وتعرضت لكثير من الإضافات بأيدي خصوم الاسلام نفسه واصطنعت سلاحا لضرب الاسلام والتقليل مكانه في النفوس . ومن الحق ان هؤلاء الصحابة كانوا من معدن آخر يختلف عن معدن الذين جاءوا من بعدهم وهم يمثلون النموذج الاسمي من البطولة الإسلامية ، ومن هنا فلا يمكن تناولهم على هذا النحو الذي نراه في كتب بعض الأدباء المحدثين ، ويمكن ان يقال ان أحداث المائة سنة الأولى من تاريخ الاسلام كانت من معجزات التاريخ ، وهي عمل لم يعلّمه احد في أمة اليونان ، أو أمة الرومان وان الذين يحاولون التقليل من شأن هؤلاء الصحابة هو الاساءة الى الاسلام نفسه في شخصيات العصر الأول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) العبقريات

(٢) الفلسفة القرآنية

يقول غازي التوبة أن الاستاذ العقاد يرد صفات الصديق والفاروق البارزة الى العوامل الوراثية أو التكوين الجسماني والعصبى لهما أو الى الصدف العظيمة ويحاول أن يفسر مواقفهما على ضوء هذه الأسباب . والعقاد يضع هذه الأسباب في المرتبة الأولى في توجيه الشخصية ، وتأتي العقيدة الإسلامية وتربية الرسول عليه الصلاة والسلام في المرتبة الثانية، ان كان هناك دور للعقيدة أو لتربية الرسول عنده ، والعقاد في موقفه هذا متأثر ببعض المدارس الأوربية التي تقس الأفراد وطابع الفردية وتفسر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين . وقد أورد العقاد ذكرا لاحدى هذه المدارس التي تحدد صفات العبقري انطلاقاً من تكوينه الجسدى ، وهى مدرسة لبروزو . والعالم الايطالى لومبروزو ومدرسته التي تأتم برأيه يقررون بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقریات علامات لا تخطئها على صورة من الصور في أحد من أهلها ، وهى علامات تتفق وتتناقض ولكنها في جميع حالاتها وصورها نمتاً من اختلاف التركيب وميائنته للوتيرة العامة بين اصحاب التشابه والمساواة .

ويقول الدكتور محمد احمد الغبراوى : يجب أن يقرأ للعقاد باحتياظ وهو يكتب عن الاسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرا لأدبيته وعلمائه وهو شيء كثير . وليس كل ما كتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب يتفق وما قرره القرآن . ولكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد فهو ينظر الى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ويسدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية فريزر في نشوء الأديان فهي عنده ليست سماوية ولكن أرضية نشأت بالتطور والترقي الى الأحسن . ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها واذن فهو خيرها ، من هنا تفضيله لماسماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات .

ويقول: ان لم يكن هذا هو تفسير اطلاق اسميه الغريبيين على كتابيه عبقرية محمد والفلسفة القرآنية فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن ينتبه اليه قارئ الكتابين من المسلمين ، لينجو بما أمكن مما توحى به التسميات من أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبقرى من العباقرة لا نبي ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف في الأديان المنزلة . ويؤكد هذا الإيحاء أن جاء الكتاب واحدا من سلسلة كتب العبقرية الإسلامية وأن يكون أولها . فالنبايىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبى بكر وعبقرية عمر مثلا لا يمكن أن يسلم من إيحاء خفى الى نفسه أن محمدا وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباقرة وأن يكن أكبرهم جميعا ، كالذى سمي النبي صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبي والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحى ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل . فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير . وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى ، وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله ائى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين .

والفلسفة القرآنية تسمية أخطر من عبقرية محمد ، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان خالق القرآن كما وصفته السيدة عائشة أم المؤمنين ، فهو خلق للعباقرة والأبطال منه نصيب ، اذ العظمة كلها والكمال الإنسانى كله فى اتباع ما جاء به القرآن ، فلأن يحشر صلوات الله وسلامه عليه فى العباقرة اقرب الى الصواب من أن يحشر القرآن فى الفلسفات . ان الذى جرت به عادة الناس أن ينسبوا الفلسفة الى صاحبها فيقال فلسفة أرسطو او فلسفة ابن رشد فماذا يمكن أن يراد باترى اذا قيل فلسفة القرآن او الفلسفة القرآنية . ان القرآن كتاب الله ليس لخلق فيه حرف ملك أو غير ملك ، فهل يمكن على هذا أن يقال أن الفلسفة القرآنية معناها فلسفة الله فى القرآن . ومن هنا تبدو بشاعة هذه التسمية بالنسبة الى كتاب الله فهى تسمية لا تستقيم الا ان كان القرآن كتاب محمد كما زعم المستشرقون ، فيكون معناها فلسفة محمد كما جاءت فى القرآن . وتسرب هذا المعنى الى نفس القارئ المسلم الناشئ عن طريق الإيحاء هو الخطر

السكان في تلك التسمية ، وهو عيبها الذي ينبغي أن يكون أول ما يؤخذ على الكتاب ، وشر منه ما توجه التسمية من أن القرآن يمكن تلخيصه أو شرحه تحت هذا الاسم العجيب .

وقد وقع العقاد في الخطأ وخالف القرآن الذي هو موضوع كتابه بذكره ما قاله فريزر ومن اليه عن الإنسان الأول وحيرته في القوى التي أحاطت به ورهبته إياها وعدم أهتدائه إلى مصدرها ثم محاوله من استرضائها واللياذ بها أو ببعضها كلما رغب أو رهب بعد أن أخذ في الترقى .

والكلام على الإنسان الأول بهذه الصورة خطأ فاحش صححه القرآن الكريم ، فالإنسان الأول في القرآن هو آدم أبو البشر وأول نبي في الأرض ، لم يعبد إلا الله ولم يلجأ إلى سواء مخالفة محذور أو ابتغاء مرغوب ، لكن كان من ذريته من الأمم من ضل عن الله ، وكان الضلال على درجات في العصر الواحد وفي العصور المتعاقبة . وجاء فريزر ومن لف لفه لفهم هذا الضلال على الجنس البشري وجعل من درجاته سلسلة أو سلاسل بعضها أعمق وأعرق في الضلال من بعض أو بعضها أقل ضلالا وأقرب إلى الرقى من بعض ، تطبقا منه على الأديان ، لما جاء به (دارون) تفسيرا لنشوء الأنواع في عالم الحيوان ، حين لا صلة مطلقة بين المبدئين حتى يمكن أن يقاس عالم على عالم أو ميدان على ميدان . ولو كانت نظرية (فريزر) واقعة في دائرة العلم التجريبي ما قبلها منه أولو العلم لسببين على الأقل كل منهما مبطل لها أو كاف لإبطالها (أولهما) : أنها لا يمكن اختبارها بالتجربة كما تختبر الفروض ونظريات العلوم التجريبية (ثانيها) ظاهرة الأنبياء والرسل الواقعية في التاريخ والتي لا يمكن مطلقا الجمع بينها كحقيقة تاريخية وبين تلك النظرية المسرفة التي لا تعترف بقوة أو رسالة الهية كالتي أجمعت عليها الأديان السماوية وهناك الآن شبه إجماع على تطور الحيوان بفضه من بعض إذا افترض وجود الحياة على الأرض في المبدأ ولو في صورة خلية واحدة : حية مائية كالأميبا مثلا ، لكن وجود الحياة ولو على هذه الصورة في الأول لا يدرون له تعليلا ولا تفسيرا ، لأن الأرض كانت كتلة نارية فلما بردت كانت مقفلة تعقما تاما فمن أين للحياة أن توجد فيها إلا بأمر الإله الحكيم وتدبيره .

واذا وجدت الخلية الحية فى الماء فمن أين لها التطور الى كل هذه الأصناف من الحيوان الا بأمر الله القادر الحكيم وتدبيره . واذا وجدت الخلية الحية فى الماء فمن أين لها التطور الى كل هذه الأصناف من الحيوان الا بأمر الله القادر الحكيم وتدبيره فهذا ادل على الله سبحانه وقدرته وحكمته فى خلق الأنواع كل نوع بذاته مستقلا عن غيره كما كان يعتقد الناس قبل أن يجيء دارون بنظريته ليفسر نشوء الأنواع . وعلى كلا الأمرين البديلين فوجود الحياة فى الأرض المعقمة أولا وتنوعها ثانيا — مهما يكن طريق هذا التنوع — دليل هاد الى الله سبحانه الذى خلقها وأوحدها ودبر أمرها وطورها ونوعها ورقاها وجعل أنواعها متنامية متكاملة ويعيش الحيوان لا غنى له عن النبات لتستمر له الحياة .

ودارون لم يفعل أكثر من أن سار فى الأرض ونظر كيف بدأ الله الخلق وأن نسب ذلك لغير الله خطأ منه وغفلة اذ نسب الى مآلظه عوامل التطور ما كان ينبغى أن ينسبه الى رب هذه العوامل ومقدرها ، وأخطأ مرة أخرى اذ عمم التطور حتى شمل خلق الانسان وان اعوزه فى ذلك ما سماه بالطفة المفقودة التى تخطوا فيها الى اليوم وجعلوا يتصورونها كيف شاعوا بناء على ضرس يجدونه هنا أو عظم قرد أو جمجمة يجدونها هناك مع أن الاحتمالات فى مثل هذا أكثر من أن يثبت معها أو يتعين بها هيكل ما يسمونه انسانا أو شبه انسان . وهم أحرار فى أن يتصوروا أو يعترضوا ما شاعوا مادام النقد العلمى مازال موجودا لكنا معشر أهل القرآن لا نخضع ما اتصل بخلق آدم من آيات القرآن لتصوراتهم تلك أو لغرضهم . فالقرآن كتاب الله يحكم على نظرياتهم ولا يخضع لها . وهو يقرر أن آدم ابا البشر لم يخلق فى هذه الأرض حتى يتناولها التطور الذى خلق الله احياءها عن طريقه قبل أن يهبط آدم وزوجه الى الأرض بأمر الله وأن جنح بعض المحدثين من المفسرين الى أن آدم خلق على هذه الأرض وأن جنته كانت على هذه الأرض ، غافلين عن فقه قوله تبارك وتعالى (ولنكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) حينما أمروا بالهبوط وأخرجوا من الجنة ومن أن هناك فى ملكوت الله ست أرضين أخرى غير أرضنا هذه طبق آية آخر سورة الطلاق ولا بد أن يكون آدم خلق فى احداها وكانت جنته فيها .

وعلى أى حال فحقيقة القرآن الكريم فى آياته المتعلقة بآدم أبى
البشر تبطل ما قال العقاد عن الانسان الأول تبعاً لما قاله اتباع دارون
فى خلق الانسان .

كتاب الله للعقاد

كتاب الله لمصطفى محمود

فى كتاب الله شرح العقاد هذه النظرية فى شأن تطور العقيدة من
عبادة الطوطم الى عبادة الله . ولا ريب أن هذا الخطأ يرجع الى أن هذه
النظرية منقولة من الفكر الغربى ومن كتابات أحد الفلاسفة اليهود الذى
أراد بها اعلاء شأن التوراة . ولا ريب أن مفهوم الاسلام يكشف عن خطأ
القول بأن عبادة الله قد تطورت من عبادة الطوطم الى عبادة الشجر
والحجر ومنها الى عبادة الأفلاك والنجوم ثم صارت أرباباً متعددة لها أنه
أعظم هو زيوس أو جوبيتر ، ثم تحولت الى عقيدة توحيد مخصوصة لشعب
واحد عند اليهود وهو يهوا رب اليهود فقط وهو شعب الله المختار ثم
تطورت العقيدة الإلهية لتصبح الثالث (الأب والابن والروح القدس)
فى المسيحية التى تدعى أنها تؤمن برب واحد فى أقانيم ثلاثة وكانت قمة
تطور العقيدة الإلهية فى الاسلام ، هذا هو الخطأ الذى وقع فيه العقاد ،
ورده مصطفى محمود حيث جعل العقيدة الإلهية تتطور من عبادة الطوطم
الى عبادة الأجار الى عبادة النجوم الى عبادة الآلهة المتعددة .

ويتحدث مصطفى محمود عن الانسان الأول الذى كانت روحه ترتجف
جوعاً الى الأيوان مثلما يرتجف جسده جوعاً الى اللقمة والأمان ويقول
بالنص : (ظن أن أباه الميت الذى يظهر له فى الحلم هو الله فعبدته وذبح
له القرابين واتخذ من قبره محراباً مزاراً) .

ثم جاء التطور من اله متجسد الى عبادة روح مجردة بلا شكل
ولا جسم .

ولا شك أن مفهوم تطور العقيدة عند الكتّاب ينقض القرآن ،
فالقرآن يخبرنا أن أبى البشر آدم عليه السلام كان نبياً موحداً على أنقى

صور التوحيد ولم يكن اخناتون عابد الشمس هو أول موحد على وجه الأرض كما يزعم العقاد ومصطفى محمود ونجيب محفوظ . ويخبرنا القرآن الكريم أن نوحاً عليه السلام كان من أولى العزم من الرسل وكان على انقى صور التوحيد وأعلاها وهو الذي دعا قومه الف سنة الا خمسين عاماً الى عبادة الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ثم جاءت الرسل تترى (هود وصالح وشعيب) وابراهيم وبنيه اسماعيل واسحق ومن وراء اسحق يعقوب ووضى بها يعقوب بنيه ودعاهم الى أن لا يهوتن الا وهم مسلمون ، ويوسف الصديق الذي قال : توفي مسلماً والحقني بالصالحين واستمر ركب التوحيد في ركب النبوة : الى موسى وعيسى . وقد أخطأ العقاد ومصطفى محمود في القول بأنه ليس في التوراة ذكر للتوحيد الا قبيل زمن المسيح وأنه ليس فيها ذكر للجنة والنار واليوم الآخر وليس فيها أى سمو الى آخر ما يناقض صريح القرآن . والمعروف أن اليهود حرّموا التوراة وبدلوا كلام الله ليشتروا به ثمناً قليلاً كما وصفهم الله تعالى في القرآن ، ويقول الحق (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) .

وهكذا نرى أنه ليس من اختلاف قط في العقيدة وأن التحريف والتبديل قد حصل على فترات من الرسل ، فأدّم عليه السلام وبنوه كانوا موحدين ولكن الذراري طال عليهم العهد فنسوا حظاً مما ذكروا به فتولوا وكفروا . فأنزل الله الانبياء والرسل يردونهم الى جادة الحق ، وتاريخ الانسانية من فجرها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يمثل هذا الصراع الدائم بين الحق والباطل ولا اختلاف بين الرسالات جميعاً في العقيدة ، وإنما الاختلاف بين الشرائع في التفاصيل . ومن رحمة الله بالعباد أن جعل أحكام الشريعة السابقة منسوخة بالشريعة اللاحقة يبقى منها ما يصلح لذلك الزمان وينسخ الله الأحكام الأخرى تخفيفاً ورحمة : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) .

وقد حسب الكاتبان أنهما يؤديان للإسلام خدمة وما كريا أنهما يخالفان صريح القرآن وأن الخلط بين أنبياء الله وبين اخفانون : فرعون مصر وعابد الشمس والقائل عن نفسه أنه ابن الآله ومن صلبه ملك مصر العليا والسفلى وسيد الأرضين كيف يقال عنه أنه أول الموحدين .

وخطأ العقاد قوله أن التطور فى الديانات محقق لاشك فيه ولا ريب أنه قد خدع للقراءات اليهودية التى دير بها التلموديون مؤامراتهم للدعاء بأن دينهم أول دين توحيد : ومن متابعة هذا الخطأ نرى كتب اليوم يقولون (ولما جاء عصر الأديان) يقصدون اليهودية مع أن دين الله قائم منذ أبى البشر آدم لم ينقطع (محمد على الباز) .

حياة محمد

تعرض كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكلى الى نقد شديد فقد جرى فيه كاتبه مجرى المتابعة لمنهج المستشرقين ، بل أنه بدا كتابه بترجمة فصولا من كتاب حياة محمد للمستشرق الفرنسى اميل درمنجم الذى كتب كتابه تحت تأثير ظروف العلاقات السياسية بين المغرب الاسلامى وبين فرنسا الكاثوليكية ، ولذلك فقد حاول فيه أن يعمل على تقريب وجهات النظر مما فات الدكتور هيكلى فخدع به وتابعه :

وقد كشف هذه الأخطار فى نفس الوقت الذى كان هيكلى يترجم فصول كتاب صاحبه ويعلق عليها وهو الدكتور حسين الهراوى . كما نقد هذا الاتجاه شيخ الاسلام مصطفى صبرى ثم جاء بعد سنوات الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فواجه هذا التيار فقال :

ان من أسباب نشأة هذه المدرسة فى حينها : ذلك الانبهار الذى أصيبت به كثير من العقول العربية المسلمة من أنبياء النهضة العلمية فى أوربا فقد راحت تلك العقول تتوهم — تحت تأثير ذلك الانبهار — أنه ليس من المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة الا أن يفهموا الاسلام هنا كما فهمت أوربا النصرانية هناك ، وأن يضعوا حقائق الاسلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغيره علم ، ولا يعرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع فان فعلوا ذلك نهضوا

نهضة أوربا فى علومها ولحقوها فى وقيها وفنونها . وكان من مظاهر هذا الإصلاح ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلًا يسير فى خضوع منكسر وراء العقلية الأوربية وتحت لواء مازعموه (العلم الحديث) أجل فقد كان كتاب (حياة محمد) لحسين هيكل التجربة الرائدة فى هذا المضمار أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام الا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات ، فى حياته عليه الصلاة والسلام وانما هو القرآن والقرآن فقط . وانبرى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر يقرط الكتاب ويبارك الخطوة الرائدة وانطلق محمد فريد وجدى هو الآخر يفشر سلسلة مقالاته داعيا الناس الى فهم الاسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم ، ولو اقتضى ذلك الاعراض عن الخبر الصادق الذى ثبت فى الكتاب والسنة وانما كان يقصد بطريق العلم الا يستسلم العقل للغيبات ولا للخوارق والمعجزات وان جاء بها الخبر الصادق المتواتر . كأن العلم انما يتحقق بانكار كل مالم يقع تحت حسك وشعورك ، كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهيأ لها سبب ظروف خاصة أحاطت بها وهى أن تطلع على الحياة الأوربية فتستهويها زخارفها وملذاتها فاتخذوا من نزوات أنفسهم حاكما متسلطا على عقولهم واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الدينى وباطنها الاستخذاء النفسى والانبهار الفكرى بين يدى نهضة الغرب ، ومع الأسف فان هذه المدرسة لم تكسب الى نهضة علمية كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يتوهمون . لقد كان من الخطأ ان يحاول المسلم فهم حياة رسول الله على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو داهية محنك فمثل هذه المحاولة ليست الا معاندة أو معابثة للحقائق الكبرى التى ترخر بها حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد اثبتت الحقائق أن النبى كان متصفا بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى ، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة كبرى واحدة فى حياته عليه الصلاة والسلام ، الا وهى أنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل ولا ينبغى للمسلم ان يتصور أن المعجزة الوحيدة فى حياته صلى الله عليه وسلم انما هى القرآن مادام أنه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة يحاول أن يفهم حياته من خلالها . أما اذا كان ينكر وجود هذه السيرة فان

عليه أن يبكر معجزة القرآن أيضا إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة
الا من حيث بلغتنا معجزة القرآن .

وقال الأستاذ حسين الهرأوى للدكتور هيكى فى التعليق على مانقله
عن درمنح : .

كأنى بالأستاذ يعجب بما فى الكتاب وما يحويه من آراء تقرب
مسافة الخلاف بين الاسلام والنصرانية على مايفرضه من حسن النية فى
المؤلفوالعاطفة الدينية والأدبية فى الناقد الا أننا رأينا العلمين يسيران
معا فى الطريق الذى رسمه جماعة المستشرقين .

يقول هيكى والواقع أن النبى صلى الله عليه وسلم منذ الساعة
الأولى بل من قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحى كان أشد مايكون نفورا من
هذه الوثنية التى نشأ أهلها من قريش فيها وأشد مايكون ميلا لهذه المعانى
الروحية التى يتحدث عنها النصارى واليهود المنبثون من أهل الكتاب فى
أنحاء شبه جزيرة العرب ، فحين كان يتصل بهم أثناء ذهابه الى الشام
والى اليمن فى القوافل قبل أن يقوم فى تجارة خديجة وبعد أن قام بها ،
هذه المعانى الروحية هى التى دفعته الى أن يتحدث فى كل عام بفار حراء
شهرأ أو أكثر من شهر ، ثم قوله : هذا الاتصال بأهل الكتاب وكتبهم
هو الذى أدى بمحمد كما قدمنا لينصح الى الذين اتبعوه بعد أن أمضهم
أدى قريش أن يهاجروا الى الحبشة المسيحية فان بها ملكا لا يظلم عنده
أحد . ويعترض الدكتور حسين الهرأوى على هذا الاتجاه الخطأىء
للدكتور ويقول أن الذى تفهمه من ذلك أن تعاليم أهل الكتاب كانت
قد لفتت نظر سيدنا محمد الى الكمال الروحى والمثل الأعلى وجعلته
يتحدث فى الفار وهذه طريقة المستشرقين فى البحث ورد الهرأوى
على القول بأن مصادر القرآن هى هذه الكتب التى يدعون أن النبى قد
استفاد منها فى سياحاته .

وتسأل الهرأوى فقال : هل حقيقة كانت الهجرة الى الحبشة لأنها
مسيحية ، ويقول أن درمنح شأن المستشرقين بتر هذه القصة بصفة
مشوهة للحقيقة فلم يكن الدافع للنجاشى ورعه وتقواه ولم يكن سبب عطفه
ورحمته ذلك الدافع الدينى بل الدافع الحقيقى أن هذا النجاشى كان عادلا

وهذه هي الخلة التي فكرها النبي حين قال (لأن فيها ملكا لا يظلم
عنده أحد وهي أرض صدق)

وكان من أخطاء درمنجم أن استدلل بالآية البكرية :
(فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرعون الكتاب) .

استدل بها درمنجم على أن الله تعالى رضى الناس الاسلام دينا مع
بقاء الأديان التي سبقت وحدة مندمجة في هذا الكيال الروحي اندماجا
اشار اليه القرآن في قصص اصحاب هذه الأديان .
ولا ريب أن هذه مراوغة خطيرة من الاستشراق يحاول بها أن يفسر
الآيات القرآنية تفسيرا يخدم به أهدافه والحقيقة أن الاسلام كما جاء
في القرآن جاء ليظهره الله على الدين كله وأن الأديان كلها التي سبقت
كانت موصلة اليه لولا أن قادتها حرقوها .

والواقع أن الدكتور هيكل قد تابع منهج المستشرقين وخضع لجهولهم
في الفلسفة المادية بالنسبة للمعجزات وبالنسبة للإسراء والمعراج ولم
يستطع أن يتحرر من التبعية الفكرية .

تفسير عصرى للقرآن

يقول الدكتور منحنى حموده : ان تفسير القرآن هو أسمى مراتب
الاجتهاد ولا بد لمن يتصدى له أن يكون مهتمرا بالقوى والورع والصفاء
النفسى والاشراق القلبى حتى يصافح روح القرآن ويتمزج بأسرارته وينفذ
الى أغواره ويهتدى الى خوافى سحره واعجازه ، وأن يستوفى بعد ذلك
شرائط الاجتهاد ، العناية من بصر واحاطة بلسان العرب ومفرداته والآلات
عباراته وعلومه وفنونه وآدابه وآثاره وعيون ترائه احاطة شاملة وعلميا
ثابتا بالقرآن وأحكامه وطرق استخدام هذه الأحكام الى وعى صادق
ومعرفة وثيقة بوجوه القياس والاهتداء الى العلل والمقاصد العناية
والخاصة للشرع على الاجماع ، وواضح أن الدكتور مصطفى محمود يفتقد
العدة اللازمة لهذا العمل الخطير وليس معنى أن الاسلام خال من الكهنوت
وأن لكل ذى عيثن أن ينظر فيه أنه — أى الاسلام — يستغنى عن العلماء
والمتخصصين المتبحرين فى علومه وأحكامه والذين هم مكلفون ببيانها للناس
على وجهها الصحيح .

(٢) ان من احكام الشرع احكامها يقينية ثابتة منقولة بالتواتر معلومة للعالم والخاص متمتعة على الجدل والخلاف كالتكاليف والمحرمات ، وهذه تخرج عن نطاق الاجتهاد لأن طرح الاجماع حرام ومن جحدتها أو خالف عنها فهو آثم فاسق ، وطائفة أخرى من الاحكام خافية الدليل مفضية الى الخلاف الأبيض فى اكتشاف دليلها ، وهذه تترك للاجتهاد بشرط ألا يمارسه الا من استوفى شرائطه من أئمة الاجتهاد .

والملاحظ ان الطبيب المفسر قد أغفل هذا التقسيم وتجاهل هذه الفوارق وانطلق فى أرجاء القرآن من غير تمييز وتعرض لأصول الدين ذاتها يصوغها على مطلق هواه ومشيبته ، وبالأسلوب الذى يناسب تغير الموديلات وتطور المواضع على أبواب السبعينيات ، فهو مثلا ينكر الجنة والنار ويقول ان الأمر لن يعدو بالنسبة للعصاة نوعا من الندم والعذاب النفسى وبالنسبة للاخيار لونا من الشعور بالراحة والسكينة ، وهو قول يشبه قول اليهود بانكار البعث والحساب وبأن الجنة والنار قائمتان فى الحياة الدنيا وان أغنياء الدنيا هم أهل الجنة والفقراء هم أهل الجحيم .

(٣) اطلاق آراء غير مسئولة ولا معقولة مثل تسامحه فى المعرى الذى تهافتت عليه النساء اذ هو يرى أن بضعة أمتار (كذا) تزيد أو تنقص فى ثوب المرأة لا تؤثر فى دينها وفى صفاء قلبها .

وقال أحمد موسى سالم : ان هذا التفسير رجعى أولا لأنه يزعم للمسلمين أن القرآن كتاب دين أخلاق وليس كتابا فى السياسة وهو بهذا يخفى من أبسط البسائط فى واقع الدعوة الإسلامية وواقع تطبيقاتها ان الدين الذى هو تفسير مجدد للحياة والوجود والكون والانسان والمجتمع والتاريخ يحرك السياسة بكل أبعادها فى الحكم والأموال وعلاقات المجتمع وخصائص الثقافة ومناهج الحضارة ، ولقد ظل القرآن الكريم بهذا المعنى الشامل يحرك السياسة فى المجتمع الإسلامى ويحفظ عليه قوته العلمية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والدولية ، طوال عصر نهضة المسلمين ، وهو رجعى لأنه يعرض الى نذر القرآن بحتمية الموت والهلاك والفناء بصياغات مبهمة تبرق من خلالها ملامح الروحانية الهندية وروح الترفنا التى تحمل الدعوة المرفوضة بالاسلام وهى (أنت تتطهر بقدر ماترفع يدك عن شواغل الحياة وبناء الحياة) . وهو رجعى لأنه لايعرف

المتعزق بين الطبقة والدرجة هذا المعنى الواضح في القرآن الكريم والذي ميزت فيه آياته البينات بين الحديث عن الطبقة في موضوع الكبراء والأزافل والحديث عن درجات المؤمنين أو درجات العاملين فالدرجة في بيان القرآن الكريم تعني التقدم أو التأخر على خط واحد مستقيم يقاس به على نفسه ومستوياته جميع الناس وفق قانون واحد للآيمان والعمل هم جميعا متساوون أمامه من غير تمييز بالعنصر أو اللون أو اللسان . أما الطبقة فهي جماعة من الناس تختلف تماما في مصالحها ولامحها عما تحتها أو فوقها من طبقة أو طبقات في المجتمع الواحد .

وهو قد جعل التصوف هو الضوء في مقابل ظلام المادية الأحادية ، وله وقته في تفسيره للحرام والحلال بحسن نية وقفة صريحة بجانب المادية الغربية المادية الاستعمارية التي لا يقل خطرها الأخلاقي علينا وعلى قمتنا عن المادية الأحادية الشرقية والتي نجد في التفسير الصحيح الأمين والعصري للقرآن الكريم مانرد به دون خفاء على هذه وتلك بكلمة سواء يفهمها العامة والخاصة جميعا » .

وقد ردد كثير من الباحثين أخطاء مصطفى محمود في التفسير وخاصة ما نقله عن ابن عربي من أن عذاب الآخرة عذاب معنوي أو أنه عذاب الضمير والوجدان ، وقال ابن الخطيب أنه لو تدبر آيات العذاب لوجد « كلما نضجت جلودهم » فهل يمكن أن يقع نضج الجلود على الضمير والوجدان .

وخطأه في إباحة النظر إلى من يجرم النظر إليها ، وإباحة ما عليه الآن نسائنا ومثباتنا من انتهاك للخلق واحتقار لتعاليم الإسلام ولو قرأ بعض أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لاستبان حرمة النظر مطلقا بريئة كانت النظرة أم آثمة وذلك لأن ديننا الخفيف حرص دائما على سد الذرائع في كل ما شرعه لنا .

كذلك أخذ على مصطفى محمود أنه أخطأ في تفسير خطيئة آدم في الجنة وحجج برأى منحرف عن نعيم الجنة وأن العسل واللبن والخمر كانت متبعا في صموده عن الدين بادي الأمر ، وأخطأ في القول بأن الله (جل شأنه) هو العقل المحيط ، ذلك أنه لم يرد في أسمائه تعالى اسم العقل ثم ، أن الله تبارك وتعالى فوق كل تصور فلا يصح إطلاق معنى العقل على ذات الله .

كتاب (القرآن عقيدته وتعاليمه)

تأليف محي الدينوف

هذا الكتاب عبارة عن حملة شيوعية سافرة ضد القرآن الكريم فهو يهاجم الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ومؤلف الكتاب هو محي الدينوف السكرتير السابق للحزب الشيوعي السوفيتي في ازبكستان والمفسر للاتحاد السوفيتي في سوريا .

وقد وزع الكتاب في اندونيسيا والكويت عام ١٩٧٤ وكان بمثابة امتداد لخطه تبثها روسيا في حملتها ضد القرآن الكريم والتي بدأتها منذ عام ١٩١٧ وفقا للفكر الشيوعي المسموم الذي يعتبر الدين معوقا لحركة التاريخ وان مهمة الشيوعية القضاء على الدين حتى تندفع حركة التاريخ دون عوائق .

وقد حمل الكتاب مجموعة من الأكاذيب والأضاليل منها قول مؤلفه ان مايقرب من ربع القوائم يشتمل على قصص الانبياء وكثير من الاساطير مخيفة نوعا ما ومستعارة من الديانات القديمة والكتب المقدسة وانه اعادة للكلمات القديمة والحرورة في الفكر الماركسي كله . وهي تلك الكلمات التي تبدأ برفض الحوار الموضوعي والعلمي مع الدين وعلى انها الاسلام ، وواضح ان المؤلف لم يراجع أي كتاب من كتب الاسلام المعتمدة وانما تقصى آراء خصوم الاسلام التي تقول ان الاسلام قتل من شأن النساء أو أرغم الشعوب الأخرى على اعتناقه أو وضع الانسان في مركز ثانوي أو قتل من كبرياء الانسان وكلها اتهامات باطلة جرى تقييدها وهي متواترة في كل مؤلفات الاستشراق الشيوعي والغربي على السواء .

قصة الحضارة

يقول صبحي مارديني ان (ول ديورانت) مؤرخ متحامل فقد قال تحت عنوان القبح الاسلامي في الهند ما يدهش ويستنكر لما تضمنه البحث من تجن وتحامل على حقائق التاريخ ورجاله الأفذاذ المعروفين رغم ما يفرضه الروح العلمية على العلماء والمؤرخين من نزاهة خالصة وتجرد لانتشوبه

شائبة . فقد استسلم ولديورانت الى عواطفه الشخصية المكبوتة وانساق وراء تأويلاته الذاتية المستمدة من ذلك الحقد الماركسى الذى يحمله الغرب على الشرق عامة وعلى العرب والمسلمين خاصة مما جعله منحرفا عن جادة الحق والصواب وينزلق فى مهايات الحقد والبغض .

يقول لعل الفتح الاسلامى للهند ان يكون اكثر قصص التاريخ تلطحا بالدماء وان حكاية الفتح لما يبعث اليأس فى النفوس لأن مغزاها الواضح هو أن المدينة مضطربة الخطى وان حركة الرقيق الذى قوامه النظام والحرية والثقافة والسلام قد يتحطم فى لحظة فى أيدي جماعة من الهمج تأتي من الخارج غازية » .

هل هى تساوى واحد من الف من معارك التتار والمغول فى أصقاع الأرض والحروب الصليبية العالمية التى أفاها العالم المسيحى على العالم الاسلامى ومحاكم التفتيش فى اسبانيا والحربان العالميتان الأولى والثانية .

ويلسى المؤلف تلك المجازر الدموية الجماعية التى ارتكبها أجداده الأورميون ضد الهنود الجمر فى عقر دارهم حين شنوا عليهم حروب الإبادة الشاملة فاستأصلوهم تماما وما زالوا يشنونها ضد الزنوج السود فى أمريكا وأفريقيا وضد العرب فى فلسطين المحتلة .

بينما كان العرب (الهمج كما يطلق عليهم المؤلف) فى الهند يقضون على الوثنية والفساد وينرون أرضه المظلمة بمسدهم وتسامحهم ومدنييتهم وذلك باعتراف زعيم هندى كبير غير مسلم مثل نهرو فى كتاباته .

وقد تألم ول ديورانت كثيرا وكافيكى من فرط الأسى واليأس لما لحق بالمعابد الهندية من احراق وتدمير بعد سرقة تماثيلها الذهبية ونهب ماتحمله من لآلىء وجواهر ثمينة فهل من المدنية والحضارة أن تمتص اقوات الشعب لتجمد فى تماثيل ذهبية تزدان بالأحجار الكريمة وتوضع فى زوايا المعابد لتخدر الشعب الجائع والسيطرة عليه وهل من المدنية والحضارة أن تترك أمثال هذه الثروات الطائلة داخل المعابد بينما يعيش غالبية الشعب الهندى فى فقر وبؤس الا الفئة القليلة جدا فيه وهى الطبقة الحاكمة التى تعيش فى بذخ خيالى وترف حيوى أقرب الى الأسطورة منه الى الواقع .

هذه الحضارة التى يتبلى عليها المؤلف . هذه المدنية التى تبيع
استغلال النساء لتتجر بأعراضهن . وهذا هو السلام الذى يحرض على
قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، فيطلب من الزوجة التى يتوفى
عنها زوجها بأن تقتل نفسها أو أن تعيش بقية عمرها منبوذة محتقرة مهانة
من الجميع . لقد قضى العرب على جميع هذه المفاسد والشرور فأطفئوا نيران
الحروب الطائفية التى كانت تشتعل بين حين وأخرى مختلف طوائف الهند
العديدة فتفتك بهم الفتك الذريع وتهلكهم بالمئات والألوف . قضوا على الوثنية
وحطبوا الأصنام ووزعوا ثرواتها على الفقراء والمحرومين ونشروا العدل
والمساواة بين الجميع مما جعل الشعب الهندى يلتف حولهم ويساعدهم على
حكابه ورفعوا كذلك من مستوى المرأة وكرموها ومنعوا اكرامها على البغاء
وقضوا الى الأبد على تلك الخرافة الشائعة التى تقضى بل تقتل المرأة نفسها
بعد وفاة زوجها وفتحوا أمامها أبواب الأمل عريضة واسعة لتبدأ حياتها من
جديد كما تشاء ومع من تحب .

ولم يكتف ديورانت بهذه المغالطات حول فتح العرب والمسلمين للهند
بل هاجم رجالهم بعنف ووصفهم بالطمع والجشع والقنوة ، وتحامل متعسفا
يشكل ظاهر على فاتح الهند العظيم البطل الإسلامى المجاهد محمود الغزنوى
(٩٧٠ — ١٠٣٠) الذى أمضى ربع قرن من الزمان من حكمه فى حرب
وجهاد حتى ضم شمال غرب الهند والبنجاب لامبراطورية فى وسط آسيا
وقد كان بطلا محاربا وسلطانا أدبيا ضم بلاطه الفارابى والفردوسى
والبيرونى . هؤلاء العرب الذين يصنفهم المؤلف بالهمجية يقول عنهم مؤرخ
أوربى معاصر يدعى ماكس فانتاجو فى كتابه المعجزة العربية (كان من
المنتظر عندما اضمحلت دولة اليونان أن يهضم اليونان الثقافة الهلينية
بسرعة فيحملوا الشعلة الحضارية عاليا أما اليوم فانتا نعرف الأسباب
التي أحدثت عكس ذلك وان هذه المهمة المجيدة قد أصبحت من نصيب
العرب الذين كانوا يعمرن الامبراطورية المجاورة) .

1. The first part of the report is a general introduction to the project.

2. The second part of the report is a detailed description of the methodology used.

3. The third part of the report is a discussion of the results obtained.

4. The fourth part of the report is a conclusion and a list of references.

5. The fifth part of the report is a list of appendices.

6. The sixth part of the report is a list of figures and tables.

7. The seventh part of the report is a list of abbreviations.

8. The eighth part of the report is a list of symbols.

9. The ninth part of the report is a list of footnotes.

10. The tenth part of the report is a list of references.

11. The eleventh part of the report is a list of appendices.

12. The twelfth part of the report is a list of figures and tables.

13. The thirteenth part of the report is a list of abbreviations.

14. The fourteenth part of the report is a list of symbols.

15. The fifteenth part of the report is a list of footnotes.

16. The sixteenth part of the report is a list of references.

17. The seventeenth part of the report is a list of appendices.

18. The eighteenth part of the report is a list of figures and tables.

19. The nineteenth part of the report is a list of abbreviations.

20. The twentieth part of the report is a list of symbols.

21. The twenty-first part of the report is a list of footnotes.

22. The twenty-second part of the report is a list of references.

23. The twenty-third part of the report is a list of appendices.

24. The twenty-fourth part of the report is a list of figures and tables.

25. The twenty-fifth part of the report is a list of abbreviations.

26. The twenty-sixth part of the report is a list of symbols.

27. The twenty-seventh part of the report is a list of footnotes.

28. The twenty-eighth part of the report is a list of references.

29. The twenty-ninth part of the report is a list of appendices.

30. The thirtieth part of the report is a list of figures and tables.

البيان التاسع

تراجيم الأعلام

| | |
|---------------|--------------------|
| أبيب اسحق | لورنس |
| جرجى زيدان | فيليب حتى |
| نيتشه | ساطع الحصرى |
| ماركس | المتنبى |
| فرويد | الحلاج |
| سعد زغول | السلطان عبد الحميد |
| لطفى السيد | السهروردى |
| كرومر | شبلى شمیل |
| دنلوب | ابن رشد |
| ولفنجستون | ابن الراوندى |
| فاسكو دى جاما | يعقوب ارتين |
| الغزالي | ولى الدين يكن |
| كارل مارتل | غاندى |
| دوركاييم | سارتر |
| دارون | ابن خلدون |
| لورنس | ميكافيللى |
| جبران | عمر الخيام |
| أبو نواس | تولستوى |
| هرتزل | يعقوب صنوع |

| | |
|-------------------|---------------------|
| زويمر | ابن المقفع |
| أتاتورك | هنرى الملاح |
| منجل | أبو ذر الغفارى |
| فريزر | السلطان جلال أكبر |
| يوحنا الدمشقى | عبد الرحمن الكواكبى |
| نصير الدين الطوسى | اخناتون |
| ابن عربى | مرشد دبور |
| | المامون |

لورنس

من الشخصيات التي أبرزها الاستعمار وأخطأها بهالة ضخمة من البطولة : شخصية الضابط لورنس الذي وصف بأنه (ملك العرب غير المتوج) والمغامر الذي كشف المؤلفات والأبحاث عن هويته الاستعمارية وولائه المزدوج لبريطانيا والصهيونية العالمية ، وكيف خدع العرب وعایشهم في خيابهم (أبان الحرب العالمية الأولى) على هدف واضح هو إسقاط الدولة العثمانية والإيقاع بين العرب والترك ودفع العرب الى الاقتتال من أجل استيلاء فرنسا وبريطانيا على أراضي فلسطين وسوريا ولبنان ، وقد كشف عن هذه الخدعة التي قام بها في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) وفضح نفسه : حين قال : لو قبيض للخلفاء أن ينتصروا فإن وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق ، ولو كنت رجلا شريفا وناصحا أمينا لصارحتهم بذلك وسرحت جيوشهم وجنبتهم التضحية بأرواحهم في سبيل أناس لا يحفظون لهم الا ولا ذمة . وقوله : أما الشرف فقد فقدته يوم أكنت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم ، وقوله : لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادي أن مساعدتهم ضرورية لانتصارنا القليل الثمن في الشرق ، ولاعتقادي أن كسبنا للعرب مع الحنث بوعدنا أفضل من عدم الانتصار . ومن ذلك قوله : اني أكثر ما أكون فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك التي خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد ، لقد جازفت بخديعة العرب لأنني كنت أرى أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعدنا أفضل من عدم الانتصار .

وقد كشف كثير من الباحثين الأجانب والعرب حقيقة لورنس : ذلك الجاسوس البريطاني الذي جاء (عام ١٩١١) قبل الحرب العالمية الأولى على هيئة عضو في بعثة أثرية تدرس القلاع الصليبية وفي جبل تلقى دروسا في اللغة العربية في مدرسة تبشيرية ، وقد ادعى لورنس أنه جاء ليكتشف الطريق التي سلكها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بينما كان يعمل في الواقع على رسم الخرائط للمنطقة لاستعمالها في حالة الحرب ،

فلما أعلنت الثورة العربية في الحجاز رافق فيصل بن الحسين عامين ونصف .
في أثناء ذلك سار الجيش العربي من ميناء جدة على البحر الأحمر حتى دخل
دمشق منتصرا في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

ولقد خدع لورنس العرب وعمل على تحطيم قوى الجيش العثماني
ونيف القطرات المجهلة بالذخائر فلما انتهت المعركة وأعلن لورد اللنبي
في القديس (الآن انتهت الحروب الصليبية) وأعلن غوروا في دمشق
قولته : هانحن قد عدلنا لصالح الدين ، عهد لورنس الى أعظم سرقة حين
سلب قبر صلاح الدين إكبللا من الذهب كان قد قدمه له الإمبراطور غليوم
يوم زيارته لدمشق .

ولما نجحت خطط الاستعمار البريطاني ، اتجه بجهوده لانجاح خطط
الصهيونية ولتفتح فيصل بالاجتماع بوزيرمان زعيم اليهود .

لقد كان من أكبر أهداف لورنس وبريطانيا استبدال خليفة المسلمين
في نظر مسلمي العالم بشريف من نسل الرسول حاكم الحرمين وحامي
الكعبة .

وكان لورنس يؤمن أن الثورة العربية هي تقطيع أوصال الدولة
العثمانية وإيقاع الخلاف بين العرب والترك وفتح الطريق أمام الصهيونية
الى فلسطين .

وقد أهدي لورنس كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) الى سارة
ارنهيمن الجاسوسة اليهودية التي ألقى الأتراك القبض عليها في الناصرة
أثناء الحرب في فلسطين فانتحرت حتى لا تبوح بسرها .

هذا هو لورنس الذي كانت الصحف تكتب عنه وتصوره على أنه
منقذ العرب وملك العرب غير المتوج والذي جعلوه صانع الثورة العربية
وتأدها الفعلي .

وقد كشفت كتابات البريطانيين انفسهم عن لورنس أنه لم يكن
جاسوسا لبريطانيا والصهيونية محسب ، ولكنه كان الى ذلك انسانا
منحرفا ، من الوجهة النفسية والاجتماعية والإخلاقية وأن تاريخ حياته يحمل
صورة من الشذوذ الحسي غلبة في الغرابة والعنف . كذلك فقد كشفت
كتاباته المؤرخين خطأ ماذهب اليه البعض من أن لورنس هو ملك العرب

غيره الفخرف أو أنه كان مخلصا للعرب ، وأن كتابه في الأعمدة السبعة كان مجموعة من الأكاذيب وهي صفحة اتهام له بالتهمة للاستعمار والصهيونية .

فيليب حتى

كان (فيليب) حتى في كل كتاباته مهتلا للطابع اللبناني الخالص القائم علي منطلق الفينيقية المتفصل عن العروبة والأمة العربية . وقد أقام دراساته كلها على هذا النحو وأكد اقليمية لبنان وانفصاله ورسم له تاريخا قديما مستقلا عن الأمة العربية مرتبطا بأوربا والغرب ، وكانت مؤلفاته عاملا هاما في تأكيد دعوى الكيان الخاص والانفصال بين لبنان والعروبة ، وقد انضوى هذا الاتجاه وهذه العقيدة على مختلف آرائه التي ساقها في كتابه (العرب) وغيره طابعا خاصا ، بعيدا عن المطلق العلمي والتفسير التاريخي المنصف الصريح الذي يرد الأمور إلى مصادرها فهو يتنكر تنكرا مطلقا لأثر الإسلام في الأمة العربية ، ويضيف كل تاريخ الإسلام ونهضته وحضارته السابقة المتعددة على الزمن إلى العرب وحدهم ويجري الكلام عنها تحت عنوان (العرب) في تجاهل للإسلام واضح ، وانحراف عن المنهج العلمي القائم على تأكيد أثر المسلمين من أترك وفارس وهنود وبربر وغيرهم . وبذلك فهو يمثل طابع المستشرقين ومنهجهم مكتوبا باللغة العربية (وأن لم يكتب هم مؤلفاته أيضا باللغة العربية) بل كتبها بالإنجليزية ثم ترجمت وأحيطت بقدر كبير من التركيز والاهتمام رغبة في شرويح آرائه ونظرياته التغريبية الإقليمية البعيدة عن الانصاف .

وقد راجع هذه الآراء الخاطئة كثير من الباحثين المنصفين وكشفوا عن وجه الزيف والخطأ فيها وفي مقدمة من شجبوا آراء الدكتور عبد العزيز الدوري الذي كتبها عن خطأ فيليب حتى المتوهم في القول بأن علم التاريخ عند العرب منقول من الفلهم الأجنبية والفارسية القديمة وقد أشار إلى هذا حين قال : تبين لي في نشأة علم التاريخ عند العرب ، أن هذا العلم عربي النشأة والأصول وأن خطوطه الأساسية تخيدبت قبل الترجمة من الفارسية وخطأ قوله بأن المثال الذي اجتذاه المؤلفون فارسي عن الأصل على طريقة (خدا ينله) مردود ، وقال نحن نعلم أن كتابة التاريخ الإسلامي إنما جرت على أساس السير وعلى أساس الأسر الحاكمة متصل ترجمة الخديفاته وقال : لقد بدا علم التاريخ عند العرب من أصول تنصل

بدراسة الحديث (المغاوى) من جهة و بمتابعة الاهتمام الموروث من الجاهلية بالأيام كما ظهر لدى الاخباريين .

وقد أشار كثير من الباحثين الى مدى تعصب فيليب حتى ، وبعده عن المنهج العلمى وأنه وقع تحت تأثير النظريات التى فرضها النفوذ الاستعمارى على لبنان بعد الحرب العالمية الاولى والتى حاولت أن تخلق للبنان الشخصية تاريخية منفصلة عن تاريخ العرب والاسلام ، وبدات اقليميته فى أنه مزق تاريخ العرب على حد ما أسماه تاريخ لبنان ، تاريخ سوريا ، تاريخ فلسطين .

ولعل أبرز أخطاء فيليب حتى التى كان يروج لها هى الإدعاء بأن اللبنانيين هم الذين قاموا النهضة العربية الحديثة وأنهم قدموا الى مصر فأنشأوا فيها الصحف والمطابع وكان أبرز رجالهم هو اليازجى والبستاني والشميل وصروف ونمر وزيدان . ولو أن باحثا منصفاً راجع هذه المرحلة من تاريخ العالم الاسلامى والبلاد العربية لكشف مدى الدور الخطير الذى لعبه هؤلاء المارون فى سبيل اسقاط الخلافة وتزيق البلاد وقيام اسرائيل والتمهيد لتسليم الوطن العربى كله للنفوذين الفرنسى والانجليزى .

ومن دعاوى فيليب حتى فصل الجامعة العربية عن الجامعة الاسلامية ، جريا وراء النظرية المارونية اللبنانية الفينيقية الباطلة والزائفة التى تحاول أن تقيم دولة مسيحية فى لبنان تصبح حجر عثرة فى وحدة العالم الاسلامى وتمثل محورا مواجهها لمحور اسرائيل .

ساطع الحصرى

قال على الطنطاوى : ان ساطع الحصرى هو الذى حارب الدعوة الاسلامية عمره كله بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته حريا علمية منظمة وكان أسلوبه فى محاربتها هو العمل على احوال العربية محل الاسلامية وهى دعوى الجاهلية التى ينهى رسول الله عنها وبين أن صاحبها ليس منّا وأقام برنامج المدارس على هذا الاساس الوهمى ، وقد أحرز الأستاذ ساطع الحصرى شهرة بعيدة المدى فى مجال دراسة القومية وألف فيها عددا من الكتب حتى أصبح مرجعا أساسيا لنظرية القوميات القائمة على أساس اللغة والتاريخ . وقد استهدى الحصرى فى أبحاثه بالنظرية الألمانية وبرنامج

البلقان في حركته القومية التي رفع فيها شعار اللغة في مواجهة الدولة العثمانية للتحرر منها وكان اكبر اساتذته ماكس مولر ونوردو وهما فيلسوفان يهوديان قصدا من وراء نظرية اللغة الى احياء القومية اليهودية وقد اعتبر ساطع حصري : اللغة اساس القومية وعارض نظرية الارض التي دعا اليها (انطون سعادة) وقد جرى الجدل بينه وبين عدد من النظريات الاوربية في القومية دون ان يواجه الواقع العربي او يفهم الفكر العربي وجذوره المستمدة من الفكر الاسلامي اساسا ، هذه الجذور التي تجعل من السير فصل اللغة عن الفكر واعتبارها مقوما منفصلا ، او الاعتماد على نظرية ان بقاء اللغة او ضياع اللغة ، هو بقاء الأمة وضياعها ، ذلك ان الانطلاق من مفهوم الفكر الاسلامي نفسه يجعل مثل هذه الآراء على درجة كبيرة من السذاجة والبساطة ، والواقع ان ساطع الحصري كان غربي الفكر اساسا بل وغربي الذوق والنطق أيضا ، وأن تركيبة الثقافتى والاجتماعى يحول بينه وبين تبني نظرية عربية أصلية مستمدة من واقع الأمة العربية وكيانها وذاتيتها وتيمها التي لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه وفي ذلك مغاطة او جهل ، ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمة ولكنها لغة أمة وفكر معا وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الاسلام .

ذلك ان ساطع الحصري نشأ في بيئة الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صنائع للفكر الغربي ونشأوا في أحضان المنظمات الماسونية وحملوا لواء الايمان بالفصل بين الدين والمجتمع وفهموا الاسلام فهما غربيا على انه دين لاهوتى ، وعلى هذا الفهم الخاطيء القاصر قامت نظرية ساطع الحصري فهي نظرية مضطربة من أساسها لأن كلمة واحدة لو انها صححت لكان موقف ساطع الحصري من نظريته مختلف كل الاختلاف ، هذه الكلمة هي ان الدين الذى اقام عليه نظريته ليس هو دين العرب والمسلمين ولكنه دين أوروبا ، ولذلك فان كل التحديات التي تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد لاساسا في الفكر الاسلامي ، هذا فضلا عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية واختلاف مفهوم الاسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ويخطئ ساطع الحصري في انه قصر تقصيرا كبيرا في فهم الفكر الاسلامي وأبعاده وارتباط العروبة به ، وعاش في مؤلفاته خادما لنظرية القوميات الاوربية الوافدة ، وهي لا تلتقى على أى وجه مع التحديات التي

واجهتها الأمة العربية بعد سقوط الدولة العثمانية من وجهة نظر الثقافة العربية والفكر الإسلامى الذى يتحرك دائما فى ثلاث دوائر : الوطنية المرتبطة بالأرض ، والعروبة المرتبطة بالأمة ، ووحدة الفكر الإسلامية الشاملة . ولقد وقف ساطع الحصرى موقف الخصومة والحقد والتعصب مع الإسلام كلما عارض له ، وكللت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامى محاولة سافجة ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالقومىة اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين فى فهم القومىة العربية ، وإن كانت كلمة (دين) لا تؤدى معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

و قد ثبت أن ساطع الحصرى قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التى كان النفوذ الغربى حريصا على تلقينها للعالم العربى ، وهى ليست الا صورة من مفهوم الاقليمىة اللبنتية . والمعروف أن ساطع الحصرى كان من اعمدة وزارة المعارف فى تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين الى أن انتهت الحرب الأولى ، وأنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليمية فى العراق حيث عمد الى فصلها عن الإسلام فصلا تاما وكان دوره أثبت بدور طه حسين فى التعليم المصرى .

وجملة القول أن ساطع الحصرى نادى بمفهوم القومية الأوربية الوافدة وحاول تطبيقه على (العروبة) ذات الجذور العربية الإسلامية دون أن يدرك أعماق الأثر الذى تركه الفكر الإسلامى والقرآن فى اللغة العربية وفى الأمة العربية ومدى ترابط ذلك الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالأمة الوسطى الحنيفية السمحاء التى جاء بها إبراهيم فربطت هذا العالم الوسط : (عالم العرب والإسلام) بروابط تاريخية وثقافة عميقة دعبتها الأديان السماوية التى نزلت فى أرض الرافدين وختمتها رسالة الإسلام العالمية التى نزلت فى الجزيرة العربية .

وقد استوحى ساطع الحصرى نظرية (الفصل) وهى نظرية معروفة فى الفكر الغربى ، استوحاها من الاتحاديين الأتراك ولكتبتها تسقط سقوطا شديدا عندما تطبق على الفكر الإسلامى الذى يقوم على التكامل وترابط القيم فقد ركز على اللغة كأساس لنظريته وعزلها عن مفهوم الفكر العربى الواسع كما ركز طه حسين على

الأتب وعزله عن الفكر الإسلامى أو (غن الدين والقومية) على حد تعبيرة .
ونظرة طه حسين كنظرة ساطع الحصرى نظرة ضيقة أوربية لا تتفق
مع المزاج النفسى والاجتماعى الإسلامى القائم على تكامل القيم وشمولها .
كما دعا الى اعتبار التاريخ مقوما وبذلك عزله عن اللغة والفكر والثقافة
جميعا .

كما ختلف مع دعاة الأرض والوطنية (انطون سعادة) وهى نظرية
أخرى وافدة لا يعترف بها الفكر العربى الإسلامى الذى يؤمن بالحلقات
الثلاث المترابطة المتداخلة : (الأرض ، والامة ، والفكر) وقد اعترف
ساطع الحصرى بإسرائيل قومية تقوم على الدين ، ورفض اعتبار الإسلام
مقوما بوصفه ديناً ، ومفهومة للإسلام هو مفهوم غربى خالص للدين الغربى
استمدته من مفهوم الاتحاديين فى تركيا ، وقد فهم الإسلام على أنه دين
روحى كما فهم الأوروبيون الدين وكما وصف المستشرقون والمبشرون الإسلام
ولم يفرق بين الدين بعانة والإسلام ، ولم ينظر الى فوارق العصر والبيئة
والجذور الثقافية التى تختلف فيها القومية فى أوربا عن مفهوم العروبة فى
عالم الإسلام والعرب .

وعندما قاوم التجزئة والاقليمية لم يقاومها بأسلوب الأصالة العربية
بل قاومها عن طريق الأسلوب الوافد ، وقد هاجم القوميون السوريين لأنهم
أخذوا نظرية أوربية هى نظرية الأرض ولم يأخذوا نظرية أوربية أخرى هى
نظرية اللغة التى دعا اليها وهاجم البعث فى سنواته الأخيرة ولكن دون أن
يصل الى أصالة مفهوم العروبة وترابطها مع الفكر الإسلامى ، ذلك الترابط
الجزرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

وقد وصف الباحثون ساطع الحصرى بأنه هو أنضج ثمرة من ثمار
المدرسة الاتحادية التركية تعلم فى مدرستها وآمن بفلسفتها ونقل فكرها
ومضامينها الى العرب والمعروف أن مدرسة الاتحاديين هى التى أنشأت
تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى ، وهى صنيعه النفوذ الغربى واليهودى
لتحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة التى كانت تمثلها الخلافة لاسلامية
العثمانية ، وخلق الكيانات القومية والاقليمية ، وقد عاشت هذه المدرسة
فى حضانة الفكر المادى ثمرة فولتير واوجست كونت وكان رجالها من اتباع
هيجل ونييتشه ودعاة الفلسفة الوضعية والمتشبعين بالنزعة الطورانية

العنوانية ومفهوم القومية القائم على الصراع مع القوميات الأخرى ، وكان ساطع الحصري هو بوق الدعوة الاتحادية في العرب وقد ركز على اللغة وعزلها عن الفكر الإسلامي واعترف بأن إسرائيل قومية تقوم على السدين ورفض اعتبار الإسلام مقوما بوصفه ديناً ، ولا ريب أن مفهومه للإسلام كان ناقصاً وهو مفهوم اللاهوت والعلمانية واذ تجاهل تكامل الإسلام الجامع بين العبادة ومنهج الحياة ، وبالرغم من أنه هاجم القوميين السوريين فإنه لم يصل إلى مفهوم العروبة في ترابطها الجذري مع الإسلام .

المتنبى

حرص دعاة نظرية النقد الأدبي الغربي اللوائفة على وضع أسس وقواعد للأدب العربي تختلف اختلافاً جوهرياً مع طبيعته وذاتيته ، وقد استهدفت هذه الدعوة إبراز شخصيات لا تمثّل الأدب العربي في أصلاته ، فضلاً عن إعلانها : لأبي نواس وبشار والضحاك وغيرهم ، والعمل في نفس الوقت على تدمير الشخصيات ذات الأصالة والقوة أمثال المتنبى والغزالي وابن خلدون .

وقد سائر الدكتور طه حسين المستشرقين في هذا الاتجاه ونماه وفتح له آفاق الصحافة والمحاضرات العامة ، وكان المتنبى أحد ضحاياه فقد كتب عنه كتاباً حاول اتهامه بأنه لقيط ، فقد مضى يتشكك في نسب المتنبى حتى وقع في هذا الشك الجريء في محاولة للتقليل من مكانة المتنبى في الأدب العربي وكان قد سبقه في هذا أستاذه (بلاشير) الذي حارب المتنبى في كتاب ضخّم لابد أنه كان الضوء الكاشف أمام محاولة طه حسين .

وقد جرت كل محاولات ماسينيون وفون كريمر وبلاشير ودي ساسي من منطلق الحقد على هذا الشاعر الفحل الذي يعتبره النقاد العرب بحق (أبين الناس منطقاً عن الشخصية العربية وأشدّهم اعتزازاً بها وتقديراً لها وسعياً لانهاسها) على حد تعبير الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه عن المتنبى الذي سبق كتاب الدكتور طه حسين ، وقد كان شاكر هو أبرز الذين راجعوا طه حسين في رأيه في المتنبى في مجموعة من المقالات دحض فيها تلك التشبهات التي أثارها الدكتور وكشف الغرض المبيت من ورائها . ولا شك أن حملات المستشرقين على المتنبى تدخل في باب إعلانهم وتقديرهم للمنحرفين في تاريخ الأدب العربي ممن أولوهم اهتماماً كبيراً أمثال

الحلاج وشعراء الأغاني ، وهو ان لم يكن تعصبا وحملة تغريبية فانما هو جهل بالنزوق العربي والخصومة لشاعر فجل دان العربية الف سنة ولم يصل الى مكانته واصل (على ادهم) .

وعلى كل حال فان طه حسين كان ظالما ومسرغا في الشك وبعيدا عن الأسلوب العلمي في هذه الشبهة التي اثارها والتي ليس لها سند تاريخي او منطقي علمي .

الحلاج

اولى المستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغريب اهتماما كبيرا بشخصية الحلاج ، وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة اريد لصقها بالاسلام وهي مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا مالم يحدث في تاريخ الاسلام كله وان حدث في تاريخ اوربا الغربية المسيحية ، فلقد كان الاسلام حفيا بحرية الكلمة الى ابعد حد ، مالم تخرج من نطاق الكلمة الى نطاق آخر ؛ كالتآمر السياسي او مخابرة دولة اجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة مهما كانت خارجة عن مفهوم الاسلام ، ومهما كانت مغرقة في الشك والوثنية وانما قتل حين ثبتت عليه مراسلات الى القرامطة فقد ثبت انه كان وكلا لهم ، وكان القرامطة قد ازاحوا النظام الاسلامي ، وسفحوا الدماء وخربوا البلاد وأنشأوا لهم عاصمة في هجر حملوا اليها الحجر الأسود فظل بها نحو ثلاثين عاما .

ولقد قال ابو يزيد البسطامي وابن عربي مقالة الحلاج دون ان يصيهم شر ، والذي عليه القول الراجح ان الحلاج كان يعمل لحساب القرامطة ، ولن دعواه في الحلول والاشراق ووحدة الوجود انما كانت تعمل على افساد الاساس الفكري للدولة الاسلامية وهدم تعاليم الاسلام كمقدمة لتحطيم سلطته السياسية وهو نفس النهج الذي سلكته الباطنية ، فقد رأى خصوم الاسلام ازاء عجزهم عن هدم دولته ان يلجأوا الى تفويض عقيدة التوحيد التي جمعت شمل العرب وتذرعوا الى ذلك بنظريات التصوف الهندي الجوسية الفارسية والفلسفة الوثنية اليونانية ، وكانت مقدمات تلك السخرية بالشريعة الاسلامية والترخص في الحدود واباحة المحرمات ،

وقد جوالق العلائق إلى ذلك شعوطا طويلا فادعى الألوهية وأتهم بمعارضة الثواب وأنه ينحى الوحي وأن الحق يخلو أنه يعمل من الخوارق ما يشبه المعجزات وأنه كان يدعو إلى نوع آخر من الحجج غير الطواف بالبيت الحرام في مكة . وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها إلا هو ومن أرسلها إليه وقد وصفته كتب التاريخ بأنه رجل مجوسى الأصل اشتغل بالمخاريق والحيل ادعى العلم بالأسرار ثم تنهى إلى ادعاء النبوة ثم الربوبية واستغوى غلمان قصر المقتدر بالله العباسى لينفذ بهم إلى تحقيق غايته فآدى ذلك إلى قتله ، وذكر أمام الحرمين في كتابه الشامل أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقى للقتل الحلاج .

ولقد ظل الحلاج متمسكا بحريته إلى اليوم الذى ثبت أنه كان بينه وبين رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة عند ذلك تعرض للقتل بتهمة غير تهمة حرية الفكر التى يدعيها المستشرقون ولقد خدعت الفلسفات الحلاج في القول بفكرة وحدة الوجود وغفل عن أن الشريعة الإسلامية جاءت بفكرة التوحيد المنزه وأن الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والزمان والمكان ، ويتشعر منه بأن الله تبارك وتعالى مستعمل عن هذا التكون خارج عنه وقد أوجده من العدم وهو يمسكه لحظة بعد لحظة إلى أن يأذن تبارك وتعالى بالتهائه .

إن البحث العلمى قد كشف الآن حقيقة لا مرأى فيها هي أن هذه الدعاوى ظهرت في ظل هذا المفهوم المضطرب الخاطيء الذى يقوم على تقسيم الشريعة إلى باطن وظاهر والذى يجعل بين الظاهر والباطن مستنكات من التأويل وتزييف التصوف . هذا التصوف الفلسفى الباطنى الذى يقوم على وحدة الوجود قد امتزجت فيه أمشاج من فلسفات متعددة اجنبية عن بضاطة الاسلام وفكرية تعاليمه هي مزيج من فلسفات وتصورات اليهود والفكر من الروافضيين من الأغريق لا يخفى كل فكر شارد وأسطورة ضالة وشعوذة ماهرة التفت كل هذه التيارات المضطربة ومن ورائها أهواء السياسة ومكائدها في محاولة للقضاء على بقاء الاسلام وأصالتها وقطرت روحه المشرقة للدخول في مظاهرات الضلال والجهل والخطيئة ، مما كان مصدرا أساسيا لدخول المسلمين في مرحلة الضلالت والتخلف .

قال الامام ابن تيمية في رسالته الى الشيخ قطر النيجي (واخو القوي)
الساج الهجري) احدث تلاميذ ابن عربي وخامل ثراء فكرة وحدة الوجود في
العالم الاسلامي ان انتشار الصوف المؤنس على عقيدة وحدة الوجود بين
الشعوب الاسلامية كان من الاسباب التي افضت الى هجوم التتار والمغوليين
على بلاد المسلمين .

كانت هذه الجائحة مقدمة الغزو الفكري الصليبي القترى الذي قصد
بمحرف المستعربين عن مفهوم الاسلام الاصيل ليسهل الهجوم عليهم .

بل ان تصوف ابن عربي القائم على وحدة الوجود عمل خطير يهدف الى
امتناع اصالة القرآن المتألفة التي هي اساس عنصر المقاومة الخالد في
شكوب المسلمين الروحي والاخلاقي .

ومن هنا نفهم بحق العلاقة الاكيدة بين نشر هذه الكتابات القديمة
وانبعاث تراث ابن عربي والحلاج وابن سبعين وغيرهم وبين مقاصد
الاستعمار وعناية المستشرقين .

السلطان عبد الحميد

لا اعتد ان هناك شخصية في العصر الحديث هوجمت بمثل ذلك العنف
الذي هوجم به السلطان عبد الحميد ، حيث وصف بما وصف به الديكتاتوريون
والظلمة والمستبوعون في التاريخ كله ، وقد جرى هذا السيل من الاتهامات
وهذا التوبيخ حتى ساد جميع كتب التاريخ العربي الحديث وجرى على الاقصا
وهو ما كشفت الوثائق السياسية الجادة التي ظهرت في السنوات الاخيرة
من زينة وعن الغرض البعيد الذي كان وراء اسقاطه ، ذلك ان السلطان
عبد الحميد قد رفض ما عرضته عليه الصهيونية العالمية من فتح الطريق
لها الى فلسطين والسماح بالاقامة في القدس ، وقد كان رفضه صريحا
واضحا وخاسما ، وكان ذلك مقدمة للحملة التي شنتها الاستعمار
والصهيونية عليه واتهامه تمهيدا لاسقاطه ، وقد جرت هذه المحاولة بالسيطرة
على جمعية الاتحاد والترقي ودفعها الى الانقلاب داخل المحافل الدستورية
ولصاحبها ، وكان السلطان عبد الحميد قد تزعم الدعوة الى الجامعة الاسلامية
في مواجهة خطر تزايد النفوذ الاستعماري ، واقامة قوة عاجزة لا تكفي
بالعرب والترك وهما قوام الدولة العثمانية بل تضم المسلمين جميعا ، وقد

نجحت الدعوة نجاحا كبيرا واخفت تحقق نتائج هامة ، كان من أبرزها الالتقاء بين السنة والشيعة بعد الخلاف الطويل الذي فرضه النفوذ الاستعماري ، وتند شهد جمال الدين الأفغاني للسلطان عبد الحميد بالدهاء السياسي الخطير في مواجهة أوروبا ، وكشفت الوقائع مدى رصانة عبد الحميد وحدة جمال الدين ، حتى في المسائل صغيرة التي لا تحتل من جمال الدين رجوعه عن بيعته للسلطان .

وقد جرت محاولات كثيرة للتفكير على جمال الدين الأفغاني في السنوات الخمسين الأخيرة وإبرازه في صورة البطل والقديس ، ولم يكن عذرا في الواقع إلا محاولة لحجب السلطان عبد الحميد وانتقاصه وإحلال جمال الدين كبديل لعبد الحميد وذلك في مجال إخفاء الدور الخطير الذي قام به في مواجهة الصهيونية العالمية والذي كان يعرف هو سلفا أنه سيكلفه عمره وعرشه وقد حدث بالفعل محاولتان أحدهما لاغتياله وأخرى لاقتصاصه عن الملك وقد فشلت الأولى ونجحت الأخيرة .

ولقد حرصت الدعاوى الصهيونية والاستعمارية والحث الحاحا شديدا تجاوز كل حد في سبيل تمويه السلطان عبد الحميد في صورة الحاكم الطاغية المستبد من ناحية والرجل الخائف الذمور من ناحية أخرى ، وقد كشفت الوثائق التي برزت في السنوات الأخيرة كذب الادعائين ولم يستطع الحاملون عليه إثبات اسم إحد من أسماء من وصفوا بأنهم أغرقوا في المسفور بل غلغلات على حد قول حافظ إبراهيم في قصيدته ، والحق أن السلطان عبد الحميد استطاع والدولة العثمانية تمر بأقسى مراحل الضعف أن يواجه العالم الغربي الاستعماري بالحيلة والخدعة والمرونة السياسية وأنه أوقع الدول بعضها في البعض الآخر ، وفركهم ينشغلون بصراعمهم عنه في وقت كانت محاولته لإخراج فكرة الجامعة الإسلامية إلى الوجود قد خطت خطوات واسعة وقاربت أن تحقق نتائجها ، التي عملت على جمع المسلمين تحت لواء الخلافة من خارج الدولة العثمانية باسم الخطر الاستعماري والصهيوني الذي يهددهم وكانت صيحته « يا مسلمي العالم اتحدوا » .

وكان هذا مسار الخصومة الحاقدة على السلطان من الاستعمار بالإضافة إلى خصوم الصهيونية وكلاهما كان يطمع في تمزيق الدولة العثمانية وتقسيم التركة .

وهناك شائعة أن السلطان عبد الحميد دس سماً للمصلح الأفغانى همت ولم يثبت هذا تاريخياً . يقول الاستاذ صلاح الدين المنجد : لقد نسبت إلى السلطان عبد الحميد أمور كثيرة وهو منها برىء والصحيح أن جمال الدين مات بالسرطان بعد أن مرض شهوراً طويلة ولو دسوا له السم لمت بسرعة وقد وصف جرجى زیدان فى الهلال (١٨٩٧/٥م) كيف توفى فقال : « كان قد أصيب بداء السرطان فى فكه السفلى منذ بضعة شهور ففاسى آلاماً مبرحة وأجريت له عمليات كثيرة حتى استؤصل الفك السفلى كله أو أكثره فامتد آداء إلى العنق وأوغل فى الفم فمعد اللسان وتضاعف الآلام فاستند الحرض خطراً ولبث الناس ينتظرون وقوع الأجل والحضرة السلطانية تواصلت الالتفات إليه بالاتفاق مع الجيب الهمايونى على أن ذلك لم يدفع مقدوراً ولا محاسنطوراً » .

السهروردى

حاولت حركة التغريب ومعها التبشير والاستشراق إعلاء شأن مجموعة من النماذج الغربية وإعطاءها صورة الاستشهاد والبطولة وغلبة فى الترويج لأرائها وإثارة الراى حول آراء وافدة على الفكر الإسلامى لم تكن فيه أصلاً ولا تمثل جوهره ولا حقيقته .

ومن هؤلاء شهاب الدين السهروردى (المقتول) الفيلسوف الذى جعل لواء الفلسفة الاستشراقية المستمدة من الفلفات اليونانية والفارسية والهندية والتي تتعارض مع مفهوم التوحيد فى الإسلام ، ولقد اهتم بروكلمن ، وريبنز ، وفلادى برج من المستشرقين بأرائه ووصفوه بالمعبرية وترجم أحدهم (بوج) كتاب « هياكل النور » كما عرض له ماسنيون أثناء بحوثه عن الحلاج واهتم به كثيراً باول كراوس وهنرى كوريان .

والحقيقة أن السهروردى نتاج غريب عن فكر الإسلام وطابعه ومزاجه الذى شكل أعلام المسلمين فى مجال الفكر من أمثال الغزالى وابن تيمية وابن حزم وغيرهم ، وهو أقرب إلى صور الباطنية والمتحللين والمعتلين ولن نصفه بأكثر مما وصفه به من يروونه عبقرى وشهراً : « لم يكن مظهره مما يلحقى الهيبة والاحترام فى نفوس مستقبلية ، أهمل نفسه أو كاد وبلغ به الإهمال حتى كان على حد قول بعض من أرخ له « كان زيه زرباً منكراً زرى الخلقة »

دنس الثياب ، ويسخ بدن ، ولا يغسل له ثوبا ولا جسا ولا يدا ولا يقص ظفرا ولا شعرا » (النجوم الزاهرة) وزادوا على ذلك فقالوا « ان القبل كان يتناثر على وجهه ويسعى بين ثيابه وان كل من يراه يهرب منه » هذا ما وصفه به سلمي الكهالى في مجال التقدير والاعجاب ، فكيف بمن يراه غير ذلك ، ولا شك ان هذه الصورة التى يبدو بها السهروردي ، ليست اسلامية اساسا ولا يقرها الاسلام الذى صنع نماذجه على الاخلاق والطهارة والعزة وكان رسوله يعرف قبل قدومه بريح المسبك .

وقد وصف السهروردي تلميذ السهروردي استاذة في كتابه « نزهة الأرواح » بأنه مهمل الثياب وقد اشتهرت كتب كثيرة الى قذارته منها كتاب « آثار البلاد واخبار العباد للقزويني » واعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤ . وجماع القول عنه انه قرا فلسفة الاغريق والهند وفارس والفلسفة الاسلامية ، وأنه اراد ان يبدع من هذا المزيج فلسفة جديدة رسم خيوطها في فلسفته الاشراقية .

وما ذهب اليه السهروردي في تفسير الاشراق مخالف كل المخالفة لحقائق الاسلام ولمفهومة في التوحيد ، الذى يفصل بين الله والعالم والذى لا يقر الاتحاد على النحو الذى قالت به فلسفات الوثنية .

ولم يكن السهروردي مقصوفا بمفهوم التصوف الاسلامي ، ولكنه كان فطسوما فلانيا ذهب الى ابعد مدى في التبعية لدرسة افلوطين المسيحية الوثنية التى اعتبرت الاشراق اساس المعرفة الوحيد ، وهذا الانحراف عن مفاهيم الاسلام هو الذى اثار عليه خلاف الفقهاء والصوفية والمفسدتين المسلمين جميعا ، فقد خرج بأرائه من مفهوم الاسلام الصحيح وانحرف به ، وجمع بين الشك والايمان والكفر والشكوقة والتصوف والمهرطقة حتى جر عليه كل ذلك الاتهام بالزيغ وانحلال العقيدة هذا فضلا عن اشتغاله بالنسفة والكيمياء والسحر وابواب الزيرجات ، بالإضافة الى التأويل وكلها صفات دعاة الباطنية .

ومع ذلك فان هذا الانحراف عن مفهوم الاسلام لم يكن ليقضى على السهروردي بالقتل ، لولا ثبوت الاتهام عليه بالاسفار مع خصوم المسلمين ايان الحروب الصليبية ، وكانت هذه الخيانة هي التى دفعت الملك الظاهر ابن ضلاح الدين الى المطالبة بأهدار دمه .

وهن هنا تكذب كل الشخصيات التي سألها للتفريبيون بأن السهروردي ذهب ضحية جرية الفكر ، قال السهروردي في الحق لم يذهب ضحية معتقده ولا فكره ولم يكن ضحية أذى حاكم أو نفوذ سلطان ولم يذهب ضحية التخويف بالله والاساءة الى نبوة الرسول ، فذلك كله في الاسلام موكول الى أمي الله ولكن السهروردي ذهب كما ذهب للحلاج ضحية خيافته الدولة الإسلامية والاتصال بخصوصها .

وكانت الباطنية حركة سياسية خطيرة تصارع الاسلام وتحاول ان تنفذ الى عمله بوساطة أمثال هؤلاء الغلاة

شبلې شمېل

جملې شمېلې شمېل لواء الدعوة الى الفلسفة المادية وكان واجدا من دعاء التبشير والغزو الثقافي الذين خرجتهم بجهاد الرساليات في لبنان وقدموا الى مصر من اجل العمل وكان منطلقه هو مذهب دارون وقد اختار له تفسير بخنر وهو من غلاة الماديين ولم يقف شبلې شمېل عند حدود المذهب العلمي بل ذهب يطبقه على المجتمعات من خلال نظرية التطور المادية التي تريد ان تفرض تفسيراً للفكر والمجتمع والحياة مطلقاً من معارضة تامة للاديان والقيم والمثل التي صاغت النفس العربية الاسلامية . وقد كان الى هذا الاتجاه نحو هدم كل المقدرات والى ولاء استعماري للنفوذ البريطاني في مصر والاجنبى في البلاد العربية ولم يكن داعية الى الحرية والايمان بمقومات العرب او ذاتيتهم ، وكان طامعا في ان يضح هذه الامة في آتون العمالية والاممية ليتصهر فيه ميخا غربيا لا هو عربي ولا هو غربي .

وقد كشف صديقه وزميله الدكتور صروف عن اخطاء شبلې شمېل فأشار الي أنه تعلم الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولذلك فإن رايه في هذا المجال غير علمي بالقدر الكافي ، وان صروف نفسه الذي درس العلوم الطبيعية لا يرى راي شمېل في مذهب دارون ولا في نظرية النشوء والارتقاء التي اعتمد فيها شمېل على الغلاة : هيكل وخنر يقول : تناول مذهب النشوء وترجم كتابا مفصلا فيه هو شرح بخنر على مذهب دارون ثم توسع في هذا الموضوع وطبقه على كل ما في الكون حاسبا اياه وسيلة لاصلاح حال المجتمع الانساني .

وقال: ولم يكتف الدكتور شمبل بمتابعة العلماء الذين لم يروا في الكون غير المادة والقوة ، بل تابع العلماء الذين قالوا انه ليس فيه غير القوة وان المادة خالصة من حالات القوة .

ولكن العلماء الطبيعيين الذين أثبتوا بالتجارب أن المادة قوة ، أكثرهم من المعتقدين بوجود الأرواح مستقلة عن المادة وجلهم من المعتقدين بصحة مذهب دارون ولكنهم لا ينفون وجود الخالق (أى كما يتقيه شبلى شمبل) .

وأشار صروف الى قول مطران كارليل : اذا عد صانع الساعة حكيما ماهرا فالذى يصنع ساعة تصنع ساعة أخرى أحكم وأمر ، أى اذا كان الخالق أودع في المادة أو في القوة قوة تجعلها تولد العناصر والمركبات الكيميائية والنبات والحيوان حتى الانسان فذلك ادل على عظمته وحكمته وقدرته مما لو فرضنا انه يعنى يوماً بيوم يخلق كل نبات وكل حيوان وكل انسان .

وقال أن بختر خالف دارون ، وأن دارون صرح بأن الخالق نفخ نسبة الحياة في الحي الأول الذى تولدت منه الأحياء وبختر نفى ذلك (وتابعه شمبل) .

وأشار صروف الى اندفاع شمبل العاطفى وراء كل رأى يراه دون حذر أو تقدير للأمور ، وأن ذلك كان من أخطر مقامز شخصيته ، ومن الحق أن يقال أن شمبل كان يعمل من خلال هدف تفريبي واضح ، وأن صروف كان يريد أن يخفف الصدمة ، ويعمل عن طريق ادخال نفس أفكار التغريب عن طريق المراحل ودون اثاره الضجيج .

ولقد أخذ المؤرخون على شبلى شمبل خيانتة الوطنية حين كانوا يدعو الى العالمية بينما كانت الحركة الوطنية هي السلاح الوحيد ازاء الاستعمار وأنه كان تحت دعوى العالمية يدامع عن مد امتياز قناة السويس ويوالى الانجليز وقد تكشف أخيراً عن أن الدعوة الى العالمية كانت من أكبر اهداف الصهيونية .

ابن رشد

أثيرت شبهات كثيرة حول موقف خليفة قرطبة مع ابن رشد وسجنه إياه وتحريق كتبه وحاول بعض دعاة التغريب وخصوم الإسلام أن يصوروا ما وقع له من اضطهاد ، على أنه مصادرة للفكر في الإسلام ، وليس هذا صحيحاً في الواقع ولم يعرف في تاريخ الإسلام أي نوع من اضطهاد المفكرين مهما كانوا يحملون من آراء ، أما ابن رشد فقد كانت خصومته مع الأمير خصومة تجمعت لها عدة عوامل أهمها :

(أولاً) خصومة الفقهاء له مستغلين بعض تزايدت ابن رشد .

ومنها مخاطبته للخليفة ، حيث كان يقول له (يا أخى) وكان المنصور لا يضيق به في أول الأمر فلما تردد كلام الفقهاء عنده بدأ يضيق به ، وأضيف إلى ذلك ما أخطأ به ابن رشد حين قال في كتابه عن الحيوان : ورايت الزرافة عند ملك البربر مشيراً بذلك إلى المنصور ، وقد غضب لذلك الأمير الذي كان يسمى نفسه خليفة للمسلمين أن يوصف بأنه ملك ، وأمر بتغيب ابن رشد فأقصاه في قرية بعيدة أقام بها ثلاثة أعوام ، غير أن الفيلسوف دافع عن نفسه ونفى تهمة العيب في حق المنصور وقال أنه حين أراد أن يكتب (ملك البرين) فسبق القلم بها فجاءت ملك البربر أو أن ما وقع هو تحريف من الناسخ .

ثم كان أن اقتنع الخليفة وعفا عنه وعاد مرة أخرى إلى قرطبة .

ابن الراوندى

أولى المستشرقون وكتاب التغريب اهتماماً كبيراً بعدد من الزنادقة والمنحرفين من الخارجين عن الإسلام ونشر مؤلفاتهم ودراسة حياتهم ومن هؤلاء ابن الراوندى الذى قال الحافظ بن الجوزى أنه واحد من ثلاثة من زنادقة الإسلام . وابن الراوندى من أصل يهودى وكان أبوه يدين باليهودية ثم أسلم وروى أن بعض اليهود كان يقول لبعض المسلمين بشأن ابن الراوندى : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا » وكان أبوه قد انشق لأمر ما عن أهل طائفته فأخذ يثير عليهم عجاج الجدل والمشغبة ،

كما كان ابنه يفعل فيما بعد ، فلما لم يتم لهم ما أراد انقلب مسلما نكاه في بني دينه اليهود .

غالب البلخي عن ابن الراوندى : انه كان على اول امره حسن السيرة حميد المذهب ، ثم انسلخ عن الدين وظهر الاتحاد والزندقة وطرده المعتزلة فوضع من الكتب الكثير في مخالفة الاسلام .

وقد حضى آراءه ورد عليه أبو الحسن الخياط المعتزلى في كتابه الانتصار ، وقد بلغ ابن الراوندى قمة الخصومة للاسلام في معارضاته للقرآن الكريم فقد عارض نظم القرآن بنظم من وضعه ووضع التأييد للمرافضة ضد اهل السنة ، والاعتقال ، والفساد ضد الآخرين ، كما وضع لليهود كتابا يرد به على المسلمين ، ثم رام نقضه بنفسه ، ووضع كتاب (الإمامة) للمرافضة لثلاثين دينارا وكتب غير اللطعن على التوحيد وأهله .

يعقوب أرتين

من الاسماء التي لمعت لمعلمنا خاطفا في ظل الاستعمار البريطانى ، وفي دعم مخططاته في التعليم ، وكان له اليد الطولى من وراء تطوير النفس الايرلندى مستشار الوزارة ومن وراءه سعد زغلول لماظر المعارف وعين النور كرومر ، يعقوب أرتين الارمنى الذى عمل وكيل لوزارة المعارف منذ عام ١٨٨٤ حتى توفي في عام ١٩١٩ وكان تركيبه الاجتماعى والتاريخى عاملا أساسيا في تأهيله للعمل الذى قام به بالإضافة الى تعليمه ، فهو من أسرة أرمنية تعلم في باريس ومكث بها نحو سبع سنين وعين مربيا لإمراء البيت المالكة وأخصهم فؤاد الذى أصبح سلطانا على مصر فى عام ١٩١٧ فملكوا ود وصفه المقتطف بعد وفاته بأنه (تولى عدة مناصب خطيرة مملوءة بالمعضلات لا يوى على تذليل صعابها الا من اتاه الله مقدرة فائقة وذكاء عظيم وفى جميعها فاز بالتمدد المطلق) وله كتاب : القول التام فى التعليم النقام ، وكان له دوره فى تغيير مناهج التعليم العربية الاسلامية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وابدالها بمناهج زائفة حذفت منها اللغة العربية والقرآن وتاريخ الاسلام .

وقد حرص يعقوب أرتين الارمنى الاصل أن ينبغى عن المصريين كل عبقرية أو ذكاء فقال : في ريبالة عن الأقاصيص في وادي النيل له أنكر فيها حتى الذكاء المصري على ابتكار الأقاصيص الشائعة التى تروىها العجائز

للمسافر فمن رأى أثنين أن هذه الانتماءات أما من مصدر تركي أو فارسي حيث يكثر فيها ذكر الجن والعفاريت والفساء وأما يونانية أو ربية حيث يكثر فيها الأسلوب البيروني والخرافات الموضوعة على السنة الحيوانات وأما بربرية يغلب عليها المباحث الدينية والترثم بمخاضين بغداد ، وأما زنجية تدور على الصحر والغيلان والرقص والتطويذ . وحال العقائد معلقا : أن هذا الرأي يدل على جهل بملكة مصر وشعوب المصريين .

عمر الخيام

استطاعت شهرة عمر الخيام فحاة ، بعد أن كان واحدا من العلماء المسلمين في مجال الكشوف الجغرافية ورصد الكواكب فأصبح شاعرا خظيرا في مجال الدعوة إلى الانطلاق ، وذلك عندما نشر شاعر انجليزي مجموعة من الشعر عام ١٥٨٩ نسبها إلى الخيام هو فيترجرالد ، وقد نقلت هذه القصائد الإنجليزية مرة أخرى إلى لغة العربية وأصبحت أوليت اهتماما بالغا فبلغ عدد من ترجموها إلى العربية أكثر من سبعة من الأديباء منهم الطيبستاني والزهاوي ورامي والصابي النجفي والمصاوي وأبو شنائيد وسعيد الهاشمي . وقد تبع ذلك اهتمام بالغ وتركيزا أشد خطورة على اسم الخيام دفعا لهذا التيار الجديد وتعميقا له فصدرت طوابع البريد في مختلف أنحاء أوروبا باسمه وصورته ، وأنشأت الأندية الليلية الصاخبة تحت لوائه ، وكتبوا اسمه على الجرافات المبطانات (كارت بوسنتال) تعظيها وتكريما لتضامن القتل والمجون المنسوبة إليه .

وقد كان لهذا التيار أثره في التعريف بالخيام في نظر الشرقيين (عربا ومسلمين) شاعرا ماجنا عريضا يدعو إلى اللذة ، وقد استمر ذلك وقتا طويلا حتى كثفت الأبحاث العلمية والدراسات الخالصة المبيدة عن كل زيف عن أن هذه الهوجة كاذبة فعلا وأن الخيام لم يكن هو شغل كل هذا الشعر الذي نسب إليه ولم يكن في حياته انسانا خليعا ولا داعية إلى البهجة .

والقول الصحيح أن من وراء رباعيات الخيام هدفا من أهداف التغريب والاستعمار — يقول السيد مبشر الطرازي الحسنی مؤلف كتاب كشف اللثام عن رباعيات الخيام (أن الاستعمار وجد في هذا العمل ولا سيما في إيران والهند أهمية خاصة ، وكان فيترجرالد الشاعر الإنجليزي قد لبى الإشارة من

قبل بعض الانجليز فقدم للمبتعمر خدمة تحت ستار الادب الغربى بترجمة تلك الرباعيات بصورة خلابة وضعها في كلمات انجليزية جذابة بحيث تخلق قلوب الشباب الناشئ في الشرق ولا سيما الايرانيين والهنديين منهم من حيث طلاوتها ومماشياتها مع الشهوات والنزعات النفسية . ولما كانت هذه الرباعيات (مفسوبة) للحكيم الكبر صاحب المكافاة الرفيعة فقد خدع بها كتاب العرب وترجموها الى لغتهم وامطروها بالثناء . والحقيقة ان (مقيتر) قد خدع الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية الاستعمارية حيث تمكن من نشر هذه السموم بين ابناء الشرق والهند وايران ودعاهم الى تناول الخمر وملازمة السرور والنفاء ومجانبة السعى ، والعمل ضد العاملين والركون الى الجمود والسلوك مسلك الكسالى وحثهم على الاباحية والزندقة والحرية المطلقة ، الامر الذي دفع الشرق فيها هفوعه الى التأخر وجعله مستعدا لقبول تدخل المستعمر في مختلف شئونه) .

وقد بلغ الغربيون في تعريف صاحب الرباعيات (عمر الخيام) على السنة خطبائهم واقلام كتابهم ومقدمات تراجمهم الى حد أنهم شبهوه بأبيقور اليوناني وأبى العلاء المعري ترويجا لسوق الرباعيات وتضليلة للشرقيين ولا سيما الجيل الناشئ وكان ذلك تنفيذا لخطتهم السياسية ضد المسلمين تأكيدا لأغراضهم العدائية .

ولا شك ان ابناء الغرب قد قابوا بترجمة هذه الرباعيات لاهداف سياسية واغراض مذهبية وحرصوا على توسيع نشرها وتعميم تناولها بكل طريق ممكن حتى نشروها في قطعات كارت بوستال .

والملاحظ ان المركز الثانى لنشر الرباعيات بعد لندن كان الهند ، حيث نشرت في عواصم دلهي ولاهور وكلكتا وبومبي وقال لى طالب في بعض المدارس في بومباي ان هذا الكتاب يدرس في مدرستنا الثانوية ككتاب ادب انجليزى ، وكان ذلك سنة ١٩٥٠ حينما مررت بالهند عضوا في الوفد الامماني الى المملكة السعودية وقال : ان ترجمة فيتزرالد الانجليزية للرباعيات كانت مدرجة في برامج التدريس بجامعة بعلبك اعظم جامعات الهند .

ثم قال السيد مبشر الطرازي : انه ليس هناك من مصادر اكيده تؤيد نسبة هذا الشعر الى عمر الخيام ولا جود لمصدرها الاصلى وانما استندت

الى عالم مظيم شرقي وحكيم فلكي بارع ومنجم لامع في نفس الوقت الذي اغمضوا ابصارهم فيه عما ثبت عن الحكيم النيسابوري من مقولاته وآثاره التي تدل على ديانتته وتمسكه بتعاليم الشريعة الاسلامية وحرصه على تطبيقها في كل شئون الحياة في العالم الانساني ، وقال : ان الغربيين لم يكرموا عمر الخيام بانشاء ناد باسمه او كتابة اسمه على اطراف البطاقات لمكانته في العلوم الرياضية وعلوم الفلك وانما من اجل الاهداف السياسية التي اشرنا اليها في اذاعة قصائد التحلل والمجون المنسوبة اليه ، وانهم لم يفعلوا ذلك لابن سينا او الفردوسي او الغزالي او الزمخشري من اعلام الفكر الاسلامي ، لقد كان تعظيم الغربيين موجهها في الصحيح وفي الواقع الى تلك الرباعيات الخليفة التي مهدت لهم سبيل النيل من الاسلام وتعاليمه ودعوة اهل الشرق الى التحلل خلقي والحرية المطلقة والضعف والهوان « ١ هـ .

ولقد اثار كثيرون الى خطأ نسبة الرباعيات الى عمر الخيام وفي مقدمتهم ارنست رنهان الذي قال انها (اي الرباعيات) لا تتفق مع مفاهيمه واتجاهه العلمي ، واثار العلامة الطرازي الى انه لم يشع أصلا وجود نص حقيقي كتبه عمر الخيام للرباعيات ، ويتضح باجماع باحثين انها رباعيات موضوعة لا اصل لها وضعها دعاة الشيوعية واستغلها التبشير والاستعمار .

ولى الدين يكن

ما من اسم وضع تحت أضواء التفريب والشيوعية الا كان ضالعا مع الاستعمار وما من كاتب احتضنته جريدة المقطم الا وكان خصما لأمة وفكر أمته ، ومن ابرز هذه الأسماء شبلى شميل وولى الدين يكن الذى وصف بأنه خصم مقاوم لظلم السلطان عبد الحميد بينما كانت خيائته التي سجن من أجلها بعيدة كل البعد عن أعمال الوطنية والحرية ، وقد سمعت من أحمد حلمى باشا رئيس حكومة فلسطين وأمين الحسينى مفتى فلسطين فى ندوة كامل كيلانى أن تهمة ولى الدين يكن التي وضعت فى السجن لم تكن مشرفة وانها كانت تتعلق بالعمل الذى كان يليه فقد كان عضوا فى الجمعية الرسومية البحرىة واخذت عليه بعض الاتهامات بالاختلاس والرشوة فلما خرج من سجنه عام ١٩٠٨ بعفو عام ادعى انه من الأحرار الذين اعتقلهم السلطان وقد جاء الى مصر فانتطوى الى انصار بريطانيه وخصوم العرب والاسلام ووالى الانجليز وكان من اتباع كرومر ومن محررى المقطم .

وقد كان ولاؤه للإنجليز هو لهم ما دافع عنه بعض الكتاب اللبنانيين ، يقول كرم ملحم كرم في مجلة الرسالة : يقول القاصون على الرجل أنه سائر الإنجليز فوق عليهم حبه ورحب باحتلالهم لوادى النيل « وهو بذلك يعترف بموقف ولى الدين يكن ويستدرك فيقول « ان الإنجليز ساعدوا على ترقية مصر » ولقد حاولت حركة التغريب والشعوبية أن تلقى الأضواء على هذا التزلزل فرفقته الى مصاف كبار الكتاب ونشرت آثاره بين أيدي الطلبة والقراء .

ووضعه بعض كتاب لبنان في صف كتاب الروائع ، وفي صف شوقي والمنفلوطي ، بل لقد بلغ الأمر بكتاب مثل سامى الكيالى (وهو تغريبى عتيق) ان يقول عنه أنه من الأبناء الذين نهجوا نهج الإصلاح كمحمد عبده . قاسم أمين . وامامنا تصديقه المؤسفة التى نشرها في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ في جريدة المعلم وهو يوم بسط الخيانة البريطانية على مصر مصدرا بها الصفحة الأولى وموجهة الى (ملك بريطانيا ولمبراطور الهند) يبارك فيها الحماية ويقول موجها كلامه الى الملك :

مصر الوفية لا تزال وفية وكما عهت النيل والاهرام
نالت حمايتك التى اعترت بها أمثالها واستمكن الاسلام

وقد زين ولى الدين يكن كتبه بصورة كرومر كما فعل في كتابه (المعلوم والجهول) وقد كتب تحت صورته (مصلح مصر) .

وأية خيانتته أنه هاجم عرابى والعرابيين وعبد الله نديم ، ونعى على نديم أنه اختفى بعد الثورة العرابية بينما لم يخلف هو صديق الأجلز ، ولا شك أنه ليس هاك أى وجه للمقارنة بيه وبين عبد الله نديم ، ولقد قذف بقلمه اللماجور هذا المجاهد الصادق فقال (بقى مختبئا فى مكان خوفه اختباء الإفاعى فى ججورها) ولا بأس على عبد الله نديم ولا ضرر فى أن يخفى وأنه لشرف له لا يستطيع أن يدعيه لص الجمارك .

وكذلك هاجم مصطفى كامل ورجال الخبز الوطنى وانهيهم بالنفاق والتهريج .

وتكشف كتابات ولى الدين عن نفسية ملحدة جريئة على القيم والمبادئ فقد كان يتحدى شعور المسلمين بكتاباته وسخرياته عن شهر رمضان على

صَفَحَاتِ الْمَطْمِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ « دَوَى مَدْفَعِ الظَّهْرِ الَّذِي أَفْطَر عَلَيْهِ » وَمِنْ
الْجَلِّ ذَلِكَ وَصْفُهُ مَذْذُورٌ بَأَنَّهُ مِنْ أَحْرَارِ الْفِكْرِ وَضَمُّهُ إِلَى ثَمَائِمِهِ فَوَلْتِيرٌ وَكَانَ
يَكُونُ مَنْصَبًا لَوْ وَصَفَهُ بِالزُّنْفَرَةِ . وَمِمَّا يَرَوَى أَنَّ وَلِيَّ الدِّينِ يَكُنْ يَمْدُ بِأَصْلِ
الَّتِي الْكَوْنَمَةُ الْيَهُودِ الْأَتْرَاكُ الْكَلْبَنُ كَانَ لَهُمْ دَوْرُهُمُ الْخَطِيرُ فِي أَثْمَامِ مُحَافِلِ
الْمَاسُونِيَّةِ وَضَرْبِ الْخِلَافَةِ وَالْدَوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ لِحَسَابِ الظَّهْيُولِيَّةِ .

غاندي

لَحِ اسْمُ الْمَهَاتْمَا غَانْدِي فِي الثَّلَاثِيَّاتِ فِي مِصْرَ لِمَعَانَا خَاطِفًا وَتَحَدَّثَ
الصَّحُفَ عَنْ وَطَنِيَّتِهِ وَجِهَادِهِ فِي مَقَاوِمَةِ الْإِنْجِلِيزِ فِي الْهِنْدِ ، وَمَعَ أَنَّ الْإِنْجِلِيزِ
كَانُوا يَحْتَلُونَ مِصْرَ إِذْ ذَلِكَ فَقَدْ حَمَمُوا لِهَذِهِ الْكَلْبَاتِ أَنْ تَتَخَفَّ وَلِهَذِهِ النِّعْمَةِ
أَنْ تَقْلُوبَ .

وَقَدْ وَصَفَتْ الْحَرَكَةُ الْوَطَنِيَّةُ الْهِنْدِيَّةُ بِأَنَّهَا حَرَكَةٌ قَدْ أَنْشَأَهَا غَانْدِي بَعْدَ
عَوْدَتِهِ مِنْ جَنُوبِ أَفْرِيقِيَا وَكَانَتْ إِلَيْهِ قِيَادَتُهَا وَيَطُولَتُهَا .

وَكَانَ هَذَا هُوَ التَّحْرِيفُ الْخَطِيرُ الَّذِي لَمْ يَنْتَبِهْ إِلَيْهِ الْكِتَابُ الْمُسْلِمُونَ
وَالْعَرَبُ إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَانْدِي خَصْمًا لِبَرِيطَانِيَا بِمِثْلِ بَرِيطَانِيَا تَقْسِمُ
لَهُ الْمِجَالِ لِابْتِزَازِ بَطُولَتِهِ وَعَظَمَتِهِ !

وَلَقَدْ ظَلَمَتْ هَذِهِ الْحَلْفَةُ الْمَفْقُودَةُ خَافِيَةً حَتَّى سَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ وَفَدَّ مِنْ
عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ بَيْنِهِمُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الْغَفِيرِ الشُّمَّالِيُّ الَّذِي طَافَ طَوَافًا
وَلَمَسَ بِالْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ وَخَلَقَ كَثِيرًا مِنَ الْمَوَاقِفِ التَّارِيخِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ مَا وَهَلَ إِلَيْهِ وَكَشِفَتْ عَنْهُ الْمَقَاتِلُ ، تِلْكَ الْحَلْفَةُ الْمَفْقُودَةُ الَّتِي تُوَكِّدُ
أَنَّ الْحَرَكَةَ الْوَطَنِيَّةَ لِتَحْرِيرِ الْهِنْدِ أَمَّا بِلَاذَاتِ أَصْلٍ فِي أَحْضَانِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ
أَزْغَعَتْ الْأَسْتِغْمَارَ الْبَرِيطَانِيَّ إِزْعَاجًا شَدِيدًا فَتَأَسَّلَمُوا هُمْ حُكَّامُ الْهِنْدِ
السَّابِقُونَ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ مَقْعُومًا صَرِيحًا فِي مَقَاوِمِ الْحَتْلِ وَالظَّالَمِ وَالْخَيْلِ ،
وَالْجِهَادِ عِنْدَهُمْ وَاحِدَةُ الْعَقْلِ الْكِبَرَى .

وَلِذَا فَقَدْ عَمِدَتْ بَرِيطَانِيَا إِلَى الْقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْحَرَكَةِ بِأَسْلُوبِ غَايَةِ
فِي الْبِرَاعَةِ وَالْمَكْرِ ، قَصَدَتْ بِهِ إِلَى عِزْلِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِيَادَةِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ
وَفَتْحَتِهِمْ وَأَسْلَمَهَا إِلَى الْهِنْدُوسِ الَّذِينَ أَجْرَوْهَا عَلَى الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَرَادَتْهُ
بَرِيطَانِيَا .

فلاستعمار البريطانى الذى سيطر على الهند بعد ثروة ١٨٥٧ التى قادها المسلمون كان حريصا على الا تتحقق السيطرة للمسلمين مرة اخرى على الهند وكان المسلمون قد تقدموا الى العمل من اجل الدعوة الى تحرير الهند ، والحصول على حقوقهم وتصدرت منهم جماعة كبيرة فكانت جمعيتهم الاسلامية التى اطلق عليها جمعية انتقاذ الخلافة برئاسة غلام محمد عام ١٩٢٠ ودخل فى عضويتها الزعماء المسلمون وجمعت ما لا يقل عن سبعة عشر مليون روبية من اجل مواجهة تآمر الدول الغربية على الدولة العثمانية .

الى هذا الوقت كان غاندى غير معروف فى الهيئات السياسية فى الهند وكان منزويا يعمل متطوعا فى فرقة تريض الجنود ثم اتصل بجمعية الخلافة فاستقبله المسلمون احر استقبالا ، رغم تحذير المولوى (خو جندى) ، وكان على صلة به من قبل ويعلم من امره ما لا يعلمون وخاصة فيما يتعلق بتعصبه للهنداكة على المسلمين ، وقد اشار غاندى باستئلاف الهنداكة فقبل المسلمون رغبته وندبوه للسعى الى ذلك فطاف الهند على حساب الجمعية يدعو الى الوفاق ويقول المطلعون انه كان يتصل بالهنداكة ويتآمر معهم على شل الحركة الاندلماعية ثم سعى لضم جمعية الخلافة الى المؤتمر الوطنى الهندى فانضمت ثقة بغاندى ، وقد اقترح المسلمون فى اول اجتماع لهم تعديل القانون الاساسى وطالبوا بتعديل المادة التى تقول باصلاح حالة الهند الى عبلة (استقلال الهند) فوافق المؤتمر على ذلك ومنذ ذلك يوم اخذت الأحزاب تطالب بالاستقلال التام طبق برغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون الا باجراء اصلاحات تمارت تحت الحكومة (البريطانية) لهذا التغير وعدته فاجمعة فى سياسة البلاد وعلى اثره القيت القبض على زعماء وزجتهم فى السجون .

وطالب المسلمون باصدار قرار يتضمن اعلان الأمة الهندية وان الحكومة الحاضرة غير مشروعة مع دعوة البلاد الى مقاطعتها ، وعارض غاندى وبطو الهمم ودعا الى عدم مقاومة الحكومة وقال له ممثل المسلمين : ان كان غاندى يتصور ان اعمال المسلمين فى الهند لا يقوم الا على مساعدة الهنداكة فقد ان له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم ان المسلمين لم يعتمدوا قط على احد الا على الله وعلى أنفسهم .

وشرعت الأمة الهندية على انتهاء ذلك فى مقاطعة الحكومة والامتناع عن دفع الضرائب وحرق المسلمون كل ما فى مخازنهم من البضائع الانجليزية

وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة فحل الهنالك محلهم واشتدت المظاهرة في البنغال استنادا عظيما ليس له مثيل وهاجر عدد كبير من المسلمين الى الأفغان بعد أن تركوا اموالهم وارضيتهم في الهند ، وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال : اننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدري ماذا اصنع فيها .

ومن هذا السياق تستطيع ان تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية وضعفها في الهندوكية ومن هنا فقد عمدت بريطانيا الى ضربة خطيرة بتحويل الحركة من ايدى المسلمين الى ايدى الهنود .

فقد انتهزت فرصة اجتماع الزعماء واعلانهم عام ١٩٢١ استقلال الهند استقلالا فعليا وقاموا بتعيين ولاية الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم في جميع المدن ، هناك اجتمع اللورد ريدنج مع غاندى وطلب اليه حل الوفاق العنوى بين المسلمين والهندوك ، وقال له ان مصدر الحركة الاستقلالية في الهند هم المسلمون واهدافها بايدى زعمائهم لو اجبنا مطالبكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام صارت البلاد للمسلمين وأن الطريق الصحيح هو ان تسعوا أولا لكسر شوكة المسلمين بالتعاون مع بريطانيا وحيث لا تتمهل بريطانيا في الاعتراف لكم بالاستقلال وتسليم مقاليد الحكم في البلاد اليكم .

وهنا وقع الصدع ، فقد عمدت بريطانيا الى زعماء المسلمين فاعتقلتهم (شوكت على ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير غلام محمد ، الذكور سيف الدين كيتلو) وهنا تقدم غاندى الى هيئة المؤتمر بان يفوض اليه امور الحركة جميعا وقال ان الزعماء معتقلون ولا بد من اعطائى السلطة لمهلة وسرعان ما أعلن غاندى في اول اجتماع برئاسته ان الوقت لم يحن بعد لاعلان استقلال الهند وبذلك خان امانة زملائه وحطم مشاريعهم ، وضربت بريطانيا بيد من حديد كل محاولات المسلمين ووضعتهم في السجن وبذلك سيطر غاندى على الحركة الوطنية حتى اذا خرج المسلمون من السجن كان غاندى هو كل شيء .

هذا هو ملخص التحقيق الذى اجراه العلامة عبد العزيز الثعالبي أثناء زيارته للهند عام ١٩٣٧ وكشف به عن اسطورة غاندى :

ولقد كانت دعوة غاندى الى ما سماه اكتشاف الروح الهندى الضميم

والرجوع الى الحضارة الهندية هو بمثابة اعلان الحرب على الحضارة الاسلامية التى عاشت على ارض الهند اربعة عشر قرنا وغرت كل مفاهيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل انها قد غرت مفاهيم الهندوكية نفسها .

سارتر

ان وقائع حياة « سارتر » تستطيع وحدها ان تكشف عن طبيعة فكره وعن التحديات الخطيرة التى فرضت عليه هذا الاتجاه الفلسفى الذى أطلق عليه اسم (الوجودية الملحدة) تفريقا بينها وبين الوجودية التى دعا اليها من قبل (كيركجارد) .

ذلك ان التحديات والأخطار التى واجهها فى مطالع حياته بعد انفصال أمه عن أبيه ، وحياته فى ظل جده الذى كان قاسيا عليه ، وما يتصل ذلك بعدم اقتناعه بما كان يفرض عليه من اتجاه ديني وبالإضافة الى تحديات عصره ، وإلى الدم اليهودي الذى يثير فيه الإحساس بالحق على المجتمعات المسيحية الغربية ، كل ذلك كان له أثره فى تشكيله وتركيبه وفى الآراء التى حملها ودعا اليها .

هذا بالإضافة الى شيء آخر ، ذلك هو التركيز على هذه الآراء بالدعاية لها ونشرها وتعميق ظهورها فى المجتمعات الغربية ، وهو ليس من عمل الكاتب أو الفيلسوف ولكنه من عمل القوى التى تروجها هذه الفلسفة وترى فيها خدمة لأهدافها ، ولا ريب أن هذه القوى هى التى حبلت من قبل آراء فرويد ونظرية نيتشة وغيرها ، وأذاعت بها وخلقت حولها هذا الجو الخطير ، وأدخلتها فى قصص الأدياء وكتابات الباحثين ومناهج الدراسة فى الجامعات .

وواضح من كل كتابات سارتر ذلك التحدى الخطير الجرى على كل الحقائق والقيم وفى مقدمتها وجود الله وطبيعة الخلق والمجتمعات والناس .

وقد أدت به هذه العوامل المختلفة (من تكوينه خاصة ومن آثار مجتمعه) الى تكوين نظرية مليئة بالقلق والسأم ، رافضة لكل القيم والمقدرات والأخلاق ، وتقوم نظرية سارتر أساسا على القول بأن الله غير موجود وإذا كان الله ليس له وجود فكل شيء مباح . وهذا لا يعنى الحرية وإنما يعنى

الفوضوية التي تنكرها كل الأديان والمعتقدات والقيم والتي تدمر الإنسان تدميراً كاملاً .

« فأراء سارتر تحتقر العلم وتنكر قيمته » .

وسارتر يرى أنه قد صنع ذاته لأنه لم يكن أبداً لأحد ، وأنه يعيش في الهواء ويقول : اليوم كغد ، والغد كبعد الغد ، وأنه لا طعم لشيء ولا لذة ولا أمل في شيء .

ولما كانت المذاهب الفكرية والفلسفة هي رد فعل لنفسية صاحبها وعقليته ، فإن نظرية سارتر تكشف تماماً عن طبيعة تركيبه النفسي والعقلي وتفسح عن غموض مطالع حياته واضطرابها ، هذا الذي ساقه إلى الكفر بكل القيم الإنسانية ، ويجمع الباحثون على أن مذهب سارتر مستمد من تحديات حياته شخصياً ، فانه ولد وليس له أسرة ومات أبوه في الشهر الثالث وكانت أمه مسموخة الشخصية لم تشعر أبداً بحنان أمومتها (وهي يهودية الأصل) والأسرة التي عاش فيها لم تزدد عن جدين عجوزين كانا يؤذيانها هو وأمه ويشعرانها بالضياع .

وقد كشف سارتر عن نفسه خلال ترجمته الذاتية فأنكر الكنيسة وقال : كنت كاثوليكياً وفي نفس الوقت بروتستانتيًا ومن هنا أراد أن يؤكد ذاته بأن له رسالة ، وهو الطفل المنبوذ في مجتمع يرعى الأطفال المصاديين .

وقد تبين بعد وفاة سارتر أن أثره الاجتماعي والفكري قد تلاشى تماماً ولم يخلف شيئاً ذا بال فقد كانت دعوته بمثابة عود ثقاب أوقد في ظلمة أزمة الحرب العالمية الثانية وسرعان ما انطفأ .

يقول جاك برك : أن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي . ومن المؤسف أن سارتر الذي يبني معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ، ولا يحس به ، وأخطر ما هنالك أن سارتر لم يستطع التغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني فأعقب إسرائيل مدعى اليها .

ابن خلدون

كانت الحملة التي قادها الدكتور طه حسين في مطالع هذا القرن على ابن خلدون في أطروحاته الفرنسية التي نال بها الدكتوراه من جامعة السربون علامة على ذلك الخط الذي اختاره المستشرقون والمبشرون لكتابنا بالنسبة إلى إعلال الفكر العربي الإسلامي والتاريخ الإسلامي ، وهو نفس الخط الذي مضى فيه زكي مبارك إلى مهاجمة الغزالي ومضى فيه طه حسين من بعد إلى مهاجمة المتنبي ومضى فيه كثيرون إلى تدمير أعظم الشخصيات العربية الإسلامية التي هي فخر تاريخنا والمثل الأعلى الذي يتطلع إليه شبابنا .

وكان طه حسين قد أعد أطروحاته تحت إشراف باحث يهودي هو « دور كايم » ومن هنا فقد حرص على نقل آرائه وأصطفاء وجهة نظره ، وقد مضى في ذلك شوطاً طويلاً في الظلم والاعتناء حتى اعتبر أن إطلاق لقب « اجتماعي » على ابن خلدون مبالغة كبيرة .

وكان هذا غاية في الظلم والاعتساف ، وقد كشفت أبحاث الباحثين عن هذه التبعية الخطيرة التي دفعت طه حسين إلى تبني آراء دوركايم في ابن خلدون واتخاذها أساساً لبحثه وهو يهودي من إتباع النظرية الماركسية ورايه في ابن خلدون مشوب بالتعصب .

ولقد وقف طه حسين هذا الموقف الظالم لابن خلدون بينما وقف أغلب كتاب القرب المنصفين موقف التقدير لهذا العلامة ، وكشفوا عن سببته وعن ريادته في مجال : التاريخ والاجتماع والاقتصاد بالنسبة لمن جاءوا بعده من أمثال لآدم سميث وأوغست كونت وبينهم وبينه أكثر من أربعة قرون .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن نظريته في المقدمة لم تكن مجرد جمع لمعارف متنوعة ولكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم في معناه الدقيق .

وقد ردد هذه المعنى : شميدث ، وفيليب ، وايف لاکوست . روبرت فلينت وجو ميلوميتس واستيفانوا كولوزيو .

وسجل أرنولد تومبى « أن ابن خلدون في المقدمة التي كتبها للتاريخ والعلم قد أدركنا وأنشأ (فلسفة التاريخ) وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه أبدعه أي زمان ومكان » .

ومى مؤتمر ابن خلدون عام ١٩٦٢ بالقاهرة اجتمع أكثر من مائة عالم وقدموا أكثر من ثمانمائة صفحة عن ابن خلدون كلها تصفع آراء طه حسين والزائفة الوافدة التى تحمل طابع التبعية والجحود .

وقال الدكتور عمر فروح فى هذا الموقف : انه لمن دواعى الأسف أن يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون أنفسهم ، ولكن الذى يؤسف له حقا أن يقوم بعض الشرقيين يحطون من قدر ابن خلدون بعد أن جهد الغربيون كل جهد فى نشر فضائله وإظهارها .

ميكافيلى

أولى التغريبيون اهتماما كبيرا بما كافيلى وكتبه الأمير ، لا على النحو الصحيح وهو إبراز الفوارق بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى فى مجال السياسة وبحض نظرية ميكافيلى وإعلان ذاتية الفكر الإسلامى التى تؤمن بأخلاقية كل القيم والمفاهيم من سياسة واقتصاد واجتماع وتربية ، ولكن على أساس غزو الفكر الإسلامى بمفاهيم تختلف عن ذاتيته وأخلاقياته وقيمه الأساسية .

والحق أن ميكافيلى مطابق للفكر الغربى فى أسسه الرومانية واليونانية وهو إضافة حقيقة إليها ، وليس غريبا عنها ، ولكنه غريب بالنسبة للفكر العربى الإسلامى ، حقيقة أن ميكافيلى يمثل أول انكسار فى الخط الذى أشاعته تعاليم المسيحية ، ولكنه مطابق لذلك التحول الخطير الذى اتجه إليه الفكر الغربى حين حرر نفسه من قيم الأديان وانطلق الى نزعة الوثنية القديمة : نزعة الغاية التى تبرر الوسيلة .

وقد كانت نظرية ميكافيلى هى مطلق جميع نظريات الديكتاتورية والفاشية والنازية والتسلط التى سادت الفكر الأوربى والمجتمع الغربى ، وهى نظرة غريبة على مجتمع العرب والمسلمين فى أصالته ، وأن كان قد تأثر بها كما تأثر بالغزو الغربى الذى فرض عليه الفلسفة الليبرالية ، والأنظمة الديمقراطية الغربية بكل فسادها واضطرابها وتعارضها مع مفاهيم الفكر الإسلامى القائمة على الحرية والكرامة والعدالة والترابط بين الفرد والمجتمع وحرية المعتقد الدينى .

ولذلك فأننا يجب أن تنبه الى مدى عمق الفوارق بين الفكر الغربى

والفكر الإسلامى فى مجال السياسة وفى عرض الشخصيات المختلفة وفى
مقدمتها ميكافيلى .

تولستوى

نزعة الغاندية والتولستوية فى الأدب العربى والفكر العربى الحديث
نزعة دخيلة وافدة ، غريبة عن طبيعة هذا الأدب وهذا الفكر ، وهى محاولة
لاخراج الفكر الإسلامى والثقافة العربية عن ذاتيتها القائمة على العدل
والرحمة معا ، والتى تجعل (الجهاد) أفقا عاليا من آفاق العقائد لا سبيل
الى التخلّى عنه أو المهادنة فيه أو التفریط فيه .

وتقوم الغاندية والتولستوية كاليهائية والقاديانية على فكرة مستمدة من المسيحية
العربية هى فكرة السلام والدعوة الى القاء السلاح والغال الحروب والتقريب بين
الاديان ، وهى جميعها دعاوى تكشف أن من ورائها الصهيونية العالمية
والماسونية فى محاولة تخذيل كل القوى المدافعة عن أرضها ومحاولة تقبل
ما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر العالى أو الأخوة العالمية . وتبرز هذه
الدعوات وتستشرى فى ظل ذلك الخطر الاسرائيلى المائل المسيطر على
الأرض العربية .

بينما لا تحمل أى دعوة ما يحمله الإسلام من سلام وإخاء ومحبة وتقريب
بين الناس ودعوة الى الانسانية والإخاء البشرى ، دون انتقاص لأحد أو
احتلال لأرضه أو سيطرة عليه وإذلاله .

ومن ها كان خطر التزيين بما دعا اليه تولستوى أو غاندى من سلام
أو ما يشار اليه من العصيان المدنى فى مواجهة الاستعمار أو الدعوة الى
الرحمة المسيحية ، ذلك أن الإسلام يقوم على قاعدته الأصيلة سلما كاملا
عن طريق الجهاد ، الذى هو معنى مفهومه الأصيل عملية دفاع وحذر واستعداد
وليست عملية قتل أو قتال أو حرب . وهى تمثل فى الآية الكريمة « وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة » فهى استعداد وحذر وتحصين للشعور وتغطية فى
مواجهة العدو ، تحمل السلام ، وتفرضه ، وتحول دون القتال والحرب الا
إذا اعتدى على أرض المسلمين أو غزيت بلادهم فهنا يكون القتال من أجل
استرداد الأرض وحماية الذمار .

يعقوب صنوع

هذا واحد من عمد دعاة الفزو الثقافي الغربي الذي يعمل التقريب على ترسيخه واعلاء اسمه ووضع في صفوف المجاهدين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ، حتى لقد اضيف اسمه الى قائمة تلاميذ جمال الدين الافغانى بينما كان هو خادما للاهداف الاستعمارية شأنه شأن جرجى زيدان وسليم سركييس وفرح أنطون وولى الدين يكن وغيرهم . فيعقوب صنوع يهودى أساسا وقد حمل الدعوة الى العابية وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وادخال عنصر فكاهة والسخرية بكل شيء ، من النكتة المكشوفة الى الكلمة الجريئة ، وهو الذى فتح هذا الباب فى صحافتنا العربية والمصرية فمضى الكتاب فيه من بعد ، وكان من الأسلحة الخطيرة التى حملها المحترفون فى سبيل العدوان على الاعراض والكرامات والبيوت .

ولم يكن يعقوب صنوع الا واحدا من هذه المدرسة التى عملت فى صف القصر والاستعمار وخدمت اهدافها بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح ، وقد حمل معه سموم القصص والمسرحيات الفرنسية المكشوفة فمربها ومصرها ، وساهم بجهد ضخم فى انشاء المحافل الماسونية فى مصر عام ١٨٦٥ . والواقع ان يعقوب صنوع كان صنيعة الخديو أساسا وكان يعلم اولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة فى مديحه والإشادة به ، وتردد أنه كان أستاذا فى علم الرقص وأنه علمه فى قصور الخديو والباشوات ، وكان امراء عابدين قد أرسلوه الى باريس ليتعلم بها فهو ربيب لغتهم أصلا ، وليس خلافه مع الخديو اسماعيل مرتبطا بهدف أو ايمانا بفكرة كما حاول بعض التغريبيين ان يصوره ، بل على العكس كان يجرى مع التيارات الصهيونية والاستعمارية التى حملت على الخديو رغبة فى اسقاطه .

واذا كان يعقوب صنوع قد ألف محفلا أو محفلين فان ذلك كان فى خدمة الماسونية طليعة الصهيونية فى هذا العهد . وقد كشف ابراهيم عبده هذا المعنى فى كتابه عنه حين قال :

« كان فى محفلة يتحدث عن تقدم الآداب والعلوم فى أوربا . حاملا على تخفيف حدة كراهية النفوذ الأجنبى ومسامحته ، وكان المتحدثون فى ندوته يدعون للحكمة والاخاء بين الشعوب وقد كانت جميعيات يحضرها اليهود والنصارى والمسلمون ويغرى بها طلبة الأزهر وضباط الجيش ليتعرفوا » على مبادئ الحرية الأوروبية والفرنسية خاصة » .

ولا شك أن تعبير إبراهيم عبده إنما هو محاولة لبقة لاختفاء صفة الماسونية التي كانت تسيطر على هذه الاجتماعات ، وكل ما أورده هو من دعواها الخطيرة التي ألت بالمخدوعين فيها إلى أن يكونوا خدما معصوبي المعيين للبتانيين الأحرار الذين يدعون في خفية إلى إعادة بناء هيكل سليمان وهم طلائع الصهيونية .

لا ريب إذن في أن يعقوب صنوع كان طرفها في حركة الماسونية وأداة من أدوات النفوذ الأجنبي . وآية حيافته أنه حين اتسع الخلاف مع اسماعيل لجأ إلى القنصلية الإيطالية فنال حمايتها واستند عليها في مهاجمة اسماعيل كما لجأ إلى حماية فرنسا .

وهكذا تنحصر الهالة الضخمة الكاذبة التي أخفاها هؤلاء التغريبون عن يعقوب صنوع وينكشف في ضوء الحقائق أنه عميل شعوبي ماسوني خائن لوطه .

أديب اسحق

إلى عهد قريب كنت كتب المطالعة في المدارس الأميرية تحمل نصوصا من كتابات أديب اسحق الذي تصفه بأنه داعية من دعاة الحرية وتنسب إليه أنه كان تلميذا من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، وهو بذلك يعلو على الاتهام ويرتفع عن الشك فيه . ولكن الحقيقة لا يبحث عنها خلال إقامة جمال الدين في مصر وقد غادرها ١٨٧٩ وإنما يبحث عن هدم الأسماء التي دارت حول تلك جمال الدين بعد سفره ، أين ذهبوا وكيف عملوا ، فقد كانوا جماعة من الوصوليين الذين استغلوا دعوة هذا الداعي في سبيل كسب لحساب الاستعمار والتغريب والماسونية ، ذلك أن أديب اسحق ما كاد يرى جمال الدين وهو يغادر مصر حتى أصبح وليا للقصر والاستعمار ، وأنه حين عاد إلى مصر كرمته الدولة التي كان يعارضها في ظل جمال الدين وعسين وكيلا لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف وأعاد جريدة مصر إلى الوجود « وهكذا عاد أديب اسحق ليجد تكريما من الدولة المحتلة ثم يتصل بالخدو فينعم عليه برتبة البكوية ويصبح كاتباً لأسرار مجلس النواب ومعنى هذا أنه تحول عن مذهبه الأول ثم أصبح من دعاة « الاعتدال » أبان الثورة العرابية مما أسخط عليه رجال هذه الثورة ومنع جريدته من أن تكون لسان حالها ، ولأديب اسحق شعر حمل فيه على الثورة العرابية وعرابي .

هذا فضلا عما عرف من أديب اسحق من تحلل في الخلق والدين ،
الصحافة عنده حرفة وليست فكرة ، كما عرف بسرعة الانفعال وهياج
الاعصاب والتقلب كما وصفه عارفوه بأنه يؤمن بالجرى وراء هوى النفس ،
كما وصف بالتساهل في طرق معاشرته واطلاق هواه مما ساق اليه عنيف
المزاج وحشته وقد كان هذا سببا من أسباب استفحال مرضه وتفجيل وفاته
بداء الصدر ، وقد عرف أن هدفه كان هو النيل من وحدة العالم الإسلامي
تعضبا ضد الدولة العثمانية التي كانت تجمع بين العالمين العربي والإسلامي .

ولعل أخطر ما وجه الى أديب اسحق من اتهام أنه كان يولجحه الاستعمار
البريطاني في مصر ولا يهاجم الاستعمار الفرنسي في بلاده سوريا ، بل كان
يعطف على فرنسا الأم ويوالجها ويصفها بأنها محررة الشعوب . وذلك موضع
الانتهام في أمانته ككاتب وأخطر مغز يوجه الى أديبه وشخصته .

ولقد كان متابعا بالطبع للماسونية ومن أولياء الدعوة الى ما دعت اليه
من اكبار واجلال للثورة الفرنسية والفكر الغربي .

ومن العجب أن تظهر دراسات في الأخير تحاول أن ترفع من قدر هذا
الكاتب الافاق صنيع المحافل الماسونية وتصوره في صورة المفكر الأصلي
وتضعه في صف رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي على بعد الفارق
والهدف بينه وبينهما .

جرجي زيدان

ما زال دعاة التغريب يخدعون القارئ العربي والمسلم حول جرجي
زيدان ويقامون له روايات الهلال المليئة بالتسموم والانتهاكات الباطلة
والشكوك والشبهات ، وذلك في طريق حركة الغزو الثقافي التي تركز على
التاريخ الإسلامي وتحاول افساده في نظر الشباب ، ولقد ظهرت في الفترة
الأخيرة ترجم جديدة لجرجي زيدان وحدها كافية لتكشف عن حقيقته ، فقد
اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية ورافق الحملة النبيلة الى السودان ١٨٨٤
بوصفه مترجما في قلب الاستخبارات ، فلما كشف عنه الاستعماريون ووجدوا
فيه طلبتهم أرسلوه الى بريطانيا وأعدوا اعدادا خاصا فلما عاد درس اللغتين
العبرانية والسريانية وجاء الى مصر فألف أخطر كتاب في تاريخ الماسونية
وكان من دعائها الأبرار وعضوا مؤسسا في المحافل الماسونية ، ولم يقف أمره
عند هذا بل أدخل الى أفكاره وآرائه سموم الآراء الخطيرة التي تحملها هذه

الدعوى التى كانت مقدمة للصهيونية العالمية والتى استقطبت كثيرا من الغافلين فى العالم العربى .

وكان الهلال وروايات الهلال من الأدوات الخطيرة فى هذا المجال فى سبيل الدعوة لليهود وتزييف التاريخ القديم . ولقد ثبت اتصال جرجى زيدان بالاتحاديين الأتراك الذين كانوا أداة النفوذ الاستعماري والصهونى فى تمزيق الدولة العثمانية ، وأنهم أولوا اهتمامهم بالكتابة عن الانقلاب العثمانى وكان رأيه فى السلطان عبد الحميد متابعه للصهيونية حتى انه عندما أشار الى موقفه الكريم فى رفض عرضهم ، لم يزد على أن قال كلمات غامضة لا تكشف الحقيقة تمويهها وابقاء للشبهة حول الرجل الكريم . وكتابات جرجى زيدان تحمل لواء الخصومة لكل وطنى ومجاهد ومصلح : مصطفى كامل وعزرائى والمهدى محمد أحمد وغيرهم .

نيتشه

بعد دعاة التغريب الى اعلاء شأن الفيلسوف نيتشه وابرار فكره وكانوا فى ذلك غير صادقين ، بل لقد استغلوا جانباً من نيتشه ولم يكشفوا عن حقيقته او التحديات التى دفعته .

وما رددته الفيلسوف نيتشه لا يتصل بالفكر الاسلامى ولا بالاسلام ولا بالأدب العربى من قريب أو بعيد فقد كان نيتشه مسيحياً وكان هجومه كله على المسيحية الغربية ، وفى كل ما حاول أن يصورها به من قصور أو عجز من مواجهة العلم (كما فعل رينان) من بعده أو إثارة الاتهامات حول شخصية سيدنا عيسى وهل هو اله أم بشر (على نحو ما فعل لودفيج من بعد) كل هذا لا يطرح على الفكر الاسلامى ولا يمثل أدنى صلة به ، ذلك الى أن الفكر الاسلامى فى متابعة من القرآن والاسلام يختلف اختلافا بعيدا فى نظراته الى العلم والى النبوة والى التوحيد وفى مختلف مفاهيم الحياة وقيمها .

أما الذين طرحوا نيتشه وفكره فى محيط فكرنا العربى الاسلامى فانما أرادوا إثارة الشبهات وخلق جو من الشكوك والاحاد والاباحة جريا على التموه الذى توجه اليه حملات التغريب والصهيونية وهو مهاجمة الدين بوصفه ديناً ، أما الاسلام فليس ديناً بالمعنى الذى يريده هؤلاء أو يقصدونه،

فلك أنه ليس منهجا تعبيديا لاهوتيا خالصا يقوم على العبادات أو الاتصال بالله وحده ولكنه نظام كامل للحياة والمجتمع والحضارة تترابط فيه الصلة بين الإنسان والله والإنسان والمجتمع جميعا . ومن هنا فإن فكر نيتشه وصيغته أن الله قد مات لا تدخل مطلقا فى نطاق الفكر العربى الإسلامى إلا من ناحية دراسة تطور الأديان وعلومها المقارنة .

ولكى يتأكد شبابنا المسلم من فساد المثل الأعلى لدى نيتشه نكشف هذه الصفحة التى ظل خصومنا يكتمونها زمنا وهو أن نيتشه قضى نحو عشرين عاما وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا اذ كان فى الدور الأخير من مرض السلفس وكان ميتا منذ عام ١٨٨٥ ودفن عام ١٩٠٠ وهو مرض لم يقعد جسمه فقط بل أمات ذهنه ، ومات مغمورا لم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة ولكنه بعد موته بعنه اليهود من جديد ليحقق أهدافهم واشادوا به فى البروتوكولات .

ماركس

أبرز مفاهيم ماركس نظرية التفسير المادى للتاريخ وهى نظرية ثبت أنها جزئية وليست صالحة للتطبيق لا من حيث المجتمعات ولا من حيث العصور ، وانها واحدة من نظريات التفسير الجغرافى للتاريخ ، والتفسير الطبى للتاريخ والتفسير الجنسى للتاريخ ، وكلها نظريات يقف أمامها الفكر العربى الإسلامى موقفا واضحا ، هو أن للفكر الإسلامى نظريته فى التفسير الإسلامى للتاريخ أو ما يمكن أن يطلق عليه « التفسير الأسمانى للتاريخ » .

وماركس يدبر التاريخ كله حول نظرية القيمة ويفسر بها كل الاحداث ، وقد أصبح الراى على أن العامل الاقتصادى ليس هو العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لاي أمة ، ذلك أن هناك عوامل كثيرة تؤثر على مجرى التاريخ من بينها العوامل السياسية والقانونية والأفكار الدينية ، وفى كثير من الأحيان تكون الغلبة لأحد هذه العوامل وليس للعامل الاقتصادى .

وقد اعتمد ماركس فى دعم نظريته ، وعلى كثير من الأحداث التاريخية الغامضة التى وقعت قبل التاريخ كما حرف كثيرا من حقائق وتجاهل حوادث أخرى هامة لا تنطبق على نظريته ، ومما ذهب اليه ماركس ولم يتحقق نظريته القائلة بأن التقدم الاجتماعى من شأنه أن يحقق تقدما أخلاقيا ،

وقد أثبت تطورات الحضارة عكس ذلك ، ومصدر أخطائه ملوكس أنه اعتمد على الجوانب المادية وحدها ولم يحسب حساب العوامل الفكرية والروحية .

فرويد

لقد أعطى فرويد تركيزا ضخما وألقيت عليه أضواء كثيرة وطرحت آراؤه بقوة نفوذ الأعلام الصهيوني واليهودي حتى أصبحت من مقررات الجامعات ومصادر الكتابة لدى القصاصين والكتاب ، دون التفات إلى ما هوجمت به آراؤه من زملائه وما كشف عنها من نقص . وخاصة في نظرية فرويد الرئيسية القائمة على أساس الجنس والقائلة بأن غرائز الإنسان هي التي تحكمه وتسيطر عليه ، وقد خالفه في هذا الاحتمال أقرب اثنين إليه من زملائه : هيا ادلر ويونج . وقد اجمع الباحثون على أن فرويد (متنبئ) أكثر منه عالما وأنه مخترع للفرضيات أكثر منه مناقش لها ، وأن فرويد قد اعتمد على كثير من الأساطير اليونانية القديمة فحولها إلى نظريات ومن ذلك عقدة أوديب وعقدة الكترا .

وقد كشفت الأبحاث التي نشرت أخيرا عن علاقات خطيرة بين هرتزل وفرويد ، وأن هدف مذهب التحليل النفسي هو جزء من مخطط بروتوكولات صهيون الداعية إلى تدمير النفس الإنسانية وأن فرويد قد حقق ذلك عن طريق نظريته التي اذاعتها الصهيونية واعطتها قدرا كبيرا من الاهتمام بما وضع كل النظريات الأخرى والأقرب إلى الصواب في الظل .

وفرويد بطبيعته يهودي يحس بهذا الحقد البشع للمحتبعات الأوربية والإنسانية وقد عاش في النمسا في مجتمع يكره اليهود ويضطهدهم ، ونقطة الضعف في نظريات فرويد وفي مكانته كمعالم هي أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول إلى قوانين عامة ، كما اعتمد فرويد على نماذج كلها من المرضى الذين زاروه ، ولم يعتمد على نماذج من الأصحاء .

ولقد أشار كثير من مؤرخي فرويد إلى أنه كان مجموعة من العقائد النفسية وأنه كان مريضا وكان مرارة الطبع خلعة ملازمة له في علاقاته بغيره .

وكانت نقطة الخلاف الجوهرية بين فرويد وزملائه هي أنه يرى الجنس .

هو أساس كل الدوافع الانسانية وقد خلفه زملاؤه فى ذلك وهالوا ان الجنس ما هو الا عامل من عدة عوامل كذلك اثبت يونج ومكدوجل ان العقل الباطن ما هو الا خرافة وقد نوقش فرويد فى مسألة العقل الباطن وعقدة اوديب فانكرهما . وكانت آراوه فى التحليل النفسى مثار اضطرابات حتى فى نفسه هو .

سعد زغلول

لمع اسم سعد زغلول فى تاريخ مصر فى العصر الحديث لمعانا خاطفا بما وصف به من انه قائد ثورة ١٩١٩ — غير ان سعد زغلول من الشخصيات التى انقسم حولها الراى والتى لم تظهر بالطمأنينة الكاملة فى الحكم عليها من جميع الأطراف ، ذلك ان سعد زغلول قبل الحركة الوطنية كان له ولاء مشبوه مع النفوذ البريطانى تجلى فى اكثر من مظهر ، وكان أبرز مظاهره مصاهرته لمصطفى فهمى الرجل الذى فرضه الانجليز رئيسا للحكومة بعد الاحتلال فامضى ثلاثة عشر عاما حاكما مطلقا والرجل الذى كان موضع ثقة كرومر وموضع نقمة وكراهية المصريين جميعا .

وعن طريق هذه المصاهرة التى تمت فى حضانة كرومر ، وفى مجال الدعوى التى دعاها الى ظهور طبقة من الشباب المصريين المتقربين الذين يعاونون الاجنبى ويقولون حكم البلاد ، ظهر سعد زغلول لأول مرة ناظرا للمعارف عام ١٩٠٧ .

وكان شقيقه فتحى زغلول أحد قضاة دنشواى ، وفى خلال نظارة سعد حدثت أحداث كان لها أكبر قدر من الولاة للنفوذ الاجنبى فقد صدر اللغة العربية بالرغم من الأصوات التى ارتفعت لجعلها لغة التعليم وفرض اللغة الانجليزية ، وايد امتياز قناة السويس اربعين عاما فى الجمعية العمومية ، وانه الرجل الوحيد الذى ذكره كرومر فى خطاب الوداع بعد ان حكم مصر ربع قرن ووصفه بالرجل العظيم صهر الرجل العظيم ، كل هذه الخلفية لصورة سعد زغلول على رأس الحركة الوطنية تكشف بوضوح عن الدور الذى أعده الاحتلال البريطانى له ، والذى يتمثل فى احتلال شخصيات لها ولاء بريطانى محل شخصيات وطنية خالصة ، ومن هنا فقد كان سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى فى مقدمة الرجال الذين عملوا فى الحركة الوطنية السياسية من داخل دائرة النفوذ الاستعمارى

ووفق مفاهيمه وهى الدائرة التى حلت مكان دائرة اليقظة والاصالة التى أسقطها الإنجليز من زعامة البلاد وأقصاها ونفاها قبل الحرب العالمية الأولى .

لطفى السيد

ان الدعوة التى حمل لواءها لطفى السيد عام ١٩٠٧ على صفحات الجريدة وهى مصر للمصريين .

وقد وجدت خلافا كثيرا فى تقديرها وفى أصالتها وفى مدى ارتباطها بحركة اليقظة العربية الاسلامية وكذلك مدى ارتباطها بمحاولة الاستعمار والنقوذ الاجنبى فى فصل مصر عن العروبة والعالم الاسلامى والاسلام نفسه . فقد كان رأى لطفى السيد وهو مستمد من مفاهيم كرومر وفلسفته أن المصريين يجب ان يعيشوا داخل وطنهم دون أن يأبهوا بأن رابطة تربطهم بالعرب كامة أو بالعالم الاسلامى ، وعليهم أن يشكلوا مجتمعهم على هذا الوضع منعزلا عن العالم القريب الذى اتصلوا به قرونا عديدة ، ولكنه لا يرى بأسا أن يفتح المصريون طريقا بينهم وبين الغرب وأن يركزوا صلاتهم الفكرية والاجتماعية مع الليبرالية الغربية وما يتصل بها من مفاهيم فى السياسة والاجتماع والتربية . ومن هنا فقد بدت دعوة لطفى السيد غريبة تلقى ، لأنها انفصلت عن قاعدة التاريخ والفكر والامة ، وقد كشفت الاحداث والوقائع أنها لم تكن دعوة خالصة فقد كان وراءها حزب الامة هو حزب الالتقاء مع الاحتلال فى منتصف الطريق ورجاله هم خاصة السراة وصفوتهم ممن شكلهم الإحلال البريطانى ، وقد كانت هذه الدعوى محاولة للتيسل من الدعوة الوطنية الخالصة المرتبطة بمختلف قيم العروبة والاسلام ، غير أن الاستعمار استطاع أن يركز على دعوة لطفى السيد وأن يدعمها بقوة بعد أن صفى مراكز الحركة الوطنية وهاجر زعمائها الى الخارج أو ذهبوا الى المنفى ، وبذلك أعد المسرح اعدادا كاملا لسيطرة هذه النظرية السياسية على مسرح الحياة المصرية بعد الحرب العالمية الأولى تحت أسماء الأحزاب المختلفة التى كانت جميعا تدور فى فلك الولاء الفكرى الغربى ، وأن كانت تدعو الى الاستقلال السياسى .

كرومر

ولى كرومر منصبه فى مصر ممثلا للدولة البريطانية فترة لا تقل عن ربع قرن (١٨٨٣ — ١٩٠٧) . ومما يؤثر عنه قوله : ان الساعين لارجاع مجد الاسلام يحاولون أن يحييوا فى القرن العشرين المبادئ التى تكونت قبل أكثر من ألف سنة لقيادة أمة بدوية فى حالة الفطرة وأن من تلك المبادئ ما يخالف الفكر العصرى ويناقضه من اباحة الاسترقاق وما جاء عن العلاقات بين الجنسيتين وقد دحض آراءه كثير من الباحثين ولكنه استطاع تكوين جيل يحمل هذه الآراء فقد كان ذا نفوذ بالغ مسيطر على كل أجهزة الحكم وعلى القصر جميعا ، حتى أطلق عليه صاحب السلطة الفعلية فيما أطلق على الخديو صاحب السلطة الشرعية .

وأهم ما دعا اليه كرومر :

١ — القضاء على الاسلام ديننا ودولة .

٢ — القضاء على الوحدة الاسلامية .

وقد استطاع فى خلال هذه الفترة الطويلة أن يؤكد وجود النفوذ الغربى فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والتعليمية والقانونية المصرية ، وتمثل تقاريره فلسفة كاملة للتعامل بين النفوذ الاستعماري والمصريين ، وقد استطاع كرومر أن يعد ركيزتين هامتين فى سبيل دعم الاحتلال البريطانى والنفوذ الاستعماري كان لهما أثرهما البعيد بعد ذهاب كرومر والى وقت بعيد ، هاتان الركيزتان هما :

وضع لطفى السيد على رأس صحيفة الجريدة لسان حال حزب الأمة منذ عام ١٩٠٧ الى عام ١٩١٤ ليثبت يوميا فلسفة استعمارية اقليمية تمثل المنهج الغربى الاستعماري الذى ورثناه خلال فترة الاحتلال البريطانى كله والذى ما تزال آثاره ممتدة الى اليوم بالرغم من كل محاولات التحرير والإصلاح .

ووضع سعد زغلول على رأس نظارة المعارف تأكيدا للمعانى التى حرص النفوذ البريطانى على تحقيقها من خلال التربية والتعليم وأهمها فرض اللغة الانجليزية على مختلف مناهج التعليم ورفع مناهج القرآن والتاريخ الاسلامى والمفاهيم الاخلاقية والاجتماعية والتربوية الاسلامية من المناهج وكان كرومر

حفيا بتكوين جيل يرث الاحتلال البريطاني ويكون من متفرجة المصريين الذين يؤمنون بصداقة بريطانيا ويوالون النظريات الغربية في مختلف مجالات الاجتماع والسياسة وقد تحقق هذا فعلا وتحققت ثمرته بعد الحرب العالمية الاولى وفي فترة ما بين الحربين على اوسع نطاق .

دنلوب

كان اسم دنلوب من الاسماء الاستعمارية الضخمة فقد وكل اليه كرومر شئون التعليم فكان مستشار نظارة المعارف منذ وقت طويل وامتد نفوذه الى قبيل الحرب العالمية الاولى .

وكان لوجلاس دنلوب رئيسا لارلنديا اختاره كرومر ليحقق به سيطرة النفوذ الغربى على مناهج التعليم والتربية فكان عمله اشد قسوة مما حققت مناهج مدارس الارسلات الاجنبية فقد استطاع اسقاط كل الجواب التي من شأنها أن تبني العقل العربى الاسلامى من مناهج التعليم وخاصة فيها يتعلق بالقرآن والتاريخ واللغة والأدب . وأضاف كثيرا من تراث الفكر الغربى وخاصة الأدب الانجليزى بهدف خلق طاقة أعجاب وتقدير للمستعمر واعلاء من شأن الحضارة الغربية والنفوذ الاستعماري ، وعيد الى خلق ولاء أوربى في النفس المصرية يستهدف احتقار القيم العربية والاسلامية والمصرية ويؤمن بأن المصرى كان طوال التاريخ مستعبدا بالفرس واليونان والعرب أيضا فقد اعتبر دنلوب العرب مستعمرين للمصريين وجرى على هذا المنهج كثيرون من بعد .

كما اعلی في نفوس الشباب المصرى الاعجاب بالأوربى ، والنظر الى الاستعمار البريطانى على أنه عملية تمدن للشعوب المتأخرة ، وحاول أن يجعل العلاقة بين المصريين والبريطانيين علاقة صداقة . غير أن هذه المناهج جميعا لم تلبث أن فشلت ولم تحقق الاهداف التي طمح اليها النفوذ الأجنبى .

وكانت سياسة دنلوب تهدف الى انتهاء دور الأزهر الشريف حصن اللغة والثريعة فكانت وزارة المعارف في عهده بمثابة معهد يعد الطلائع بعيدا عن البيئة الإسلامية الى أن يصير مفهوم التقدم والحضارة عندهم هو تقليد الغرب وقد لعب طه حسين ولطفى السيد في مصر وساطع الحصرى في العراق دورا مهما في هذه المؤامرة كما لعب دورا خطيرا في هذا الصدد أمثال اسماعيل القباني وعبد العزيز القوصى وغيرهما .

ولفنجستون

حاولت كتب الجغرافيا في المدارس العربية استباحت صفة البطولة على قادة الحملات التبشيرية والاستعمارية من أمثال : هنري الملاح وولفنجستون وغناسكو دي جاما ووصفهم بأنهم طلائع الكشوف العلمية وكان ذلك نتيجة لسيطرة النفوذ الاستعماري على مناهج التعليم في العالم العربي كله ، والواقع أن هؤلاء لم يكونوا مكتشفين ، ذلك أن كل المناطق التي ارتادوها كانت مكتشفة فعلا ومعروفة للمؤرخين والرجال العرب من قبل ذلك بمئات السنين .

وإن ما ورد من أن ولفنجستون وصمويل بيكر قد اكتشفا أفريقيا هو محض ادعاء يكذبه ما أورده ابن بطوطة في رحلته من وصوله إلى أعالي نهر النيجر وإلى تمكتو وسكوتوا قبل أن يصل إليها هؤلاء الأوربيون بنحو ثلاثة قرون وكذلك ذكرها السائح الهروي ولقد كان العرب يعرفون هذه المناطق منذ وقت طويل قبل وصول هؤلاء المستعمرين المبشرين ، وقد بقيت تمبكتو وهذه المناطق أعصرا طويلة جزءا من سلطة المغرب الأقصى ، وهذا ما يؤكد أن صمويل بيكر لم يكن مكتشفا لمناجم النيسل الأبيض لأنها لم تكن مجهولة في وقته عام ١٨٦١ .

ويتحتم هنا أن نقول أن العرب هم الذين قادوا ولفنجستون إلى بحيرة تنجانيقا عن طريق زنجبار وكان ذلك بمساعدة السيد حامد بن محمد المعروف باسم (تيو سيب) أشهر تاجر في تلك الأصقاع ، ولما أقطعت أخباره وجاء (ستانلي) ليبحث عنه لم يستطع أن يصل إليه في مدينة (أجيجا) التي بمساعدة السيد حامد كذلك . ولقد كتب ولفنجستون في تقريره « أن نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري وأن هذه حقيقة كلية إذ أنه من المحال أن نكتشف أرضا جديدة دون أن ينبه ذلك فينا سوق دعوة أهلها إلى الإنجيل » وهكذا ينكشف المخطط الصريح الكامن وراء ذهاب هؤلاء الطلائع إلى هذه المناطق كمقدمة للبعثات التبشيرية والإرساليات .

ولدينا نص يؤكد هوية ولفنجستون أورده (رولاند أوليفر) في كتابه : « العامل التبشيري في شرق أفريقيا » حين قال : لقد أعد ولفنجستون نفسه منذ سنوات حياته الأولى حين كان يعمل في جمعية التبشير اللندنية للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقية الاستوائية وبالعامل بين شعوب غطرية في بلاد لم يكن قد سكنها الأوربيون » .

وفى عام ١٩٤٩ كان ولفنجستون لا يزال يفكر بطبيعة الحال فى التجارة أكثر من الاستعمار . وبما أنه كان أولا وقبل كل شئ مبشرا فقد اختار كعضو فى هذه الحملة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمر فيه داخل البلاد ، ولقد أراد ولفنجستون أن يستكشف طريقا فى أفريقيا للمبشرين لا للمدينة ، وكان ولفنجستون مبشرا قبل أن يكون رجالة ولم تكن رحلته المشهورة إلا تمهيدا للبعثات التبشيرية (بدر الدين القاسم — مجلة العلم العربى — ١٩٦٠) .

هذه هى الحقائق التى غفل عنها مع الأسف أولئك الذين حاولوا تصوير هؤلاء بأنهم أبطال استكشاف جفرانى وخدعوننا عنهم ، ولقد ذهب بعض الأدباء والكتاب الى مجازاة هذا الاتجاه فكتب أحدهم فى صحيفة كوكب الشرق عام ١٩٣٣ بحثا يمجّد فيه ولفنجستون ويصنّعه بأنه من رجال الإصلاح والشخصية العظيمة .

وكان هذا جريا من التيار التغريبى الذى يريد أن يكسب رجاله طابع البطولة !

فاسكو دى جاما

كان أمثال هنرى الملاح فى آسيا وولفنجستون فى أفريقيا وفاسكو دى جاما فى الهند من طلائع التبشير والاستعمار بالرغم من كل ما أضفته عليهم بعض الكتابات التاريخية الزائفة . ولم يكن دورهم الذين تاهوا به إلا من عصارة جهد المسلمين والعرب الذين رافقوهم فى هذه الرحلات ، وفاسكو دى جاما لم يستطع أن يصل الى الشواطئ الشرقية الا بمساعدة البحار المسلم النمبانى (أحمد بن ماجد أسد البحر) الذى كتب أبحاثا كثيرة فى أمور البحر والرحلة فيه .

بل أن دى جاما قد خدعه حتى استطاع أن يحقق غرضه وذلك بعد أن أسكره بالنبيذ ودفعه بالتهديد الى أن يقود حملته الى الهند . وقد كانت كتب أحمد بن ماجد هى العون الأول لكل الغزوات التبشيرية فى اكتشاف الطرق البرية ومسالكها عن طريق العلامات التى أوردها لهداية البحار من نجوم ومسالك بحرية وعلامات الليل والنهار .

وقد اتصف فاسكو دى جاما بكرهه للمسلمين والعرب وقد ضرب

ميدافعه الثقيلة أثناء رحلته الى آسيا مركبا عزلاء تنقل الججاج الى مكة فأحرقها بعد أن نقل اموال اهلها وأمتعتهم الى اسطوله وبعد أن حذر على رجاله انقاذ الفرقي منهم وفيهم النساء والأطفال حتى هلكوا جميعا الا عشرين طفلا بيعت بهم الى البرتغال حيث حملوا على اعناق النصرانية .

وقد كذبت الوقائع التاريخية ما حاولت الكتب العربية المؤلفة في ظل الففوذ الاستعماري أن تنسبه الى فاسكو دي جاما من أنه وصل الى كلكوتا . ذلك أنه لم يذهب الى (كلكوتا) بل وصل الى مدينة أخرى تدعى (كاليكوت) تقع على ساحل كيرالا في الجوب الشرقي من شبه جزيرة الهند وتبعد بأكثر من ألف ميل عن (كلكوتا) التي تقع على مصب نهر الكونج في الشمال الغربي من الهند .

الغزالي

لم يواجه مفكر مسلم بمثل ما واجه به الامام الغزالي من شراسة الحملة عليه ومحاولة تدميره وكان مصدر الحملة عليه هو موقفه المشرف من الفلسفة الالهية اليونانية وهي الفلسفة الوثنية التي تعارض مفهوم التوحيد في الاسلام معارضة واضحة صريحة ، أما موقف الغزالي من الفلسفة الطبيعية او الفلسفة الرياضية فلم يكن موقف المعارض لها بحال .

ومن هنا نعرف مصدر الجملة واسبابها ، فقد كانت حملة الداعين الى تدمير الفكر الاسلامي بالفلسفة اليونانية ومعارضة من يقف منها الموقف الواضح الصريح ، ومن خلال هذا المفهوم كانت حركة التفريب والتبشير والاستشراق وراء رسالة زكي مبارك (الأخلاق عند الغزالي) ووراء غيرها من بعد حتى ليقول احدهم « ان كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي كان بمثابة الرتاج الذي أغلق باب الفكر الفلسفي مظل مغلقا ما يزيد على سبعة قرون » ومن الحق أن يقال أن الفلسفة اليونانية قد فشلت فشلا ذريعا في محاولتها الأولى ابان عصر العباسيين كما فشلت في محاولتها الثانية في العصر الحديث في أن تخرج الفكر الاسلامي والثقافة العربية عن جذورها بالرغم مما أتت بها في العصر من حرية واسعة في نقل الوثائق والمسرحيات والاساطير ما رفضه المسلمون الأول ، ومع ذلك فإن المسلمين يعرفون أن فلسفتهم تنطلق من الفقه الاسلامي وأن منطقهم مستمد من القرآن كما حرره ابن تيمية وأن الفلسفة الاسلامية تقوم على التوحيد وتنبئ في مجتمع

يختلف كل الاختلاف عن مجتمع التوتان العبودى أو مجتمع الغرب الوثنى الاباحى .

ولقد كشف الامام الغزالى عن الفرق بين اسلوب القرآن واسلوب المتكلمين فقال : « ان ادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستغربه الاكثرون . بل ان ادلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع ، والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالاطعمة التى ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى » .

لقد انكر الغزالى النتائج التى توصل اليها فلاسفة ما وراء الطبيعة والالهيات واعترف بصحة آراء فلاسفة المنطق رياضيات والطبيعات .

أما رد ابن رشد على الغزالى فقد جاء بعد مائة عام حيث لم يكن ابن رشد معاصرا للغزالى ولذلك فان المقارنة بينهما والقول بأن كتابه تهافت التهافت هو رد على الغزالى ، هذا القول من الناحية العلمية يبدو عملا من أعمال التزوير التى يريد بها خصوم الغزالى أن يصوروه فى موقف الهزيمة بينما نرى أن كتاب ابن رشد يوافق الغزالى فى أكثر مسائله ويختلف معه فى أقلها وبينهما قرن من الزمان .

وبالجملة فان الامام الغزالى خطأ فلاسفة الذين ارادوا أن يزونا كل شىء بميزان العقل فكان الدين فى ايديهم آلة خادمة للفلسفة ومن هنا كان خطرهم الخطير على الدين والاخلاق . خطرهم على الدين حين اعتقدوا فى انفسهم التميز على اقربائهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين واستعانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم انكارهم للشرائع والنحل وجحدهم مصل الأديان والملة .

أما خطر الفلاسفة على الاخلاق فيرجع الى انهم اهلوا احكام الشريعة فشرّبوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك انهم ادركوا حقيقة النبوة وأسوأ تولهم أن الانسان إذا ارتفع عن طبقة العوام سقط عنه التكليف .

كارل مارتل

يحاول الاستعمار والتفريب أن يضفى على اسم (كارل مارتل) معنى البطولة وذلك لانتصاره على المسلمين فى معركة (نور أوبواتيه) التى يطلق

عليها اسم معركة بلاط الشهداء عام ٧٣٣ م ١١٤ هـ وهي المعركة التي توقف عندها التوسع الاسلامي في اوروبا ثمة ثم عاود حركته على ايدي الاغلبة في تونس .

والحق ان هذه الموجة كانت قد وصلت الى غايتها منذ بدأت عام ٩٣ هـ حتى توقفت عام ١١٤ هـ وكان قوامها البربر والعرب معا وقد استنفذت قوتها وبعدت عن جبل طارق الذي هو نقطة بدئها نحو الف ميل . فكان بلوغ الزحف (بلاط الشهداء) في الحق هو اقصى ما يمكن ان تبلغه هذه الموجة .

غير ان ما وجه الى كارل مارتل من التشريف والتكريم لم يكن في الحقيقة الا ممثلا لوجهة نظر المتعصبين الذين حاولوا بكل ما اوتوا من قوة ان يوقفوا زحف الاسلام على اوروبا . ولكن المنصفين من المفكرين والباحثين والعلماء لم تفتهم الاشارة الى مدى الخطر الذي لحق اوروبا نتيجة لتوقف التوسع الاسلامي مما اخر نمو الحضارة سبعة قرون كاملة وقد شهد بذلك « كلودفراير » احد كتاب الغرب الذي قال بان موقف كارل مارتل الهجى ابقى على ظلمات اوروبا سبعة قرون وحال بينها وبين انوار الحضارة الاسلامية وهكذا شهد شاهد من اهل

دوركايم

ابرز ما وصل اليه دوركايم هو انه الفى الفطرة ، وحاول عن طريق فلسفة عنيدة ان يقول بان الدين ليس فطريا وان الزواج والاسرة ليسا فطريين وان القواعد الاخلاقية ليست فطرية .

وتقوم نظرية دوركايم في نطاق النظرية المادية التي تجد قاعدتها في دارون ومدرسته وهي شطر النظريتين : النفسية ونظرية التفسير المادي للتاريخ وتستهدف نفى القداسة والاصالة عن الاسرة والاخلاق والمجتمعات .

ودور كايم فيلسوف فرنسي يهودى « كان على صلة بعيدة المدى بالدراسات التاريخية والاجتماعية التي اداها الدكتور طه حسين وكان مثرها على رسالته عن ابن خلدون ، هذه الرسالة التي حملت كل اساليب التحقير والاستهانة بابن خلدون وفكره ومفاهيمه . وقد خضع الدكتور طه حسين في ذلك الى نظرية دور كايم ولاء للفكر الغربى الجانح الى احتقار الفكر العربى الاسلامى وتقديرا لاستقاذه ، ولقد ظل طه حسين في مختلف دراساته التي

قدمها خاضعا للمذهب الاجتماعي الذي قرره دوركايم ، عندما درس المجتمع الاسلامي والفننة الكبرى ومذاهب الأدب وتراجم الاعلام وغيرها ، وعن مذهب دوركايم نقل الينا تلك الفكرة المادية الاحادية حين أعلن « أن الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الأرض كخروج الجماعة نفسها » .

وهذا بالنص من آراء دوركايم وقد واجه طه حسين وآراءه هذه معارضة كبيرة في ضوء مقاييس الفكر العربي الاسلامي الذي يؤمن بالفطرة والذي يعرف الاهداف الضخمة وراء دعوات أمثال دوركايم وهم من داخل مخطط الصهيونية العالمية الذي رسمته بروتوكولات صهيون حيث يقول : « لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيثشه بالترويج لآرائهم وأن الأثر الهدام للأخلاق التي تنسئ علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد » .

ودوركايم هو استاذ جاك التوب وطه حسين قال عنه العقاد :

« العالم الاسرائيلي رسول الماركسية في ميدان العلم الاجتماعي نقل آراء كارل ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة الى مباحث الاخلاق ، مذهبه ان الفرد لا قيمة له ولا معنى لتنشئته بالحرية الفردية . انما القيمة كلها للمجتمع الذي يخلق الأديان والعقائد والاداب والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة له ما لم يكن نظاما من نظم الاجتماع » .

ويقول : لقد اخذ دوركايم يعمل بمعاول هدامة في كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية وأخذ تطبيقه الأكبر اليهودي ليفي بريل منهج نهجه ويسير على طريقته : منهج التشكيك في القيم والمثل والعقائد والأخلاق والقاعدة التي يقوم عليها فكره هي ان كل الظواهر والمظاهر نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع لأنها في كل يوم يتبدل حال بحال ، وهم يهدفون من محاولة اعلاء شأن التغيرات وحجب الثوابت التي تدور في فلكها الى افساد المجتمعات وتحللها وقد جابهه كثيرون بدحض أفكاره فقالوا : اننا كانت الاخلاق نسبية فهل سيأتي الزمن الذي يعتقد فيه أن الصدق رذيلة وأن الشهامة شر أو أن الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة ؟ وفي مجال العقائد قالوا له : هل سيأتي اليوم الذي لا نقول فيه بواحدانية الله أو لا نقول بإرادته وعلمه : وهدف هذه الفلسفة اليهودية التلمودية هي تكملة رسالة ماركس وفرويد وخلق أجواء من الشك والانهيار للمجتمعات ، ومن أجل ذلك تكاتفوا وأصبحت لهم الكلمة الأولى في الجامعات وفي العلوم الانسانية .

دارون

اكتسب دارون شهرته الضخمة نتيجة لنظريته القائلة بالتطور ، وأن الإنسان تطور من الحيوان . وفى الحقيقة أن دارون لم ينكر وجود الله ولا أنكر قوة الخالق الذى خلق الخلية الأولى . وقد اثار صراحة الى أن الحياة فى الأصل بدأت بقدرة الخالق العظيم ، الخالق لأصل الأنواع ولم يقل دارون بالتولد الذاتى أو نفى الخالق وإنما قال بذلك آخرون تلقفوا هذه الفطرية وأرادوا أن يجعلوها قاعدة أساسية للفلسفة المادية التى أنبنى عليها من بعد صرح ضخ من الفلسفة فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالحياة وعلم النفس ومنها اثبتت فلسفات الماركسية والفرويدية ونظريات دور كايم وغيره ، غير أن الطبقة الأولى التى حملت لواء النظرية وحولتها عن طبيعتها تتمثل فى لامارك وأرنست هيكل وأوبارين ومن بعدهم جاء سبنسر ثم جاء كثير من الماديين الفلاة .

ولا مارك قال بالتطور قبل دارون ولكن دارون كان أكثر اعتدالا منه ولم يقل دارون بأن الإنسان والقرد من أصل واحد أو أن القرد هو أبو الإنسان الأول ، وإنما قال بذلك الفلاة . ولم ينسب الحياة الى المصادفة ، وغيره هو الذى قال أن الحياة الأولى تولدت من المادة تولدا ذاتيا دونما أى تدبير من مدبر ، ولكن النظرية المادية كلها نسبت اليوم الى دارون وكل ما قاله دارون أن الإنسان والمجموعة الشهيرة بالشيمبازى منحدرن من أصل واحد ، وقد وجدت نظرية دارون معارضة من كثير من العلماء فى مقدمتهم هكسلى تليد دارون الذى نفى أن الإنسان قد انحدر من القرد ، كما أنكر وجود أى نوع من النبيل أو الحيوان تشا بالانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى ، وكان أجاسيز فى مقدمة من عارضوا النظرية حينما قال أن النشوء لا يتم الا وفقا لخطة الهية حكيمة ، وأن الاصطفاء الطبيعى اذا حل محل الخلق الإلهى فإن الإنسان يكون قد جرد من روحه وعدالة صماء وأن الفكرة التى يعتنقها الدارونيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست الا افتراضا اعتباطيا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة .

وأكد العلامة « والاس » : أن يكون الإنسان قد تم على طريقة التطور والارتقاء حيث قال : أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان ولا بد من القول بخلقه راسا .

وقال « فرخو » : أنه قد بين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقا بعيدا فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرد أو غيره .

وقد أشار فريد وجدي إلى الاعتراضات الموجهة إلى نظرية دارون فقال أنها :

(أولا) عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان في الأحياء الأرضية من عهد ألوف المئتين .

(ثانيا) عدم وجود الصورة المتوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التسلل ، كان يوجد مثلا حيوان أرقى من القرد رتبة واحدة وأدنى من الإنسان رتبة واحدة .

(ثالثا) طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الأحياء فإن عمر الأرض كما قالوا لا يكفي لحدوث كل ما يرى من هذه الأشكال المختلفة غاية الاختلاف .

وقال نديم الجسر : أن الحيوانات البحرية الدنيا باقية حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها من ابتداء العالم ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء ولو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب أن يكون الأعلى منها كثوات الفترات وقد وصل إلى أعلى الطبقات .

وبعد : فإن الخطر في نظرية دارون لم يكن في النظرية نفسها وإنما كان في محاولة تطبيقها على المجتمعات كما فعل سبسر وبخنر ثم اتخذت بعد ذلك أداة هدم للاديان ، ولكل ما ليس ماديا من جوانب الغيب الخفية عن الحس والمشاهدة ، غير أن ما حققته كشوف الذرة في الأعوام الأخيرة قد حطم هذه النظرية نهائيا .

هـ . ج . لورنس

إذا كان فرويد هو شيء مذهب التحليل النفسي على أساس الجنس وهو المذهب الذي عارضته كل المناهج الفلسفية والنفسية الأصيلة فإن هـ . ج . لورنس هو أبرز من طبق هذا المذهب في كتاباته ، أو كان هو بشخصيته وانتاجه رمزا على الانحراف الخطير في الشخصية الإنسانية حين يستعصى ويحاول أن يتصور أنه منطلق من مطلقات الحرية .

وقد عنى لورنس بتصوير أزمة النفسية تجاه العجز الجنسي الذى كان مصدره حب أمه له وإسرافها فى احتضائه حتى فقد قدرته الحسية ، فكانت كتاباته ثورة على كل القيم . وقد كان أدب لورنس بالإضافة الى أوسكار وايلد فى إنجلترا الى بولير وبوست فى فرنسا ظاهرة من ظواهر الانحلال الخلقى التى عملت على تدمير المجتمع الأوربي بعد اشاعة الانحلال فيه ، وقد كان لدعوة لورنس الى تحبذ الفوضى الجنسية أثرها البعيد فى المجتمع الانجليزى وشاعت قصة عشيق اللادى شارلى التى تصور امرأة منحسنة متروجة من رجل مريض ، وقد عكس لورنس آلام حياته واضطرابها فى قصصه ومات فى سن الخامسة والأربعين مريضا بالسل وكان خلاصة موفقة كما صوره أحد نقاده .

لقد ضحى لورنس بكل شئ حتى نفسه ويكل القيم الإنسانية التى كان بغير شك يكتبها فى نفسه فكانت تسبب له فى حياته أشقى صراع وانقسام نفسانى ، وكان ذلك فى سبيل اشاعة الفوضى النفسية التى ارتدت اليه آخر الأمر وقتلته بعد أن جرعه غصص الشقاء فى حياته .

نعم ، لقد خسر لورنس كل شئ وكسبت القوى التى حركت لورنس وأمدت من أثاره لتذيع دعوها الإباحية وتعمق هدفها من المفاهيم التى أعلنها مرويد وطبقها لورنس .

جيران خليل جبران

لمع اسم جبران خليل جبران لعانا خاطفا فى الثلاثينات ثم لم يلبث أن انطأ ، ذلك أن المذهب الأدبى الذى حمل لواءه كان براقا مليئا بالظلال والأضواء استطاع أن ينفذ الى نفوس الشباب فى ظل أجواء غلبت فيها الوجدانية والمشاعر السائبة ، غير أن هذا التيار لم يستطع أن يثبت فقد اكتسحه تيار الأصالة العربية المستمدة من الجذور العميقة للبلاغة والبيان ، والمستندة أساسا من القرآن ، فقد عمد جبران ومدرسة المهجر الثمالي الى اعلاء أسلوب التوراة . واتخاذ مزامير داود وكتابات العهد القديم نمطا من أنماط الكتابة العربية ، كخطوة تالية للخطوة التى حاول تحقيقها مترجمو الكتاب المقدس فى اللغة العربية حين رخصوا وضعه فى الأسلوب الفصيح

وأصروا على بقاءه في أسلوب العمامة ، ثم جاء جبران ونعمية وغيرهم فحاولوا أن يتخذوا من هذا الأسلوب منهجا في الكتابة وفتحوا كلماتهم بعبارات التوراة : « الحق أقول لكم ، في البدء كان الكلمة » ثم أضافوا الى ذلك قدرا من العبارات المجنحة المضيبة التي نقلوها من الشاعر الأمريكي ويتمن وظنوا أن زخرفة الورق وجمال الطباعة والاهتمام بالنشر بين شباب العرب سوف يفرض هذا اللون قرضا وستميل اليه الأذواق والأذهان ، غير أن صوت المفلوطي في أسلوبه العربي البليغ المستمد من التركن لم يلبث أن غلب هذه الصيحات وأقام معبرا يصل بين بلاغة الجاحظ وكتابات الزينات والرافعي وزكي مبارك وغيرهم مما اسقط أسلوب الظلال والأضواء ، الأسلوب الخالم الغريب الذي لا يتصل بالمزاج النفسي للعربي ولا يستمد من أصالة اللغة والبيان العربي ، ولا يجرى مع طابع الأدب العربي وذاتيته التي ترفض كل دخيل ، وبذلك سقطت مدرسة جبران خليل جبران وما تزال تسقط بالرغم من محاولات أحيائها من جديد .

أبو نواس

أعلن الدكتور طه حسين وجماعة التفربيين من شأن عدد من الشعراء والكتاب محاولين اعتبارهم نماذج عليا في الأدب العربي ، في نفس الوقت الذي هاجموا وزيفوا فيه حياة آخرين ، وكانت المقابلة هي تزييف المتنبي واغلاء أبي نواس .

ولقد اعتبر طه حسين (أبو نواس وبشار ومطيع وحمام عجرد والخليع) هم مثل لعصرهم بينما لم يكن هؤلاء في الحقيقة الا ثلة من المنافقين الخلاء الذين كانوا موضع كراهية المجتمع واحتقاره لسلوكهم الاجتماعي ، أما بالنسبة للأدب العربي والفكر الإسلامي فقد كانوا مجموعة من الشعوبيين الذين لا يمثلون الروح العربية ولا المزاج الإسلامي ، وقد كانوا في الأغلب من زنادقة الفرس المجوسيين مكريا بالرغم من التصاقهم بالمجتمع العربي الإسلامي .

وقد رد بعض الباحثين اضطراب حياة أبي نواس الى وضعه الاجتماعي وموقفه من أمه (جليان) وقد أشار بعضهم الى أنه أبركته عقدة أوديب فأحب أمه وكلف بها كلفا بلغ الهيام ، مما أسفد عليه الحياة الاجتماعية من بعد كلف بالخمير واتخذ منها غاية وافتتن بها ، وقد وصف الخمر وغبلا في وصفها وقال فيها ما لم يسبق اليه .

أما أم أبي نواس (جليلان) فقد ظلت سوء صفحتها تطارده وتفسد عليه حياته ، فقد تركها زوجها هاني (أحد جنود مروان) وتوفى فكانت تعاني ولدها شظف القيش حتى فارقته الأهواز واستقرت في البصرة وأصبح بيتها مباءة الغاوين والضالين ، فلما وعى أبو نواس وأدرك أحاديث الناس عن أمه مال عنها والتحق بالغواة فعذب من الخمر ما ينسيه تلك الأحاديث التي كانت تصيب منه مقتلا وتجرح كرامته ، ثم التحق بوالبة بن الحباب الذي بصره بقول الشعر وأغرقه في بحار اللذات واللجوء إلى الحانات فانتقل به إلى الكوفة والبادية لتقويم لسانه وإطلاعه على أقوال العرب ، ثم كانت عودته إلى البصرة والتزامه خلف الأحمر الذي حفظه من شعر العرب الفخ قسيذة ثم أمره نسياتها . وانتقل إلى بغداد فعذب من اللذات ما شاء وأحب من الجوارى العائيات (جنان) ونغزل بها وبعد ما تاب إلى رشده « طه حسين : خصام ونقد » .

وقد كان لاضطراب حياته بين موقفه من أمه وحبه لجنان ما أنشأ في نفسه مذهب النرجسية ، (ثم مضى اسرافا في المجون واغراقا في العبث وغلا في الاعتداد بنفسه حتى لم ير غيرها مفتن بنفسه) .

ومما يصفه به خصومه واصدقائه على السواء أنه كان شعوبيا ، وأغرق في التكر للعرب والسخط عليهم ، ثم اتخذ (أبو نواس) رمزا للاستهتار والازدراء بكل شيء واهدار كل قيمة .

وكان لطله حسين أكبر الفضل في إذاعة شعر أبي نواس وتقريره على طلبة وطالبات كلية الآداب وامتحانهم فيه ، وهو شاعر الغزل الحبسي والغزل المذكر وقوله في تبجح شديد « ان هذه الفنون من جد أبي نواس ودعابته ليست خطرا على الشباب ، لانفسد أخلاقهم » وهذا ولا شك يقي للتدليل على أن طه حسين بعد أن بلغ هذه السن لا يزال مصرا على ما قاله عام ١٩٢٤ في مطالع الشباب ولا يزال داعيا إليه ، وقد كنا ظننا أنه قد تاب وأتاب عن اسرافه وخطئه .

هرتزل

كانت دعوة « هرتزل » إلى الدولة الصهيونية التي أعلنها ١٨٩٧ بدء تاريخ جديد في الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، وقد حاولت الصحافة

الأدبية والسياسة في الثلاثينات من اعلاء شأن هرتزل وخليفته ماكس نوردو وحفلت الهلال والمقطف والأهرام والعصور والمجلة الجديد بإذاعة ما أسمته « السامية » وجرى ذلك كله داخل اطار المحافل الماسونية التي كانت قد انتشرت في البلاد العربية باسم البنائين الأحرار الذين كانوا يعملون الصهيونية على النحو الذي نعرفه باسم إعادة بناء هيكل سليمان ، ولم تكن في هذه الفترة قد توافرت أبعاد الحركة ، ولم تكن قد كشفت بعد العلاقة بين هرتزل وبين ماركس وفرويد ودوكايم ، وقد انكشفت هذه العلاقة في السنوات الأخيرة واستعلنت الصلة بين دعوات التحلل الخلقي والاجتماعي وبين الصهيونية العالمية وكان من أبرز ما كشف عام ١٩٥١ تقريبا هو « بروتوكولات صهيون » التي عرفتها أوروبا منذ عام ١٩٠٢ وظلت محجوزة عن الشرق الاسلامي حوالى خمسين عاما ، حتى لا يتعرف المسلمون والعرب على المخططات التي وضعت للقضاء عليهم وتدمير قوماتهم والاستيلاء على فلسطين .

ولقد كان هناك زيف كثير وتمويه كبير للتغطية على موقف من أخطسر المواقف التي واجهها هرتزل ذلك هو موقف السلطان عبد الحميد الذي عارض اغراءات وتهديدات الصهيونية العالمية التي حملها اليه هرتزل وأعلن رفضه البات عن إتاحة أي فرصة لليهود لإقامة أي وضع لهم في فلسطين وكان هو وملكه والدولة العثمانية ضحية هذا الموقف الشريف ، في نفس الوقت الذي وجهت اليه الصهيونية العالمية حملة عاتية عن طريق الصحافة العربية تتهمه فيها بالاستبداد والظلم ، وقد سجل هرتزل في مذكراته تلك العبارات النارية التي وجهها اليه السلطان عبد الحميد إماء وحفاظا على أرض الاسلام .

ابن المقفع

احتفل دعاة التغريب بابن المقفع وأعلوا من شأنه حتى لقد بلغ بهم القول بأنه هو الذي أدخل النثر الفني الى الأدب العربي ، وقد كلن هذا في الحق تمويها ومحاولة لانتكار اثر القرآن الكريم في الأدب العربي وتسبب البلاغة العربية الى الفرس .

والواقع ان ابن المقفع لم يكن إلا داعية من دعاة الجوسية أعلن اسلامه تقية وتخفيا حتى يحقق أغراضه ، وإن ما نقله الى الأدب العربي من الأدب

الفارسي كان واضحا فيه توجه اذاعة الفكر الوثني فقد قدم كتاب مرزك ثم كتاب برزويه وكان هدفه من هذا اذاعة الفليحة حول وحدة الإيمان والقول بتناقضها وعندما كتب تاريخ الشعوبية والحمة الباطنية الحاقدة على الاسلام اعتبر ابن المقفع واسمه (روزبه) في مقدمة العاملين في هذا المجال ومن دعائه الأول ، وقد سجل ذلك الدكتور على سنامي النشار في كتابه (مقدمة مناهج البحث عند مفكري الاسلام) وقال ان روزبه القديم عبد الله بن المقفع كان اكبر طاعن على الاسلام وأن كتابه : مرزك وبرزويه (الواقع في مقدمة كتيبة ودمنه وليس منها) انما قصد بهما اثبات تناقض الأديان وبخاصة الاسلام وعدم يمينها فضلا عن أن باب برزويه يحاول التشكيك في القرآن بالخطأ والتناقض والدعوة الى ان الفلسفة هي طريق اليقين .

وتحق الدكتور طه حسين هو مقدمة من اعلوا من شأن ابن المقفع جريا وراء ما ردهه المستشرقون من اثره في الأدب العربي فتبجعة تأثره بالتقاسفة اليونانية وفلك متابعة للمذهب الغربي الوافد الذي ينسب كل شيء من عظمة الأدب العربي لو الفكر الاسلامي الى اليونان او الفرس او الفكر الوافد ، تطبيلا لآثر القرآن الذي هو المصدر الحقيقي والأساسي للفكر الاسلامي كله .

ولقد اسلم ابن المقفع اسلاما فيه ريبة ، وكتب في الزندقة كتابا كثيرة رد عليها المسلمون ، وقد انتهن به امره شر نهية . ولقد شهد النقاد بأن أسلوب ابن المقفع لم تكن فيه اصالة العربية ولا روعتها ، وشهد بذلك طه حسين نفسه حين قال ان ابن المقفع عندما يتناول المعاني الضيقة التي تحتاج الى الدقة في التعبير يضعف فيكلف نفسه مشقة ويكلف اللغة مشقة وان الاصمعي لاحظ انه يلحن وأخذ عليه الجاحظ انه لم يكن يحسن ما يحاول من الفنون .

ومن عجب ان يحاول دعاة التغريب وضع هذا الرجل المجوسي على رأس الفكر الفنى في الأدب العربي بعد نزول القرآن بأكثر من مائة عام ، والقرآن لا شك هو المصدر الأول للنثر الفنى في اللغة العربية والأدب العربي الذي لم يعرف هذا الفن من قبل ، قال السيد المرتضى في اماليه قال جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله لابن المقفع ويروى البعض انه مر ببيت النار بعد اسلامه فتمثل بقول الاحوص :

يا دار عاتكة التي اتهمزل حذر العدا وبك الفؤاد موكل
اني لانهك المنيهود واننى قسما اليك مع الصلود لامل
يقول الجاحظ : انه كان يجتمع على الشراب مع مطيع بن اياس ووالبة
بن الحباب وبشار بن برد وابان اللاحقى فيهبجو بعضهم بعضا وكل منهم متهم
فى دينه .

هذه هى حقيقة ابن المقفع ، اما ما أورده أحمد أمين ، وبطرس البستاني
وغيره ممن زخرفوا صورته فبرود والوقائع الصحيحة تنقضه .

هنرى الملاح

وصفت الكتب المدرسية العربية هنرى الملاح بأنه عالم جليل ومكتشف
جرىء ، والحقيقة أن هنرى الملاح شأنه شأن البورك وولفنجستون وغيره هم
من طلائع الاستعمار الذين كانوا مدفوعين الى الشواطىء العربية والاسلامية
الافريقية بدافع الانتقام والحقد والتعصب الدينى بعد أن تعاهدت اسبانيا
والبرتغال على اثر سقوط دولة العرب والمسلمين فى الأندلس على اقتحام
العالم الاسلامى واستعماره والسيطرة عليه .

وهنرى الملاح البرتغالى الذى ورد اسمه فى كتب التاريخ بالمتجيد هو
واحد من غلاة الاستعمار المتعصبين وقد بدأ حياته بحملة حربية ضارية على
مدينتى : سبتة وطنجة العربيتين الاسلاميتين ثم أسس مدرسة بحرية ضمت
رجالا وجههم بالتعصب الى قتال المسلمين ثم خوله البابا نيقولا الخامس حق
الفتح والاستيلاء فى جميع البلاد حتى الهند وقد وصفه البابا بأنه رافع لواء
النصرانية فى البلاد النائية .

وكان مثلا مزرىا فى الحقد على الاسلام والمسلمين والاندفاع وراء هدف
الاستعمار المظلم بالتبشير شأنه شأن هذه الطلائع جميعا التى كانت من
اعداء العرب ، ومع ذلك فقد حاولت الكتب التاريخية المدرسية أن تضعه فى
صورة البطولة الخادعة .

أبو ذر الغفارى

حاول الكتاب فى العصر الحديث اضافة هالة ضخمة من الجد حول شخصية أبو ذر الغفارى تخرج به فى الحقيقة عن نطاق الدور الذى قام به والتاريخ الصحيح الذى سجلته له كتب السيرة ولنا على موصف أبى ذر ملاحظات :

(الأولى) الدور الذى قام به (عبد الله بن سبا) وما لقاها الى أبى ذر من رأى فى المال كان مصدر الخلاف بينه وبين معاوية ومصدر متاعبه كلها . ذلك أن أبا ذر كان صادقاً مخلصاً يندفع وراء ما يرى أنه الحق بينما كان عبد الله ابن سبا يدبر مؤامرة كبرى للمسلمين .

(الثانية) أن ما يراه أبو ذر يختلف عما كان يراه النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعلوم المتواتر عن النبى أنه كان يأخذ جزءاً من المال ويترك الباقي لصاحبه وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة » (أى زكاة) .

وهذا يختلف مع دعوة أبى ذر الى عدم جواز ادخار الذهب أو الفضة بعد أداء زكاتها : يقول العلامة الامام عبد الحميد بن باديس .

(أخذ أبو ذر بظاهر قوله تعالى « والذين يكتزون الذهب والفضة » وقد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الأخذ إنما يكون لبعض الأموال ، فقوله تعالى « ولا ينفقونها » معناه : ولا ينفقونها كلها وهؤلاء هم الذين لم يعطوا شيئاً منها وهم مانعون الزكاة فلا تصدق الآية على الذين أنفقوا) .

وقال : لقد أصاب أبو ذر فيما اختاره لنفسه من الزهد وعدم الادخار ولكنه أخطأ فيما أراد من حمل الناس على حالة لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها ، وقد خالف أبو ذر إجماع الصحابة بتطريته السابقة مع قيام الدليل القطعى من النقل المتواتر ، والنصوص القرآنية الكثيرة المتضافرة على خلاف رأيه .

وكان خلافه هذا فى مسألة من كبريات المسائل ، ومع ذلك فقد تركوا له حرية النظر ولم يلق منهم من أجلها أذى ، وهم لم يتعرضوا له فى نظره أو اجتهاده الا عندما خشوا من بثه الفتنة فى الناس .

ويحاول المعاصرون أن يصوروا الموقف بالنسبة له كأنه النفى أو الإخراج ، ولكن النصوص والوثائق تغاير ذلك .

فقد عرض عليه الخليفة ما يراه أصح له فاختار (الريدة) أو هو استأذن عثمان فى الخروج ، وعلى كلتا الروايتين لم يأمر عثمان بالخروج حتى يقال أنه قد نفاه .

وقد أرسل اليه عثمان : أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد اعرابيا وقد نهى المسلمون عن التعرب بعد الهجرة لما فيه من الانقطاع عن الجماعة كما أقطعهم عثمان صرمة من الأبل .

السلطان جلال أكبر

امضى السلطان جلال الدين محمداً لكبر عشرين عاماً متديناً وبعد وضعه أساس الدين الجديد لسنوات قليلة انقلب فجأة ولم يبق أى أثر لدين الإسلام فى قلبه بل أنه أبدى كل مظاهر العداوة للدين الإسلامى دين آبائه واجداده وأصبح رجلاً آخر يتبع زيف الدنيا ووضع أساساً لدين جديد هو دين (الهى) وقد أنشأ أولاداً خاصة فى فانجور سكرى سماها (عابدة خانة) دعا إليها والعلماء من السنة والشيعة وذلك لتوحيد الإذهبين وتعريب وجهات النظر لكن تلك اللقاءات جاءت بنتائج عكسية حيث وسعت شقة الخلاف مما دفع بعض العلماء لتهام بعضهم البعض بالكفر والإلحاد والمروق عن الدين وخروج السلطان أكبر من تلك الاجتماعات وقد للتمعت فى رؤسه فكرة أراد أن يحققها منها اعتورته من المصاعب ألا وهى توحيد جميع الأديان فى الهند بدين جديد .

فى عام ١٥٨٢ م دعا (أكبر) كبار علماء الدين الإسلامى والمسيحى والزرادشتى ، والجافى ، والهندوسى ، وكبار قادة الجيش إلى حضور اجتماع عام يعقده فى دار خانة وقد تحدث السلطان فى ذلك عن ضرورة توحيد الأديان فى دين واحد .

وذلك للحفاظ على وحدة الهند ونشر على المجتمع آنذاك مبادئ أساسية لدينه الجديد الذى سماه « دين الهى » وقد أشهر السلطان أكبر مبادئ دينه الجديد من الإسلام والمسيحية والهندوسية والزرادشتية وأعتبر أن التوحيد أساس دينه الجديد على أن يعتمد على الأسس الزرادشتية والهندوسية وأنه خليفة الله فى الأرض .

وسمح بوضع الخنازير في المعبر الإمبراطوري وأعتبر النظر إليها عملاً يستحق التقدير ، وحرم تربية اللحى التي كانت شعار المسلمين في الهند آنذاك ونفي أعدادا كبيرة من علماء المسلمين وشيوخهم سواء الذين عارضوه أو الذين التزموا موقف المتفرج ، واستبدل التقويم الهجري بتقويم جديد سماه (التقويم الإلهي) يبدأ منذ جلوسه على العرش ومنع أيضا ختانة الأطفال قبل سن الثانية عشرة وزواج البنات قبل سن البلوغ وحارب دراسة اللغة العربية ومنع الأذان في المساجد وأداء صلوات الجامعة في المساجد وغيرها .

وأمر بتغيير الأسماء الإسلامية أمثال محمد ، أحمد ، مصطفى وغيرها لأن تلك الأسماء سببت للسلطان أكبر القلق والضيق وأمر بإيقاف الحج إلى مكة المكرمة ومنع صيام شهر رمضان وحرم دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وهول المساجد والجوامع إلى مخازن وجعل شعار أتباعه الله أكبر يعني به أن أكبر هو الله .

ولم يفت عند هذا الحد بل سمح لزوجاته الهندوسيات الاحتفاظ بديانتهم والقيام بشائر دينهن داخل قصره وفي إجنيم معارضيه من علماء الإسلام وضلعهم وشردهم وسمح للإرساليات البرتغالية بالشهيرة في دولته وسلم ولده سليم إلى رجال الإرساليات للتجربة وليرى أثر التعاليم المسيحية في عقله .

وقد وقف أمام السلطان أكبر وأقام بدعته البدء (بدعة دين الهى) جميع رجال الدين السننيين . وقد واجه كثير منهم عقوبة الموت وبعضهم ذاق ألوانا من العذاب في سبيل الدفاع عن دينهم دين الحق : دين الإسلام .

وقد ترأس دعوة محاربة الألحاد والزندقة آنذاك العالم الفضل الشيخ « أحمد سرهندي » ١٦٢٥/١٥٦٤ . حيث نظم حركة واسعة لمعارضة هذه البدعة الكبرى تلك البدع الإلحادية فاتصل كبار قواد الجيش وكبار الموظفين يحذرهم عاقبة الفتنة العمياء التي أطلت برأسها والتي تريد تحطيم الدين من الداخل .

وبعد موت سلطان أكبر سجن السلطان جهانباز العالم أحمد سرهندي في سجن العاصمة فيبث للضيغ العالم روح الاسلام بين المساجين الذين آمنوا وادوا الصلوات في أوقاتها وتجولوا من الكفر الى الاسلام فكتب مدير السجن الى السلطان يعلمه جلية الأمر مما دفع السلطان الى اطلاق سراح الشيخ ووقف معه في مكافحة البدع والالحاد والمروق من الدين والقي تعاليم دين الهى الذى وضعه السلطان أكبر ، ورجع الاسلام الى نقاوته والمسلمون الى حريتهم الكاملة فى ممارسة فروض الدين علنا بعد ان امضوا فى محبتهم أكثر من ثلاثين علما .

« مرشد دبور »

المأمون

ان الصورة للاممة التى رسمها الاستشراق والشعوبيون للمأمون ليست صحيحة على اطلاقها فقد كان النقل والترجمة من الفكر اليونانى قبل المأمون مشروطا بالعلوم والطب والفلك ولم يفتح باب ترجمة الفلسفات المسيحية والوثنية والفنوصية الا فى ايلم المأمون الذى شجع هذه الوجهة وافصح لترجمة كتب العقائد والافلاخ اليونانية او ما كان يسمى عندهم علم الأصنام واعطى جنين بن اسحق وزن ما يترجمه ذهبة فكلن بهذا يبحث من اللغات الغلاط والفتال ويفسح الحروف حتى يكتبون من ثمن ما يترجم .

واخطر مقاتل المأمون فتنة خلق القرآن وحمل الناس عليه .

كان المسلمون يترجمون من الكتب قبل المأمون : كتب الطبيعة والفلك والاحياء وغيرها فى مجال الكون المادى ولكنهم كانوا لا يرون ذلك بالنسبة لعقائد الالم ويعتقدون ان ما لدينا هو اصحبها فنحن فى غى عنها .

ان العقيدة الاسلامية مصدرها القرآن والقرآن كلام الله فكيف يتانى لغوم ان يتركوا كتاب الله الى كتب بشر فيها الخطأ والصواب فالمأمون هو الذى فتح هذه الثغرة ودخلت تلك الترجمات الى الجو الاسلامى فافسدت ، واثارت الجدل ، وظهرت البدع والوثنيات والتأويل والجدل واشرب الملاحدة فى عصره ، واحتضن فكرة خلق القرآن وحمل الناس عليها على النحو الذى كان يعيد الخطر على مفهوم السنة الجامعة .

كذلك يرى الباحثون أن كارثة النزوح الى الاستعجام وقعت في أيام المأمون حيث بدأ الدبل بمفاخر ايران وكسرويتهم وعنجية الفرس ، ولما زار المأمون دمشق قبل وفاته بسنوات تعمد رجل من عقلاء أهلها أن يواجهه بخطبه هذا ولو كان فيه حقه ، ولا سيما ودمشق حديثة العهد بالانقضاء على بني العباس ، تعرض رجل للمأمون وقال له :

يا أمير المؤمنين : انظر العرب أهل الشام كما نظرت العجم أهل خراسان فكان المأمون يتصامم عن نداء التمشق في المرات الأولى حتى إذا زور في نفسه جوابا علي ما أحدث في الدولة من بدعة استوقف الرجل في المرة الأخيرة وقال لي : أكثر علي أيا أبا الشام ، والله ما أثرت قبسنا عن ظهور الخيل الا وأنا أرى أنه لم يسبق في بيت مالى درهم واحد ، أما اليمين عو الله ما أحببتها ولا أحبتي قط ، أما قضاة فساحفها تنتظر السفاتي وخروجه فتكون من أشياعه ، أما ربيعة فساحطة علي الله منذ بعث نبيه من مصر ، ولم يخرج اثنين الا خرج أحدهما شاريا (أى نائرا) أغرب فعل الله بك .

وسوف لا ينسى التاريخ للمأمون موقفه الظالم من فتنة خلق القرآن وإيغاله فيها وجعل الناس عليها بعد أن خدعه بشر المرسى وحمله علي الاعتقاد بخلق القرآن . فقد أخطأ المأمون الواسع العقل العميق الثقافة في معنى مسألة فرعية كهذه ثم اعتبره أياها رأس المسائل وبذلك فتح الباب أمام أصحاب الفحل والعقائد والمال المختلفة أن يتكلموا في مجالسه ، وكذلك الشعراء ، وقد ارتبط عصره بازدهار حركة النقل والترجمة وخاصة من اليونانية والفارسية فأرسل اليهود إلى القسطنطينية وغيرها لأحضار المصنفات التي تغافل عنها المسلمون منذ بدء عصر الترجمة ، وهي الفلسفة الإلهية اليونانية المعروفة بعلم الأصنام ، وقد طلب هذه الكتب من إمبراطور الروم وصاحب جزيرة قبرص وسارع أحد رجال الدين المسيحي بإجابة الطلب قائلا : الرأي أن نعمل بانفاذ هذه الكتب إلى الخليفة فإن هذه العلوم ما دخلت دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها وقد صدق رأي هذا القسيس فإن جنين بن إسحق أشهر المترجمين كان يدين بالنصرانية علي المذهب النسطوري . وقد تولى الترجمة من اليونانية إلى العربية وأسند إليه المأمون بيت الحكمة فأفسد الترجمة وأدخل فيها مفاهيم المسيحية وجعلها وسيلة للدعاية لنحلته ومع ذلك فقد أحرز عنها أعلى الأجر وأضحها ، وكان

المطلوب ترجمة كتب العلوم مترجموا الفلسفة وادخلوا مفاهيمهم فيها ، وكان
حتين بن اسحق يكتب على ورق ثقيل وسطور متباعدة ويزن له المأمون الاجر
ذهبا وقد تحيز المأمون الى المعتزلة والاعتزال وقال له يحيى بن اكرم قاضي
القضاة : الراى ان تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى
فرقة من الفرق فان ذلك اصلح فى السياسة ، وقد عزل المأمون وولى احمد
بن الي دؤاد الذى سار بالامر الى مسيرة العنف وقد امتد الامر فى خلافة
المتنصم والواقى خلال سبعة عشر عاما والامام احمد بن حنبل يواجه الموقف
فى صمود وعنف قائلا : ان القرآن كلام الله غير مخلوق . وبالرغم من ان
رجلا جريئا مثل عيد العزيز بن يحيى الكنانى تلميذ الشافعى اندفع من مكة
الى بغداد يناظر رجال المأمون ويهزمهم فان المأمون لم يرعو للحق .
(اقرا قصته فى كتابنا : أضواء على التراث الإسلامى)

عبد الرحمن الكواكبي

ان الكتابة عن الكواكبي فى العصر الحديث غفلت عن جملة حقائق
اىاسية فى حياته ، ذلك انه حين جاء مصر كان الخديو عباس خطى على
خلاف مع الخليفة العثمانى وكانت جريدة المؤيد التى يصدرها على يوسف
لسان حال الخديو قد اخذت تهاجم الدولة العثمانية وتدعو الى خلافة عربية .
وقد تأثر الكواكبي بهذا الاتجاه وسار فيه وحمل على الخليفة حملات شديدة
فى مقالاته التى جمعت من بعد تحت اسم طبائع الاستبداد ، وقيل ان كتابا
ايطاليا يتضمن نفس المعانى تأثر به الكواكبي . ولكن الكواكبي على كل حال
كان على خلاف شديد مع مفهوم الجامعة الإسلامية الذى دعا اليه السلطان
عبد الحميد وكانت تغلب عليه روح القومية التى سررت اذ ذاك فكانت دعوته
الى خلافة عربية موضع اهل خصوم الاسلام من المارونيين والمستعمرين ،
ولذلك فقد تلقفوا أفكاره وانذاعوا بها واعتبروها مصفرا يعتمدون عليه فى
هدفهم غير المعلن لهدم الخلافة الإسلامية وقد صور هذا المعنى السيد رشيد
رضا فى ترجمته للكواكبي حين قال :

لقد كانت أفكار الكواكبي السياسية مبنية على قواعد فيها اليأس من
الدولة العلية ولم يكن يريد ان يكون الخليفة القرشي الذى يخلف الخليفة
التركي سلطانا حاكما سائسا للعرب او لغربهم وانما كان رايه ان يكون رئيسا
دينيا ينظر فى مصالح الحالين الروحية والادبية وترفيتها .

وبهذا المعنى يكون الكواكب غير أصيل الإنشاء الاسلامي وإنما كان مقارنا بفكرة البابوية المسيحية ومن هذه الناحية فقد عني به كتاب التفرير والشعوبيون والماركسيون في السنوات الأخيرة وأشادوا به وخدعه الخديو حين علم إلى الصلح مع الدولة العلية وقد وجوده كلية لأنه تابع الحاكم ولم يرد بعمله وجه الله تعالى .

اخناتون

تردد كثيرا اسم اخناتون على أنه أول الموحدين وهي دعوى باطلة عن الذين حملوا لواء التوحيد في ظل الديانات السماوية كان هدفهم واضحا وكانت وجهتهم خالصة إلى الله تبارك وتعالى ، أما اخناتون فما توحشته الذي يتشبهون به كان قاصر على أنه وحد عبادة الأصنام في عبادة واحدة هي عبادة الشمس ، وقد أشار القرآن إلى هذه العبادات حين قال « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله خذى خلقهن ان كنتم ايها تعبدون » .

ان عمل اخناتون لم يتعد أكثر من أنه محا اسم الاله آمون من جميع الهيكل وأزيلت الاشارات الدالة عليه واستبدلت باسم الاله اتون وأشأرته، وكان اتون في نظره يمثل قرص الشمس كما يظهر عند الغروب مكتبل الشكل في مركبه المحفوف بالمجد كما يقولون .

وقد وصفوا هذه الحركة التي قام بها اخناتون : أنها ثورة على الدين مصحوبة بنزعة للتوحيد ، وثورة على الكهنة ورجال الدين وتحكمهم في جميع شؤون الدولة أكثر مما كان الدين نفسه الذي كان يقول بالوهية الشمس .

وهكذا نجد ان دعوى القول بأن اخناتون هو أول داعية للتوحيد هي دعوى باطلة ، فقد كان غارقا في الأصنام وعبادة الكواكب بينما كانت الدعوة إلى عبادة الله الواحد سائرة من قبله وبعده على لسان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف .

زويمر

لماذا اختار قيادة حركة التبشير مدينة البحرين عام ١٨٩٣ مركزا لدعوتهم في الخليج والبلاد العربية كلها فأوفدت إليها القس زويمر فأقام بها بضعة

وعشرين عاما يتنقل خلالها في مختلف القواصم الاسلامية ، ان الاستاذ مبارك الخاطر بحث على ذلك بان هذه المنطقة كانت متقدمة تقدما فكريا واضحا ، وكانت ذات صلة بالنهضة الاسلامية التي قادها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ، وكان لها مشاركة في المنار والصحافة الاسلامية ، منذ ذلك الوقت البعيد وقد واجه القاضي المجاهد الشيخ قاسم بن مهزغ هذه الحملة التبشيرية ، وقاومها مقاومة واضحة وكشف مخططاتها . فقد كانت البحرين بين بلاد الخليج العربية المشمولة بالحماية البريطانية منذ ١٨٢٠ وكانت عبر تاريخها في تجارة اللؤلؤ مهبط الاغراب من جنسيات مختلفة ووصلتها طلائع التبشير البروتستانتى وبها الايراني والهندي والافريقى والاوربى ، ومن ثم اصبحت مكانا مناسباً لاتخاذها قاعدة للتبشير البروتستانتى في الخليج وعمان .

وقد كانت مدية النامة هي مركز الارسالية في البحرين وكان العمل التبشيري في جزر البحرين وسواء الاحساء وعمان يدار من مركز النامة .

ولقد وصل القس صمويل زويمر الى النامة ١٣١٠ هـ ١٨٩٤ م وبعض رفاقه واستأجروا بيتا ثم بدأ زويمر يتصل بالناس في الاسواق ويناقش الشباب منهم في امور الدين باللغة العربية التي كان يجيدها .

ومنذ عرف القاضي قاسم بن مهزغ بأمر وصوله وجماعته فقد قام ولم يقعد ، اذ حاول اول الامر ان يخرجهم من البلاد لولا تدخل المتدوب البريطانى في الخليج ، ومن هنا عمد ابن مهزغ الى محاصرته وكشف زيفه والتضييق على جماعته وبث العيون لرصد حركته وتوعية العامة عن طريق العلماء والتجار باغراض المبشرين مما أغلق الطريق امامهم ، ولذلك فان زويمر قد واجه نفورا شديدا من كل من لقيه وحاول التحدث اليه ، وكان زويمر يقول للشباب : انه جاء في بلادهم ضيفا عليهم واذا لم يقبلوه فهو ضيف الله وكانوا يقولون له : لست بضيقنا ولاضيف الله : اثبت ضيف الشيطان . وظل هؤلاء الفتية يذكرونه حتى حين زارهم بعد في جامعة عليكرة سنة ١٩١١ فلما دخل عليهم قالوا له : اهلا بضيف ابليس فقال لهم : الى الآن لم تنسوها .

وقد ضاقت اول الامر ارض البحرين على القس زويمر ورفاقه فغادرها الى الاحساء ، وطرده الوالى التركى ثم عاد الى البحرين ثانية واستأجر في النامة بيتا وجعله مدرسة لتعليم اللغة الانجليزية ومكتبة عامة بها قسم لبيع كتب التوراة والانجيل ، وبدا عمله بين طلاب المدرسة ورواد المكتبة وعده

فى ذلك ادواته من خرائط وكرة ارضية وفاتوس سحرى والقى محاضرات على المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفاتوسى السحرى والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام .

واستعان زويمر بالمقيم السياسى البريطانى فى ان يكون مقره مركزا للتبشير واشترى قطعة الأرض التى بنى عليها مستشفى ماسون الأمريكى ، وصمد اهل البحرين وخلاصة الشبلاب امام صمويل زويمر . ويذكر الفضل لأحمد بن مهزغ وابراهيم بن الخليفة وقاسم بن مهزغ وفضل الذكر الذين قاوموا زويمر وحاربوا خططه فى البحرين وكانوا من تلاميذ مدرسة المنار والمؤيد .

وقد واجه اهل البلاد كما يقول مبارك الخاطر فى كتابه عن الشيخ قاسم بن مهزغ مع قلة عددهم وصغر مساحة بلادهم خطة محكمة لتنصيرهم باجهم ، واجهوها وهم قلة فى العدد لا يصلون الى ١٥٠ ألف مجموعة عمل تبشيرية ابتدأت العمل فى تنصيرهم بثلاثة عشر مبشرا ومبشرة ، وبعضهم يجيد العربية اجادة مطلقة وست مؤسسات تبشير بالرغم من سلطة الحماية البريطانية فى البحرين ممثلة منها الحماية بروتستانتية والتبشير بروتستانتى والتقى زويمر بابن مهزغ وليس فى جعبته غير اجادته اللغة العربية اجادة تامة ، وغير وقوعه هو ولأمثاله تحت تأثير تلك الدراسات اللاهوتية ، وامتد الصراع بينهما خلال ثلث قرن من الزمان ، وقد ركز هزاع على الشباب فى توعية شاملة بأغراض المبشرين البعيدة الاثر ، وكان يقرأ لهم العروة الوثقى ، ودعا جماعة من تلاميذه لتعلم اللغة الانجليزية ، وقال لا بأس فنحن من خلفهم فتعلموا منهم اللغة وارضوا اللاهوت ، بل وادخلوا فى مناقشات مع المبشرين وكان الشيخ يوجههم الى طريقة الجدل ، وكان زويمر يمر بمجلس الشيخ ويتناقشه وكانوا يمارسون تبشيرهم بطرق خفية ومموهة بالكلام عن الحضارة الجديدة وانها من صنع المسيحيين ، بينما المسلمون لا يستطيعون ان يشاركوا فيها ، وقد شهد زويمر على نفسه بالفشل حين قاتل فى مؤتمر القدس عام ١٩٣٢ ان امله قد خاب فى تنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ عاما ، وقال اننا لا نستطيع ادخال المسلمين فى حظيرة المسيحية فهم لا يفضلون ترك الاسلام الى غير الا اننا قد نستطيع اخراجهم من الاسلام فقط بتشكيكهم فيه كنظام .

وكتب فى مجلة العالم الاسلامى الانجليزية يقول : ان لعمل ارساليات التبشير فى البلاد مزيتين : مزية تشييد ومزية هدم ، تحليل وتركيب ، ان خطر

المبشرين من التبشير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري أكثر بكثير من خطر الحضارة الغربية فيه .

وقال شاتليه : لا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن ترحز العقيدة الإسلامية في نفوس معتققيها ، ولا يتم ذلك إلا ببيت الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية فيبشرها اللغات الإنجليزية والهولندية والألمانية يحثك الإسلام بصحف أوربا ويمتد السبيل لتقدم إسلامي مكشوف ، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلها وانفرادها .

والمعروف أن زويمر جرب جظه مرة أخرى في مصر واقتحم الأزهر الشريف فوزع منشورا عنوانه « لماذا لا ترجع إلى القبلية القديمة » وتبين أن التبشير كان ولا يزال في خدمة الصهيونية وقد فشلت هذه الجهود ولم تحقق أي ثمرات حقيقية .

اتاتورك

تضاربت الآراء حول مصطفى كمال اتاتورك وحوال الدور الذي قام به في تحويل تركيا الإسلامية إلى تركيا العلمانية المعاصرة .

(أولا) يقول هـ . ك . أرمسترونج في كتابه الذئب الأغبر : أو الحياة الخاصة لطاغية ، يقول : أن كمال اتاتورك منشئ تركيا الحديثة من أصل يهودي وأن أجداده اليهود نزحوا من إسبانيا إلى مدينة سالونيك فرارا من محاكم التفتيش التي كانت تحكم بإحراق اليهود أحياء ، أجداده هؤلاء تظاهروا باعترافهم بالدين الإسلامي لكي يأمنوا على أنفسهم من اضطهاد سلاطين آل عثمان ويعلق محمد التابعي الذي نشر هذا الخبر في أخبار اليوم (١٤ / ١٠ / ١٩٦١) .

والواقع أن الطبقة الحاكمة في تركيا وفي كل العهود هي من طائفة الدونما ، أي المسلمين الذين كانوا يهودا ،

(ثانيا) كانت الدعوى العريضة التي اكتسبت مصطفى كمال البطولة هي معركة أزمير التي ادعى أنه قادها وكسبها وكل الوثائق تدل على أن شخصا آخر هو الذي كان بطل هذه المعركة ولكن اتاتورك اقصاه وأكله من فوق طاولة الشطرنج .

كان كاظم قره بكير هو قائد الجبهة الشرقية في حرب الاستقلال وهو الذي قضى على الجيش الأرمني وجرده من سلاحه ، وقد نشر مسجدا من الوثائق في جريدة (مليت) في مايو سنة ١٩٣٣ نقلتها جريدة البلاغ المصرية يفهم منها أنه هو صاحب الفكرة الأولى في تأسيس حكومة قومية في شرقى الأناضول ومقاومة الحلفاء بالسلاح ، وأنه أول من يأسر العمل في هذا السبيل حين كان الغازى مصطفى كمال لم يزل في استانبول .

وقال كاظم قره بكير أن أتاتورك لم يذهب الى الأناضول باختياره ورضائه بل أن خصومه السياسيين في استانبول هم الذين أرسلوه بوظيفة مفتش حبشى إبعادا له وأن كاظم هو الذى لعب الدور الأهم والذي نتج عنه الظفر النهائى .

(ثالثا) أشارت كتابات عديدة الى الدور الذى قامت به بريطانيا لهدم الاسلام وكانت تعلم أن جهود الدومة في سالونيك هم المعدون للعمل للقضاء على الخلافة الاسلامية وبالتالي لقضاء على الاسلام ، وهو ما تم فعلا ، وكان توصيل مصطفى كمال الى الحكم هو ائمن الذى قدمه له الانجليز مقابل قضائه على دولة الخلافة واحكام الاسلام في تركيا واستبدالها بالانظمة والاحكام الغربية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لابعاد الانراك عن كل ما له صلة بالعرب أى لابعادهم عن الاسلام .

وقد كان أتاتورك آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تعيد الجمهيات السرية تشقيها لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ وعاش في احضان جمعية الاتحاد والترقى التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

(رابعا) صدرت في السنوات الأخيرة رسائل ودراسات كشفت حقيقة هذا الرجل أهمها كتاب زميله الذى لم يذكر اسمه تحت عنوان (الرجل الصنم) الذى كشف حقيقة أتاتورك أمام أولئك الذين كانوا يحسنون الظن بالذئب الأغبر الذى لم يقرأوا تاريخه جيدا والذى يكتبون عنه لم يعرفوه كثيرا .

هل كان أصلا من طائفة الدومة أم ماسونيا وقع في حبال اليهودية العالية أم قوميا من غلاة الطورانية التركية وقد كانت أعماله شاهدة .

- الحروف اللاتينية حتى في طبع المصحف الشريف .
- قوانين الأحوال الشخصية التي بدائرة الخوارج على القواعد الإسلامية .
- حرم تعدد الزوجات وجعل للقضاء وحده الفصل في طلب الطلاق .
- عدل قوانين الميراث فسوى بين الابن والبنت .
- ألغى الحجاب وأباح للمرأة المسلمة ان تتزوج من تشاء من أى دين .
- ألغى الأوقاف الإسلامية .
- شجع الخمر والاتصال بالنساء وأخرج المرأة بالقوة الى المرافق .
- حطم الأساس الدينى وغير وجهة الشعب التركى .

وقد أشار ولفرد كانتول سميث الى ان احتقاد الصهيونية والصليبية كانت من وراء أتاتورك أكثر من خمسمائة سنة بعد ان رفض السلطان عبد الحميد إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصليبية واليهودية تشنع بمبادئ الخلافة العثمانية ومطالبها لتنتهى بهدمها من قواعدها .

مَنْدَل

استطارت شهرة مندل منذ طرح نظريته عن المعاملة البشرية وقد ثبت من بعد ان قواعد مندل في الوراثة غير محكمة ، وان مندل لم يكن على علم بالأمق الجديد للطاقة التي أوشكت البشرية ان تستشرقتها من بعد وأهمها البترول الذى كاف ظهوره عاملا هائلا في قلب نظرية مندل والاطاحة بها ، ولكن النفوذ التلمودى اليهودى مازال يستغل هذه النظرية تحت اسم الانفجار السكانى ليحافظ عن وجود القلة من ذوى الثراء والذين يشكلون امبراطورية الربا .

ولقد كانت صيحة أوربا الضالة هي في محاولة انقاص البشرية بالقضاء على الضعفاء محاولة ضالة ، فقد جفت فيها ينابيع السخاء البشرى عندما دعا الغرب الى قتل العاجز أو تركه يموت دون ان تعمل على علاجه وشفائه وكان أقصى تلك الصيحات القول بالقضاء على الزوج لحساب شعوب أرقى منهم ، وكان هذا تبريرا كاذبا للاستعمار والاستغلال لأن الأقوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضعفاء بالوراثة .

وكان نيتشه في مقدمة الأصالة التي تباينة المضعفاء وقد تبين للباحثين أن رأي دارون في تنازع البقاء الذي أخذت به الفلسفات الاستعمارية هو خطأ محض وأن التعاون في الطبيعة كان أكبر أثرا من التنازع .

فريزر

يعد فريزر أحد الدعائم الخمسة الذين قامت عليهم الفلسفة المادية في الفكر الغربي الحديث (دارون - فرويد - ماركس - دوركايم - فريزر) فهو الذي أحيأ في العصر الحديث دراسة الأساطير والخرافة في بحوث مستفيضة ضمنها كتابه الغصن الذهبي تناول فيها ركام الفكر البشري القديم كله في مجال الطقوس الدينية .

ظهر هذا الكتاب عام ١٨٩٠ ثم أضاف اليه اضافات كثيرة عام ١٩١٥ وما زال يعد الدعامة الأساسية للفلكور ولما أطلق عليه علم الانثروبولوجيا .

وقد استغل هذه الكتابات لمحاربة الوحي والدين الحق وتتابع الأديان الى غاياتها بظهور الاسلام ليكون الدين الخاتم الذي استوعب ما جاء في الأديان السماوية .

ويعد فريزر المتوفى سنة ١٩٤٠ أحد أركان الفكر الغربي الحديث وقد استغلت كتاباته في الدعوة الى احياء الفلكور والأساطير والعمائم وما قبل الاسلام وفي محاولة هدم الاصاله الاسلاميه والبلاغة الغربية وما يتصل به مستوى البيان القرآني .

ويجري هدف هذا التيار الى القول بأن الفلكور يقدم المشاعير الشعبية وهي في جملتها مشاعر ساذجة مختلطة بالوثنيات والخرافات تمثل عصر طفولة البشرية ومنها انطلقت كل الدعوات الى مهاجمة عامود الشعر العربي والفصاحة العربية والخطابة .

وقد درس فريزر في كتابه طائفة من مظاهر عبادة الأرواح والاعتقاد في خلودها عند قبائل استراليا وافريقيا وبعض الشعوب الشرقية ، وهي دراسات لا قيمة لها بعد مجيء الاسلام الذي قرر مفهوم الانقطاع الحضاري عن ما قبل الاسلام .

وقد استهدف فريزر تجديد الخرافة والاسطورة وتقديمها من جديد في أساليب معصرية بهدف القضاء على الاصاله التي جاء بها الدين الحق .

يوحنا الدمشقي

اختلف الرأي في أمر يوحنا الدمشقي وإن لم يختلف في أنه أكبر علماء اللاهوت في الكنيسة الأرثوذكسية (٧٤٩/٦٨٠) وأنه حاول إيقاف الدعوة الإسلامية فآلف رسالتين على شكل مجاوبة بين مسيحي ومسلم في شأن الهوية المسيح وحرية الإرادة الإنسانية الفرض منها تبرير النصرانية والاستناد إلى أفكارها في مواجهة مفهوم التوحيد وقد طعن في عقيدة المسلمين وآلف الكتب في الرد عليهم وجادل علماءهم في أمور كثيرة ، وكان قد برع في المنطق والفلسفة اليونانية واتخذ من هذا المنطق سلاحا يذاع به عن الكنيسة ، وقد فلسف المعارف الاغريقية الوثنية وأخضعها لمفاهيم المسيحية ، وجادل المسلمين عن طبيعة المسيح ووضع للمسيحين خطة للبحث والمناظرة استلهاها بقوله : إذا سألك العريس ماذا يقول في المسيح فقل أنه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم بعد ذلك ، لم سمع المسيح في القرآن ولم يرض أن يتكلم بشيء حتى يجد المسلم فانه سيضطر إلى أن يقول : كلمة الله القاهها إلى مريم وروح منه ، فان أحلب بذلك فاسأله هل كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة فان قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذا كان ولم يكن له كلمة ولا روح فان قلت لك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين . وقد استدرج يوحنا المسلمين التي خلق الأفعال وخلق القرآن ومشكلة صفات الله وأضرابها ، وهي مسائل لم يكن المسلمون يخصصون فيها ، وكان المسلمون يتباحثون في صفات الله أهى قديمة أزلية أم حادثة ، ومن جملة ذلك كلام الله والمعروف أن جعد بن أدهم الذي قتله خالد ابن عبد الله العنبري من القائلين بخلق القرآن ، وكان من زملائه غيلان الدمشقي ومعبد الجهني .

ومن فتنة يوحنا الدمشقي ظهرت هذه الفئة الباغية التي وصفها المستشرقون والغربيون والشعوبيون العرب بأنهم أحرار الفكر وهم القائلون بالجبرية والخارجون عن مفهوم التوحيد الخالص .

يقول الازعاعى : أن أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد ، ويكشف صاحب شرح العيون عن اسم ثالث هو طالوت بن أعظم اليهودي الذي أخذ عنه الجعد بن درهم وأبان بن سميعان القول بخلق القرآن

والواقع أن معبدا وغيلان واليهود لم يشكروا هذا القول بالقدر وتعطيل الصفات وخلق القرآن من عندهم ولكنهم تأثروا في هذه الأقوال بكتابات يوحنا الدمشقي والصابئة الحرائين والمناوية .

وقد قدم الشعوبيون غيلان الدمشقي على أنه من الفوار المسلمين وأنه المسيح المعتزلي الذي صلب في حكم الأمويين وقالوا أنه دفع حياته ثمنا لموته من خلافة هشام بن عبد الملك وقيل أنه مؤسس المدرسة القدرية التي انطلقت منها المعتزلة . وقيل أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وكل إليه رد المظالم والأموال التي اغتصبها الأمويون وحقيقة الأمر أن غيلان الدمشقي لم يقتل الا بتهمة واضحة صريحة هي خيانة الدولة الإسلامية وأنه اتخذ الكلام في القدر وسيلة الى تزييف مفهوم العقيدة الإسلامية كمدخل الى إسقاط الدولة الإسلامية .

وقد أشار كثيرون الى أن يوحنا الدمشقي كان يبيت في المسلمين هذه الدعاوى الفاسدة فاعتد له كثيرون ومنهم ابن جرير الطبري الذي ذكرها على أنها رواية واغتر بها المسلمون جميعا كالزمخشري والرازي حتى جاء ابن كثير فصحح الأمور وقال أن ما اعتمد عليه ابن جرير لا أثر له من الصحة .

وكذلك فقد استشهد يوحنا الدمشقي في الفصول التي كتبها عن المسيحية التي كانت شائعة في سورية ومصر وفلسطين بأيات من القرآن وبكثير من الأحاديث لإثبات وجهة نظره ولناقشة المسلمين بسلاح المنطق اليوناني .

ويؤكد المستشرقون أن يوحنا بكتابات قد أثار مشاكل خطيرة منها خلق الأفعال وخلق القرآن وصفات الله واستدرج المسلمين الى أمور لم يكونوا يخوضون فيها .

والمعروف أن نظرية القدر دخلت عن طريق النصرانية وحدها الى الإسلام بدليل ظهور هذه المشكلة في الشام والشام ملتقى النصرانية في الجزيرة العربية . وكان الجوس يقولون بالجبر وتتصل هذه الآراء التي بثها يوحنا بخذور في اليهودية والمجوسية وما حمل لواءه عبد الله بن سبا .

نصير الدين الطوسي

تعلى كتابات الشويبيون من شأن نصير الدين الطوسي وتضعه في قمم العلماء والأبطال « ونحن نفرق بين العلم والفلسفة في مجموعة من الأعلام أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم » فتقبل مههم عليهم ونرد عليهم مفاهيمهم الفلسفية لأنها باطنية منحرفة ، والأمر كذلك في شأن نصير الدين الطوسي العالم الرياضي صاحب المئة وخمسة وأربعين مؤلفا في علم الحساب والمثلثات والهيئة والجبر والطبيعات ، والذي وصف بأنه جامي النصفية الإسلامية وتراث العرب الفكري إبان الغزو المغولي .

والمعروف أن نصير الدين الطوسي ولد بطوس ١٢٠١/٥٩٧ وتوفي شطرا طويلا من حياته في خراسان ، وأنه كان بمدينة نيسابور عندما اجتاحتها جنكيزخان ففر أمام جحافل المغول ولم يجد ملجأ عند قلاع الاسماعيليه التي كانت تقاوم الزحف المغولي فأسفر واستدعاه زعيم الاسماعيليه ليقدم معه وبقي في قلعة الموت حتي سقطت في يد هولاكو ٦٥٣ وعندها انضم الطوسي الى هولاكو ورافقته في هجومه على بغداد الأمر الذي جعل بعض المؤرخين على اتهامه بأنه هو الذي أشار على هولاكو بقتل الخليفة المستعصم ورجال دولته وذلك عام ١٢٥٨/٦٥٦ .

وقد علت منزلة الطوسي عند هولاكو فكان يطعمه فيما يشير به عليه بل صار له وزيراً وناظراً على الأوقاف (الصفدي : الوافي بالوفيات) .

وتمكن من انشاء المرصد واستخدم ابن الفوطى البغدادى خازن المدرسة المستنصرية لمكتبه المرصد فجمع ٤٠٠ ألف مجدا من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة أيام الغزو المغولي .

وهناك حول نصير الدين شبهتان : الأولى تقول أنه نجح في عام ٦٥٤ في أن يوقع رئيس الحشاشيين في قبضة هولاكو الذي صحبه الى بغداد ، والأخرى شبهة اتهامه بقتل الخليفة المستعصم ورجال دولته والعلماء ، هذا بالإضافة الى شبهة اتهامه بالالحاد وقد أشار إليها ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » وصلته بالباطنية والحكماء معروفة وإن كانت هناك محاولات لتبرئته من تهمة الاتصال بالاسماعيليه ، ولكن تهمة في التحريض على قتل الخليفة المستعصم ما زالت قائمة وقد رددت هذه الاتهامات شذرات الذهب لابن العماد

والإمامان ابن القيم الجوزية والصفدي في الوافى بالوقفيات ، وهو لآى
الشهرستاني فيلسوف باطنى اهتم به داود شميث الأمريكى . وركزوا على
شرح حقائق اشارات ابن سينا وقد اهتمت به الدوائر الاسماعيلية والباطنية وعرفت
بكتبه واتاؤه ، ومؤلفاته كلها قتل على وجهته ومنها منطقيات والهيئات اقليدس
ومجسطى ، وله كتاب اخلاق فارسي جمع فيه نصوص ارسطو وافلاطون .

وقد اشار ابن القيم الجوزية في كتابه ائمة الالهيان الى ان
الشهرستاني نقد ابن سينا وابطل قوله بقديم العالم وانكار المعاد ، ونفى علم
الرب وقدرته وخلق العالم قال فقام له نصير الاحاد : نصير الدين الطوسي
ونقضه بكتاب سماه مصارعة المصارعة حاول فيه ان الادعاء بان الله تعالى
لم يخلق السموات والأرض في ستة ايام وانه لا يعلم شيئاً ولا يفعل شيئاً
بقدرته واحتياطه ولا يبعث من في القبور .

ويقول ابن الجوزية : والفلسفة التي يقرؤها اتباع هؤلاء اليوم مأخوذة
عنه (اى الطوسي) وعن امامة ابن سينا وبعضها عن أبى نصر الفارابى ،
وشئ يستخرج منها من كلام ارسطو وهو مع قلته وغثاته وركائكه الفاظه كثير
المطويل الممتدة فيه ، وخيار ما عند هؤلاء فالذى عند مشركى العرب من كفار
قريش وغيرهم أهون منه .

ابن عربى

يكشف ابن عربى فلسفته الموحدة الوثنية المستمدة من فرع الفلسفة
اليونانية والفنوصية في كتابه الفتوحات المكية ، ويحاط لنفسه بمقدمات
خادعة عن التوحيد يعارضها مضمون الكتاب نفسه . وابرز ما يحتويه الكتاب
هو خطأ صاحبه في فهم الاسماء الحسنى حيث يفهمها فهما مبتدعا يخرج بها
عن صريح الاسلام من كيد وضلال يروج له وليضيف اليه عوائل البلبلة في
العقيدة بين اجيال المسلمين . وابرز ما يتسم به ابن عربى هو خروجه عن
مخلول الالفاظ الدينية وخاصة التأويل .

ويعد ابن عربى الى اسماء الله الحسنى فيتجاوز معناها وما توحى به
من الكتاب اللائق بذاته سبحانه الى تصوير كل اسم منها بصورة رب فاعل
مختص في مجموعة من حقائق المخلوقات ، وان هذه الاسماء قد تختلف فيها
بينها وابن منها الرئيس والمرعوس والرب والمربوب وانها تحتكم الى من فوقها

من الأسماء حتى تصل في النهاية الى الاسم الجامع وهو لفظ الجلالة ، وان الاسم بدوره يستأذن على المسمى وهو ذات الله تعالى حتى يتم الفهم بينهم فيما اختلفوا فيه . ويذكر هذا بما يقال في الأساطير عن آلهة الإغريق التي تنبو في عبثها ووثنيتها عن فطرة المسلم الذي يعين بالتوحيد الخالص لله الواحد الأحد رب العالمين .

وهو يذكر بعض الأسماء الحسنى يقول : هذه الأسماء هي أرباب الأسماء وما عداها فسدنة لها — أى خدم — كما ان بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها الآخر . والكتاب يصور أسماء الله الحسنى — أو هيذه الأرباب كما هي في تسميته وكيف تتناقش وتختلف وكيف يدخل بعضها على خضرة بعض حتى يفصل بينها الاسم الجامع (الله) .

أو كما يقول كمال أحمد عوف — ان الكتاب يقطع بأن الآله الواحد الله ويقطب التوحيد الخاص تعددا ووثنية وما أعنى المسلمين وما أبعد الاسلام الحق عن هذا الجنال .

وقد وصف التفسير المنسوب الى ابن عربي كما ذكر الدكتور محمد كركب بأنه ليس تفسيرا للقرآن الكريم حسب اصطلاح المفسرين المسلمين فهو تأويل باطنى بعيد عما يحمله اللفظ القرآنى من معانى للهداية الربانية الحقيقة ، فصاحبه يعتمد التحريف والتدليس باستغلاله للمعانى الواسعة للالفاظ بوجهها كيف يشاء فتارة يجعلها على الحقيقة وتارة على المجاز حسب غرضه من التأويل فيقتصر في شرح آيات وفي تأويلها ويطلق في أخرى ويضرب صفحا عن عدة آيات فلا يفسرها ولا يؤولها . ويحاول انكار القرآن الموصى به من عند الله بواسطة جبريل عليل السلام ، كما يحاول تفصيل الكتب السماوية الأخرى عليه ويفضل بيت المقدس على بيت الله الحرام ، ويعرض بالرسول وبصحابيته وبأئمة . وقد حدد الباحث في دراسته أماكن التحريف به والتقصير في التأويل والشرح والاعراض المقصود وتعبد الدس والتدليس باستغلال المعانى الواسعة للالفاظ مع ابراز ما فيه من التأثيرات الخارجة عن الاسلام وتعتمد تشكيك عوام المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم .

وتبين الدراسة ان التفسير المنسوب لابن عربي ليس لابن عربي ولا هو تفسير بالمعنى الصحيح وانما اراد به بيت التشكيك في العقيدة والشرعة ، وأنه خطر يجب محاربته والوقوف في وجهه .

خاتمة

كانت قضية تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن التشبهات والأخطاء الشائعة ودحضها رسالة قائمة مستمرة في تاريخ الفكر الإسلامى كله وفى مقدمة من عنوا بها وأولوها اهتمامهم :

الإمام الغزالى فى الرد على الباطنية . وفلاسفة الآلهيات .

الإمام ابن تيمية فى الرد على الماطقة والصوفية والحرثين .

الإمام ابن حزم فى الرد على ابن النفريلة اليهودى وفى كتابه الفصل فى الملل والنحل .

الإمام الشاطبى فى كتابيه الاعتصام والموافقات .

الحسن بن عثمان الخياط : فى كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندى .

ومن أبرز المؤلفات التى أولت اهتمامها بالكشف عن التشبهات:

(العواصم من القواصم : للقاضى بن العربى)

ويعد القاضى بن العربى أذكى من فطن لدسائس الشيوعية والباطنية .

قال : لن يأمن من يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب ولا يفهم كنهه اذا انتشرت الشبهة فالجواب واجب ولا يمكن الجواب الا بعد عرض الشبهة ثم اظهار فسادها .

وحذر القاضى بن العربى من اهل الادب وقال انهم غلبت عليهم صناعة الادب فمالوا الى كل غريب من الاخبار دون أن يتحرروا الصدق أو يهتموا بالرواية والاسناد . وأشار الى كثير مما أورده الأدباء مما يتعارض مع التحقيق العلمى أو التوثيق التاريخى .

وقال : هذا كله ككذب صراح فما جرى منه حرف قط وانما ذكرت هذا لتحذروا من الخلق ، وخاصة المفسرين والمؤرخين وأهل الأدب فانهم أهل جهالة بحرمت الدين أو على بدعة مصرين فلا تبالوا بما رويوا ولا تقبلوا رواية الا عن ائمة الحديث .

ثم تعرض ابن العربي الى الفلاسفة السوفسطائيين والطبائعيين واللاهوتيين والناظرين والباطنيين واليهود والاشتراكيين من غلاة الصوفية وظاهرة الاحكام والفرق التي اظهرت بها باسم الاسلام . واخذ على المحدثين ما لديهم من خرافات فردد عليهم ما اعلن عداءه لمن ارادوا ان يخضروا الاسلام للفلسفة اليونانية .

(تفصيلي ايليس : للامام ابن العربي)

قال في المقدمة انه وضعهم محضاً من فتنة مخوفاً من محنة . والبطليس هو اظهار الباطل في صورة الحق ، وجمع فيه الشبهات المختلفة التي عرفها عصره وفي مقدمتها مذهب الدهرية القائم على انكار الخالق والبعث ووجد النبوات وهو مذهب يستمد أصوله من المجوسية ، ويتصل به من يقولون بالتمزيق وحرق الأجساد ورد على العقائدين الذين ابطالوا منيعة العقل الذي خلق للقاتل أو التدبير ، وهاجم مذاهب المعتزلة والخوارج والرافضة كما عارض أركان التصوف الفلسفي من وحدة الوجود الى التشاكي الى الله فهو عارض للسفسطائية والدهرية والثنوية والفلاسفة الذين انكروا بعث الأجساد وعارض الباطنية الذين يبطلون النبوة والعبادات والبعث ويدعون ان لطواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري مع الظواهر مجرى اللب من القشر ، ومنه هذه الآراء كلها وكشف عن أنها خارجة عن السنة الصحيحة وعن أصول الاسلام المستمدة من القرآن الكريم .

ابواب الموسوعة

(٢٣٢ مادة)

| صفحة | |
|------|--|
| ٣ | مدخل الى البحث |
| ١٨ | مدرسة النظر الى ما وراء النصوص |
| ١٣ | الباب الاول : في المناهج والعلوم |
| | الفصل الاول : القيم الاسلامية والمصطلحات |
| ١٥ | المعاصرة (١٢ مادة) |
| | الفصل الثاني : الفكر الاسلامي والشبهات المثارة |
| ٤١ | (٥١ مادة) |
| ١٦٣ | الباب الثاني : الالاب (٦ مواد) |
| ١٧٧ | الباب الثالث : الفقه (٦ مواد) |
| ١٩٣ | الباب الرابع : قضايا الفكر والاجتماع (٤٩ مادة) |
| ٢٨٧ | الباب الخامس : الدعوات والمذاهب (١٦ مادة) |
| ٣١٧ | الباب السادس : التاريخ (١٥ مادة) |
| ٣٤٩ | الباب السابع : السياسة (١٠ مواد) |
| ٣٧١ | الباب الثامن : الكتب والمؤلفات (٢٨ كتابا) |
| ٤٢٣ | الباب التاسع : تراجم الاعلام (٥١ شخصية) |
| ٤٩٧ | خاتمة : |

1911 1912

(1911 and 1912)

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

1911 1912

أولا : كشف وفهرس أبجدي للموضوعات في الأبواب

(من الأول حتى السابع)

(ولبابي الكتب والتخصصات فهرس مستقل)

(١)

| صفحة | |
|---------|--------------------|
| ٣٢ | اقتصاد |
| ١٦٥ | الأدب العربي |
| ١٦٩ | الأدب المكشوف |
| ٩١ | الإمام |
| ١٦٧ | الإباحة |
| ١٨٣ | الاجتهاد |
| ١٣٠ | الفتاوى القرآن |
| ٢٢ | الأخلاق |
| ٢٠٦ | الاستشراق |
| ٥٣ | الأرثنام |
| ٧٨ | أخلاق الإسلام |
| ٣١٩/١٢٦ | أخوان الصفا |
| ١٥٢ | أهل السنة والجماعة |
| ١١٨ | الإقليمية |
| ١٣٩ | الإنسان |
| ١٢٢/٤٠١ | ثبات الأساطير |
| ١٩٥ | الاصالة |
| ٢٩٩ | الأحجار والبطولة |
| ٣٢٤ | الاغريق واليونان |
| ٣٢٢ | الأسرائيليات |
| ٢٠٩ | الاقتباس |

صفحة

| | |
|-----|-----------------|
| ٢١٢ | الاحـاد |
| ٤٩ | الامة الامية |
| ٣٦٨ | الاتحاديون |
| ٣٥٨ | الاقليمية |
| ٣٥٥ | الاقيات |
| ٣٥٤ | الاستعمار القوي |
| ٣٥١ | الاستعمار |
| ٣٤٦ | ارساليات لبنان |

(ب)

| | |
|---------|----------|
| ٢٨٩/١٤٨ | النهائية |
| ١٢٤ | الباطنية |
| ٣٢٩/١٩٩ | البطولة |

(ت)

| | |
|---------|------------------------|
| ٢٤ | التربية |
| ٢٦ | التصوف |
| ٤٦ | شبهات حول التصوف |
| ٢٨ | التراث |
| ١٧١ | التجديد |
| ٨٠ | تاريخ الاسلام |
| ١٨٦ | التقليد |
| ٢٩١ | التفسير |
| ٢١ | التوحيد |
| ٣٥ | القطب |
| ٣٤٣ | توحيد الأديان |
| ٩١ | قواعد المعجزات |
| ٣٣٢/ ٨٠ | تفسير التاريخ الاسلامي |
| ١٠٨ | تجارة الرقيق |
| ١٢٧ | التبصرة |
| ١٥١ | التفسير المادي للتاريخ |

صفحة

| | |
|-----|----------------|
| ١١٥ | تمثيل الصحابة |
| ١٠٦ | التفريق البشري |
| ٢١٨ | التسامح |
| ٢١٩ | التطور |
| ٢٢٢ | التحصيل |
| ٢٢٣ | التحريض |
| ٢٢٤ | التقدم |
| ٢٢٦ | التكامل |
| ٢٢٨ | الظنورانية |
| ٢٢٩ | التوحيد |

(ث)

| | |
|-----|------------------|
| ١٧ | الطائفة |
| ٥٦ | الظنورة |
| | الظنوق البشري |
| ٢٢٥ | الظنورة الفرنسية |
| ٤٣ | الظنافة والحضارة |

(ج)

| | |
|-----|-------------------|
| ١١٢ | الجامعة |
| ١٣٦ | الجهاد (شبهات) |
| ٢٣٨ | الخير والشميل |
| ٢٤٠ | الجنسية |
| ٢٤١ | الجهاد |
| ٢٦٢ | الجامعة الاسلامية |
| ٢٦٣ | الجنس |

(ح)

| | |
|-----|---------------------|
| ٩١ | الحكومة الشيوقراطية |
| ٨١٢ | الجرف اللاتيني |
| ٢٤٤ | حركة الفكر |

| | |
|------|---------------------------|
| صفحة | |
| ١٢٤ | الحلاج |
| ٢٤٢ | الحرية |
| ٣٣٥ | الحملة الفرنسية |

(خ)

| | |
|--------|-----------------------------|
| ٩٣/٣٣٦ | الخلافة الاسلامية |
| ٢٤٦ | الخطبة |

(د)

| | |
|--------|------------------------------|
| ١٨/٢٤٩ | الدين |
| ١٣٢ | الدارونية |
| ٢٤٧ | الدولة التيوقراطية |

(ر)

| | |
|---------|---------------------------------|
| ١٨٧ | الربها |
| ١٠٨ | تجارة الرقيق |
| ٢٥٩/١٨٩ | الرقيق — شبهاث الرقيق |
| ٢٤٨ | رجل الدين |
| ٣٥٩ | الرجل المريض |

(ز)

| | |
|-----|---------------------------|
| ١٢٧ | الزنج والقرامطة |
|-----|---------------------------|

(س)

| | |
|-----|--------------------------|
| ١٧٩ | السنة |
| ١٦٠ | السنة والشيعية |
| ٦٤ | السلفية |

(ش)

| | |
|-----|--------------------------|
| ١٨٠ | الشريعة |
| ١٦٠ | الشيعية والسنة |

(ص)

| | |
|-----|------------------------------|
| ١٦٥ | الصحابية (تمثيلهم) |
| ٢٩٥ | الصهيونية |

صفحة

(ض)

الضمير ٤٤

(ط)

طوالع البخت ٥٨

الطائفية ٩٦

(ع)

العلم ٣٦

العلمانية ٥١/٩٧

العقلانية ٥٢

علم النفس الحديث ٧٥

العلم والدين ٩٩

العقل العربي ٥٠

العروبة والاسلام ٥١

العصرية ٥٣

العصور الوسطى ٥٥

عصر الانحطاط ٥٦

علة تأخر المسلمين ٥٧

العامية ٩٨

العنصرية ٩٩

العالية ٦٥

(غ)

الغيبات ٥٨

(ف)

الفلسفة ٣٠

الفاظ القرآن ٣٠

الفرعونية ٥١

| صفحة | |
|---------|-----------------|
| ٣٠١/١٠٤ | الفرعونية |
| ٨٥ | الفتنة الكبرى |
| ٣٣ | الفلسفة السادية |
| ٦٩ | الفكر الفلسفي |
| ٢٥٩ | الفلكلور |
| ٢٤١ | الفهرك والعنصر |
| ٣٣٨ | الفن |
| ٤٥ | الفتح الاسلامي |
| ١٧٣ | الفكر والأدب |
| ٣٠٠ | الفينيقية |
| ٣٣٧ | (فتنة ١٨٢٠) |

(ق)

| | |
|---------|--------------------------|
| ٥٨ | القرآن الكريم |
| ١٢٣/١٢٧ | القرامطة |
| ٢٦٢ | القيسم |
| ٢٧٩ | القرآن والأدب |
| ١١٨ | القوميات والإقليميات |
| ١١٠ | القرآن (موسيقى القرآن) |
| ١٣٠ | القرآن (ألفاظه) |
| ١٧٥ | القصة |
| ٢٦٥ | القديم |
| ٣٠٣ | القوميات |

(ك)

| | |
|-----|----------------|
| ٦٨ | كتابات الأطفال |
| ٢٦٦ | الكتب الصفراء |
| ٢٦٧ | كتب المحاضرات |
| ٢٣٩ | الكتب |

صفحة

(ل)

| | |
|---------|---------------|
| ١١١ | اللغة العربية |
| ١٢٨/٢٦٨ | اللاتينية |
| ٢٦٩ | اللاهوت |

(م)

| | |
|--------|-----------------------------|
| ١٢١ | شبهات المرح |
| ١١٠ | موسيقى القرآن |
| ٢٢٥ | المنهج العلمى الاسلامى |
| ٣٠٩ | اللاهوتية |
| ١٧/١٢٤ | اللاهوتية |
| ٢٧٠ | المنهج العلمى التجريبي |
| ٢٧١ | المداة وتحرير المرأة |
| ٢٧٢ | المحافظة |
| ٢٧٣ | المعرفة والعقيدة |
| ٢٧٤ | المثل الاعلى |
| ٢٧٦ | مطلق ارسطو |
| ٢٧٨ | المهرج والفكر الاسلامى |
| ١٤١ | بين المنهج الغربى والاسلامى |
| ٣٠٧ | المادية |
| ٣١٠ | المذاهب الهدامة |
| ٣٤١ | محكم التفتيش |
| ٣٤٢ | ما قبل الاسلام |
| ٣٤٣ | معركة ساقى برتلى |
| ٣٤٤ | مكتبة الاسكندرية |
| ٣٤٥ | مصر للمصريين |

(ن)

| | |
|-----|----------|
| ٤٨ | النسوة |
| ٧٥ | النفس |
| ٣١٤ | النصيرية |

صفحة

(ه)

| | |
|---------|-------------------------------|
| ٢٨١/٢٨٠ | هزيمة المعنزلة |
| ٢١٠ | الهدامة (المذاهب) |

(و)

| | |
|---------|------------------------|
| ١٠٢ | الوحي |
| ٣١١/١٥٦ | الوثنية |
| ٦٠ | وحدة الأديان |
| ٢٨٢ | وحدة الوجود |
| ٢٨٣ | وحدة الحضارة |
| ٢٨٥ | الوسطية |
| ٣٦٦ | الوطنية |

(ي)

| | |
|-----|---------------------------------|
| ١٠١ | اليونيسكو (افترائه) |
| ٣٢٤ | اليونان والاغريق |

(ل)

تأليف : الكتب والمؤلفات

| صفحة | |
|------|--|
| ٣٧٣ | الف ليلة وليلة |
| ٣٧٥ | شمال المصيرين المحدثين |
| ٣٧٦ | الأغاني |
| ٣٧٩ | البیان والتبين |
| ٣٧٩ | المضنون به على غير أهله |
| ٣٨٠ | الإمامة والسياسة |
| ٣٨٠ | التجديد |
| ٣٨١ | دائرة المعارف الإسلامية |
| ٣٨٣ | بقتلة العرب |
| ٣٨٤ | الموسوعة العربية الميسرة |
| ٣٨٥ | تحرير المرأة |
| ٣٨٥ | حديث الأربعاء |
| ٣٨٨ | الاخلاق عن الفزالي |
| ٣٨٩ | على هامش السيرة |
| ٣٩١ | في الأدب الجاهلي |
| ٣٩٣ | عبقريّة الحضارة العربية |
| ٣٩٥ | تاريخ الحضارات العام |
| ٣٩٧ | الجامع المصمم في علم الكلام |
| ٣٩٨ | روح الإسلام |
| ٤٠٠ | الحركات الفكرية في الإسلام |
| ٤٠١ | الدين بين السائل والمجيب |
| ٣٠٤ | محمد رسول الحرية |
| ٣٠٦ | الحسين شهيدا |
| ٤٠٧ | العقبريات |
| ٤٠٧ | الفلسفة القرآنية |
| ٤١١ | كتاب الله (العقاد — مصطفى محمود) |
| ٤١٣ | حياة محمد |
| ٤١٦ | تفسير عصري للقرآن |
| ٤١٩ | كتاب القرآن عقيدته وتعاليمه |
| ٤١٩ | قصبة الحضارة |

فهرست اراحم الاسام

صفحة

| | |
|-----|---------------------|
| ٢٣٥ | لورنس |
| ٢٣٧ | ملايبي حتى |
| ٢٣٨ | سباطع الحصرى |
| ٢٣٩ | الجنفى |
| ٢٤٠ | للحلاج |
| ٢٤١ | المسلطان عبد الحميد |
| ٢٤٢ | المهروردي |
| ٢٤٣ | ميلي شلى |
| ٢٤٤ | ابن رشيد |
| ٢٤٥ | ابن الراوندى |
| ٢٤٦ | يعقوب ارتين |
| ٢٤٧ | عمير الخيام |
| ٢٤٨ | علي الدين يكن |
| ٢٤٩ | غازى دى |
| ٢٥٠ | سبارتر |
| ٢٥١ | ابن خلدون |
| ٢٥٢ | ميكايلي |
| ٢٥٣ | تولستوى |
| ٢٥٤ | يعقوب صنوع |
| ٢٥٥ | اديب اسحق |
| ٢٥٦ | جرجى زيدان |
| ٢٥٧ | نيشيه |
| ٢٥٨ | ماركس |
| ٢٥٩ | مرويد |
| ٢٦٠ | سعد زغلول |
| ٢٦١ | لطفى السيد |
| ٢٦٢ | كرومر |
| ٢٦٣ | دنلوب |
| ٢٦٤ | ولفنجلستون |
| ٢٦٥ | ماسكودى جاما |
| ٢٦٦ | الغزالى |

